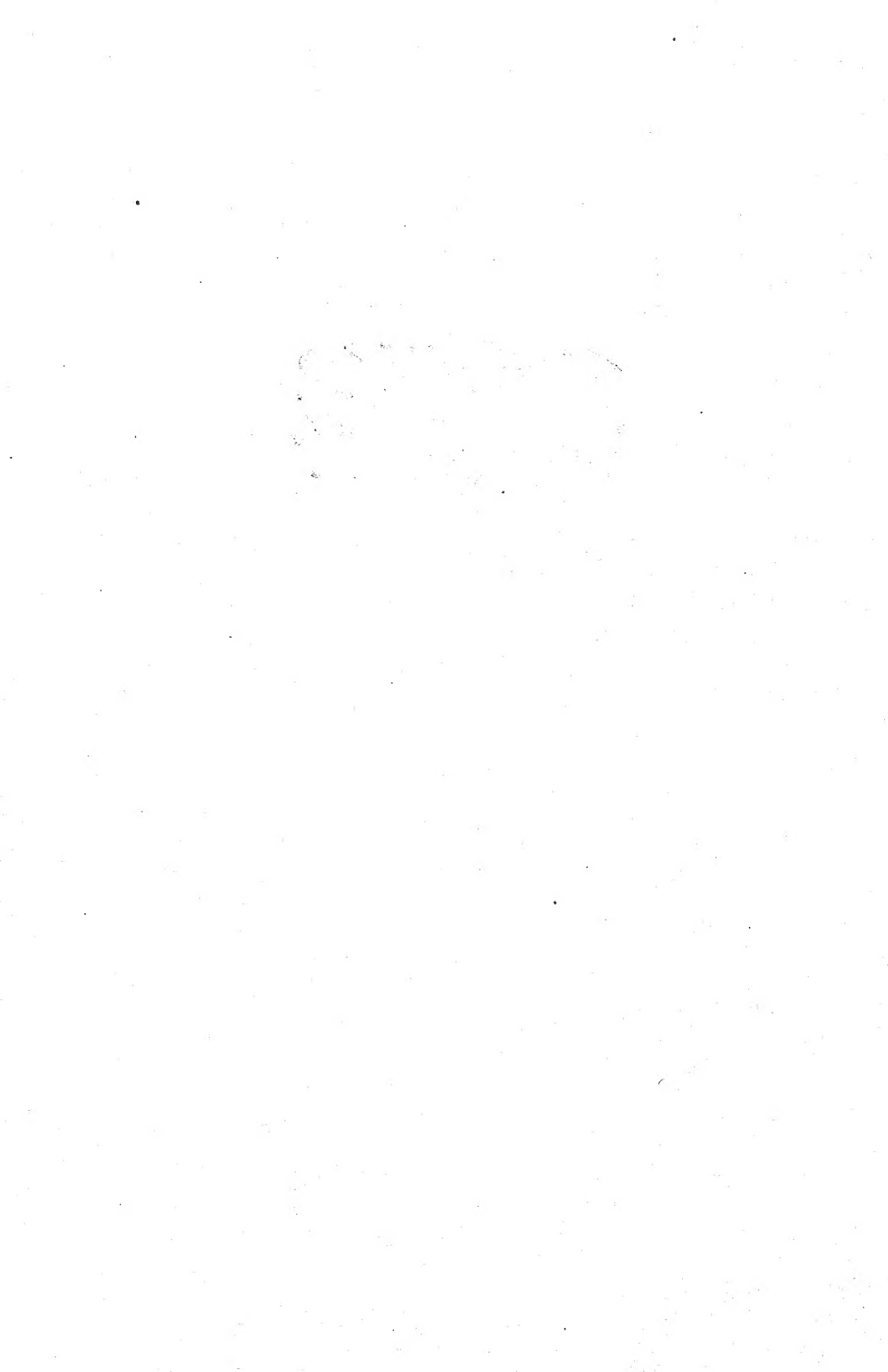


صَحاحُ الْأَسَدِ

الجزء الرابع



دار الكتب الخديوية

كتاب

صحيح الأئمة

نالت

الشيخ أبي العباس أحمد القلقشندي

الجزء الرابع

حقوق إعادة طبعه محفوظة لدار الكتب الخديوية

طبع
بالمطبعة الأميرية بالقاهرة
س ١٣٣٢ هـ
٣ ١٩١٤ م

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه

الحالة الثالثة

من أحوال المملكة ، ما عليه ترتيب المملكة
(من ابتداء الدولة الأيوبية وإلى زماننا)

وأعلم أن الدولة الأيوبية لما طرأت على الدولة الفاطمية وحلقتها في الديار المصرية ، خالفها في كثير من ترتيب المملكة ، وغيرت غالب معالمها ، وجرت على ما كانت عليه الدولة الأتابكية عماد الدين زنكي بالموصل ، ثم ولده الملك العادل نور الدين محمود بالشام وما معه ؛ وكان من شأنهم أنهم يلبسون الكلونات الصفر على رؤوسهم مكشوفةً بغير عمام ، وذوائب شعورهم مُرخاةً تحتها سواء في ذلك الممالك والأمراء وغيرهم . حتى يحكى عن الملك المعظم عيسى بن العادل أبي بكر صاحب دِمَشَق في أطراح التكلف : أنه كان يلبس الكلوة الصفراء بلا شاش ، ويخترق الأسواق من غير أن يُطَرَّق بين يديه كغيره من الملوك ، وكان سيف الدين غازي بن عماد الدين زنكي حين ملك المَوْصِل بعد أبيه أحدث حمل السَّجَق على رأسه ، فنبعه الملوك على ذلك ؛ وألزم الأجناد أن يشدوا السيوف في أوساطهم ، ويجعلوا الدِّبَابيس تحت رُكبتهم عند الركوب كما حكاه السلطان عماد الدين صاحب حَمَاة في تاريخه .

فلما ملك السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب رحمه الله الديار المصرية، جرى على هذا المنهج أو ما قاربته، وجاءت الدولة التركية، وقد تنقحت المملكة وترتبت، فأخذت في الزيادة في تحسين الترتيب وتنضيد الملك وقيام أجهته، ونقلت عن كل مملكة أحسن ما فيها، فسلكت سبيله ونسجت على منواله حتى تهذب وترتبت أحسن ترتيب، وفاقت سائر الممالك، وفخر ملكها على سائر الملوك .

ولم يزل السلطان والجند يلبسون الكلوة الصفراء بغير عمامة إلى أن ولي السلطان "الملك الأشرف خليل" بن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون السلطنة، فأحدث الشاش عليها بجفأت في نهاية من الحسن، وصاروا يلبسونها فوق الذوائب الشعر المُرخاة على ما كان عليه الأمر أولاً إلى أن حج السلطان الملك الناصر محمد ابن قلاوون في سلطته الثالثة، فخلق رأسه وحلق الناس رؤوسهم، وأستداموا حلق رؤوسهم وترك ذوائب الشعر إلى الآن .

ويتعلق القول من ذلك بعشرة مقاصد .

المقصود الأول

(في ذكر رسوم الملك وآلاته ؛ وهو أنواع كثيرة، بعضها عام في الملوك

أوأكثرهم، وبعضها خاص بهذه المملكة)

منها - (سرير الملك) ويقال له تخت الملك . وهو من الأمور العامة للملوك ، وقد تقدم أن أول من اتخذ مرتبة للجلوس عليها في الإسلام معاوية رضي الله عنه حين بدّن ، ثم تنافس الخلفاء والملوك بعده في الإسلام في ذلك حتى اتخذوا الأُسرة ، وكانت أُسرةُ خلفاء بني العباس ببغداد يبلغ علوها نحو سبعة أذرع . وهو في هذه المملكة منبر من رخام بصدر إيوان السلطان الذي يجلس فيه ، وهو على هيئة منابر

الجوامع إلا أنه مستند إلى الحائط ، وهذا المنبر يجلس عليه السلطان في يوم مهم كقدوم رُسل عليه ونحو ذلك ، وفي سائر الأيام يجلس على كرسي من خشب مغشّى بالحرير ، إذا أرنخى رجله كادت أن تلحق الأرض ، وفي داخل قصوره يجلس على كرسي صغير من حديد يحمل معه إلى حيث يجلس .

ومنها - (المقصورة) للصلاة في الجامع . وقد تقدّم في الكلام على ترتيب الخلافة أن أول من اتخذها في الإسلام معاوية ، وقد صارت سنة ملوك الإسلام بعد ذلك تمييزا للسلطان عن غيره من الرعية ، وهي في هذه المملكة مقصورة بجامع قلعة الجبل على القرب من المنبر متخذة من شبّاك حديد محكمة الصنعة ، يصلّي فيها السلطان ومن معه من أخصاء خاصيته يوم الجمعة .

ومنها - (نقش اسم السلطان) على ما ينسج ويرقم من الكسوة والطُرُز المتخذة من الحرير أو الذهب بلون مخالف للون القماش أو الطرز لتصير الثياب والطُرُز السلطانية مميزة عن غيرها ، تنويها بقدر لابسها : من السلطان أو من يشرفه بلبسها عند ولاية وظيفة أو إنعام أو غير ذلك . ولذلك دار مفردة بعمله بالإسكندرية تعرف بدار الطراز ، وعلى ذلك كانت خلفاء الدولتين : بنى أمية وبنى العباس حين كانت الخلافة قائمة .

ومنها - (الغاشية) . وهي غاشية سرج من أديم مخروزة بالذهب ، يحالها الناظر جميعها مصنوعة من الذهب ، تحمل بين يديه عند الركوب في المواكب الحفلة كالميادين والأعياد ونحوها ، يحملها الركاب دارية ، رافعا لها على يديه يلفتها يمينا وشمالا ، وهي من خواص هذه المملكة .

ومنها - (المظلة) . ويعبر عنها بالخطر (بحجم مكسورة ، قد تبدل شيئا معجمة ، وتاء مشناة فوق) ، وهي قبة من حرير أصفر مزركش بالذهب ، على أعلاها طائر من فضة

مَطْلِيَّةٌ بالذهب، تحمل على رأسه في العيدين . وهي من بقايا الدولة الفاطمية، وقد تقدم الكلام عليها مبسوطا في الكلام على ترتيب مملكتهم .

ومنها - (الرَّقَبَةُ) . وهي رقبة من أطلس أصفر مزركشة بالذهب بحيث لا يرى الأطلس لتراكم الذهب عليها، تجعل على رقبة الفرس في العيدين والميادين من تحت أذنى الفرس إلى نهاية عُرْفِهِ، وهي من خواص هذه المملكة .

ومنها - (الحفّطة) . وهما آثان من أوشاقية إصطبله قريبان في السن، عليهما قبّاءان أصفران من حرير بطراز من زركش، وعلى رأسيهما قُبَعَتَانِ من زركش، وتحتهما فرسان أشهبان برهبتين وعُدّة، نظير ما للسلطان راكب به كأنهما معدّان لأن يركبهما، يركبان أمانه في أوقات مخصوصة كالركوب للعب الكرة في الميدان الكبير ونحو ذلك، وهما من خواص هذه المملكة .

ومنها - (الأعلام) . وهي عدّة رايات، منها راية عظيمة من حرير أصفر مطرزة بالذهب، عليها ألقاب السلطان وأسمه، وتسمّى العِصَابَةُ ؛ وراية عظيمة في رأسها خُصْلَةٌ من الشعر تسمّى الجاليش ؛ ورايات صُفْرُ صغار تسمّى السّناجق .

قال السلطان عماد الدين صاحب حمّة في تاريخه : وأوّل من حَمَلَ السنجق على رأسه من الملوك في ركوبه غازى بن زنكى، وهو أخو السلطان نور الدين محمود ابن زنكى صاحب الشام .

ومنها - (الطبلخاناه) . وهي طبول متعدّدة معها أبواق وزمر تختلف أصواتها على إيقاع مخصوص، تدقّ في كل ليلة بالقلعة بعد صلاة المغرب، وتكون صحبة الطلب في الأسفار والحروب، وهي من الآلات العامة لجميع الملوك . ويقال إن الإسكندر^(١)

كان معه أربعون رجلاً طبلخاناه، وقد كتب أرسطو في "كتاب السياسة" الذي كتبه للإسكندر أن السر في ذلك إرهاب العدو في الحرب، والذي ذهب إليه بعض المحققين أن السر في ذلك أن في أصواتها تهيجاً للنفس عند الحرب وتقوية الجأش كما تتفعل الإبل بالحداء ونحو ذلك.

ومنها - (الكوسات) . وهي صنوجات من نحاس شبه الترس الصغير، يدقُّ بأحدها على الآخر بإيقاع مخصوص، ومع ذلك طبولٌ وشبابة، يدق بها مرتين في القلعة في كل ليلة، ويدار بها في جوانبها مرة بعد العشاء الآخرة، ومرة قبل التسبيح على المواد^(١)ن، وتسمى الدّورة بذلك في القلعة، وكذلك إذا كان السلطان في السفر تدور حول خيامه.

ومنها - (الخيام والفساطيط) في الأسفار. ولهذا السلطان من ذلك المدد الكبير، تتخذ له الخيام العظيمة الشأن المختلفة المقادير والصنعة من القطن الشامي الملون بالأبيض والأحمر والأزرق وغيرها، وكذلك من الجوخ المختلف الألوان مما يدهش بحسنه العقول: لينوب مناب قصورهم في الإقامة، وسيأتي ذكر أمور أخرى من آلات الملك سوى ما تقدم منفردة في أماكنها إن شاء الله تعالى.

المقصد الثاني

(في خواصل السلطان، وهي على أربعة أنواع^(٢))

النوع الأول

(الخواصل المعبر عنها بالبيوت)

وذلك أنهم يضيفون كل واحد منها إلى لفظ خاناه كالطشت خاناه، والشراب خاناه

(١) صوابه المآذن وكثيراً ما يجارى لغة العامة.

(٢) يظهر أن هذا التنوع من النسخ فإنه في الضوء لم يذكر التنوع وإنما قسم الخواصل إلى البيوت الثمانية فقط ثم أتبعها بالمقصد الثالث.

ونحوهما؛ وخاناه لفظ فارسيّ معناه البيت، والمعنى بيت كذا إلا أنهم يؤخرون
المضاف عن المضاف إليه على عادة العجم في ذلك، وهي ثمانية بيوت .

الأول - (الشَّرَابُ خاناه) . ومعناها بيت الشراب، وتشتمل على أنواع الأُشربة
المُرَصَّدة لخاصّ السلطان، والمشروب الخاص من السكر والأقسيما وغير ذلك، وفيها
يكون السكر المخصوص بالمشروب، وبها الأواني النفيسة من الصّينيّ الفاتر من
الآلآزوردِيّ وغيره مما تساوى السُّكَّرُجة الواحدة اللطيفة منه ألف درهم فما حوله .
ووظيفة الشاد بها تكون لأمر من أكابر أمراء المئين الخاصكية المؤتمنين، ولها
مِهُتار يعرف بمِهُتار الشراب خاناه متسلّم لحواصلها، له مكانة عليّة، وتحت يده غلمانٌ
عنده برسم الخِدْمَة، يُطلَق على كل منهم شراب دار، وسيأتي في الكلام على الألقاب
في المقالة الثالثة معنى الإضافة إلى الدار في ذلك ونحوه .

الثاني - (الطَّشْتُ خاناه) . ومعناه بيت الطشت، سميت بذلك لأن فيها يكون
الطَّشْتُ الذي تغسل فيه الأيدي والطَّشْتُ الذي يُغسل فيه القماش، وقد غلب
عليهم استعمال لفظ الطشت بشين معجمة مع كسر الطاء، وصوابه بالسين المهملة مع
فتح الطاء، وأصله طُسُّ بسين مشدّدة فأبدلت من إحدى السينين تاء للاستتقال .
فإذا جُمع أو صُغِّر، ردت السين إلى أصلها، فيقال في الجمع طَسَّاس وطُسُّوس،
وفي التصغير طُسَيْس . قال الجوهريّ : ويقال فيه أيضا طَسَّة، ويجمع على طَسَّات،
والناس الآن يقولون طاسة ويجمعونه على طاسات، ويعملون الطَّشْتُ أسما لنوع
خاص، والطاسة أسما لنوع خاص .

وفي الطَّشْتُ خاناه يكون ما يلبسه السلطان من الكلّوتة والأقيية وسائر الثياب
والسيف والخفّ والسُّرموزة وغير ذلك .

وفيهما يكون ما يجلس عليه السلطان من المقاعد والمخاد والسجادات التي يصلّي عليها وما شاكل ذلك، ولها أيضا مهتار من كبار المهتارية، يعرف بمهتار الطشت خاناه، وتحت يديه عدة غلمان بعضهم يعرفون بالطشت دارية، وبعضهم يعرف بالرختوانية. وله التحدث في تفرقة اللحم على الممالك السلطانية من الحوائج خاناه وإقامة قباض اللحم، ويطلق على كل من غلمان الطشت خاناه وقباض اللحم بابا، وهي لفظة رومية بمعنى الأب، أطلقوها على مهتار الطشت خاناه تعظيما له، ثم غلبت على من عداه، ولغلمانها دُرْبَةٌ بترتيب الأحمال التي تحمل على ظهور البغال للزينة في المواكب العظيمة ونحوها، يأتون فيها من بديع الصنعة والتعاليق الغريبة بكل عجيب، وهم يتباهون بذلك، ويسامى بعضهم بعضا فيه.

الثالث - (الفراش خاناه). ومعناها بيت الفراش، وتشتمل على أنواع الفرش من البسط والخيام، ولها مهتار يعرف بمهتار الفراش خاناه، وتحت يده جماعة من الغلمان مستكثرة مرصّدون للخدمة فيها في السفر والحضر يعبر عنهم بالفراشين، وهم من أمهر الغلمان وأنهمضهم، ولهم دُرْبَةٌ عظيمة في نصب الخيام حتى إن الواحد منهم ربما أقام الخيمة العظيمة ونصبها وحده بغير معاون له في ذلك، ولهم معرفة تامة بشد الأحمال التي تحمل في المواكب على ظهور البغال، يبلغ الحمل منها نحو خمسة عشرة ذراعا.

الرابع - (السلّاح خاناه). ومعناها بيت السلاح، وربما قيل الزرد خاناه ومعناها بيت الزرد لما فيها من الدروع الزرد؛ وتشتمل على أنواع السلاح: من السيوف، والقسي العربية، والنشاب، والرماح، والدروع المتخذة من الزرد المانع، والقرقولات المتخذة من صفائح الحديد المغشاة بالديباج الأحمر والأصفر، وغير ذلك

من الأطبار وسائر أنواع السلاح ، ويقُلُّ بها قسيّ الرّجل والركّاب لعدم معاناتها بالديار المصرية ، وإنّما تكثُر بالثغور كالإسكندريّة وغيرها ، وفي كل سنة يحمل إليها ما يعمل بخزائن السلاح من الأسلحة ، يجعل على رؤوس الحمالين ويُرَفُّ إلى القلعة ويكون يوما مشهودا ، وفي هذه السلاح خاناه من الصّناع المقيمين بها لإصلاح العُدَد وتجديد المستعملات جماعة كثيرة ، ويسمى صانع ذلك الزردكاش ، وهي لفظة عجمية وكأن معناها صانع الزرد ، ولها غلمان أخرى وفراشون بسبب خدمة القمّاش وأفتقاده .

الخامس - (الركّاب خاناه) . ومعناها بيت الركاب ، وتشتمل على عُدَد الخيل من السروج ، والجم ، والكنايش ، وعى المراكيب ، والعبي الإصطبلات ، والأجلال ، والمخالي وغير ذلك من الأصناف التي يطول ذكرها ، وفيها من السروج المغشّاة بالذهب والفضة المطلية والساذجة والكنايش المتخذة من الذهب المزركش المزهر بالريش ، وغير المزهرة ، والعبي المتخذة من الحرير وصوف السهك ، وغير ذلك من نفائس العُدَد والمراكيب ما يبحر العقول ويدهش البصر ، مما لا يقدر على مثله إلا عظماء الملوك . ولها مهتار متسلم لحواصلها يعبر عنه بمهتار الركاب خاناه ، وتحت يده رجال لمعاصده على ذلك .

السادس - (الحوائج خاناه) . ومعناها بيت الحوائج ، وليست على هيئة البيوت المتقدمة مشتملة على حاصل معين ، وإنّما لها جهة تحت يد الوزير منها يصرف اللّحم الراتب للطبخ السلطاني والدور السلطانية ورواتب الأمراء والماليك السلطانية وسائر الجند والمتعممين ، وغيرهم من أرباب الرواتب الذين تملأ

(١) لم نعر على حيوان بهذا الاسم ولعله مصحف عن السمند .

أسماءهم الدفاتر، وكذلك تَوَابِلُ الطعام للطبخ السلطانيّ والدور السلطانية، ومن له تَوَابِلُ مرتبة من الأمراء وغيرهم، والزيت للوقود، والحبوب، وغير ذلك من الأصناف المتعددة؛ ولها مباشرون منفردون بها يضبطون أسماء أرباب المستحقّات ومقادير استحقاقهم، وهي من أوسع جهات الصرف حتى إن ثمن اللحم وحده يبلغ ثلاثين ألف درهم في كل يوم خارجا عما عداه من الأصناف، وربما زاد على ذلك.

السابع - (المطبخ). وهو الذي يُطَبَخُ فيه طعام السلطان الراتب في الغداء والعشاء والطارئ في الليل والنهار والأسمطة التي تمتدّ بالإيوان الكبير بدار العدل في أيام المواكب، ويحمل إليه اللحم والتوابل وسائر الأصناف من الحوائج خاناه المتقدمة الذكر بقدر معلوم مرتب؛ يُستهلك فيه في كل يوم قناطير مقنطرة من اللحم والدجاج والإوز والأطعمة الفاخرة؛ وله أمير من الأمراء يحكم عليه يسمى أستاذار الصحبة وتحت يده آخر يعبر عنه بالمشرف؛ وله طبّاخ كبير معتبر يعبر عنه باسماسلار.

الثامن - (الطبلخاناه). ومعناه بيت الطبل، ويشتمل على الطبول والأبواق وتوابعها من الآلات؛ ويحكم على ذلك أمير من أمراء العشرات يعرف بأمر علم، يقف عليها عند ضربها في كل ليلة، ويتولّى أمرها في السفر؛ ولها مهتار متسلم لحواصلها يعرف بمهتار الطبلخاناه؛ وله رجال تحت يده ما بين دبندار؛ وهو الذي يضرب على الطبل، ومُنَفَّر وهو الذي يضرب بالبوق، وكُوسِيٌّ، وهو الذي يضرب بالصنوج النحاس بعضها على بعض وغير أولئك من الصنّاع.

المَقْصِدُ الثَّالِثُ

(في ذكر أعيان المملكة وأرباب المناصب الذين بهم انتظام المملكة)

وقيام الملك ؛ وهم على أربعة أضرب)

الضرب الأول

(أرباب السيوف ؛ والنظر فيهم من وجهين)

الوجه الأول

(مراتبهم على سبيل الإجمال ؛ وهي على نوعين)

النوع الأول

(الأمراء ؛ وهم على أربع طبقات)

الطبقة الأولى - أمراء المئين مقدمو الألوف ، وعدة كل منهم مائة فارس .

قال في "مسالك الأبصار" : وربما زاد الواحد منهم العشرة والعشرين ؛ وله التقدمة على ألف فارس ممن دونه من الأمراء ، وهذه الطبقة هي أعلى مراتب الأمراء على تقارب درجاتهم ، ومنهم يكون أكابر أرباب الوظائف والتواب . ثم الذي كان آسقف عليه قاعدة المملكة في الروك الناصري محمد بن قلاوون ، وما بعده إلى آخر الدولة الأشرفية شعبان بن حسين ، أن يكون بالديار المصرية أربعة وعشرون مقدما ، ولما آسجد في الدولة الظاهرية الديوان المفرد لخاص السلطان وأفرد له عدة كثيرة من المماليك السلطانية والمستخدمين ، نقصت عدة المقدمين عما كانت عليه ، وصارت دائرة بين الثمانية عشر والعشرين مقدما بما في ذلك من نائب الإسكندرية ونائبي الوجهين : القبلي والبحري .

الطبقة الثانية - أمراء الطبلخانا ، وعدة كل منهم في الغالب أربعون فارسا .
قال في "مسالك الأبصار" : وقد يزيد بعضهم على ذلك إلى سبعين فارسا ،
بل ذكر في "التعريف" في أواخر المكاتبات أنه يكون للواحد منهم ثمانون فارسا .
قال في "مسالك الأبصار" : ولا تكون الطبلخانا لأقل من أربعين ، وهذه الطبقة
لاضابط لعدة أمرائها بل تتفاوت بالزيادة والنقص لأنه مهما فرقت إمرة الطبلخانا
بفعلت إمرة عشرين أو أربع عشرات ، أؤضم بعض العشرات ونحوها إلى بعض
وجعلت طبلخانا ، ومن أمراء الطبلخانا تكون الرتبة الثانية من أرباب الوظائف
والكشاف بالأعمال ، وأكابر الولاية .

الطبقة الثالثة - أمراء العشرات ، وعدة كل منهم عشرة فوارس . قال في "مسالك
الأبصار" : وربما كان فيهم من له عشرون فارسا ولا يعد إلا في أمراء العشرات ،
وهذه الطبقة أيضا لاضابط لعدد أمرائها بل تزيد وتنقص كما تقدم في الكلام على أمراء
الطبلخانا ، ومن هذه الطبقة يكون صغار الولاية ونحوهم من أرباب الوظائف .
الطبقة الرابعة - أمراء الخمسات . وهم أقل من القليل خصوصا بالديار المصرية ،
وأكثر ما يقع ذلك في أولاد الأمراء المندرجين بالوفاة رعاية لسلفهم ، وهم في الحقيقة
أكابر الأجناد .

النوع الثاني

(الأجناد ، وهم على طبقتين)

الطبقة الأولى - الممالك السلطانية . وهم أعظم الأجناد شأنا ، وأرفعهم قدرا ،
وأشدهم إلى السلطان قربا ، وأوفرهم إقطاعا ، ومنهم تؤمّر الأمراء رتبة بعد رتبة ،

وهم في العدة بحسب ما يؤثّرهُ السلطان من الكثرة والقلة ، وقد كان لهم في زمن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ثم في أيام السلطان الملك الظاهر برقوق العدد الجَمُّ والمدد الوافر لطول مدة ملكهما واعتنائهما بجلب الممالك ومشتراها .

الطبقة الثانية - أجناد الحلقة . وهم عدد جَمٍّ وخلق كثير، وربما دخل فيهم من ليس بصفة الجند من المتعممين وغيرهم ، بواسطة النزول عن الإقطاعات ، وقد جرت عادة ديوان الجيش عدم الجمع على الجند كي لا يُحاط بعبّته ويطلع إليه . قال في "مسالك الأبصار" : ولكل أربعين نفساً منهم مقدّم منهم ، ليس له عليهم حكم إلا إذا خرج العسكر كانت مواقفهم معه ، وترتيبهم في موقفهم إليه . ومن الأجناد طائفة ثالثة يقال لهم البحرية يبيتون بالقلعة وحول دهايز السلطان في السفر كالحرّس ، وأول من رتبهم وسماهم بهذا الاسم السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب .

الوجه الثاني

(في ذكر أرباب الوظائف من أرباب السيوف المتقدم ذكرهم ، وهم على نوعين)

النوع الأول

(من هو بحضرة السلطان ، وهي خمسة وعشرون وظيفة)

الأولى - النيابة . ويعبر عن صاحبها بالنائب الكافل ، وكافل الممالك الإسلامية . قال في "التعريف" : وهو يحكم في كل ما يحكم فيه السلطان ويعلم في التقاليد والتواقيع والمناشير ، وغير ذلك مما هو من هذا النوع على كل ما يعلم عليه السلطان ، وسائر التّوابع لا يعلم الرجل منهم إلا على ما يتعلّق بخاتمة نيابته . قال : وهذه رتبة

لا يخفى ما فيها من التمييز . قال في "مسالك الأبصار" : وجميع ثواب الممالك تكتبه فيما تكتب فيه السلطان ويراجعونه فيه كما يرآجع السلطان ، ويستخدم الجند من غير مشاورة السلطان ، ويعين أرباب الوظائف الجليلة كالوزارة وكتابة السر ، وقل أن لا يجاب فيمن يُعينه ، وهو سلطانٌ مختصر بل هو السلطان الثاني . وعادته أن يركب بالعسكر في أيام المواكب وينزل الجميع في خدمته . فإذا مثل في حضرة السلطان ، وقف في ركن الإيوان . فإذا آنقضت الخدمة ، خرج إلى دار النيابة بالقلعة والأمراء معه ويجلس جلوسا عاما للناس ، ويحضره أرباب الوظائف ، ويقف قدّامه الحجاب ، وتقرأ عليه القصص ، ثم يمد السامط للأمراء كما يمد لهم السلطان فيأكلون وينصرفون . وإذا كانت النيابة قائمة على هذه الصورة ، لم يكن السلطان يتصدى لقراءة القصص ، وسماع الشكاوى بنفسه ، ويأمر في ذلك بما يرى من كتابة مثال ونحوه ، ولكنه لا يستبد بما يكتب من الأبواب السلطانية بنفسه بل يكتب بإشارته وينبه على ذلك ، وتشمله العلامة الشريفة بعد ذلك .

أما ديوان الجيش فإنه لا يكون له خدمة إلا عنده ولا اجتماع إلا به ، ولا اجتماع لهم بالسلطان في أمر من الأمور ، وما كان من الأمور المعضلة التي لا بد من إحاطة علم السلطان بها فإنه يعلمها بها تارة بنفسه وتارة بمن يرسله إليه . هذا آخر كلامه في "المسالك" غير أن هذا النائب تارة يُنصب وتارة يُعطل جيد المملكة منه ؛ وعلى هذا كان الحال في الأيام الناصرية ابن قلاوون تارة وتارة وكذا الحال في زماننا . وإذا كان متصباً ، أخصّ بإخراج بعض الإقطاعات دون بعض ، ويكون صاحب ديوان الجيش هو الملازم له وناظر الجيش ملازم السلطان .

قال في "التعريف" : ^(١) أما نائب الغيبة : وهو الذي يترك إذا غاب السلطان

(١) كذا في الضوء أيضاً ومراده يترك وشأنه في الحكم .

والنائب الكافل، وليس إلا لإيجاد الثوائر وخلاص الحقوق، فحكمه في رسم الكتابة إليه رسم مثله من الأمراء .

الثانية - الأتابكية . ويعبر عن صاحبها بأتابك العساكر . قال السلطان عماد الدين في "تاريخه" : وأصله أتابك ومعناه الولد الأمير، وأول من لقب بذلك نظام الدولة وزير ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقي حين فوض إليه ملكشاه تدبير المملكة سنة خمس وستين وأربعمائة، ولقبه بالقباب منها هذا، وقيل أتابك معناه أمير أب، والمراد أبو الأمراء، وهو أكبر الأمراء المقدمين بعد النائب الكافل، وليس له وظيفة ترجع إلى حكم وأمر ونهى، وغايته رفعة المحلّ وعلو المقام .

الثالثة - وظيفة رأس نوبة . وموضوعها الحكم على الممالك السلطانية والأخذ على أيديهم ، وقد جرت العادة أن يكونوا أربعة أمراء : واحدٌ مقدّم ألف وثلاثة طبلخاناه .

الرابعة - إمرة مجلس . وموضوعها ^(١) وهو يتحدث على الأطباء والكهّالين، ومن شاكلهم، ولا يكون إلا واحدا .

الخامسة - إمرة سلاح . وأصل موضوعها حمل السلاح للسلطان في الجامع الجامعة، وصاحبها هو المقدم على السلاح دارية من الممالك السلطانية والمتحدث في السلاح خاناه السلطانية ، وما يُستعمل لها ويقدم إليها ، ولا يكون إلا واحدا من الأمراء المقدمين .

السادسة - إمرة أخورية . وموضوعها التحدث على إصطبل السلطان وخيوله، وعادتها مقدّم ألف يكون متحدثا فيها حديثا عاما، وهو الذي يكون ساكنا

(١) بياض بالأصل ولعله وموضوعها تولى أمور مجلس السلطان .

بإصطبل السلطان، ودونه ثلاثة من أمراء الطبلخاناه . أما أمراء العشرات والجند، فغير محصورين .

السابعة - الدَّوَادِرِيَّة . قال في "مسالك الأبصار" : وموضوعها تبليغ الرسائل عن السلطان وإبلاغ عاقمة الأمور، وتقديم القصص إليه، والمشاورة على من يحضر إلى الباب الشريف وتقديم البريد، هو وأمير جاندار وكتب السر، يأخذ الخط على عاقمة المناشير والتواقيع والكتب . وإذا خرج عن السلطان بكتابة شيء برسوم، حمل رسالته وعينت فيما يكتب ، وسيأتى بيان ذلك فيما يكتب بالرسائل في الكلام على قوانين ديوان الإنشاء إن شاء الله تعالى .

وفي هذه الوظيفة عدة من الأمراء والجند ، وقد كانت في أيام الناصر محمد بن قلاوون وما تلاها ليس فيها أميرٌ مقدَّم ألف ، ثم آل الأمر إلى أن صار الأعلى منهم مقدَّم ألف ، ونائبه طبلخاناه . وأول من استقرَّ في وظيفة الدَّوَادِرِيَّة من الأمراء الألوف طغيمر النجمي في الدولة الناصرية حسن ، ثم صار غالب من يليها ألوف ، وربما كان طبلخاناه أحياناً .

الثامنة - المُجُوبِيَّة . قال في "مسالك الأبصار" : وموضوعها أن صاحبها يُنصف بين الأمراء والجند تارة بنفسه وتارة بمراجعة النائب إن كان ، وإليه تقديم مَنْ يعرض وَمَنْ يرد، وعرضُ الجند وما ناسب ذلك ؛ والذي جرت به العادة خمسة حُجَّابٍ ، آثنان من مقدَّمي الألوف : وهما حاجب الحُجَّاب هو المشار إليه من الباب الشريف ، والقائم مقام النائب في كثير من الأمور . وأعلم أن هذا الاسم أول ما حدث في الدولة الأمويَّة في خلافة عبد الملك بن مروان ، وكان موضوعها إذ ذاك حجب السلطان عن العامة، ويُغلق بابه دونهم أو يفتح لهم على قدره في مواقيته ،

(١) في الكلام سقط ظاهر ولعل الأصل "حاجب الحجاب ونائبه وحاجب الحجاب هو الخ" تأمل .

ثم تبعهم بنو العبّاس على ذلك . وقد ذكر السلطان عماد الدين صاحب حماة : أنه كان للمقتدر سبعة حاجب . هذا وكانت الخلافة قد أخذت في الضعف ، وهو خلاف موضوعها الآن ، وفيها بمالك المغرب معانٍ أخرى يأتي ذكرها عند الكلام على ممالكها إن شاء الله تعالى .

التاسعة - إمرة جاندار . وموضوعها أن صاحبها يستأذن على دخول الأمراء للخدمة ويدخل أمامهم إلى الديوان . قال في "مسالك الأبصار" : ويقدم البريد مع الدوادار وكاتب السر . قال : وصاحبها كالمسلم للباب ، وله به البرددارية وطوائف الركابية والخازندارية . وإذا أراد السلطان تعزيز أحد أوقته كان ذلك على يد صاحب هذه الوظيفة ، وهو المسلم للزردخاناه التي هي أرفع قدرا في الاعتقالات ، ولا تطول مدة المعتقل بها ، بل إما يعجل بتخليه أو إتلاف نفسه ، وصاحب هذه الوظيفة هو الذي يطوف بالزفة حول السلطان في سفره ، وقد جرت العادة أن يكون فيها أميران : مقدم ألف ، وطبلخاناه ، والمشار إليه هو المقدم .

العاشر - الاستدارية . قال في "مسالك الأبصار" : وموضوعها التحدث في أمر بيوت السلطان كلها من المطابخ والشراب خاناه والحاشية والعلمان ، وهو الذي يمشي بطلب السلطان ، ويحكم في غلمانه وباب داره ، وإليه أمر الجاشنكيرية ، وإن كان كبيرهم نظيره في الإمرة من ذوى الإئین ، وله حديث مطلق وتصرف تام في استدعاء ما يحتاجه كل من في بيت السلطان من النفقات والكساوى وما يجرى مجرى ذلك للماليك وغيرهم . وقد جرت العادة أن يكونوا أربعة : واحد مقدم ألف وثلاثة طبلخاناه ، وربما تقصوا عن ذلك .

(١) جمع الكسوة كسًا وكسًا . فسا في الاصل جار على اصطلاح العامة .

الحادية عشرة - الجاشنكيرية . وموضوعها التحدث في أمر السَّماط مع الاستادار على ما تقدّمت الإشارة إليه ، ويقف على السَّماط مع أستاذار الصَّحبة ، وأكبرهم يكون من الأمراء المقدمين .

الثانية عشرة - الخازندرية . وموضوعها التحدث في خزائن الأموال السلطانية من نقد ومُشاش وغير ذلك ، وكانت عاداتها طبلخاناه ، ثم استقرت مقدمة ألف ، ويطلبه في حساب ذلك ناظر الخالص الآتي ذكره .

الثالثة عشرة - شدّ الشراب خاناه . وموضوعها التحدث في أمر الشراب خاناه السلطانية وما عمل إليها من السُّكر والمشروب والفواكه وغير ذلك ، وتارة يكون مقدّما ، وتارة يكون طبلخاناه .

الرابعة عشرة - أستاذارية الصَّحبة . وموضوعها التحدث على المَطْبَخ السلطاني والإشراف على الطعام والمشى أمامه والوقوف على السَّماط ، والعادة أن يكون صاحبها أمير عشرة .

الخامسة عشرة - مقدمة الممالك . وموضوعها التحدث على الممالك السلطانية والحكم فيهم ، ولا يكون صاحبها إلا من الخدام ، والعادة أن تكون إمرة طبلخاناه ، وله نائب أمير عشرة .

السادسة عشرة - زِمَامية الدور السلطانية . وصاحبها من أكبر الخدام ، وهو المعبر عنه بالزِّمَام ، وعادته أن يكون أمير طبلخاناه .

السابعة عشرة - تِقَابة الجيوش . قال في "مسالك الأبصار" : وهي موضوعة لتولية الجند في عَمَرُهم ، ومعه يمشى التَّقَباء . وإذا طلب السلطان أو النائب

أو الحاجب أميرا أو غيره، أحضره . قال : وهو كأحد الحُجَّاب الصغار، وله التطلب بالحراسة في الموكب والسفر .

الثامنة عشرة - المهمندارية . وموضوعها تَلَقَّى الرسل الواردين وأمراء العُربان وغيرهم ممن يَرُدُّ من أهل المملكة وغيرها .

التاسعة عشرة - شَدِّ الدواوين . وموضوعها أن يكون صاحبها رفيقا للوزير متحدثا في استخلاص الأموال، وما في معنى ذلك ؛ وعادتها إمرة عشرة .

العشرون - إمرة طَبَر . وموضوعها أن يكون صاحبها حاملا الطَّبَر في الموكب، ويحكم على مَنْ دونه من الطَّبَر دارية ؛ وعادتها إمرة عشرة أيضا .

الحادية والعشرون - إمرة عَلم . وموضوعها أن يكون صاحبها متحدثا على الطبلخاناه السلطانية وأهلها، متصرفا في أمرها ؛ وعادتها إمرة عشرة .

الثانية والعشرون - إمرة شكار . وموضوعها أن يكون صاحبها متحدثا في الجوارح السلطانية من الطُّيور وغيرها والصُّيود السلطانية وأحواش الطيور وغيرها ؛ وهي إمرة عشرة .

الثالثة والعشرون - حِرَاسة الطير . وموضوعها أن يكون صاحبها متحدثا على حراسة الطيور من الكَرَاكِي التي هي بصدد أن يصيدها السلطان في الأماكن التي تنزل بها الطيور من المزارع وغيرها ؛ وهي إمرة عشرة .

الرابعة والعشرون - شَدِّ العُمَّار . وموضوعها أن يكون صاحبها متكلما في العُمَّار السلطانية مما يختار السلطان إحداثه أو تجديده من القصور والمنازل والأسوار ؛ وهي إمرة عشرة .

الخامسة والعشرون - الولاية . والولاية بالحاضرة على صنفين .

الصنف الأول

(وَلَاةُ الشُّرْطَةِ ، المعروفون في الديار المصرية بولاية الحرب ؛ وهم ثلاثة ،
بالقاهرة ، والفُسْطَاطُ المعروف بمصر ، والقَرَاةُ)

فأما وإلى القاهرة ، فيحكم في القاهرة وضواحيها ، وهو أكبر الثلاثة وأعلامهم
رتبةً ، وعادته إمرة طبلخاناه .

وأما وإلى الفسطاط ، فيحكم في خاصّة مصر على نظير ما يحكم وإلى القاهرة
في بلده ، وعادته إمرة عشرة .

وأما وإلى القرافة ، فيحكم في القرافة التي هي تُرْبَةُ هَاتَيْنِ المدينتين بمراجعة وإلى
مصر ، وعادته إمرة عشرة . وقد أضيفت الآن القرافة إلى مصر ، وصارت ولاية
واحدة وجعلت إمرة طبلخاناه ولكنها لاتبلغ شأوا القاهرة .

الصنف الثاني

(وَلَاةُ الْقَلْعَةِ ، وهم اثْنان)

أحدهما - وإلى القلعة ، وهو أمير طبلخاناه ، وله التحدّث على باب القلعة الكبير
الذي منه طلوع عامّة العسكر ونزولهم في الفتح والغلق ونحو ذلك .

الثاني - وإلى باب القلعة ، وهو أمير عشرة ، وله التحدّث على الباب المذكور
وأهله كما لو إلى القلعة التحدّث على الباب الكبير المتقدم ذكره .

النوع الثاني

(ما هو خارج عن الحضرة السلطانية، وهم على ثلاث طبقات)

الطبقة الأولى

(نواب السلطنة)

والذى بمصر الآن ثلاث نيابات، جميعها مستحدثة عن قُرب .

الأولى - نيابة الإسكندرية . وهى نيابة جليلة تُضاهى نيابة طرابلس وحماة وصَفَد من المملكة الشامية الآتى ذكرها ، وبها كرسىّ سلطنة ونمجاه سلطانية توضع على الكرسىّ ، ونائبها من الأمراء المقدمين يركبُ فى المواكب بالشبابة السلطانية ، ومعه أجناد الحلقة المرتبون بها ، ويخرج فى موكبهِ إلى ظاهر الإسكندرية خارج باب البحر، ويجتمع إليه الأمراء المسيرون بها هناك، ثم يعود وهم معه إلى دار النيابة، ويمد السباط السلطانيّ، ويأكل عليه الأمراء والأجناد، ويحضره القضاة ، وتقرأ القصص على عادة النيابات ثم ينصرفون .

وكان ابتداء ترتيب هذه النيابة فى سنة سبع وستين وسبعائة فى الدولة الأشرفية شعبان بن حسين حين طرّق العدو المخذول من الفرنج الإسكندرية وفتكوا بأهلها وقتلوا منهم الخلق العظيم ونهبوا الأموال الجمة، وكانت قبل ذلك ولاية تُعدّ فى جملة الولايات، وكان لوالها الرتبة الجليلة والمكانة العلية من أكابر أمراء الطبليخاناه .

الثانية - نيابة الوجه القبلى . وهى مما استُحدثت فى الدولة الظاهرية يرقوق، وهو فى رتبة نيابة الوجه البحرىّ بل أعظم خطراً منه، ومقرّ نيابته مدينة أسيوط المتقدم ذكرها، وحكمه على جميع بلاد الوجه القبلى بأسرها، وهى فى الترتيب على

ما تقدم من نيابة الوجه البحرى ، وكانت قبل ذلك كاشفا يطلق عليه وإلى الولاية كما كان فى الوجه البحرى .

الثالثة - نيابة الوجه البحرى . وهى مما أستحدث فى الدولة الظاهرية أيضا ، ونائبها من الأمراء المقدمين ، وهو فى رتبة مقدم العسكر بغزة الآتى ذكرها ، ومقر نائبها دمنهور مدينة البحيرة المتقدم ذكرها ؛ وليست على قاعدة النيابات بل هى فى الحقيقة ولاية حرب كبيرة ، وقد كان القائم بها قبل ذلك كاشفا يطلق عليه وإلى الولاية ولم يكن له مقررة خاصة .

الطبقة الثانية

(الكُشَّافُ)

قد تقدم أنه قبل النيابة بالوجهين القبلى والبحرى كان بهما كاشفان ، ولما استقرت النيابة بهما جعل للوجه البحرى كاشف من أمراء الطليخاناه على العادة المتقدمة ، يتحدث فى بلاده ماعدا عمل البحيرة لقربه من نائب الوجه البحرى ، وجعل كاشف آخر من رتبته لعمل الفيوم وعطل من الوالى ، وأضيف إليه عمل البهنسى أيضا ؛ وسائر الوجه القبلى أمره راجع إلى نائبه المتقدم ذكره .

الطبقة الثالثة

(الولاية بالوجهين : القبلى والبحرى)

وقد تقدم ذكر أعمالهما . ومراتب الولاية بهما لا تخرج عن مرتبتين .

المرتبة الأولى

(١)

(أمراء الطبلخاناه، وهى سبع ولايات بالوجهين : القبلى والبحرى)

فأما الوجه القبلى ففيه أربع ولاة من هذه الرتبة .

الأول - والى البنسى، وهى أقرب ولاية الطبلخاناه بهذا الوجه الآن إلى القاهرة .

الثانى - والى الأشتونين .

الثالث - والى قوص وإنجيم، وهو أعظم ولاية الوجه القبلى حتى إنه يركب فى المواكب بالشبابة السلطانية أسوة بالتواب بالمالك .

الرابع - والى أسوان، وهو محدث فى الدولة الظاهرية برقوق، وكانت قبل ذلك مضافة إلى والى قوص، وكانت ولاية الفيوم طبلخاناه آستقرت كشفا على ما تقدم .

أما أسىوط، فلم يكن بها ولاية لكونها كانت مستقر والى الولاية بالوجه القبلى، ثم صارت مستقر النائب به، وسيأتى بيان ما كان ولاية طبلخاناه، ثم نقل إلى العشرات .

وأما الوجه البحرى ففيه أربعة ولاية من هذه الرتبة .

(١) لعله ثمان ولايات كما يظهر من عد الولاية بالوجهين .

الأول - والى الشرقية وهو والى بلبس .

الثانى - والى منوف .

الثالث - والى الغربية ، وهو والى المحلة ، ورتبته فى الوجه البحرى فى رفعة القدر تضاهى رتبة والى قوص فى الوجه القبلى .

الرابع - والى البحيرة ، وهو والى دمنهور .

وقد تقدم أن الإسكندرية قبل أن تستقر نيابة كان بها وال من أمراء الطبلخانا .

المرتبة الثانية

(من الولاية أمراء العشرات ، وهى سبعة ولاية بالوجهين)

فأما الوجه القبلى ففيه ثلاثة ولاية .

الأول - والى الجيزة ، وقد كان قبل ذلك طبلخانا ، ثم نقل إلى العشرات .

الثانى - والى إطفيح ، ولم يزل عشرة .

الثالث - والى منفوط ، وهو وإن كان الآن أمير عشرين فقد تقدم أن من دون الأربعين معدود فى العشرات . على أنها كانت قبل ذلك ولاية طبلخانا وحطت عن ذلك .

وقد كانت بعيداب فى الايام الناصرية وال أمير عشرة يولث من قبل السلطان ويراجع والى قوص فى الأمور المهمة .

وأما الوجه البحرى ، ففيه أربعة ولاية من هذه الرتبة .

- الأول - وإلى قَلْبُوبَ، ولم تزل ولايتها إمرة عشرة .
 الثانى - وإلى أَشْمُومَ، ولم تزل عشرة أيضا .
 الثالث - وإلى دِمْيَاطَ .
 الرابع - وإلى قَطِيَا، وكان قبل ذلك طبلخاناه .

الضرب الثانى

(من أعيان المملكة وأرباب المناصب حملةُ الأَقلامِ، وهم على نوعين)

النوع الأول

(أرباب الوظائف الديوانية، وهى كثيرة للناية لا يسع استيفائها^(١)
 والمعتبر منها مما يجب الاقتصار عليه تسع وظائف)

الأولى - الوِزَارَةُ . وهى أجلُّ الوظائف وأرفعها رتبةً فى الحقيقة لولم تخرج
 عن موضوعها ويُعدَّل بها عن قاعدتها . قال فى "مسالك الأبصار" : وربها ثانى
 السلطان لو أنْصَفَ وعُرفَ حقُّه، لكنها لما حدثت عليها النيابة تأخرت وقعدَ بها
 مكانُها حتى صار المتحدث فيها كناظر المال لا يتعدى الحديث فيه، ولا يتسع له
 فى التصرف مجال، ولا تمتد يده فى الولاية والعزل لِتَطْلُعَ السلطان إلى الإحاطة بجزئيات
 الأحوال . قال : وقد صار يليها أناسٌ من أرباب السيوف والأقلام بأرزاق على
 قدر الإنفاق، وقطيعتها أشهر من أن تذكر .

قال : وكان هذا السلطان (يعنى الناصر محمد بن قلاوون رحمه الله) قد أبطلها ،
 وصار ما كان يتحدث فيه الوزير منقسما إلى ثلاثة : ناظرِ المال . ومعه شاة الدواوين

(١) أوصلها فى العدد الى ست وعشرين ومراده أن المهم منها تسع وإن كان قد ذكر أكثر .

لتحصيل المال وصرف النفقات، وناظر الخا^ص لتدبير الأمور العامة وتعيين المباشرين، وكاتب السر للتوقيع في دار العدل مما كان يوقَّع فيه الوزير مشاورةً وأستقلالا . قلت : ولما عادت الوزارة بعد ذلك، صارت إلى ما كانت عليه من الاقتصار على التحدّث في المال، وبقيت كتابة السر على ما صارت إليه من التوقيع على القصص بدار العدل وغيرها . ثم إن كان الوزير صاحب قلم، فهو المستقلّ بمباشرة الوظيفة نظرا وتنفيذا ومحاسبة على الأموال، وإن كان صاحب سيف، كان مقتصرا على النظر والتنفيذ، وكان أمر الحساب في الأموال راجعا إلى ناظر الدولة معه .

ثم لو وظيفة الوزارة أتباع كثيرة أجلها نظر الدولة وأستيفاء الصُحبة وأستيفاء الدولة . فأما نظر الدولة : وهو المعبر عنه في مصطلح الدواوين المعمورة بالصُحبة الشريفة فهو موضوعها أن صاحبها يتحدّث مع الوزير في كل ما يتحدّث فيه ويشاركه في الكتابة في كل ما يكتب فيه، ويوقع في كل ما يوقَّع فيه الوزير تعالىه . وإن كان الوزير صاحب سيف، كان ناظر الدولة هو المتحدّث في أمر الحسابات، وما يتعلق بها والوزير مقتصر على النظر والتنفيذ .

وأما أستيفاء الصُحبة - فهي وظيفة جليلة رفيعة القدر . قال في "مسالك الأبصار" : وصاحبها يتحدّث في جميع المملكة مصرًا وشامًا، ويكتب مراسيم يعلم عليها السلطان، تارة تكون بما يُعمل في البلاد، وتارة بإطلاقات، وتارة بأستخدامات كبار في صغار الأعمال، وما يجري مجراه .

قال : وهذا الديوان هو أرفع دواوين الأموال، وفيه تثبت التواقيع والمراسيم السلطانية، وكلُّ من دواوين الأموال فهو فرعٌ هذا الديوان وإليه يرجع حسابه ومنتهاى أسبابه .

وأما استيفاء الدولة - فهي وظيفة رئيسية، وعلى متوليها مدار أمور الدولة في الضبط والتحرير ومعرفة أصول الأموال ووجوه مصارفها، ويكون فيها مستوفيان فأكثر .

الوظيفة الثانية - كتابه السر . قال في "مسالك الأبصار" : وموضوعها قراءة الكتب الواردة على السلطان وكتابة أجوبتها وأخذ خط السلطان عليها وتسفيرها، وتصريف المراسيم ورودا وصّدا ، والجلوس لقراءة القصص بدار العدل والتوقيع عليها . وقد تقدم في الكلام على الوزارة أنه صار يوقع فيما كان يوقع عليه بقلم الوزارة مع مراجعة السلطان فيما يحتاج إلى المراجعة فيه ، في أمور أخرى من التحدث في أمر البريد وتصريف البريدية والقصاص ، ومشاركة الدّوادار في أكثر الأمور السلطانية مما تقدّم ذكره مفصلا . وبديوانه كُتاب الدّست : وهم الذين يجلسون معه في دار العدل ويقرءون القصص على السلطان ويوقعون عليها بأمر السلطان ، وكُتاب الدّرج : وهم الذين يكتبون الولايات والمكاتبات ونحوها مما يكتب عن الأبواب الشريفة ، وربما شاركهم كُتاب الدست في ذلك .

الوظيفة الثالثة - نظر الخاص . وهي وظيفة محدثة ، أحدثها السلطان الملك الناصر "محمد بن قلاوون" رحمه الله حين أبطل الوزارة على ما تقدم ذكره ، وأصل موضوعها التحدث فيما هو خاصّ بمال السلطان . قال في "مسالك الأبصار" : وقد صار كالوزير لقربه من السلطان وتصرفه ، وصار إليه تدبير جملة الأمور وتعيين المباشرين يعني في زمن تعطيل الوزارة . قال : وصاحب هذه الوظيفة لا يقدر على الاستقلال بأمر إلا بمراجعة السلطان . ولناظر الخاص أتباع من كُتاب ديوان الخاص كمستوفي الخاص ، وناظر خزّانة الخاص ونحو ذلك مما لا يسع استيعابه .

الوظيفة الرابعة - نظر الجيش . وموضوعها التحدث في أمر الإقطاعات بمصر والشام والكتابة بالكشف عنها ومشاورة السلطان عليها وأخذ خطه ، وهي وظيفة

جليلة رفيعة المقدار ، وديوانها أول ديوان وُضع في الإسلام بعد النبي صلى الله عليه وسلم في خلافة عمر . قال الزُّهري : قال سعيد بن المسيب : وذلك في سنة عشرين من الهجرة ، وسيأتي الكلام على ما يتعلق بها في الكلام على كتابة المناشير في المقالة السادسة إن شاء الله تعالى . ولناظر الجيش أتباع بديوانه يُؤلّون عن السلطان ، كصاحب ديوان الجيش وكُتّابه وشهوده ، وكذلك صاحب ديوان الممالك ، وكاتب الممالك وشهود الممالك . فإن الممالك السلطانية فرع من الجيش ونظرهم راجع إلى ناظر الجيش .

الوظيفة الخامسة - نظر الدواوين المعمورة والصحبة الشريفة . وهو المعبر عنه بناظر الدولة ، وموضوعها التحدث في كل ما يتحدث فيه الوزير ، وكل ما كتب فيه الوزير كتب فيه هو ، يكتب فيه بمثل مارسم به .

الوظيفة السادسة - نظر الخزانة . قال في "مسالك الأبصار" : وكانت أولا كبيرة الوضع لأنها مستودع أموال المملكة ، فلما استحدثت وظيفة الخاص ، صغر أمر الخزانة ، وسميت بالخزانة الكبرى ، وهو اسم فوق مسماه . قال : ولم يكن بها الآن إلا حُلُوع تلخ منها أو ما يحضر إليها ويصرف أولا فأولا ، وفي الغالب يكون ناظرها من القضاة أو من يلتحق بهم ، ولناظر الخزانة أتباع يُؤلّون عن السلطان كصاحب ديوان الخزانة .

الوظيفة السابعة - نظر البيوت والحاشية . وهو نظر جليل ، وكل ما يتحدث فيه الأستاذار له فيه مشاركة في التحدث فيه ، وقد تقدم تفصيل حال وظيفة الأستاذارية .

الوظيفة الثامنة - نظر بيت المال . وموضوعها حمل حمول المملكة إلى بيت المال والتصرف فيه تارة قبضا وصرفا وتارة بالتسويق محضرا وصرفا . قال في "مسالك الأبصار" : ولا يليها إلا ذو العدالة البارزة من أهل العلم والديانة .

الوظيفة التاسعة - نظر الإصطبلات السلطانية . وموضوعها مباشرة إصطبلات السلطان والتحدث في أنواع الخيول والبغال والدواب والجمال السلطانية ، وعليها وعُدتها ، وما لها من الاستعمالات والإطلاقات ، وكل ما يتباع لها أو يباع منها ، وأرزاق المستخدمين بها ونحو ذلك .

الوظيفة العاشرة - نظردار الضيافة والأسواق . وموضوعها التحدث في أمر ما يتحصّل من سوق الخيل والرقيق ونحوهما ، وصرف ذلك في كلفة من يرد إلى الأبواب السلطانية من رُسل الملوك ونحوهم ، وصرف مرتبات مقررة لأناس في كل شهر ، والتحدث فيها ولايةً وعزلاً وتنفيذاً راجعاً إلى الدّوادار ، وللوزير المشاركة معه في المتحصّل في شيء مخصوص .

الوظيفة الحادية عشرة - نظر خزائن السلاح . وموضوعها التحدث على كل ما يستعمل من السلاح السلطاني ، وعادته أن يجمع ما يتحصّل من عمل كل سنة ويجهّز في يوم معين ، ويحمل على رؤوس الجمّالين إلى خزائن السلاح بالقلعة المحروسة ، ويخلع عليه وعلى رُفَقته من المباشرين .

الوظيفة الثانية عشرة - نظر الأملاك السلطانية . وموضوعها التحدث على الأملاك الخاصّة بالسلطان من ضياع وربّاع وغير ذلك .

الوظيفة الثالثة عشرة - نظر البّهّار والكارمي^(١) . وموضوعها التحدث على واصل التجار الكارميّة من اليمن من أصناف البّهّار وأنواع المتجر ، وهي وظيفة جليّة تارة تضاف إلى الوزارة وتجعل تبعاً لها ، وتارة تضاف إلى الخاص وتجعل تبعاً لها ، وتارة تنفرد عنهما بحسب ما يراه السلطان .

(١) ربح في الضوء الكامي بالنون وقال انه نسبة الى الكاتم فرقة من السودان كان منهم طائفة مقيمة بمصر يجيرون في البهار من الفلفل والقرنفل ونحوهما مما يجلب من الهند واليمن فعرف ذلك بهم الى آخر ما قال فراجعه .

الوظيفة الرابعة عشرة - نظر الأمراء بمصر بالصناعة . وهى شُونة الغلال السلطانية التى يتكلم عليها الوزير ، وموضوعها التحدّث فيما يصل إليها من النواحى من الغلال وغيرها ، وما يُصرف منها على الإصطبلات الشريفة والمُنَاخات السلطانية وغير ذلك .

الوظيفة الخامسة عشرة - نظر الموارث الحشرية . وموضوعها التحدّث على ديوان الموارث الحشرية ممن يموت ولا وارث له ، أو وله وارث لا يستغرق ميراثه ، مع التحدّث فى إطلاق جميع الموتى من المسلمين وغيرهم .

الوظيفة السادسة عشرة - نظر الطواحين السلطانية بمصر بالصناعة أيضا . وهو مغلق عظيم فيه عشرة حجارة يخرج منها فى كل يوم نحو خمسين تليسا .

الوظيفة السابعة عشرة - نظر الحاصلات . وهو المعبر عنه بنظر الجهات ؛ وموضوعه التحدّث فى أموال جهات الوزارة من متحصّل ومصروف أو حمل لبيت المال وغيره .

الوظيفة الثامنة عشرة - نظر المرتجعات . وموضوعها التحدّث على ما يُرتجّع من يموت من الأمراء ونحو ذلك ، وقد رُفِضت هذه الوظيفة وتعطلت ولايتها فى الغالب وصار أمر المرتجّع موقوفا على مستوفى المرتجع ، وهو الذى يحكم فى القضايا الديوانية ويفصلها على مصطلح الديوان ، وهو المعبر عنه بديوان السلطان .

الوظيفة التاسعة عشرة - نظر الخيزة . وموضوعها التحدّث على ما يتحصّل من عمل الخيزة التى هى خاص السلطان ، وهى فرع من فروع الدواوين .

الوظيفة العشرون - نظر الوجه القبلى . وموضوعها التحدّث على بلاد الصعيد بأسرها مما يتحصّل فيها من ميراث وغيره .

الوظيفة الحادية والعشرون - نظر الوجه البحرى . وموضوعها كموضوع نظر الوجه القبلى المتقدم ذكره .

الوظيفة الثانية والعشرون - صحابة ديوان الجيش . وموضوعها التحدث فى كل ما يتحدث فيه ناظر الجيش من أمر الإقطاعات .

الوظيفة الثالثة والعشرون - صحابة ديوان البيارستان . وموضوعها التحدث فى كل ما يتحدث فيه ناظر البيارستان .

الوظيفة الرابعة والعشرون - صحابة ديوان الأحباس . وصاحبها يكتب فى كل ما يكتب فيه ناظر الأحباس إلا أنها بطلت .

الوظيفة الخامسة والعشرون - آستيفاء الصجبة .

آستيفاء الدولة (١)

النوع الثانى

(أرباب الوظائف الدينية ، وهم صنفان)

الصنف الأول

(من له مجلس بالحضرة السلطانية بدار العدل الشريف ،

وهو منحصرفى خمس وظائف)

الوظيفة الأولى - قضاء القضاة . وموضوعها التحدث فى الأحكام الشرعية وتنفيذ قضايها ، والقيام بالأوامر الشرعية ، والفصل بين الخصوم ، ونصب النواب

(١) تقدم الكلام عليهما فى الكلام على أنواع الوظيفة الأولى من هذا النوع وهى الوزارة فرأى أنه لا داعى إلى الإعادة فلا سقط كما قد يتوهم .

للتحدث فيما عُسِرَ عليه مباشرته بنفسه ؛ وهى أرفع الوظائف الدينية واعلاها قدرا وأجلها رتبة .

وأعلم أن الأمر فى الزمن الأول كان قاصرا على قاض واحد بالديار المصرية من أى مذهب كان ، بل كان فى الدولة الفاطمية قاض واحد بالديار المصرية ، وأجناد الشام ، وبلاد المغرب ، مضاف إليه اتحدت فى أمر الصلاة ودور الضرب وغير ذلك على ما استقف عليه فى تقاليد بعض قضاتهم فى الكلام على تقاليد القضاة إن شاء الله تعالى ، ثم استقر الحال فى الأيام الظاهرية ببيرس فى سنة ثلاث وستين وستمائة على أربعة قضاة من مذاهب الأئمة الأربعة : الشافعى ومالك وأبى حنيفة وأحمد بن حنبل رضى الله عنهم ، وكان السبب فى ذلك فيما ذكره صاحب "نهاية الأرب" أن قضاء القضاة بالديار المصرية كان يومئذ بيد القاضى تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الأعز بمفرده ، وكان الأمير جمال الدين ايدغدى أحد أمراء السلطان الملك الظاهر المتقدم ذكره يعانده فى أموره ، ويغض منه عند السلطان ، لتثبته فى الأمور وتوقفه فى الأحكام . فبينما السلطان ذات يوم جالس بدار العدل إذ رفعت إليه قصة بسبب مكان باعه القاضى بدر الدين السنجارى ، ثم ادعى ذريته بعد وفاته أنه موقوف ، فأخذ الأمير ايدغدى يغض من القضاة بحضرة السلطان ، فسكت السلطان لذلك ، ثم قال للقاضى تاج الدين : ما الحكم فى ذلك ؟ قال : إذا ثبتت الوقفية يستعاد الثمن من تركة البائع ، قال : فإن عجزت التركة عن ذلك ، قال : يوقف على حاله ، فأمتمعت لها السلطان وسكت ، ثم جرى فى المجلس ذكر أمور أخرى توقف القاضى فى تمشيتها ، وكان آخر الأمر أن الأمير ايدغدى حسن للسلطان نصب أربعة قضاة من المذاهب الأربعة ففعل ، وأقر القاضى تاج الدين ابن بنت الأعز فى قضاء الشافعية ، وولى الشيخ شهاب الدين أبو حفص عمر بن عبد الله بن صالح

السبكي قضاء المالكية ، والقاضي بدر الدين بن سلمان قضاء الحنفية ، والقاضي شمس الدين محمد بن الشيخ عماد الدين إبراهيم القدسي قضاء الحنابلة ، وجعل لهم الأربعة أن يؤثروا التواب بأعمال الديار المصرية ، وأفرد القاضي تاج الدين بالنظر في مال الأيتام والأوقاف ، وكتب له بذلك تقليد من إنشاء القاضي محي الدين بن عبد الظاهر أوله ” الحمد لله مجرد سيف الحق على من آتدى “ . ثم كل من الأربعة له التحدث فيما يقتضيه مذهبه بالقاهرة والفسطاط ، ونصب التواب ، وإجلاس الشهود ، ويستقل الشافعي منهم بتولية التواب بنواحي الوجهين القبلي والبحري لا يشاركه فيه غيره .

الوظيفة الثانية - قضاء العسكر . وهي وظيفة جليلة قديمة كانت في زمن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، وكان قاضي عسكره بهاء الدين بن (١) وموضوعها أن صاحبها يحضر بدار العدل مع القضاة المتقدم ذكرهم ، ويسافر مع السلطان إذا سافر ، وهم ثلاثة نفر : شافعي ، وحنفي ، ومالكي ، وليس للحنابلة منهم حظ ، وجلسهم في دار العدل دون القضاة الأربعة المتقدمي الذكر على ما يأتي بيانه إن شاء الله تعالى .

الوظيفة الثالثة - إفتاء دار العدل . وموضوعها على نحو ما تقدم في قضاء العسكر ، وبها أربعة نفر ، من كل مذهب واحد ، وجلسهم دون قضاة العسكر على ما يأتي ذكره .

الوظيفة الرابعة - وكالة بيت المال . وهي وظيفة عظيمة الشأن رفيعة القدر ، وموضوعها التحدث فيما يتعلق بمبيعات بيت المال ومشترياته من أراض وأدور وغير ذلك ، والمعاقدة على ذلك وما يجري هذا المجرى . قال في ” مسالك الأبصار “ :

ولا يليها إلا أهل العلم والديانة ، ومجلسه بدار العدل : تارة يكون دون المحتسب ، وتارة فوقه بحسب رفعة قدر كل منهما في نفسه .

الوظيفة الخامسة - الحسبة . وهي وظيفة جليلة رفيعة الشأن ، وموضوعها التحدث في الأمر والنهي ، والتحدث على المعاش والصنائع ، والأخذ على يد الخارج عن طريق الصلاح في معيشته وصناعته . وبالحضرة السلطانية محتسبان : أحدهما بالقاهرة ، وهو أعظمهما قدرا وأرفعهما شأنًا ؛ وله التصرف بالحكم والتولية بالوجه البحرى بكماله خلا الإسكندرية ، فإن لها محتسبا يخصصها ، والثاني بالفسطاط ومرتبته منحلة عن الأول ؛ وله التحدث والتولية بالوجه القبلى بكماله ، والذي يجلس منهما بدار العدل في أيام المواكب محتسب القاهرة فقط دون محتسب مصر ؛ ومحل جلوسه دون وكيل بيت المال ، وربما جلس أعلى منه إذا كان أرفع منه بعلم أو نحوه .

الصنف الثانى

(من أرباب الوظائف الدينية من لا مجلس له بالحضرة السلطانية)

وهذه الوظائف لا حصر لعددها على التفصيل ، ولا سبيل إلى استيفاء ذكرها على تفاوت المراتب فوجب الإقتصار على ذكر المهتم منها .

ثم هذه الوظائف منها ما هو مختص بشخص واحد ، ومنها ما هو عام في أشخاص . فاما التي هي مختصة بشخص واحد .

فمنها (رقابة الأشراف) وهي وظيفة شريفة ، ومرتبة نفيسة ؛ موضوعها التحدث على ولد على بن أبى طالب كرم الله تعالى وجهه من فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم - وهم المراد بالأشراف ، فى الفحص عن أنسابهم والتحدث فى أقاربهم

والأخذ على يد المتعدى منهم ونحو ذلك ، وكان يعبر عنها في زمن الخلفاء المتقدمين بنقابة الطالبين .

ومنها (مشيخة الشيوخ) والمراد بها مشيخة الخانقاه التي أنشأها الملك الناصر محمد ابن قلاوون بسرياقوس من ضواحي القاهرة .

أما مشيخة الخانقاه الصلاحية بالقاهرة المعروفة بسعيد السعداء ، فإنها وإن قدم زمنها وعظم قدرها دون تلك في المشيخة .

ومنها (نظر الأعباس المبرورة) وهي وظيفة عالية المقدار ، وموضوعها أن صاحبها يتحدث في رِزق الجوامع والمساجد والرُّبُط والزوايا والمدارس من الأرضين المفردة لذلك من نواحي الديار المصرية خاصة ، وما هو من ذلك على سبيل البرّ والصدقة لأناس معينين ، وأصل هذه الوظيفة أن اللّيث بن سعد رحمه الله اشترى أراضى من بيت المال في نواح من البلدان وحبسها على وجوه البرّ ، وهي المسماة بديوان الأعباس بوجوه العين ، ثم أضيف إلى ذلك الرِّبَاع والدور المعروفة بالفُسْطَاط وغيره ، ثم أضيف إليها رِزق الخطابات ، ثم كثرت الرِّزْق من الأرضين في الدولة الظاهرية ببيرس بواسطة صاحب بهاء الدين بن حنا وأخذت في الزيادة إلى زماننا ؛ وهي تارة يتحدث فيها السلطان بنفسه ، وتارة النائب ، وفي غالب الوقت يتحدث فيها الدّوّادار الكبير على ما استقرّ عليه الحال آخره .

ومنها (نظر البيارستان) والمراد البيارستان المنصوريّ الذي أنشأه المنصور قلاوون بين القصرين ، وكان داراً لِسِتِّ الملك أخت الحاكم الفاطميّ فغير معاملة وزاد فيه ، وليس له نظير في الدنيا في برّه ومعروفه ؛ وهي من أجلّ الوظائف وأعلاها ؛ وعادة النظر فيه من أصحاب السيوف لأكبر الأمراء بالديار المصرية .

وأما التي هي عامة في أشخاص .

فمنها (الخطابة) وهي في الحقيقة أجل الوظائف وأعلاها رتبة ، إذ كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعلها بنفسه ، ثم فعلها الخلفاء الراشدون فمن بعدهم ، وهي على كثرة الجوامع بالديار المصرية بحيث إنها لا تحصى كثرة - لا يتعلق منها بولاية السلطان إلا القليل النادر : بجامع القلعة إلا إذا كان مفردا عن القضاء ونحو ذلك مما لا ناظر له خاص .

ومنها (التدريس) وهي على اختلاف أنواعها من الفقه والحديث والتفسير والنحو واللغة وغير ذلك لا يولى السلطان فيها إلا فيما يعظم خطره ويرتفع شأنه مما لا ناظر له خاص كالمدرسة الصلاحية بجوار تربة الإمام الشافعي رضي الله عنه ، والزاوية الصلاحية بالجامع العتيق بالقُسطاط ، وهي المعروفة بالخشابية ، والمدرسة المنصورية بالبيمارستان المنصوري المتقدم ذكره بين القصيرين ، ودرس الجامع الطولوني ونحو ذلك .

المقصود الرابع

(في زى أعيان المملكة من أرباب المناصب السلطانية بالديار المصرية)

في لبسهم وركوبهم ، وهم أربع طوائف)

الطائفة الأولى

(أرباب السيوف ، وزعيمهم راجع إلى أمرين)

الأمر الأول (لبسهم) . ويختلف الحال فيه باعتبار مواضع اللبس من البدن .

فأما ما به تغطية رؤوسهم ، فقد تقدم أنهم كانوا في الدولة الأيوبية يلبسون كلوات صفر بغير عمام ، وكانت لهم ذوائب شعر يرسلونها خلفهم . فلما كانت الدولة

الأشرفية "خليل بن قلاوون" رحمه الله، غير لونها من الصفرة إلى الحمرة وأمر بالعام من فوقها، وبقيت كذلك حتى حجَّ الملك الناصر "محمد بن قلاوون" رحمه الله في أواخر دولته فخلق رأسه فخلق الجميع رؤسهم، واستمروا على الخلق إلى الآن، وكانت عماتهم صغيرة فزيد في قدرها في الدولة الأشرفية "شعبان بن حسين" فحسنت هيئتها وجادت، وهي على ذلك إلى زماننا.

وأما ثياب أبدانهم فيلبسون الأقيية التتيرية والتكلاوات فوقها ثم القباء الإسلامي فوق ذلك، يشد عليه السيف من جهة اليسار والصولق والكرلك من جهة اليمين.

قال السلطان عماد الدين صاحب حماة في "تاريخه": وأول من أمر بذلك غازي بن زنكي أخو العادل نور الدين الشهيد حين ملك الموصل بعد أبيه، ثم الأمراء والمقدمون وأعيان الجند تلبس فوقه أقيية قصيرة الأكم أقصر من القباء التحتاني بلا تفاوت كبير في قصر الكم وطوله، مع سعة الكم القصير وضيق الأكم الطويلة.

ثم إن كان زمن الصيف كان جميع القماش من فوقاني وغيره أبيض من النصافي ونحوه، وتشد فوق القباء الإسلامي المنطقة، وهي الحياصة، ومعظم مناطقهم من الفضة المطلية بالذهب، وربما جعلت من الذهب، وقد ترصع باليشم. قال في "مسالك الأبصار": ولا ترصع بالجواهر إلا في خلع السلطان لأكابر أمراء المئين.

وإن كان زمن الشتاء كانت فوقانياتهم ملونة من الصوف النفيس والحرير الفاخر، تحتها فراء السنجاب الغض. ويلبس أكابر الأمراء السَّمُور، والوشق، والقاقم والفنك، ويجعل في المنطقة منديلا لطيفا مُسدلا على الصولق، ومعظمهم يلبس

المطرز على الكمين من الزركش أو الحرير الأسود المرقوم . قال في "مسالك" : ولا يلبس المطرز إلا من له إقطاع في الحلقة ، أمان هو بعد بالجامكية ، فلا يتعاطى ذلك . وأما ما يجعل في أرجلهم ، فإن كان في الصيف لبسوا الخفاف البيض العلوية ، وإن كان في الشتاء لبسوا الخفاف الصفرة من الأديم الطائفي ، ويشدون المهاميز المسقطة بالفضة في القدم على الخف . قال في "مسالك الأبصار" : ولا يكفّ مهمازه بالذهب إلا من له إقطاع في الحلقة على ما تقدم في لبس المطرز .

الأمر الثاني (ركوبهم) . أما ما يركبون ، فالحيل المسومة النفيسة الأثمان خصوصا الأمراء ومن يلحق بشأوهم ، ولا يركبون البغال بحال بل تركبها غلمانهم خلفهم بالقماش النفيس والهئية الحسنة والقوالب المحلاة بالفضة ، وربما غشي جميعها بالفضة بل ربما غشي جميعها بالذهب للسلطان وأعيان الأمراء ، ومعها العبي السابلة الملوّنة من الصوف الفائق ، وربما جعلت من الحرير لأعيانهم ، وقد يتخذ بدلها الكبايش بالخواشي الخايش ، وربما كانت زركشا للسلطان والأمراء ، وتحلى بحمهم وتُسقط بالفضة بحسب اختيار صاحبها ، ويجعل الدبوس في حلقة متصلة بالسرّج تحت ركبه اليمنى . قال صاحب حماة : وأول من أمرهم بذلك غازي بن زكي حين أمرهم بشد السيوف في أوساطهم على ما تقدم ذكره . قال في "مسالك الأبصار" : وعلى الجملة فزيهم ظريف وعددهم فائقة نفيسة .

الطائفة الثانية

(أرباب الوظائف الدينية من القضاة وسائر العلماء ؛

وزيهم راجع أيضا إلى أمرين)

الأمر الأول (ملبوسهم) . ويختلف ذلك باختلاف مراتبهم ، فالقضاة والعلماء

منهم يلبسون العمام من الشاشات الكبار للغاية ، ثم منهم من يرسل بين كتفيه ذؤابة تلحق قَرْبُوسَ سرجه إذا ركب ، ومنهم من يجعل عَوَضَ الذُّوَابَةِ الطيلسانَ الفائق ، ويلبَسُ فوق ثيابه دلغا متسع الأكام طويلها مفتوحا فوق كتفيه بغير تفريج ، سابلا على قدميه . ويمتاز قُضَاةُ القضاة الشافعي والحنفي بلبس طرحة تستر عمامته وتنسدل على ظهره ، وكان قبل ذلك مختصا بالشافعي ، ومن دون هذه منهم تكون عمامته ألطف ، ويلبس بدل الدلق فَرَجِيَّةَ مفرجة من قدامه من أعلاها إلى أسفلها مزرّرة بالأزرار ، وليس فيهم من يلبس الحرير ، ولا ما غلب فيه الحرير ، وإن كان شتاء كان القوقاني من ملبوسهم من الصوف الأبيض الماطى ، ولا يلبسون الملون إلا في بيوتهم ، وربما لبسه بعضهم من الصوف في الطرقات ، ويلبسون الخفاف من الأديم الطائفي بغير مَهاميز .

الأمر الثاني (مركوبهم) . أما أعيان هذه الطائفة من القضاة ونحوهم فيركبون البغال النفيسة المساوية في الأثمان لمُسَوِّمَاتِ الخيول ، بلُجْمٍ ثَقَالٍ وسروج مدهونة غير محلاة بشيء من الفضة ، ويجعلون حول السرج قرقيشينا من جوخ . قال في "مسالك الأبصار" : وهو شبيه بثوب السرج مختصر منه ، ويجعلون بدل العبي الكنايش من الصوف المرقوم محاذية لكفل البغلة ، ويمتاز قضاة القضاة بأن يجعل بدل ذلك الزناري من الجوخ ، وهو شبه بالعباءة مستدير من وراء الكفل ولا يعلوه بردنب ولا قوش ، وربما ركبوا بالكنايش . وأما من دون هؤلاء من هذه الطائفة فربما ركبوا الخيول بالكنايش والعبي .

الطائفة الثالثة

(مشايخ الصوفية)

وهم مُضَاهُونَ لطائفة العلماء في لبس الدلق إلا أنه يكون غير سابل، ولا طويل الكُم، ويُرخون ذؤابة لطيفة على الأذن اليسرى لا تكاد تلتحق الكتف، ويركبون البغال بالكابيش على نحو ما تقدم.

الطائفة الرابعة

(أرباب الوظائف الديوانية)

أما أعيانهم كالوزراء ومن ضاهاهم، فيلبسون الفرجى المضاهية لفرجى العلماء المتقدمة الذكر، وربما لبسوا الحجاب المفرجة من ورائها. وقد ذكر في "مسالك الأبصار": أن أكابرهم كانوا يجعلون في أكامهم بادهنجات مفتوحة، وقد صار ذلك الآن قاصرا على ما يلبسونه من التشاريف. ومن دون هؤلاء يلبسون الفرجيات المفرجة من ورائها على ما تقدم.

وأما ركوبهم فيضاهى ركوب الجند أو يقاربه. قال في "مسالك الأبصار": وتجل هذه الطائفة بمصر أكل مما هم بالشام في زيهم وملبوسهم، إلا ما يحكى عن قبض مصر في بيوتهم من اتساع الأحوال والنفقات، حتى إن الواحد منهم يكون في ديوانه بأدنى اللباس ويأكل أدنى المأكل، ويركب الحمار، حتى إذا صار في بيته أنتقل من حال إلى حال وخرج من عدم إلى وجود. قال: ولقد تبألت الناس فيما تحكى من ذلك عنهم.

المقصود الخامس

(في هيئة السلطان في ترتيب الملك ، وله ثلاث هيئات ^(١))

الهيئة الأولى

(هيئته في جلوسه بدار العدل لخلاص المظالم)

عادةً هذا السلطان إذا كان بالقلعة في غير شهر رمضان أن يجلس بكرة يوم الاثنين بإيوانه الكبير المسمى بدار العدل المتقدم ذكره مع ذكر القلعة في الكلام على حاضرة الديار المصرية ؛ ويكون جلوسه على الكرسي الذي هو موضوع تحت سرير الملك . قال في "مسالك الأبصار" : ويجلس على يمينه قضاة القضاة من المذاهب الأربعة ، ثم وكيل بيت المال ، ثم الناظر في الحسبة . ويجلس على يساره كاتب السر ، وقدامه ناظر الجيش وجماعة الموقعين تكلمة حلقة دائرة . قال : وإن كان الوزير من أرباب الأقلام ، كان بينه وبين كاتب السر ، وإن كان من أرباب السيوف ، كان واقفاً على بُعد مع بقية أرباب الوظائف . وكذلك إن كان ثم نائب وقف مع أرباب الوظائف . ويقف من وراء السلطان ممالك صغار عن يمينه ويساره من السلاح دارية والجمدارية والخاصكية ؛ ويجلس على بُعد بقدر خمسة عشر ذراعاً من يمينه ويساره ذوو السن من أكابر أمراء الميين ، وهم أمراء المشورة ؛ ويليه من أسفل منهم أكابر الأمراء ، وأرباب الوظائف وقوف ، وباقي الأمراء وقوف من وراء المشورة ؛ ويقف خلف هذه الحلقة المحيطة بالسلطان الحجاب والدوا دارية لإحضار قصص أرباب الضرورات وإحضار المساكين ، وتقرأ عليه القصص فما احتاج فيه إلى مراجعة القضاة راجعهم فيه ، وما كان متعلقاً بالعسكر تحدث فيه مع الحاجب وناظر الجيش ، ويأمر في البقية بما يراه .

(١) الصواب سبع كما عبر به في الضوء وهي في العدد أيضا سبع كما ستره .

قلت : وقد استقر الحال على أن يكون عن يمينه قاضيان من القضاة الأربعة :
وهما الشافعي والمالكي ، وعن يساره قاضيان وهما الحنفي ثم الحنبلي ؛ وبلى القاضي
المالكي من الجانب الأيمن قضاة العسكر الثلاثة المتقدم ذكرهم الشافعي ثم الحنفي
ثم المالكي ؛ ويلهم مفتو دار العدل على هذا الترتيب ؛ ويلهم وكيل بيت المال
ثم الناظر في الحسبة بالقاهرة ، وربما جلس المحتسب فوق وكيل بيت المال إذا علا
قدره عليه بعلم أو رياسة . كل هؤلاء صف واحد عن يمين السلطان مستدبرين
جدار صدر الإيوان مستقبلين بابه ، والقاضيان الحنفي والحنبلي كذلك من الجانب
الأيسر ، والوزير إن كان من أرباب الأقلام إلى جانب الكرسي من الجانب الأيسر
بانحراف ، وكاتب السرّ يليه ، وتستدير الحلقة حتى يصير الجالس بها مستدبرا باب
الإيوان على ما تقدمت الإشارة إليه في كلام "مسالك الأبصار" .

الهيئة الثانية

(هيئته في بقية الأيام)

عادته فيما عدا الاثنين والخميس من الأيام أن يخرج من قصوره الجوانية المتقدم
ذكرها إلى قصره الكبير المشرف على اصطبلاته ، ثم تارة يجلس على تحت الملك الذي
بصدّره ، وتارة يجلس على الأرض ، ويقف الأمراء حوله على ما تقدم في الجلوس
في الإيوان ، خلا أمراء المشورة والغرباء منه فليس لهم عادة بحضور هذا المجلس
إلا من دعت الحاجة إلى حضوره ، ثم يقوم في الثالثة من النهار فيدخل إلى قصوره
الجوانية لمصالح ملكه ، ويعبر عليه خاصته من أرباب الوظائف كالوزير ، وكاتب
السر ، وناظر الخصاص ، وناظر الجيش في الأشغال المتعلقة به على ما تدعو الحاجة إليه .

الهيئة الثالثة

(هيئة في صلاة الجمعة والعيدين)

أما صلاة الجمعة فإن عاداته أن يخرج إلى الجامع المجاور لقصره المتقدم ذكره من القصر، ومعه خاصة امرائه، فيدخل من أقرب أبواب الجامع للقصر، ويصلي في مقصورة في الجامع عن يمين المحراب خاصة، ويصلي عنده فيها أكابر خاصته، ويحيى بقية الأمراء : خاصتهم وعامتهم فيصلون خارج المقصورة عن يمينها ويسارها على مراتبهم ، فإذا فرغ من الصلاة دخل إلى دور حريمه وذهب الأمراء كل واحد إلى مكانه .

وأما صلاة العيدين ، فعاداته أن يركب من باب قصره وينزل من منقذ من الإصطبل إلى الميدان الملاصق له ، وقد ضرب له فيه دھليز على أكل ما يكون من الهيئة ، ويحضر خطيب جامع القلعة إلى الميدان فيصلي به العيد ويخطب ، فإذا فرغ من سماع الخطبة ركب وخرج من باب الميدان والأمراء والممالك يمشون حوله ، وعلى رأسه العصائب السلطانية ، والغاشية محمولة أمامه ، والحر وهو المظلة محمول على رأسه مع أحد أكابر الأمراء المتقدمين وهو راكب فرسا إلى جانبه ، والأوشاقيان الجفنة المتقدم ذكرهما راكبان أمامه ، وخلفه الخنائب ، وعلى رأسه العصائب السلطانية ، وأرباب الوظائف من السلاح دارية كلهم خلفه ، والطبردارية أمامه مشاة بأيديهم الأتبار ، ويطلع من باب الإصطبل ويطلع إلى الإيوان الكبير المقدم ذكره ، ويمد السباط ويتلح على حامل الحر ، وأمير سلاح ، والأستادار ، والباشنكير ، وجماعة من أرباب الوظائف ممن لهم خدمة في مهم العيد كتواب أستاذار، وصغار الباشنكيرية، وناظر البيوت ونحوهم .

(١) لم يذكر هذه الجملة في الضوء وعدم ذكرها أولى لأنها سبقت .

الهيئة الرابعة

(هيئة للعب الكرة بالميدان الأكبر)

عادته أن يركب لذلك بعد وفاء النيل ثلاثة مواكب متوالية في كل سبت ينزل من قصره أول النهار من باب الإصطبل، وهو راكب على الهيئة المذكورة في العيد ماعدا الجتر فإنه لا يحمل على رأسه، وتحمل الغاشية أمامه في أول الطريق وآخره، ويصير إلى الميدان فينزل في قصوره، وينزل الأمراء منازلهم على قدر طبقاتهم، ثم يركب للعب الكرة بعد صلاة الظهر والأمراء معه، ثم ينزل فيستريح، ويستمر الأمراء في لعب الكرة إلى أذان العصر، فيصلى العصر ويركب على الهيئة التي كان عليها في أول النهار ويطلع إلى قصره .

الهيئة الخامسة

(هيئة في الركوب لكسر الخليج عند وفاء النيل)

واعلم أن السلطان قد يركب لكسر الخليج، ولم تجر العادة بركوبه فيه بمظلة ولا ربة فرس، ولا غاشية، ولا ما في معنى ذلك مما تقدم ذكره في ركوب الميدان والعديد، بل يقتصر على السناجق، والطبردارية، والجاويشية ونحو ذلك، ويركب من القلعة عند طلوع صاحب المقياس بالوفاء في أى وقت كان، ويتوجه إلى المقياس فيدخله من بابه ويمد هناك سباطا يأكل منه من معه من الأمراء والممالك، ثم يذاب زعفران في إناء ويتناوله صاحب المقياس ويسبح في فسقية المقياس حتى يأتي العمود والإناء الزعفران بيده فيخلق العمود، ثم يعود ويخلق جوانب الفسقية وتكون حراقة السلطان قد زينت بأنواع الزينة، وكذلك حرايق الأمراء، وقد فتح شبك المقياس المطل على النيل من جهة الفسطاط وعلق عليه ستر، فيؤتى بحراقة

السلطان إلى ذلك الشباك فينزل منه وَيَسْبَحُ وحراريق الأمراء حوله وقد شخن البحر بمراكب المتفرجين ، يسرون خلف الحراريق حتى يدخل إلى فم الخليج ، وحرقة السلطان العظمى المعروفة بالذهبية وحراريق الأمراء يلعب بها في وسط امتدادها ، ويرمى بمدافع النقط على مقدمهما ، ويسير السلطان في حرقة الصغيرة حتى يأتي السد فيقطع بحضوره ، ويركب وينصرف إلى القلعة .

الهيئة السادسة

(هيئته في أسفاره)

ولم تجر العادة فيها باظهار ماتقدم من الزينة في موكب العيد والميدان ، بل يركب في عدة كبيرة من الأمراء : الأكابر والأصاغر ، والخواص ، والغرباء ، وخواص ممالكه . ولا يركب في السير برقة ولا عصائب ، ولا تتبعه جنائب ، ويقصد في الغالب تأخير النزول إلى الليل . فإذا دخل الليل مُحِلَّتْ أمامه فوانيس كثيرة ومشاعل ، فإذا قارب مُخِيَّمَه ، تُلِقُّ بالشموع المركبة في الشمعدانات المكفّنة ، وصاحت الجاوشية بين يديه ، وترجل الناس كافة إلا حملة السلاح والأوشاقية وراءه ، ومشت الطبردارية حوله حتى يدخل الدهليز الأول من مُخِيَّمَه فينزل ويدخل إلى الشقة ، وهي خيمة مستديرة متسعة ، ثم منها إلى شقة مختصرة ، ثم إلى لاجوق . وبدائر كل خيمة من جميع جوانبها من داخلها سور تحركاه من خشب ، وفي صدر اللاجوق قصر صغير من خشب ينصب للبيت فيه ، وينصب بإزاء الشقة حَمَّامٌ بقدر من رصاص وحوض على هيئة الحمامات بالمدن إلا أنه مختصر . فإذا نام طافت به الممالك دائرة وطاف بالجميع الحرس ، وتدور الزفة حول الدهليز في كل ليلة مرتين : عند نومه وعند استيقاظه من النوم ، ويطوف مع الزفة أمير من أكابر الأمراء وحوله

الفوانيس والمشاعل، ويبعث على باب الدهليز أرباب الوظائف من النقباء وغيرهم .
فإذا دخل إلى المدينة، ركب على هيئة ركوبه لصلاة العيد بالمظلة وغيرها ، هذا
ما يتعلق بخاصته .

أما موكبه الذى يسير فيه جمهور مماليكه، فشعاره أن يكون معهم مقدم الممالك
والأستادار، وأمامهم الخزائن والجنايب والهجن، ويكون بصحبته فى السفر من كل
ما تدعو الحاجة إليه من الأطباء والكحّالين والجرائحية وأنواع الأدوية والأشربة
والعقاقير وما يجرى مجرى ذلك، يُصَرَفُ ذلك لمن يعرض له مرض بالطريق .

الهيئة السابعة

(النوم)

وقد جرت العادة أنه يبيت عنده خواص مماليكه من الأمراء وأرباب الوظائف
من الجمدارية وغيرهم، يَسْهَرُونَ بالنوبة بقسمة بينهم على بناكيم الرمل، كلما آنقضت
نوبة قوم أيقظوا أصحاب النوبة الذين يلونهم، ويتعاقب كل منهم ما يشاغله عن
النوم فقوم يقرءون فى المصاحف، وقوم يلعبون بالشطرنج والأكل وغير ذلك .
(١)

(١) أى وقوم يشاغلون بالأكل الخ .

المقصود السادس

(في عاداته في إجراء الأرزاق؛ وهو على ضرين)

الضرب الأول

(الجارى المستمر؛ وهو على نوعين)

النوع الأول

(الإقطاعات)

والإقطاعات في هذه المملكة تجرى على الأمراء والجند ، وعامة إقطاعاتهم بلاد وأراضٍ يَسْتَغْلُها مُقْطَعُها ويتصرف فيها كيف شاء ، وربما كان فيها نقد يتناوله من جهات وهو القليل ، وتختلف باختلاف حال أربابها .

فأما الأمراء بالديار المصرية فقد ذكر في "مسالك الأبصار" أنَّ أكبر الأمراء يبلغ إقطاع الواحد منهم مائتي ألف دينار جيشية ، وربما زاد على ذلك . ويتناقص باعتبار انحطاط الرتبة إلى ثمانين ألف دينار وما حولها ، ويبلغ إقطاع الواحد من أمراء الطبائخانة ثلاثين ألف دينار فأكثر ، وينقص إلى ثلاثة وعشرين ألف دينار ، ويبلغ إقطاع الواحد من أمراء العشرات تسعة آلاف دينار إلى مادون ذلك ، ويبلغ إقطاع الواحد من مقدمى الحلقة إلى ألف وخمسمائة دينار ، وكذلك أعيان جند الحلقة إلى مائتين وخمسين ديناراً .

وأما إقطاعات الشام فلا تُقارب هذا المقدار بل تكون بتدرج الثلثين في جميع ماتقدم ، خلا أكبر الأمراء المتقدمين بالديار المصرية ، فليس بالشام من يبلغ شأوهم إلا نائب الشام فإنه يقاربهم في ذلك . قال في "مسالك الأبصار" : وليس للنواب في المحالك مدخل في تأمير أمير عَوْض أمير بل إذا مات أمير صغير أو كبير طولع به

السلطان فأمر مكانه مَنْ أراد من في خدمته، ويخرجه إلى مكان الخدمة، وأما مَنْ كان في مكان الخدمة أو ينقل إليه من بلد آخر فعلى ما يراه في ذلك .

أما جُند الحلقة، فمن مات منهم أستخدم النائب عوضه، وكتب بذلك رُقعة في ديوان جيش تلك المملكة، ويُجهز مع بريديّ إلى الأبواب السلطانية فيُقابل عليها من ديوان الجيش بالحضرة، ثم إن أمضاها السلطان كتب عليها (يكتب) ويكتب بها مربعة من ديوان الجيش، ويكتب عليها منشور .

ولجميع الأمراء بحضرة السلطان الرواتبُ الجاريةُ في كل يوم: من اللحم، والتوابل، والخبز، والعليق، والزيت، ولأعيانهم الكسوة والشمع، وكذلك الممالك السلطانية وذوو الوظائف من الجند مع تفاوت مقادير ذلك بحسب مراتبهم وخصوصيتهم عند السلطان وقربهم إليه . قال في "مسالك الأبصار" : وإذا نشأ لأحد الأمراء ولد، أطلق له دنائير وخبز ولحم وعليق إلى أن يتأهل للإقطاع في جملة الحلقة، ثم منهم من ينقل إلى العشرة أو الطلبخانة على حسب الحظوظ والأرزاق .

النوع الثاني

(رزق أرباب الأقاليم)

وهو مبلغٌ يصرف إليهم مُشاهرة . قال في "مسالك الأبصار" : وأكبرهم كالوزير له في الشهر مائتان وخمسون ديناراً جيشية، ومن الرواتب والغلة ما إذا بسط وثمن كان نظير ذلك، ثم دون ذلك ودون دونه، ولأعيانهم الرواتب الجارية: من اللحم، والخبز، والعليق، والشمع، والسكر، والكسوة ونحو ذلك، إلى غير ذلك مما هو جار على العلماء وأهل الصلاح من الرواتب والأراضي المؤبدة، وما يجري مجراها مما يتوارثه الخلف عن السلف مما لا يوجد بمملكة من الممالك، ولا مصر من الأمصار .

الضرب الثاني

(الإنعام وما يجري مجراه : مما يقع في وقتٍ دون وقت ؛ وهو على خمسة أنواع)

النوع الأول

(الخلع والتَّشَارِيف)

قال في "المسالك" : ولصاحب مصر في ذلك اليد الطولى حتى بقي بابه سُوقاً يَنْفُقُ فيه كل مجلوب ، ويحضّر الناس إليه من كل قُطْرٍ حتى كاد ذلك يَنْهَكَ المملَكة ويودى بمتَحَصَّلاتها عن آخرها . قال : وغالب هذا مما قرره هذا السلطان ، ولقد أتعب من يحيى بعده من كثرة الإحسان ، وهي على ثلاثة أصناف .

الصنف الأول

(تشاريف أرباب السيف)

وهي على طبقات ، أعلاها ما هو مختص بالأمرء المقدمين من التواب وغيرهم فوقاني أطلس أحمر بطرز زركش ، مُفَرَّى بستجاب ، بدائرهِ سَجَف من ظاهره مع غشاء قندس ، وتحتَه قَبَاءُ أطلس أصفر ، وكلوته زركش بكلايب ذهب ، وشاش رفيع موصول به طرفان من حرير أبيض ، مرقومان بالقباب السلطان مع نقوش باهرة من الحرير الملون ، ومنطقة ذهب مرَّكبة على حاشية حرير تشد في وسطه ، ويختلف حال المنطقة بحسب المراتب . فأعلاها أن يعمل من عمدِها [بواكير] ^(١) وسطاً ومحبسين ، مرصعة بالبلخيش والزمرّد والأؤلؤ ، ثم ما كان ببيكارية واحدة مرصعة ، ثم ما كان ببيكارية واحدة من غير ترصيع ، فإن كان التشريف لتقليد ولاية مُفَخِّمة ، زيد سيقاً محلياً بذهب وفرساً مُسرَّجاً ملجماً بكنبوش زركش ، وربما زيد أكبر التواب كائب الشام

(١) الزيادة عن ضوء الصبح .

تركيبة زركش على' فوقاني، وشاش حرير سكندري مموج بالذهب، ويعرف ذلك بالمتحر. وعلى' ذلك كان شاش صاحب حماة، ويكون عوض كنبوشه زنارى' أطلس أحمر، ودون ذلك من التشاريف أقيية طرد وحش من عمل الإسكندرية ومصر والشام، مجوخ: جاخات' مكتوبة بألقاب السلطان، وجاخات' صور وحوش أو طيور صغار، وجاخات ملونة مموجة بقصب مذهب، يفصل بين جاخاته نقوش، يركب على' القباء طراز زركش، وعليه السنجاب والقدنس كما تقدم، وتحت قباء من الطرح السكندري' المفرج، وكلوته زركش بكلايب' وشاش كما تقدم، وحياسة ذهب تارة تكون ببيكارية وتارة لاتكون، وهذه لأصاغر أمراء المئين ومن' يُلحق بهم، وكذلك أصحاب الوظائف المختصة بذلك كالجوكندار والولاة ومن يجرى مجراهم^(١).

ثم للتشاريف أما كن.

منها إذا ولى أمير أو صاحب منصب وظيفة فإنه يلبس تشريفا يناسب ولايته التي وليها على' حسب ما تقتضيه الرتبة علوا وهبوطا.

ومنهم عيد الفطر، يخلع فيه على' جميع أرباب الوظائف: من الأمراء وأرباب الأقسام كالأستادار والدوادار وأمير سلاح والوزير وكاتب السر وناظر الخاوص وناظر الجيش ونحوهم، كل منهم بما يناسبه.

قال في "مسالك الأبصار": ومن عادة السلطان أن يُعَدَّ لكل عيد خلعة على' أنها للمبوسه من نسبة خلع أكبر المئين فلم يلبسها، ولكن يختص بها بعض أكبر المئين يخلعها عليه.

ومنهم الميادين، يخلع فيها على' أكبر الأمراء كل ميدان يختص بأمر أو أكثر يلبس فيه خلعة من المفرج المذهب.

(١) لم يذكر في الأصل الصف الثاني والثالث وهما تشاريف الوزراء والجناب وتشاريف القضاة والعلماء، وقد تكلم عليهما في الضوء، فأنظره.

ومنها دَوران الحمل في شَوال ، يخلع فيه على أرباب الوظائف بالمحمل كالمقاضى والناظر والمحتسب والشاهد والمقدمين والأدلة وناظر الكسوة ومباشرها ومن في معنائهم .

النوع الثاني (الخيول)

قد جرت عادة صاحب مصر أن ينعم على أمرائه بالخيول مرتين في كل سنة : المرة الأولى عند خروجه إلى مرابط خيوله على القُرط في أواخر ربيعها ، فينعم على الأخصاء من أمرائه بما يختاره من الخيول على قدر مراتبهم ، وتكون خيول المقدمين منهم مُسرَّجة ملجَمة بكابيش من زركش ، وخيولُ أمراء الطبلخانات عُرياً من غير قُماش . المرة الثانية عند لَعبه الكُرَّة بالميدان ، وتكون خيول المقدمين والطبلخانات مُسرَّجة مُلجَمة بفضة يسيرة بلا كابيش ؛ وكذلك يرسل إلى نواب الممالك الشامية كل أحد بحسبه ، وليس لأمرء العشرات في ذلك حظ إلا ما يتفقدون به على سبيل الإنعام .

قال المقرئ الشهابي بن فضل الله : ولخاصة المقترين من الأمراء المقدمين والطبلخانات زيادات كثيرة في ذلك بحيث يصل بعضهم إلى مائة فرس في كل سنة ؛ وله أوقات أخرى يفرق فيها الخيل على مماليكه وربما أعطى بعض مقدمي الحلقة ؛ وكلُّ مَنْ مات له فرس من مماليكه دفع إليه عوضه ، وربما أنعم بالخيول على ذوى السنِّ من أكابر الأمراء عند الخروج إلى الصيد ونحوه .

ونخيول الأمراء في كل سنة إطلاقات أراض بالأعمال الحيزية لزراع القُرط لخيولهم من غير نَحَاج ؛ وللمليك السلطانية البرسيم المزدَّع على قدر مراتبهم ، وما يدفع

إليهم من القرط يكون بدلا من عليق الشعير المرتب لهم في غير زمن الربيع عوضا عن كل عليقة نصف فدان من القرط القائم على أصله في مدة ثلاثة أشهر .

النوع الثالث (الكسوة والحوائص)

قد جرت عادة السلطان أنه ينعم على مماليكه وخواص أهل المناصب من حملة الأقاليم في كل سنة بكسوة في الشتاء وكسوة في الصيف على قدر مراتبهم ، ومن عاداته أنه إذا ركب للعب الكرة بالميدان فرّق حوائص من ذهب على بعض الأمراء المقدمين ، يفرّق في كل موكب ميدان على أميرين بالتوبة حتى يأتي على آخرهم في ثلاث سنين أو أربع بحسب ما تقع توبته في ذلك . قال في ” المسالك “ : أما أمراء الشام فلا حظ لهم من الإنعام في أكثر من قباء واحد يلبس في وقت الشتاء إلا من تعزّض لقصد السلطان فإنه ينعم عليه بما يقتضيه حاله .

النوع الرابع (الإنعام والأوقاف ^(١))

وأكثر الأوقات لا ضابط لعطائه إنما يكون بحسب منزلة المنعم عليه عند السلطان وقربه منه . قال في ” مسالك الأبصار “ : ولخاصة الأمراء المقدمين أنواع من الإنعامات كالعقار والأبنية الضخمة التي ربما أنفق على بعضها فوق مائة ألف دينار ، وكساوى القماش المتوع ، وفي أسفارهم في وقت خروجهم إلى الصيد وغيره العلوفات والأموال .

(١) في الضوء ” والإدار “ .

النوع الخامس

(المأكول والمشروب)

أعظم أسمطة هذا السلطان تكون بالإيوان الكبير أيام الموكب . إذا خرجت القضاة وسائر أرباب الأقلام من الخدمة ، مُدَّ السماط بالإيوان الكبير من أوله إلى آخره بأنواع الأطعمة المتنوعة الفاخرة ، ويجلس السلطان على رأس الحوان والأمراء يمينه ويساره على قدر مراتبهم في القرب من السلطان ، فيأكلون أكلا خفيفا ثم يقومون ، ويجلس من دونهم طائفة بعد طائفة ، ثم يرفع الحوان . وأما في بقية الأيام فيمد الحوان في طرفي النهار لعامة الأمراء خلا البرانيين فإنه لا يحضره منهم إلا القليل النادر .

ففي أول النهار يمد سماط أول لا يأكل منه السلطان شيئا ، ثم سماط ثان بعده قد يأكل منه السلطان وقد لا يأكل ، ثم سماط ثالث بعده يسمى الطارئ ، ومنه مأكول السلطان .

وفي آخر أيام النهار يمد سماطان الأول والثاني المسمى بالخاص ، ثم إن استدعى بطارئ حضر ، وإلا فبحسب ما يؤمر به ، وفي كل هذه الأسمطة يسقى بعدها المشروب من الأقسام السكرية عقب الأكل . وأما في الليل فيبيت بالقرب من ميته أطباق من أنواع المأكول المختلفة والمشروب الفائق ليتشاغل أصحاب النوب بالمأكول والمشروب عن النوم . قال في "مسالك الأبصار" : ولكل ذي إمرة بمصر من خواص السلطان عليه السكر والحلوى في شهر رمضان ، والضحية على مقادير ربهم .

المقصود السابع

(في اختصاص صاحب هذه المملكة بأماكن داخلية في نطاق مملكته، يمتاز بها على ملوك الأرض من المسلمين وغيرهم)

منها الكعبة المعظمة داخلية في نطاق هذه المملكة، واختصاصه بكسوتها ودوران المحمل في كل سنة .

أما كسوة الكعبة، فإنها كانت في الزمن الأول مختصة بالخلفاء، وكانت خلفاء بني العباس يجهزونها من بغداد في كل سنة، ثم صارت إلى ملوك الديار المصرية يجهزونها في كل سنة، واستقرت على ذلك إلى الآن . ولا عبرة بما وقع من استبداد بعض ملوك اليمن في بعض الأعصار بذلك في بعض السنين، وهذه الكسوة تُنسج بالقاهرة المحروسة بمشهد الحسين من الحرير الأسود مطرزة بكتابة بيضاء في نفس النسيج، فيها : (إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ) الآية . ثم في آخر الدولة الظاهرية برقوق استقرت الكتابة صفراء مشعرة بالذهب . ولهذه الكسوة ناظر مستقل بها، ولها وقف أرض بلسوس من ضواحي القاهرة يُصرف منها على استعمالها .

وأما دوران المحمل، فقد جرت العادة أنه يدور في السنة مرتين : المرة الأولى في شهر رجب بعد النصف منه، يحمل وينادى لأصحاب الحوانيت التي في طريق دورانه بترتين حوانيتهم قبل ذلك بثلاثة أيام، ويكون دورانه في يوم الاثنين أو الخميس لا يتعداهما، ويحمل المحمل على جمل وهو في هيئة لطيفة من حركه وعليه غشاء من حرير أطلس أصفر، وأبعلاه قبة من فضة مطلية وبييت في ليلة دورانه داخل باب النصر بالقرب من باب جامع الحاكم، ويحمل بعد الصبح على الجمل المذكور

ويسير إلى تحت القلعة، فيركب أمامه الوزير والقضاة الأربعة والمحتسب والشهود وناظر الكسوة وغيرهم، ويركب جماعة من المماليك السلطانية الرماحة ملبسين المصفاة الحديد المغشاة بالحرير الملون، وخيولهم ملبسة البركستوانات والوجوه الفولاذ كما في القتال، وبأيديهم الرماح، عليها الشطقات السلطانية فيلبون تحت القلعة كما في حالة الحرب، ومنهم جماعة صغار بيد كل منهم رمان يديرهما في يده وهو واقف على ظهر الفرس، وربما كان وقوفه في نعل من خشب على دباب سيفين من كل جهة، وهو يفعل كذلك ويهينوا من أزيار النفط وغيرها جملة مستكثرة، ويطلق تحت القلعة في خلال ذلك، ثم يذهب إلى القسطنطينية فيمتر في وسطه، ثم يعود إلى تحت القلعة ويفعل كما في الأول إلا أنه أقل من ذلك؛ ثم يحمل من جامع الحاكم ويوضع في مكان هناك إلى شوال؛ وفي خلال ذلك كله الطبلخانات والكومات السلطانية تضرب خلفه، ويخلع فيه على جماعة مستكثرة؛ وكذلك يفعل في نصف شوال إلا أنه يرجع من تحت القلعة إلى باب النصر ويخرج إلى الريدانية للسفر ولا يتوجه إلى القسطنطينية.

المقصود الثامن

(في انتهاء الأخبار إليه، وهو على ثلاثة أنواع)

النوع الأول

(أخبار الملوك الواردة عليه مكاتبات منهم)

وقد جرت العادة أنه إذا وصل رسول من ملك من الملوك إلى أطراف مملكته كاتب نائب تلك الجهة السلطان عزفه بوفوده، وأستاذنه في إشتخاصه إليه، فتبرز المراسيم السلطانية بحضوره فيحضر. فإذا وقع الشعور بحضوره فإن كان مرسله

ذا مكانة عظيمة من الملوك : كأحد القانات من ملوك الشرق ، خرج بعض أكابر
 الأمراء كالنائب وحاجب الحجاب ونحوهما للقاءه ، وأنزل بقصور السلطان بالميدان
 الذى يلعب فيه بالكرة ، وهو أعلى منازل الرسل . وإن كان دون ذلك تلقاه
 المهتمندار وأستاذن عليه الدوادار وأنزله دار الضيافة أو ببعض الأماكن على قدر
 رتبته ، ثم يرتقب يوم موكب فيجلس السلطان بإيوانه ، وتحضر أعيان المملكة الذين
 شأنهم الحضور من أرباب السيوف والأقلام ، ويحضر ذلك الرسول وصحبته
 الكتاب الوارد معه ، فيقبل الأرض ويتناول الدوادار الكتاب منه فيمسحه بوجه
 الرسول ، ثم يدفعه إلى السلطان فيفضّه ويدفعه إلى كاتب السرفقرة على السلطان
 ويأمر فيه أمره .

النوع الثانى

(الأخبار التى ترد عليه من جهة نوابه)

عادة هذا السلطان أن يطالعه نوابه فى مملكته بكل ما يتجدد عندهم من مهمات
 الأمور أو ما قاربها ، وتؤخذ أوامره وتعود أجوبته عليهم من ديوان الإنشاء بما
 يراه فى ذلك ، أو يتدبّرهم هو بما يقتضيه رأيه ، وينفذ على البرد أو أجنحة الحمام
 الرسائل على ما يأتى ذكره فى المقالة الثالثة من الكتاب إن شاء الله تعالى .

وقد جرت العادة أنه إذا ورد برید من بلد من بلاد المملكة أو عاد المجهز من
 الأبواب الشريفة بجواب ، أحضره أمير جاندار والدوادار وكاتب السربين يدي
 السلطان فيقبل الأرض ، ثم يأخذ الدوادار الكتاب فيمسحه بوجه البريدى ، ثم
 يناوله للسلطان فيفضّه ويجلس كاتب السرفقرة عليه ويأمر فيه بأمره .

وأما بطائق الحمام ، فإنه إذا وقع طائر من الحمام الرسائل ببطاقة أخذها البراج وأتى بها الدوادار، فيقطع الدوادار البطاقة عن الحمام بيده، ثم يحملها إلى السلطان ويحضر كاتب السر فيقرأها كما تقدم .

النوع الثالث

(أخبار حاضرتة)

جرت العادة أن والى الشرطة يستعلم متجددات ولاياته من قتل أو حريق كبير أو نحو ذلك في كل يوم من توابه ، ثم تكتب مطالعة جامعةً بذلك وتعمل إلى السلطان صبيحة كل يوم فيقف عليها . قال في "مسالك الأبصار" : وأما ما يقع للناس في أحوال أنفسهم فلا .

المقصود التاسع

(في هيئة الأمراء بالديار المصرية وترتيب إمرتهم)

وَأَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ أَمِيرٍ مِنْ أَمْرَاءِ الْمِثْنِ أَوِ الطَّبْلَخَانَاتِ سُلْطَانٌ مُخْتَصَرٌ فِي أَحوَالِهِ ، وَلِكُلِّ مِنْهُمْ بَيْوتٌ خَدَمَةٌ كَبِيرَةٌ خَدَمَةُ السُّلْطَانِ مِنَ الطُّشْتِ خَانَاهُ ، وَالْفِرَاشِ خَانَاهُ ، وَالرَّكَّابِ خَانَاهُ ، وَالزَّرْدِ خَانَاهُ ، وَالْمَطْبُخِ ، وَالطَّبْلَخَانَاهُ ، خِلاَ الْحَوَائِجِ خَانَاهُ فَإِنَّهَا مُخْتَصصةٌ بِالسُّلْطَانِ ، وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الْبُيُوتِ مَهْتَارٌ مُتَسَلِمٌ حَاصِلُهُ ، وَتَحْتَ يَدِهِ رِجَالٌ وَغِلْمَانٌ لِكُلِّ مِنْهُمْ وَظِيفَةٌ مُخْتَصصةٌ ، وَكَذَلِكَ لِكُلِّ مِنْهُمْ الْحَوَائِجُ مِنْ إِصْطِبلَاتِ الْخَيْولِ وَمُنَآخَاتِ الْجِمَالِ وَشُؤْنِ الْغُلَالِ ؛ وَلَهُ مِنْ أَجْنَادِهِ أَسْتَادَارٌ ، وَرَأْسُ نَوْبَةٍ ، وَدَوَادَارٌ ، وَأَمِيرٌ مَجْلِسٍ ، وَجَمْدَارِيَّةٌ ، وَأَمِيرٌ أَخُورٌ ، وَأَسْتَادَارٌ صَحْبَةٌ ، وَمَشْرَفٌ . وَتُوصَفُ الْبُيُوتُ فِي دَوَاوِينِ الْأَمْرَاءِ بِالْكَرِيمَةِ ، فَيَقَالُ الْبُيُوتُ الْكَرِيمَةُ كَمَا يَقَالُ فِي بُيُوتِ السُّلْطَانِ الْبُيُوتُ الشَّرِيفَةُ ، وَكَذَلِكَ كُلُّ فَرْدٍ مِنْهَا فَيَقَالُ : الطُّشْتِ خَانَاهُ الْكَرِيمَةُ وَالْفِرَاشِ خَانَاهُ

الكريمة ، وكذا في الباقي ؛ ويوصف الإصطبل بالسعيد فيقال : الإصطبل السعيد ، وكذلك المَنَاح ؛ وتوصف الشُّون بالمعمورة فيقال : للشُّونة المعمورة . قال في "مسالك الأبصار" : ومن رسم الأمراء أن يركب الأمير منهم حيث ركب وخلفه جنيب مَسْرُجٌ مُلَجَّمٌ ، وربما ركب الأمير من أكابرهم يجنبين سواء في ذلك الحاضرة والبر . قال : ويكون لكل منهم طلب مشتمل على أكثر مماليكه ، وقدامهم خزانة محمولة للطبلخاناه على جبل واحد ، يجزه راكب على جبل آخر ، والألف على جملين وربما زاد بعضهم على ذلك . وأمام الخزانة عدة جنائب تُحْزَرُ على أيدي ممالك رُكَّاب خيل وهجن ، ورُكَّابة من العرب على هجن ، وأمامهم الهجن بأكوارها مجنوبة ، للطبلخاناه قطار واحد وهو أربعة ، ومركوب الهجان والألف قطاران وربما زاد بعضهم . قال : وعدد الجنائب في كثيرتها وقتها إلى رأى الأمير وسعة نفسه ، والجنائب المذكورة منها ماهو مَسْرُجٌ مُلَجَّمٌ ، ومنها ماهو بعباءة لاغير . انتهى كلامه .

ومن عادتهم أيضا أن الأمير إذا ركب يكون أكابر أجناده من أرباب الوظائف : كرأس نوبة والدوادار ، وأمير مجلس ، ومشاة الخدمة أمامه ، وكل من كان منهم أكبر كان إليه أقرب ؛ وتكون الجمدارية من ممالك الصغار خلفه وأمير اخوره خلف الجميع ، ومعه الجنائب والأوشاقية على قاعدة السلطان في ذلك .

ومن عادة أكابر مجالس بيوتهم أنه ينصب للأمرير بشتميخ خلف ظهره من الجوخ الأحمر المزهر بالجوخ الملتون ، برك ذلك الأمير وطراز نيه ألقابه ، ويجلس على مقعد مُسْنَدٍ ظهره إلى البشتميخ ، وربما جلس أكابرهم على مدورة من جلد ورجلاه على الأرض ، وتكون الناس في مجلسه في القرب إليه على حسب مراتبهم .

ومن عادة كل أمير من كبير أو صغير أن يكون له رنك يخصه ما بين هتاب أو دواة أو بقجة أو فرنسية ونحو ذلك ، بشطفة واحدة أو شطفتين ، بألوان مختلفة ، كل

أمير بحسب ما يختاره ويؤثره من ذلك، ويجعل ذلك دهانا على أبواب بيوتهم والأماكن المنسوبة إليهم كطابخ السكر، وشون الغلال، والأملأك والمراكب وغير ذلك، وعلى قماش خيولهم من جوخ ملون مقصوص، ثم على قماش جمالهم من خيوط صوف ملونة تنقش على العبي والبلاسات ونحوها، وربما جعلت على السيوف والأقواس والبركصطوانات للخيول وغيرها.

ومن عوائد أمراء العسكر بالحضرة السلطانية أنهم يركبون في يومى الاثنين والخميس فى الموكب منضمين على نائب السلطنة الكافل إن كان، وإلا فعلى حاجب الحجاب، ويسيرون تحت القلعة مرآت، ثم يقفون بسوق الخيل وتعرض عليهم خيول المناداة، وربما نودى على كثير من آلات الخيل والحليم والحركات والأسلحة. قال فى "مسالك الأبصار": وقد ينادى على كثير من العقارات، ثم يطلعون إلى الخدمة السلطانية على ما تقدم.

ومن قاعدة هذه الملكة أن أجناد الأمراء كافة تعرض بديوان الجيوش السلطانية وتثبت أسمائهم مفصلة فيه، وكانوا فيما تقدم يحلون بالديوان. أما الآن، فقد ترك ما هنالك واكتفى بأوراق تكتب من دواوين الأمراء بأسماء أجناده وتخلد بديوان الجيوش، ثم كلما مات واحد منهم أو فصل من الخدمة، عرض بديوان الجيوش واحد مكانه يعبر فيه عرض من ديوان ذلك الأمير.

ومن دادتهم أن من مات من الأمراء والجند قبل استكمال سنة خدمته حوسب فى مستحق إقطاعه على مقدار مدته، وكتب له بذلك محاسبة من ديوان الجيوش، ويكون ما يتحصل من المغل شركة بين المستقر وبين الميت أو المنفصل على حسب استحقاق القراريط، كل شهر من السنة بتراطين.

ومن عادة الأمراء أنه إذا أمر السلطان في متصيدياته بإقطاع أمير كبير، قدم له من الإوز والدجاج وقصب السكر والشعير ما تسمو إليه همة مثله فيقبله منه ، ثم ينعم عليه بخلعة كاملة يلبسها، وربما أمر لبعضهم بشيء من المال فيقبضه .

المقصود العاشر

(في ولاة الأمور من أرباب السيوف بأعمال الديار المصرية ،
وهم على أربع طبقات)

الطبقة الأولى

(النواب ، والمستقر بها ثلاث نيابات)

الأولى - نيابة الإسكندرية : وهي نيابة جايعة ، نائبا من الأمراء المقدمين يضاهي في الرتبة نيابة طرابلس وما في معناها أو يقاربها ، وبها حاجب أمير عشرة ، وحاجب جندي ، ووال للدينة ، وأجناد حلقة عدتهم مائتا نفر ، يعبر عنهم بأجناد المائتين ، وبها قاضي قضاة مالكي ، وقاض حنفى مستحدث ، وربما كان بها قاض شافعى ، والمالكي أكبر الكل بها ، وهو المتحدث في أموال الأيتام والأوقاف . على أنه ربما ولي قضاء قضائها في الزمن الماضى شافعى ، وبها موقع يعبر عنه في البلد بكتاب السر ، وناظر متحدث في الأموال الديوانية ، ومعه مستوف ، وتحت يده دُأَب وشهود ، وبها محتسب ، وليس بها قضاة عسكر ولا مفتودار بدل ، ووكيل بيت المال بها نائب عن نائب بيت المال بالقاهرة ، وتركز بها أمراء المقدمين والطبلخانات في غير الزمن الذى يتمتع سير المراكب الحربية في البحر بشدة الريح منها ، ووال للتركيز يسمى الحاجب . وقد مر القول على معاملتها ، وذكر أحوالها في الكلام على قواعد الديار المصرية المستقرة فأغنى عن إعادته هنا .

وهذه النيابة مع جلالة قدرها ورقعة محلها ليس لها عمل يحكم فيه نائبها ولا قاضيا
وتنسيبها، بل حكمهم قاصر على المدينة وظواهرها لا يتعدى ذلك، بخلاف غيرها من
سائر نيايات المملكة، وبها كرتى سلطنة بدار النيابة، وعادة الخدمة السلطانية بها
في أيام المواكب أن يركب نائب السلطنة من دار النيابة وفي خدمته مماليكه وأجناد
المائتين المتقدم ذكرهم، ويخرج من دار النيابة عند طلوع الشمس، ويسير
في موكبهِ والشَّابَّة السلطانية بين يديه حتى يخرج من باب البحر، ويخرج الأمراء
المركَّون على حديثهم أيضا، ويحتمعون في الموكب ويسرون خارج باب البحر
ساعة ثم يعودون، ويتوجه النائب إلى دار النيابة في مماليكه وأجناد المائتين، وقد
فارقه الأمراء المركَّون وتوجه كلُّ منهم إلى منزله. فإذا صار إلى دار النيابة : فإن
كان في ذلك الموكب سَمَاطٌ، وضع الكرتى في صدر الإيوان مغشى بالأطلس الأصفر
ووضع عليه سيف نَمِجَة سلطانية ومُدَّ السَماط تحته وأكل ممالك النائب وأجناد
المائتين وجلس النائب بجنبته من الإيوان والشباك مُطَلٌّ على مينا البلد، ويجلس
القاضى المالكى عن يمينه، والقاضى الحنفى عن يساره، والناظر تحته، والموقع بين
يديه، ورؤوس البلد على قدر منازلهم، وترفع القصص فيقرؤها الموقع على النائب
فيفصلها بحضرة القضاة ثم ينصرف الموكب .

قلت : وهذه النيابة مستحدثة، وكان آبتداء ترتيبها في سنة سبع وستين وسبعائة
في الدولة الأشرفية شعبان بن حسين حين طرقها الفرنج وقتكوا بأهلها وقتلوا ونهبوا
وأسروا، وكانت قبل ذلك ولاية تعد في جملة الولايات الطبلخانة، وكان لواليتها
الرتبة الحليلة والمكانة العلية .

الثانية - نيابة الوجه البحرى . وهى مما استحدثت في الدولة الظاهرية برقوق،
ونائبها من الأمراء المقدمين، وهو في رتبة مقدم العسكر بغزة الآتى ذكره في الممالك

الشامية، ومقرّ نيابتها مدينة دَمَّهَوْرَ بالبحيرة، وحكمه على جميع بلاد الوجه البحرىّ المتقدم ذكرها فى الكلام على أعمال الديار المصرية المستقرّة خلا الإسكندرية، وليست على قاعدة النيابات فى ركوب المواكب وما فى معناها، بل نائبها فى الحقيقة كاشفٌ كبير، وليس فيها من رسوم النيابة سوى لبس التشرىف وكتابة التقليد والمكتابة بما يكتب به مثل نائبها من النواب، وقد كان القائم بها فى الزمن الأوّل قبل استقرارها نيابةً يعبر عنه بوالى الولاية.

الثالثة - نيابة الوجه القبلى. وهى مما استحدثت فى الدولة الظاهرية برقوق أيضاً، وكان مقرّ نائبها مدينة أُسْيوط، وحكمه على جميع بلاد الوجه القبلى، وهى فى الترتيب والرتبة على ما تقدّم من نيابة الوجه البحرىّ، غير أنها أعظم خطراً فى النفوس وكان القائم بها قبل ذلك يسمّى والى الولاية كما تقدّم فى الوجه البحرىّ.

الطبقة الثانية

(الكُشَافُ)

قد تقدّم أنه قبل استحداث النيابة بالوجهين القبلى والبحرىّ كان بهما كاشفان يعبر عن كل منهما بوالى الولاية، ولما استقرّتا نيابتين جعل للوجه البحرىّ كاشفٌ من أمراء الطليخاناه على العادة المتقدمة، وهو فى الحقيقة تحت أمر نائب الوجه البحرىّ، ومقرّته منية غَمْر من الشرقية، وجعل كاشف آخر للبهنساوية والقيوم، وعُطِّلَ القيوم من والى، وباقى الوجه القبلى أمره راجعٌ إلى نائبه، ولليزية كاشفٌ يتحدّث فى جسورها وسائر متعلقاتها، ولا يتعدّى أمره إلى غيرها من النواحى.

الطبقة الثالثة

(الولاية بالوجهين القبلي والبحري)

وقد تقدم ذكر أعمالهما؛ ومراتب الولاية بهما لاتخرج عن مرتبتين :
المرتبة الأولى - الولاية من أمراء الطبلخاناه. وهي سبع ولايات بالوجهين القبلي والبحري على ما استقر عليه الحال .

فأما الوجه القبلي ففيه أربع ولايات من هذه الرتبة: وهي ولاية البهنسي، وولاية الأشمونين، وولاية قوص، وهي أعظمها حتى إن واليها كان يركب بالشبابه أسوة النواب بالممالك، وولاية أسوان: وهي مستحدثة في الدولة الظاهرية برقوق، وكانت قبل ذلك مضافة إلى والي قوص يجعل فيها نائباً من تحت يده، وكانت ولاية القيوم طبلخاناه، ثم استقرت كشفا على ما تقدم .

أما أسيوط، فلم يكن بها والٍ لكونها مقر نائب الوجه القبلي ومقر والي الولاية من قبله، وسيأتي ما كان ولاية طبلخاناه من الوجه القبلي ثم نقل .

وأما الوجه البحري ففيه أربع ولايات من هذه الرتبة، وهي ولاية الشرقية، ومقر واليها بليّس، وولاية المنوفية ومقر واليها مدينة منوف، وولاية الغربية، ومقر واليها المحلة الكبرى، وهي تضاهي ولاية قوص من الوجه القبلي إلا أن واليها لم يركب بالشبابه قط، وولاية البحيرة، ومقر واليها مدينة دمهور، وربما عطلت ولايتها لكونها مقرّة النائب، وقد تقدم أن ولاية النائب قبل أن تستقر نيابة كانت ولاية طبلخاناه.

المرتبة الثانية - من الولاية أمراء العشرات . وهي سبع ولايات بالوجهين :
فأما القبلي ففيه من هذه الرتبة ثلاث ولايات : ولاية الجيزة، وكانت قبل ذلك طبلخاناه، وولاية إطفيح ولم تزل عشرة، وولاية منفوط ولايتها عشرون، وكانت

قبل ذلك ولاية طبلخاناه؛ وقد كان بَعِيدَابَ في الأيام الناصرية ابن قلاوون وما بعدها
وال أمير عشرة يوثى من قِبَلِ السلطان ويراجع وإِلَى قُوصَ في الأمور المهمة .
وأما الوجه البحرى ، ففيه أربع ولايات من هذه الرتبة ، ولاية منوف ، وولاية
أَشْمُومَ ، وولاية دِمِيَاطَ ، وولاية قَطِيَا ، وكانت قبل ذلك طبلخاناه .

الطبقة الرابعة

(أمراء العُربان بنواحي الديار المصرية)

قد تقدّم في الكلام على ما يحتاج إليه الكاتب في المقالة الأولى ذكر أصول أنساب
العرب ، وأنقسامهم إلى قَحْطَانِيَّةٍ وهم العارِبَة ، وإِلَى عَدْنَانِيَّةٍ وهم المستعربة ، وبيانُ
رجوع كلّ بطن من بطون العرب الموجودين الآن بالديار المصرية وغيرها إلى قبيلتهم
التي إليها ينتسبون ، وبيانُ من بوجهى الديار المصرية القبليّ والبحرى من القبائل ،
وأخذاً كل قبيلة المتشعبة منها . والمقصودُ هنا بيانُ أمراء العُربان بالوجهين
المذكورين في القديم والحديث .

فأما الوجه القبليّ ، فقد ذكر الحمدانيّ أن الإمرة كانت بالوجه القبليّ في ثلاثة أعمال :
العمل الأول - عمل قُوصَ ، وكانت الإمرة به في بيتين من بَلِيٍّ من قُضَاعَةَ بن
جَمِيرَ بن سَبَّاحٍ من القَحْطَانِيَّةِ .

الأول - بنو شاذٍ المعروفون ببني شاذى . وكانت منازلهم بالقصر الخراب المعروف
بقصر بني شاذى بالأعمال القُوصِيَّةِ ، وتقدم هناك أنه قيل لإنهم من بنى أُمَيَّةَ بن
عبد شمس من قُرَيْشٍ .

الثان - العجالة . وهم بنو العَجِيلِ بن الذئب منهم أيضاً ، وكانوا معهم هناك .

العمل الثاني - عمل الأشمونين . وكانت الإمرة به في بنى ثعلب من السلاطنة ، وهم أولاد أبى مجحش من الحيادة من ولد إسماعيل بن جعفر الصادق ، من عقب الحسين السبط ابن أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، وكانت منازلهم بدروت سربام ، وغلب عليها الشريف حصن الدين بن ثعلب فعرفت بدروت الشريف من يومئذ ، وأستولى عليها وعلى بلاد الصعيد . وقد تقدم أنه كان في آخر الدولة الأيوبية . فلما ولي المعز أيك التركاني : أول ملوك الترك بالديار المصرية السلطنة ، أنف من سلطته وسمت نفسه إلى السلطنة فجهز إليه المعز جيوشا ، فحرت بينهم حروب لم يظفروا به فيها ، وبقي على ذلك إلى أن كانت دولة الظاهر بيبرس ، فنصب له حبال الحيل وصاده بها وشقه بالإسكندرية .

العمل الثالث - البهنسى ، وكانت الإمرة فيه في بيتين .

الأول - أولاد زعازع . (بضم الزاى) من بنى جديدى من بنى بلار من لوائه (٢) من البربر أو من قيس عيلان على الخلاف السابق عند ذكر نسبهم في المقالة الأولى . قال الحمداني : وهم أشهر من في الصعيد .

الثاني - أولاد قرئش . قال الحمداني : وهم أمراء بنى زيد ، ومساكنهم نوية دلاص .

قال : وكان قرئش هذا عبدا صالحا كثير الصدقة ، ومن أولاده سعد الملك المشهور بنوه هناك .

وذكر المقر الشهابي بن فضل الله في " التعريف " : أن الإمرة بالوجه القبلي في زمانه (وهو سلطنة الناصر محمد بن قلاوون وما وليها) كانت لناصر الدين عمر بن فضل ، ولم يذكر مقرته ولا من أى العرب هو ، وذكر أيضا أن الإمرة فيا فوق

(١) تقدم لنا في الجزء الأول (ص ٣٦٥) ضبطها بالفتح والصواب ما هنا .

(٢) ضبطها المؤلف فما تقدم بالباء المثناة ولكن المحجذ ذكرها في باب التاء المثناة .

أسوان كانت في عرب يقال لهم الحِدَارِيَّة في سميرة بن مالك . قال : وهو ذو عَدَد جَمٍّ وشوكة مُنَكِيَّة ، يغزو الحبشة وأُمَم السودان ويأتى بالنهاب والسبايا ، وله أثر محمود وَفَضْلٌ مَأثور ، وفد على السلطان فأكرمتهوا ، وعقد له لواء وَشُرَّفَ بالتَّشْرِيف ، وَقُدَّ ، وَكُتِبَ إلى ولاية الوجه القبليّ عن آخرهم وسائر العربان بمساعدته ومعاذته والركوب للغزو معه متى أراد ، وكتب له منشور بما يفتحه من البلاد ، وتقليدُ بِامِرَة عربان القبلة مما يلي قُوصَ إلى حيث تصلُ غايته ، وتُرَكِّزُ رأيته .

قلت : أما في زماننا فذ وَجَّهَتْ عربُ هَوَّارة وجوهها من عمل البحيرة إلى الوجه القبليّ ونزلت به أنتشرت في أرجائه آنتشار الجراد ، وبسطت يدها من الأعمال البهنساوية إلى منتهاه حيث أسوان وما والاها ، وأذعنت لهم سائر العربان بالوجه القبليّ قاطبةً ، وأنحازوا إليهم وصاروا طَوْعَ قيادهم .
والإمرة الآن فيهم في بيتين .

الأول - بنو عمر : محمد وإخوته . ومنازلهم يَجْرُجَا وَمُنْشَأَة إِنْجِيم ؛ وأمرهم نافذ إلى أسوان من القبلة وإلى آخر بلاد الأَشْمُونِيَّين من بحرى .
الثانى - أولاد غَرِيب . وينبدهم بلاد البهنسى ، ومنازلهم دَهْرُوط وما حولها .



وأما الوجه البحرىّ ، فقد ذكر الحمدانيّ أن الإمرة فيهم في خمسة أعمال .
العمل الأول - الشرقيّة . قال : والإمرة فيها في قبيلتين .
الأولى - نعلبةً ، وذكر أن الإمرة كانت فيهم في شُقَيْر بن جرجى من المصاحفة من بنى زُرَيْقٍ ، وفي عمر بن نفيلة من العَلِيمِيَّين .
الثانية - جُدَام : وقد ذَكَرَ أن الإمرة كانت فيهم في خمسة بيوت .

الأول - بيت أبى رُشد بن حبشى ، بن نَجْم ، بن إبراهيم من العُقَيْلِيَّين : بنى عُقَيْل

ابن قُتُورَة ، بن مَوْهوب ، بن عُبَيْد ، بن مالك ، بن سُويد ، من بني زيد بن حَرَام ،
ابن جُدَام ، أَمْرٌ بالبوق والعَلَم .

الثاني - طَرِيف بن مَكْنُون^(١) ، من بني الوليد ، بن سُويد المقدم ذكره ؛ وإلى
طَرِيف هذا يُنسَب بنو طريف من بلاد الشرقية . قال الحمداني : وكان من
أكرم العرب ، كان في مَضِيَّتِهِ أَيَّامَ الْغَلَاءِ أَثْنَا عَشَرَ أَلْفًا تَأْكُلُ عَنْده ، وكان يَهْتَمُّ
التريد في المراكب . قال : ومن بنيه فَضْل بن سَمْح بن كُثُونَة ، وإبراهيم بن علي ؛
أَمْرٌ كل منهما بالبوق والعَلَم .

الثالث - بيت أولاد منازل من ولد الوليد المذكور ، كان منهم مَعْبَد بن مُبَارَك ،
أَمْرٌ بالبوق والعَلَم .

الرابع - بيت نَمِي بن خَنْعَم من بني مالك ، بن هَلْبَا بن مالك بن سُويد ، أَقْطَعَ خَنْعَم
ابن نَمِي المذكور وأَمْرٌ ، وأَقْنَى عِدداً من الممالك الأتراك والروم وغيرهم ، وبلغ
من الملك الصالح أَيُوبَ مَازِلَةً ، ثم حَصَلَ عند الملك المعز أَيُّك التُّرْكُمَانِي على الدرجة
الرفيعة ، وقَدَّمَهُ على عرب الديار المصرية ، ولم يزل على ذلك حَتَّى قَتَلَهُ غِلْمَانُهُ ، ففعل
المعزُ أَبْنِيَهُ : سَلَمَى ودَغَشَ عوضه ، فكانَا لَهُ نِعَمَ الْخَلْفِ ، ثم قدم دَغَشَ دِمَشْقَ فَأَمَرَهُ
الملك الناصر صاحب دِمَشْقَ يومئذ من بني أَيُوبَ بِبُوقٍ وَعَلَمٍ ، وَأَمْرَ الْمَلِكُ أَيُّكُ
أَخَاهُ سَلَمَى كَذَلِكَ .

الخامس - بيت مُفَرِّج بن سالم بن راضِي من هَلْبَا بَعَجَة ، ابن زيد ، بن سُويد ،
ابن بَعَجَة ، من بني زيد بن حَرَام بن جُدَام ؛ أَمْرُهُ المعزُ أَيُّك التُّرْكُمَانِي بالبوق والعَلَم .
وذلك أَنَّهُ حين أَرَادَ المعزُ تَأْمِيرَ سَلَمَى بن خَنْعَم المقدم ذكره أَمْتَنَعَ أَنْ يُؤَمِّرَ حَتَّى
يُؤَمِّرَ مُفَرِّجَ بن غَانِمٍ فَأَمْرٌ^(٢) .

(١) تقدم في الجزء الأول (ص ٣٣٢) ابن بكتوت . (٢) لعله سالم .

العمل الثانى - المتوفية . والإميرة فيها لأولاد نصير الدين من لواتة ، ولكن إمرتهم فى معنى مشيخة العرب .

العمل الثالث - الغربية . والإميرة فيه فى أولاد يوسف من الخزاعلة من سنيس من طي من كهلان من القحطانية ، ومقرتهم مدينة سخا من الغربية .

العمل الرابع - البحيرة . وقد ذكر فى " التعريف " : أن الإميرة فى الدولة الناصرية ابن قلاوون كانت لخالد بن أبى سليمان وفائد بن مقدم . قال فى " مسالك الأبصار " : وكنا أميرين سيدين جليلين ذوى كرم وإفضال وشجاعة وثبات رأى وإقدام .

العمل الخامس - برقة . قال فى " التعريف " : ولم يبق من أمراء العرب ببرقة يعنى فى زمانه إلا جعفر بن عمر ، وكان لا يزال بين طاعة وعصيان ، ومخاشنة وليان ، والجحوش فى كل وقت تمد إليه ، وقيل أن تطفر منه بطائل أو رجعت منه بمنعم ، وإن أصابته نوبة من الدهر . قال : وآخر أمره أن ركب طريق الواح حتى خرج من الفيوم وطرق باب السلطان لائذا بالعفو ، ووصل ولم يسبق به خبر ، ولم يعلم السلطان به حتى استأذن المستأذن له عليه وهو فى جملة الوقوف بالباب ، فأكرمهم الكرامة وشرف بأجل التشاريف ، وأقام مدة فى قرى الإحسان وإحسان القرى وأهله لا يعلمون ماجرى ، ولا يعلمون أين يم ولا أى جهة نحا ، حتى أتتهم وافدات البشائر وجاءت منه . فقال له السلطان : لم لا أعلمت أهلك بقصدك إلينا؟ قال : خفت أن يقولوا : فيتك بك السلطان فانتبط ، فاستحسن قوله ، وأفاض عليه طوله ، ثم أعيد إلى أهله ، فانتقلب بنعمة من الله وفضل لم يمسسه سوء ولا رثى له صاحب ولا شمت به عدو .

قلت : والإمرة اليوم في بركة في عمر بن عريف ؛ وهو رجل دين وكان أبوه
[عريف ذا دين متين رأيته^(١)] في الإسكندرية بعد الثمانين والسبعائة ، واجتمعت به
فوجدت آثار الخير ظاهرة عليه .

الفصل الثاني

من المقالة الثانية

(في المملكة الشامية ، وما يتصل بها : من بلاد الأرمن والروم وبلاد الجزيرة بين
الفرات والدجلة مما هو مضاف إلى هذه المملكة ؛ وفيه أربعة أطراف)

الطرف الأول

(في فضل الشام وخواصه وعجائبه ؛ وفيه مقصدان)

المقصد الأول

(في فضل الشام)

أعظم شاهد لذلك ما أخرجه الترمذي من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه أنه
قال : ” كُنَّا يَوْمًا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نُوَلِّفُ الْقُرْآنَ مِنَ الرَّقَاعِ . فَقَالَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : طُوبَى لِأَهْلِ الشَّامِ . فَقُلْتُ : لِمَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟
قَالَ : لِأَنَّ الْمَلَائِكَةَ بَاسِطَةٌ أَجْنَحَتَهَا عَلَيْهِ “ . هذا وقد بُعِثَ بِهِ الْكَثِيرُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ
عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، وَفِيهِ ضَرَائِحُهُمُ الشَّرِيفَةُ ، وَالْمَسْجِدُ الْأَقْصَى الَّذِي هُوَ أَحَدُ الْمَسَاجِدِ
الثَّلَاثَةِ الَّتِي تُشَدُّ إِلَيْهَا الرِّحَالُ ، وَهُوَ أَوَّلُ الْقِبْلَتَيْنِ ؛ وَبِهِ يُنْزَلُ الْمَسِيحُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِمَنَارَةِ
جَامِعِ دِمَشْقَ ؛ وَبِهِ يَقْتُلُ الدَّجَالُ بِمَدِينَةِ لُدٍّ . وَفِي الْحَدِيثِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
قَالَ : ” إِنْ اللَّهُ بَارَكَ فِيمَا بَيْنَ الْعَرِيشِ إِلَى الْفُرَاتِ وَخَصَّ فَلَسْطِينَ بِالتَّقْدِيرِ “ .

(١) ترك له في الأصل بياضا وأخذناه عن الضوء للؤلؤ .

المقصود الثاني

(في خواصه وعجائبه)

أما خواصه فإن به الأماكن التي تعظمها الأمم على اختلاف عقائدهم كالصخرة التي هي قبلة اليهود، والقمامة التي يحجها النصارى من سائر أقطار الأرض، وطور نابلس الذي تحج السامرة؛ وبمدينة صور كنيسة تعتقد طائفة من النصارى أنه لا يصح تملك ملوكهم إلا منها، على ما سياتى ذكره في الكلام على أعمال صفد إن شاء الله تعالى، وغير ذلك مما تتقاد به الأمم إلى صاحب هذه المملكة وتُدعِئُ لمُسالمتِهِ .
وأما عجائبه فكثيرة .

منها - (حَمَّة طَبْرِيَّة) المشهورة : وهي عين تَبْعُ ماءً شديد الحرارة يكاد يسلكُ البَيْضَةُ، يَقْصِدُهَا الْمُتَرَدِّدُونَ لِلْإِسْتِشْفَاءِ بِالْأَغْتَسَالِ فِيهَا . قال ابن الأثير في "عجائب المخلوقات" : وليس فيها حَمَامٌ يوقد فيه النار إلا الحَمَامُ الصَّغِيرُ .

ومنها - (قُبَّةُ الْعَقَّارِبِ) بمدينة حِمَصَ . وهي قُبَّةٌ بِالقَرَبِ من مسجدِها الجامع ، إذا اخذَ شَيْءٌ من تُرَابِ حِمَصَ وجبل بالماء وألصق بداخل تلك القُبَّةِ وتُركَ حتى يَحْفَ وَيَسْقُطُ بِنَفْسِهِ من غير أن يلقِيها أَحَدٌ ثم أُخِذَتْ ووضع منها شَيْءٌ في بيت لم يدخله عَقْرَبٌ، أو في قَمَّاشٍ لم يَقْرَبْهُ، وإن دُرَّ على عَقْرَبٍ منه شَيْءٌ أخذها مِثْلُ السُّكْرِ فربما زاد عليها فقتلها، بل قيل إن ذلك لا يَحْتَضُّ بالقُبَّةِ بل عاتمة أرض البلد كذلك حتى لا يدخلها عَقْرَبٌ إلا مات، بل لا يَقْرَبُ ثِيَاباً ولا أمتعة عليها غبارُها، وإلى ذلك أشار القاضى الفاضلُ في البُشْرَى بفتوحها بقوله : "وَدَبَّتْ إِلَيْهَا عَقَّارِبُ الْمَجَانِقِ خَالِفَتْ عَادَةَ حِمَصَ فِي الْعَقَّارِبِ ، وَرُمِيَتْ الْحَجَارَةُ بِالْحَجَارَةِ فَوَقَعَتِ الْعِدَاوَةُ الْمَعْرُوفَةُ بَيْنَ الْأَقَارِبِ" .

ومنها - (عين فَوَاةٍ) داخل البحر المائج على القُرب من ساحل مدينة طرابلس على قدر رمية حجر عن البئر، تَبْعُ ماءً عذبا يطفو على وجه الماء قدر ذراع أو أكثر يثين عند سكون الريح .

ومنها - (وادي القوار) وهو وادٍ بالقرب من حصن الأكراد من عمل طرابلس غربا عنه بشمال على الطريق السالكة . قال في "مسالك الأبصار" : وهي صفة بئر قائمة في الأرض، وفي سفلى الأرض سِرْدَابٌ ممتد إلى الشمال يَفُور في كل أسبوع يوما واحدا لا غير، قسقى به أرض ومُزْدِرَعَاتٌ ، ويتزل عليه التُّرُكُان ويَرْدُونَهُ ، ويُسَمَّع له قبل فَوْرَانِهِ دَوَى كالرعد، وهو في بقية الأيام يابس لا ماء فيه . قال : وذكر لي مَنْ دخل السرداب أن في نهايته نهرا كبيرا آخذا من الغرب إلى الشرق تحت الأرض ؛ له جريان قَوِيٌّ ، وبه موج وريح عاصف ، لا يُعْرَف إلى أين يجري ولا من أى جهة يأتي .

ومنها - (حَمَامُ القُدُمُوس) من قلاع الدعوة من عمل طرابلس يخرج منها أنواع كثيرة من الحيات تظهر من أنابيب مائها وتدخل في ثياب داخلها ، ولم يشتهر أنها أَضَرَّت أحدا قط على مَمَرِ الدُّهور وتطاؤل الأزمنة ، حكاها في "مسالك الأبصار" . ومنها - (صَدْعٌ) في سور الخواري من قلاع الدعوة من عمل طرابلس أيضا . إذا لدغ أحد بحية فأتى إلى ذلك الموضع فشاهده بعينه أو أرسل رسوله فشاهده ، سلم من تلك اللدغة ، ولم يضره السم . إلى غير ذلك من العجائب الظاهرة والمندرسة بمرور الزمان عليها .

قال ابن الأثير: وبقرى حَلَبَ قرية تسمى بُرَاق ، يقال إن بهامعبدا يقصده أصحاب الأمراض ويبيتون به . فإذا أن يرى المريض في منامه مَنْ يقول له أَسْتَعْمَلْ كَذَا وَكَذَا

فيراً، أو يمسح عليه بيده فيراً . قال في تاريخه : وبقرية مبرون من قرى صَفَد مغارة يظهر فيها الماء في يوم من السنة تجتمع إليه اليهود في ذلك اليوم، ويحلبون منه الماء إلى البلاد البعيدة؛ وبوادي دلسه من عملها عين تعرف بعين الجن تفور لحظة كالنهر ثم تفور حتى لا يبقى فيها ماء، ثم تفور كذلك ليلاً ونهاراً؛ وبقرية بكوزا من قرى صَفَد عَنَب داخل العنبة عنبة أخرى؛ وبقرية عد شيب من قراها بلوط يؤخذ الواحد منه من الشجرة فيوجد حضنها حجر؛ وبقرية عياض تراب الجير إذا عمل منه كوز وسقي فيه الكسير من آدمى أو غيره، جبر عظمه؛ وبالناصره من أعمالها كنيسة بها عمود إذا اجتمع عنده جماعة وعملوا سماعاً عرق العمود حتى يظهر عرقه .

الطَّرَفُ الثَّانِي

(في حدوده، وأبتداءِ عمارته، وتسميته شاماً؛ وفيه مقصدان)

المَقْصِدُ الْأَوَّلُ

(في حدوده)

وقد اختلف في تحديده، فذكر في "التعريف" أن حدّه من القبله إلى البرّ المَقْفَر: **تِيه** بنى إسرائيل وبرّ الحجاز والسّماوة إلى مَرْمَى الفرات بالعراق . قال : وهذه المَحَادَاتُ كُلُّهَا من جزيرة العرب .

وحدّه من الشرق طَرَفُ السّماوة والْفُرَات .

وحدّه من الشّمال البحر الرومى .

وحدّه من الغرب حدّ مصر المتقدّم ذكره، وذكر في "تقويم البلدان" :

أن حدّه من الجنوب من أول رَفَح التي في أول الحفّارين مِصْرَ والشام إلى حدود **تِيه** بنى إسرائيل إلى ما بين الشّوبك وأيلة من البلقاء؛ وحدّه من الشرق من البلقاء

إلى مشاريق صَرَّخَدَ، آخِذاً على أطراف الغوطة، إلى سَلمية، إلى مشاريق حلب، إلى بَالس، وحدّه من الشمال من بالس مع الفرات إلى قلعة نجم، إلى البيرة، إلى سُميساط إلى حصن منصور، إلى بَهْسَنِي، إلى مَرَعَش، إلى بلاد سيس، إلى طَرَسُوس، إلى بحر الروم، وحدّه من الغرب من طَرَسُوس المذكورة آخِذاً على ساحل البحر الرومي إلى رَفَعِ المتقدمة المذكور حيث وقع الابتداء .

قات : والخُلُفُ بينهما في شيئين .

أحدهما - أنه في " التعريف " جعل حدّه الشّماليّ إلى البحر الروميّ، وحدّه الغربيّ جدّ مصر المتقدّم ذكره ، وفي " تقويم البلدان " جعل حدّه الشّماليّ البلاد التي بين الفُرات والبحر الروميّ، وحدّه الغربيّ البحر الروميّ من طَرَسُوس إلى رَفَعِ فيدخل حدّ مصر الذي حدّ به الجانب الغربيّ في " التعريف " في هذا الحدّ، وكان الموضع لها في ذلك أن البحر الروميّ عن الشام غرباً بشمال، فَجَنَحَ كل منهما إلى جهة .

الثاني - أنه في " تقويم البلدان " أدخل بلاد الأرمنيّ المتصلةً بأخر بلاد حَلَب من الشمال في حدود الشام، وفي " التعريف " أخرجها وهو التحقيق . وقد صرّح بذلك في " التعريف " فيما بعدُ فقال بعد أن أفرد الفتوحات الجاهانيّة التي هي أوّل بلاد الأرمنيّ من جهة حَلَب بالذكر : وأتيتُ بها ههنا إذ لم يكن لها تَعَلُّقٌ بمملكة تذكر فيها، وليست من الشامات في شيء وإنما هي من بلاد الأرمنيّ المسماة قديماً ببلاد العواصم والثغور، وسيأتي الكلامُ على بلاد الأرمنيّ بمفردها في جملة أعمال حلب في الكلام على قواعد المملكة الشامية إن شاء الله تعالى .

على أن ما ذكره من التحديد في " التعريف " و " تقويم البلدان " لا يخلو عن تساهل . فقد قال في " التعريف " : بعد ذكر الحدود التي أوردها : وهذه الحدود هي الجامعةُ على ما يحتاج إليه ، وإذا فُصِّلَتْ تحتجُّ إلى زيادة إيضاح . وقال

في "تقويم البلدان" : بعد ذكر الحدود التي أوردتها أيضا : وبعض هذه الحدود قد تقع شرقية عن بعض الشام وهي بعينها جنوبية عن بعض آخر، مثل البلقاء فإنها جنوبية عن حلب وما على سمتها، وشرقية عن مثل غزّة وما على سمتها فليعلم العذر في ذلك.

قال ابن حوقل : وطول الشام من ملطية إلى رفح خمس وعشرون مرحلة . فمن ملطية إلى منبج أربع مراحل ، ومن منبج إلى حلب مرحلتان ، ومن حلب إلى حمص خمس مراحل ، ومن حمص إلى دمشق خمس مراحل ، ومن دمشق إلى طبرية أربع مراحل ، ومن طبرية إلى الرملة ثلاث مراحل ، ومن الرملة إلى رفح مرحلتان .

قال التيفاشي في "سرور النفس" : وطوله أكثر من شهر . قال ابن حوقل : وأعرض ما فيه طرافه . فأخذ طرفه من الفرات من جسر منبج على منبج على قورس في حد قنسرين ، ثم على العواصم في حد انطاكية ، ثم يقع على جبل اللكام ، ثم على المصيصة ، ثم على أذنة ، ثم على طرسوس ، وذلك نحو عشر مراحل وهذا هو السمت المستقيم . والطرف الآخر يأخذ في البحر من حد يافا من جند فلسطين حتى ينتهي إلى الرملة إلى بيت المقدس ، ثم إلى أريحا ، ثم إلى زغر ، ثم إلى جبل الشراة إلى أن يأتي إلى معان ، وتقدير ذلك ست مراحل . ثم قال : أما ما بين هذين الطرفين من الشام فلا يكاد بين الأردن ودمشق وحمص يزيد على أكثر من ثلاثة أيام ، لأن من دمشق إلى طرابلس على بحر الروم غربا يوما وإلى أقصى الغوطة شرقا حتى يتصل بالبادية يوما ، ومن حمص إلى أنططوس على بحر الروم غربا يومين ، ومن حمص إلى سلمية على البادية شرقا يوما ، ومن طبرية من جند الأردن إلى صور على البحر الرومي غربا يوما ، ومنها إلى أريحا على حدود بني فزارة شرقا يوما .

المقصود الثاني

(في ابتداء عمارته وتسميته شاما وما يَتَحَقَّقُ بذلك)

أما ابتداء عمارته، فقد روى الحافظ بن عساكر في تاريخ الشام عن هشام بن محمد عن أبيه : أن نوحا عليه السلام لما قسم الأرض بين بنيه لحق قوم من بني كنعان^(١) ابن حام بن نوح عليه السلام بالشام فسميت الشام، حين تَشَاءُوا إليها، يعني من أرض بابل كما جاء في الرواية الأخرى. قال : فكانت الشام يقال لها لذلك أرض كنعان، وجاء بنو إسرائيل فأجلوهم عنها، وبقيت الشام لبني إسرائيل إلى أن غلب عليه الروم وأنزعوه منهم فأجلوهم إلى العراق إلا قليلا منهم، ثم جاء العرب فغلبوا على الشام (يعني في الفتح الإسلامي) ثم الشام مهموز مقصور. قال النووي في "تهذيب الأسماء واللغات" وغيره : ويجوز فيه فتح الشين والمد. قال : وهي ضعيفة وإن كانت مشهورة قال الجوهرى : ويجوز فيه التذكير والتأنيث. قال النووي : والمشهور التذكير. وقد اختلف في سبب تسميته شاما فقليل لتشاؤم بني كنعان إليه كما تقدم في كلام ابن عساكر، وقيل سمي بسام بن نوح لأنه نزل به، وأسمه بالسريانية شام بشين معجمة، والعرب تنقلها إلى السين المهملة. وقيل لأن أرضه مختلفة الألوان بالحمرة والسواد والبياض فسمى شامًا لذلك كما يسمى الخال في بدن الإنسان شامة. وقيل سميت شاما لأنها عن شمال الكعبة، والشام لغة في الشمال. قال أبو بكر بن محمد : ويجوز فيه وجهان. أحدهما أن يكون من اليد الشؤمى وهي اليسرى. والثاني أن يكون فعلا من الشؤم.

(١) كذا في معجم البلدان أيضا وفي القاموس في مادة (ك ن ع) كنعان بن سام.

الطَّرَف الثالث

(في أنهاره وبحيراته وجباله المشهورة وزروعه وفواكهه ورياحينه
ومواشيه، ووحوشه وطيوره، وفيه ستة مقاصد)

المقصود الأول

(في ذكر الأنهار العظام بالشام وماهو مضاف إليه مما يتكرر ذكره
بذكر البلدان، وهي أربعة أنهار^(١))

الأول - نهر الفرات وهو أعظمها، وقد تقدّم في الكلام على النيل أنه شقيقه
في الخروج من الجنة . وقد ثبت في صحيح مسلم أن النبي (صلى الله عليه وسلم) !
قال : ” لا تقوم الساعة حتى يحسّر الفرات عن جبل من ذهب فيقتل الناس عليه
فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون ، ويقول كل رجل منهم لعلى أنا الذي أنجوي به “
وأول أبتدائه من شمالي مدينة (أرزن الروم) وشرقيها، وهي آخر بلاد الروم من جهة
الشرق حيث الطول أربع وستون درجة والعرض آثنتان وأربعون درجة ونصف،
ثم يأخذ إلى قرب (ملطية) ثم يأخذ إلى (سُميساط) ثم يأخذ مشرقا ويتجاوز (قلعة الروم)
من شماليها وشرقيها، ثم يسير إلى (البيرة) من جنوبيها، ثم يمر مشرقا حتى يجاوز بالس،
ثم قلعة جعبر ويتجاوزها إلى الرقة، ثم يسير مشرقا ويتجاوز الرجة من شماليها ويسير
إلى عنة، ثم يمتد إلى هيت، ويمتد حتى يجاوز مخرج (نهر كوثي) الآتي ذكره، فينقسم
قسمين ويمر أحدهما : وهو الجنوبي إلى (الكوفة) ويتجاوزها، ويصب في بطائح
العراق، ويمر الآخر : وهو أعظمها بإزاء (قصر ابن هبيرة) ويعرف هذا القسم بنهر
سورا (بضم السين المهمل) وآخره ألف يمد ويقصر) وهي قرية على النهر تُنسب إليها،

(١) الصواب ستة أنهار كما يتضح مما ساقى .

ويتجاوز قصر ابن هيرة ويسير جنوبا إلى (مدينة بابل) القديمة، ويتفرع منه بعد أن يجاوز بابل عدة أنهر، ويمر عموده إلى (مدينة النيل) ويجاوزها حتى يصب في دجلة ويسمى من بعد مجاوزة النيل (نهر الصرة) . وعلى الفرات أنهار تصب فيه وأنهار تخرج منه ليس بنا حاجة إلى تفصيلها .

الثانى - نهر حماة . ويسمى العاصى لأن غالب الأنهر تسقى الأرض بغير دواليب ولا نواعير بل تركب البلاد بأنفسها، ونهر حماة لا يسقى إلا بنواعير ترع الماء منه ، ويسمى أيضا النهر المقلوب : لحرية من الجنوب إلى الشمال ، وغالب الأنهر إنما تجرى من الشمال إلى الجنوب ، وأسمه القديم نهر الأرنت^(١) ، وأوله نهر صغير من ضيعة قريبة من بعلبك في الشمال عنها على نحو مرحلة ، تسمى الرأس ، ويمتد من الرأس شمالا حتى يصل إلى مكان يسمى قائم الهرمل بين قرية جوسية والرأس ، ويمر في واد هناك وينبع من هناك أكثر ماء النهر من موضع يسمى مغارة الراهب ، ويمتد شمالا حتى يتجاوز (جوسية) ويمتد حتى يصب في (بحيرة قدس) غربى حصص ، ويخرج من البحيرة ويتجاوز حصص إلى الرستن ، ويمتد إلى حماة ، ثم إلى شيزر ، ثم إلى بحيرة أفامية ، ثم يخرج من بحيرة أفامية ، ويمر على دركوش ، ويمتد إلى جسر الحديد ، وذلك جميعه شرقى جبل اللكام . فإذا وصل إلى جسر الحديد انقطع الجبل المذكور هناك ، ويستدير النهر المذكور ويرجع ويسير جنوبا بغرب ويمر على سور أنطاكية ، ويسير كذلك مغربا بجنوب حتى يصب في بحر الروم عند السويدية ويصب في العاصى عدة أنهر :

منها - نهر منبعه من تحت أفامية يسير مغربا حتى يصل إلى بحيرة أفامية ويختلط بالعاصى .

(١) أورده ياقوت في معجم البلدان بالبدال المهملة .

ومنها - نهر في شمال أفامية على نحو ميلين يُعرف بالنهر الكبير يسير مدى قريبا
ويصب في بحيرة أفامية، ويخرج منها مع العاصي .

ومنها - النهر الأسود، يجري من الشمال ويمر تحت در بساك ويمتد حتى يصب
في بحيرة أنطاكية ويخرج منها ويصب في العاصي .

ومنها - نهر يفرأ - بفتح الياء المثناة تحت وسكون الغين المعجمة وفتح الراء المهملة
ثم ألف مقصورة - بلدة هناك يمر عليها ويصب في النهر الأسود المذكور .

ومنها - عفرين - بكسر العين المهملة وسكون الفاء وكسر الراء المهملة ثم باء مثناة
تحت ونون في الآخر - وهو نهر يأتي من بلاد الروم ويمر على الراوندان إلى الحومة
ويمر في الحومة إلى العمق ويختلط بالنهر الأسود .

الثالث - نهر الأرذن . والأرذن بضم الهمزة وسكون الراء المهملة وضم الدال
المهملة أيضا وتشديد النون . كذا ضبطه السمعاني في "اللباب" قال : وهي بلدة
من بلاد الغور من الشام نسب إليها النهر ويسمى الشريعة أيضا ، وأصله من أنهار
تصب من جبل الثلج إلى بحيرة إنياس ، ثم يخرج من البحيرة المذكورة ويصب
في بحيرة طبرية ، ويمتد جنوبا ، وهناك يصب في نهر اليرموك بين بحيرة طبرية
المذكورة وبين القصير ، ويمتد في وسط الغور جنوبا حتى يجاوز بيسان ، ويمتد
في الجنوب كذلك إلى أريحا ، ولا يزال يمتد في الجنوب حتى يصب في بحيرة زغر
وهي البحيرة المنيئة المعروفة ببحيرة لوط .

الرابع - نهر العوجاء - بفتح العين المهملة وسكون الواو وفتح الجيم وبعدها
ألف - ويسمى نهر أبي فطرس (بضم الفاء وبالطاء والراء والسين المهملات) وهو نهر
شمالى مدينة الرملة من فلسطين باثنى عشر ميلا ، ومنبعُه من تحت جبل الخليل

عليه السلام مقابل قلعة خراب هناك تسمى مجد اليابا، ويجرى هذا النهر من الشرق إلى الغرب، ويصب في بحر الروم جنوبى غابة أرسوف، ومن منبعه إلى مصبه دون مسافة يوم. قال في "العزى": وما تبقى عليه جيشان إلا غلب الغربى وأنهم الشرق، وسيأتى الكلام على أنهار دمشق في الكلام على حاضرتها إن شاء الله تعالى إذ لا يتعداها إلى غيرها من البلاد.

الخامس - نهر جیحان . بفتح الجيم وسكون الياء المشناة تحت وفتح الحاء المهملة وبعد الألف نون - وتسمى العامة جهان - يجيم وهاء مفتوحتين وألف ثم نون، وربما زادوا ألفا بعد الجيم فقالوا جادان، وإليه تنسب الفتوحات الجاهانية الآتى ذكرها. قال في "رسم المعمور": وأوله عند طول ستين درجة وعرض أربعين درجة، وهو نهر يقارب الفرات في الكبر، ويمر بسيس، ويسير من الشمال إلى الجنوب بين جبال في حدود الروم حتى يبلغ المصيصة من شماليها حيث الطول تسع وخمسون وكسر والعرض ست وثلاثون درجة، وعرض خمس عشرة، وجريانه عندها من المشرق إلى المغرب، ويتجاوز المصيصة ويصب بالقرب منها في بحر الروم.

السادس - نهر سيحان . بفتح السين المهملة وسكون الياء المشناة تحت وفتح الحاء المهملة وبعدها ألف ثم نون. قال في "رسم المعمور": وأوله عند طول ممان وخمسين، وعرض أربع وأربعين، ويمر ببلاد الروم إلى الجنوب عند مجرى جیحان المتقدم ذكره، ويسير حتى يمر ببلاد الأرمن، ويمر على سور أدنة من شرقيها حيث الطول تسع وخمسون بغير كسر، والعرض ست وثلاثون درجة وخمسون دقيقة،

(١) أوردها في المعجم هكذا "مجدلابة".

(٢) في تقويم أبى الفداء "خمسة عشرة دقيقة".

ويتجاوز أذنه ويلتقي مع جيحان المتقدم ذكره ويصيران نهرا واحدا ، ويصبان
في بحر الروم بين آيأس وطرسوس على ما تقدم ذكره .

المقصود الثاني

(في ذكر بحيراته ، وهي ثمان بحيرات)

الأولى - بحيرة طبرية . قال الزجاجي : سميت طبرية بطباري ملك من ملوك
الروم ، وهي في أول الغور ، يدخل إليها نهر الشريعة المنصب من بحيرة بانياس الآتي
ذكرها ، ودورها نحو مسيرة يومين ، ووسطها حيث الطول ثمان وخمسون درجة ،
والعرض اثنتان وثلاثون ، وهي قرعاء . ليس بها قصب نابت . وطبرية مدينة خراب
على شاطئ البحيرة المذكورة من جانبها الغربي الجنوبي ، قال العثاني في " تاريخ
صفد " : ويقال إن قبر سليمان بن داود عليهما السلام بهذه البحيرة .

الثانية - بحيرة زغر وتعرف بحيرة سدوم وبحيرة لوط . وهي بحيرة منتنة ليس
بها سمك ولا يأوى إليها طير ، وفيها مصب نهر الأردن المسمى بالشريعة عند
نهايته ، ويغيب الماء فيها ولا يخرج منها شيء من الأنهار ، وهي في آخر الغور من
جهة الجنوب ، ودورها فوق مسيرة يومين ، ووسطها حيث الطول تسع وخمسون
درجة والعرض إحدى وثلاثون .

الثالثة - بحيرة بانياس . وهي بحيرة بالقرب من بانياس من مقابلة دمشق
يصب فيها عدة أنهار من جبل هناك ، ويخرج منها نهر الشريعة ويصب في بحيرة
طبرية المتقدم ذكرها ، وبها غابة قصب .

الرابعة - بحيرة البقاع . وهي مستنقع ماء في جهة الغرب عن بعلبك على مسيرة
يوم منها ، بها هيش وغابات قصب .

الخامسة - بحيرة دِمَشْقَ . وهى بحيرة فى شرق غُوطَةِ دِمَشْقَ بِمِثْلَةِ يسيرة إلى الشمال يصب إليها فضلة نهر بَرْدَى وغيره، وتتسع فى أيام الشتاء وتنضيق فى أيام الصيف، وبها غابات قَصَب، وفيها أما كن تَحْمَى من العدو .

السادسة - بحيرة قَدَس . بفتح القاف والدال وفى آخرها سين مهملة .

وهى بحيرة فى أرضٍ مستوية، عن حَمَصَ فى جهة الغرب على بعض يوم منها، وطولها من الشمال إلى الجنوب نحو ثلث مرحلة وفى طرفها الشمالى سدٌ ممتد فى طولها مبنى بالججر من بناء الأوائل ينسب بناؤه إلى الإسكندرِ طولُه شرقا وغربا ألف ومائتان وسبعة وثمانون ذراعا، وعرضه ثمانية عشر ذراعا ونصف ذراع، وعلى وسط السد بُرْجَانٍ من حجر أسود .

السابعة - بحيرة أَفَامِيَّة . وهى عتة بطامح فى الغرب بِمِثْلَةِ إلى الشمال عن أَفَامِيَّة بين غابات من القَصَب، يصب فيها النهر العاصى من جهة الجنوب . وبها بحيرتان جنوبية وشمالية يصاد فيهما السمك، فالجنوبية منهما بُحِيرَةُ أَفَامِيَّة المذكورة، وسعتها بالتقريب نحو نصف فرسخ، وقعرها قريب قامة، وأرضها مَوْحَلَةٌ لا يقدر الإنسان على الوقوف فيها، وبوسطها جُمُ قَصَب و بَرْدَى وحوها القصب والصفصاف، وبها من أنواع الطير مالا يحصى كثرة، وينبت بها فى زمن الربيع اللَّيْنُوفُ الأصفر حتى يستر الماء عن آخره بورقه وزهره . والبحيرة الشمالية من عمل حصن بَرزُويَّة بقدر بحيرة أَفَامِيَّة أربع مرات، ووسطها مكشوف، وينبت اللَّيْنُوفُ بجانبها الجنوبى والشمالى وبينها وبين بحيرة أَفَامِيَّة المذكورة زُقَاق تسير فيه المراكب من إحداها إلى الأخرى . قال فى "تقويم البلدان" : ويعتبر طول هذه البطامح وعرضها بأفامية .

الثامنة - بحيرة أَنْطَاكِة . وهى بحيرة بين أَنْطَاكِة وبَغْرَاسَ وحارم فى أرض تعرف بِالْعَمَقِ (بفتح العين المهملة وسكون الميم) من معاملة حَلَبَ شمالى أَنْطَاكِة على

مَسِيرَة يَوْمَيْنِ مِنْ حَلَبَ فِي جِهَة الْغَرْبِ عَنْهَا . وَفِيهَا مَصَبُّ نَهْرِ عَفْرَيْنَ وَالنَّهْرُ الْأَسْوَدُ وَنَهْرُ يَغْرَا الْمَتَقَدِّمَ ذِكْرَهَا ، وَدَوْرُهَا نَحْوَ مَسِيرَةِ يَوْمٍ ، وَأَجَامُ الْقَصَبِ مُحِيطَةٌ بِهَا وَفِيهَا مِنَ الطَّيْرِ وَالسَّمَكِ نَحْوُ مَا تَقَدَّمَ ذِكْرَهُ فِي بَحِيرَةِ أَفَامِيَّةَ . قَالَ فِي "تَقْوِيمِ الْبُلْدَانِ" : وَطُولُهَا طَوِيلٌ أَنْطَاكِيَّةً تَقْرِيْبًا ، وَعَرْضُهَا أَكْثَرُ مِنْ عَرْضِهَا بِدَقَائِقَ .

المقصود الثالث

(فِي ذِكْرِ جِبَالِهَا الْمَشْهُورَةِ الَّتِي يَتَعَلَّقُ بِهَا كَثِيرٌ مِنَ الْمَقَاصِدِ ، وَهِيَ دَنَّةُ أَجْبَلِ) مِنْهَا - (جِبَلُ الثَّلَاجِ) بِالنَّاءِ الْمُثَلَّثَةِ وَالْجِيمِ ، وَمَا يَتَّصِلُ بِهِ . قَالَ فِي "تَقْوِيمِ الْبُلْدَانِ" : وَالطَّرَفُ الْجَنُوبِيُّ لِهَذَا الْجِبَلِ بِالْقَرَبِ مِنْ صَفَدَ . قَالَ فِي "رَسْمِ الْمَعْمُورِ" حَيْثُ الطُّوْلُ تِسْعٌ وَخَمْسُونَ دَرَجَةً وَخَمْسٌ وَأَرْبَعُونَ دَقِيقَةً ، وَالْعَرْضُ اثْنَتَانِ وَثَلَاثُونَ دَرَجَةً . قَالَ : فِي "تَقْوِيمِ الْبُلْدَانِ" : ثُمَّ يَمْتَدُّ إِلَى الشَّامِ وَيَتَجَاوَزُ دِمَشْقَ . فَإِذَا صَارَ فِي شَمَالِهَا ، سَمِيَ جِبَلُ (سَيْنِرِ) وَيُسَمَّى جَانِبُهُ الْمُطَّلُّ عَلَى دِمَشْقِ جِبَلُ (قَاسِيُونِ) وَيَتَجَاوَزُ دِمَشْقَ وَيَمُرُّ غَرْبِيَّ بَعْلَبَكَّ ، وَيُسَمَّى الْجِبَلُ الْمُقَابِلَ لِبَعْلَبَكَّ جِبَلُ (لَبْنَانِ) ^(١) بِلَامٍ مَكْسُورَةٍ وَبَاءٍ مُوَحَّدَةٍ سَاكِنَةٍ وَنُونٍ مُفْتُوحَةٍ بَعْدَهَا أَلْفٌ وَنُونٌ ثَانِيَةٌ - وَإِذَا تَجَاوَزَ بَعْلَبَكَّ وَصَارَ شَرْقِيَّ طَرَابُلُسَ سَمِيَ جِبَلُ (عَكَّارِ) بَعَيْنٍ مُهْمَلَةٍ مُفْتُوحَةٍ وَكَافٍ مُشَدَّدَةٍ وَرَاءَ مُهْمَلَةٍ فِي الْآخَرِ - إِضَافَةٌ إِلَى حَضْنٍ بِأَعْلَاهُ يُسَمَّى عَكَّارًا ، ثُمَّ يَتَرَسَّمَالَا وَيَتَجَاوَزُ طَرَابُلُسَ إِلَى حَضْنِ الْأَكْرَادِ مِنْ عَمَلِ طَرَابُلُسَ ، وَيَسَامَتُ حِمَصَ مِنْ غَرْبِهَا عَلَى مَسِيرَةِ يَوْمٍ وَيَمْتَدُّ حَتَّى يَجَاوِزَ سَمْتَ حِمَاةَ ، ثُمَّ سَمْتَ شِيزَرَ ، ثُمَّ سَمْتَ أَفَامِيَّةَ ، وَيُسَمَّى قِبَالَةَ هَذِهِ الْبِلَادِ جِبَلُ (الْأَكَّامِ) بِضَمِّ اللَّامِ . قَالَ فِي "رَسْمِ الْمَعْمُورِ" : وَجِبَلُ الْأَكَّامِ يَمْتَدُّ إِلَى أَنْ يَصِيرَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ جِبَلِ شَحْشَبُو ، آتِسَاعُهُ نِصْفُ يَوْمٍ حَتَّى يَتَجَاوِزَ صَهْيُونَ وَالشُّغْرَ وَبَكَّاسَ وَالتَّصْيِرَ ، وَيَنْتَهِي إِلَى أَنْطَاكِيَّةَ فَيَنْقَطِعُ هُنَاكَ وَيَصِيرُ قِبَالَةَ جِبَالِ الْأُرَمَنِ .

قال في "تقويم البلدان" : ويقابل جبل اللكام المذكور عند مسامته لأفامية المتقدمة الذكر جبل آخر من شرقيه ، يسمى جبل (تَحْشَبُو) بشين معجمة مفتوحة وحاء مهملة ساكنة وشين ثانية مفتوحة بعدها باء موحدة مضمومة ثم واو - إضافة إلى قرية هناك تسمى بذلك ، ويمر من الجنوب إلى الشمال على غربي المعرة وسمرين وحلب ، ثم يأخذ غربا ويتصل بجبال الروم .

ومنها - (جبل عاملة) وهو جبل ممتد في شرق ساحل بحر الروم وجنوبيه ، حتى يقرب من مدينة صور ، وعليه شقيف أرنون ، نزله بنو عاملة بن سبيل من عرب اليمن عند تفرقهم بسيل العريم فعرف بهم .

ومنها - (جبل عوف) وهو جبل بالقرب من عجلون ، كان يترله قوم من بني عوف من جرم قضاة فعرف بهم ، وكانوا عصاة لا يدخلون تحت طاعة حتى بنى عليهم أسامة أحد أمراء السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب قلعة عجلون فدخلوا تحت الطاعة على ماسياتي ذكره .

ومنها - (جبل الصلت) إضافة إلى مدينة الصلت الآتي ذكرها في أعمال دمشق ، وهو جبل في شرق جبل عوف وشماله ، كان أهله عصاة حتى بنى عليهم المعظم غيسى ابن العادل حصن الصلت فدخلوا في الطاعة .

المقصود الرابع

(في ذكر زروعه وفواكهه ورياحينه)

أما زروعه فغالبا على المطر . قال في "مسالك الأبصار" : ومنها ماهو على سقى الأنهار وهو قليل ، وفيه من الحبوب من كل ما يوجد في مصر من البر والشعير والذرة والأرز والباقل والبسلة والحبان ، واللوبياء والخبث ، والسّمسم والقرطم ، ولا يوجد فيه

الكَّانُ والْبَرْسِيمُ، وبه من أنواع البَطِيخِ والقِنَاءِ ما يُسْتَطَابُ ويستَحْسَنُ، وكذلك غيرها من المزدروعات كالْقَلْقَاسِ والمُلُوخِيَا والبَادَنْجَانِ واللَّفْتِ والجَزَرِ والهَلِيُونِ والقُنْبِيْطِ والرَّجَلَةِ والبَقْلَةِ اليمانية، وغير ذلك من أنواع الخضراوات المأكولة، وقصبُ السُّكَّرِ في أغواره إلا أنه لم يبلغ في الكثرة حد مصر.

وأما فواكهه، ففيه من كل ما يوجد في مصر كالتين والعنب والرمان والقراصيب^(١) والبرقوق والمشمش والخوخ - وهو المسمى بالدراقن - والتوت والفرصاد، ويكثر بها التفاح والكثرى والسفرجل مع كونها أكثر أنواعا وأبهج منظراً، ويزيد عليه فواكه أخر لا توجد بمصر، وربما وجد بعضها في مصر على الدور الذي لا يعتد به كالجوز والبندق والإجاص والعناب والزعرور، والزيتون فيه الغاية في الكثرة، ومنه يعتصر الزيت وينقل إلى أكثر البلدان وغير ذلك، وبأغوارها أنواع الحمضات كالأترج والليمون والجاد والتارنج ولكنه لا يبلغ في ذلك حد مصر، وكذلك الموز ولا يوجد البلح والرطب فيه أصلاً. قال في "مسالك الأبصار": وفيه فواكه تأتي في الخريف وتبقى إلى الربيع كالسفرجل والتفاح والعنب.

وأما رايحينه، ففيه كل ما في مصر من الآس والورد والرنجيس والبنفسج والياسمين والنسرين، ويزيد على مصر في ذلك خصوصاً الورد حتى إنه يستقطر منه ماء الورد وينقل منه إلى سائر البلدان. قال في "مسالك الأبصار": وقد لُبي به ما كان يذكر من ماء ورد جور ونصيين.

(١) أى بالشام وأنت باعتبار البقعة أو البلاد وقوله ويزيد عليه أى على مصر.

المقصد الخامس

(في ذكر مواشيه ووحوشه وطيوره)

أما مواشيه ففيه جميع ما تقدم من مواشى مِصْرَ من الإبل والبقر والغنم والخيل والبيغال والحُمير، إلا أن أبقاره لا تبلغ في العظم مبلغ أبقار مصر، وأغنامه لا تبلغ في طيبة اللحم مبلغ أغنامها، وحميره لم تبلغ في الفراهة مبلغ حميرها .

وأما ووحوشه ، ففيه الغزلان والأرانب والأسود وكثير من أنواع الوحوش المختلفة مما لا يوجد مثله في مِصْرَ .

وأما طيوره، ففيه الإوز والدجاج والحمام وأنواع طيور الماء المختلفة الأنواع . قال في "مسالك الأبصار": ولا تكون الفراريح فيها إلا بحضانة ولا تتجّع فيها المعامل التي تُعمل لإخراج الفراريح في مصر . قال : ويذكر أن رجلا من أهل مصر عمل فيها معملا في حاضرة العقبية فصعد له العمل فيه في الصيف دون الخريف .

المقصد السادس

(في ذكر النفيس من مطعوماتها)

فيها العسل بقدر متوسط ، ويعمل فيها السكر الوسط والمكرر ، والشراب موجود فيها دون مصر، وأكثر حلواها من العسل والمنّ .

الطَّرَف الرابع

(في ذكر جهاته وكوره القديمة وقواعده المستقرة وأعمالها ؛ وفيه مقصدان)

المقصد الأول

(في ذكر جهاته وكوره القديمة)

قد قسم المتقدمون الشام إلى خمسة أجناد - جمع جند بضم الجيم وإسكان النون ودال مهملة في الآخر كما ضبطه الجوهري وغيره .

الأول - (جُنْدُ فَلَسْطِين) وفِلَسْطِينُ بكسر الفاء وفتح اللام وسكون السين وكسر الطاء المهملتين وسكون الياء المثناة تحت ونون في الآخر . قال الزجاجي : سميت بِفِلَسْطِين بن كُثُوم من ولد فلان بن نوح ، بلدة كانت قديماً نسبت الكورة إليها . قال ابن حوقل : وهو أول الأجناد الخمسة من جهة الغرب من رَحَى إلى حَدِّ الْجَبُونِ ، وعَرَضُه من يافا إلى أَرِيحَا نحو يومين . قال ابن الأثير : هي كُورَةٌ كبيرة تشتمل على بلاد المقدس وغَزَّة وعَسْقَلَان . قال ابن حوقل : وهي أرخبى بلاد الشام .

الثاني - (جُنْدُ الْأُرْدُنِّ) والأُرْدُنُّ بلدة قديمة من بلاد الغور نسبت الكورة إليها ، وقد مرَّ ضبطها في الكلام على نهر الأُرْدُنِّ عند ذكر الأنهار ، وقد نسبت الكورةُ إليها كما نسب إليها النهر المتقدم ذكره . قال ابن حوقل : وديار قوم لُوطٍ والبحيرة المُنْتَنَةُ وزُعْرُ إلى يَسَّانَ وإلى طَبْرِيَّة تسمى الغور : لأنه بين جبلين ، وسائر بلاد الشام مرتفعةٌ عليه . قال : وبعضها من الأُرْدُنِّ وبعضها من فِلَسْطِين .

الثالث - (جُنْدُ دِمَشْقَ) وسيأتى الكلام عليها في قواعد الشام المستقرّة .

الرابع - (جندِ حَمَصَ) وسيأتى الكلام عليها في الصفقة الشرقية من صَفَقَات دِمَشْقَ .

الخامس - (جُنْدُ قَنْسَرِينَ) . قال في "الألباب" : بكسر القاف وفتح النون المشدّدة وسكون السين وكسر الراء المهملتين ثم ياء مثناة من تحت ساكنة ونون في الآخر . قال الزجاجي : وقد روى أنها سميت برجل من قَيْسٍ ^(١) يقال له ميسرة ، نزلها فمَرَّ به رجل فقال له : ما أشبه هذا الموضعَ بقِنِّ سيرين ! فبني منه اسم لكان فقليل : قَنْسَرِينَ . وقيل : ددا أبو عبيدة ميسرة بن مسروق القيسي فوجهه في ألف فارس ^(٢)

(١) في معجم البلدان لياقوت : برجل من عيس .

(٢) » » » : العبسي .

في أثر المدوّفة على قَنَسَرِينَ فجعل ينظر إليها فقال : ماهذه ؟ فسُمِّيت له الرومية .
فقال : والله كأنها قَنَسَرِينُ . قال : وهذا يدل على أن قَنَسَرِينَ اسم مكان آخر عرفه
ميسرة فُشِبَه به هذا فسميت به .

قال ابن الأنباري : وفي إعرابها قولان .

أحدهما - أنها تجرى مجرى قولك الزيدون فتجعلها في الرفع بالواو فتقول هذه
قَنَسَرُونَ وفي الخفض والنصب بالياء فتقول مررت بقَنَسَرِينَ ونحلت قَنَسَرِينَ .

القول الثاني - أن تجعلها بالياء على كل حال وتجعل الإعراب في النون ولا تصرفها .

وهي قاعدة من قواعد الشام القديمة على القرب من حَلَب ؛ كان الجُنْد ينزلها
في ابتداء الإسلام ، ثم ضَعُفَتْ بحلب وخرِبت وصارت قرية على ما سيأتي ذكره
في الكلام على حلب إن شاء الله تعالى .

قال ابن الأثير : وكل جُنْدٍ منها عَرَضَهُ من ناحية القُرَاتِ إلى ناحية فِلَسْطِينَ ،
وطوله من الشرق إلى البحر ، وحكاها في "التعريف" على وجه آخر فقال : للناس
في الشام أقوالٌ ، فمنهم من لا يجعله إلا شاما واحدا [ومنهم من يجعله شامات ، فيجعلون
بلاد فِلَسْطِينَ والأرض المقدسة إلى الأُرْدُنَّ شامًا^(١)] ويقولون الشام الأعلى ؛
ويجعلون دِمَشْقَ وبلادها من الأُرْدُنَّ إلى الجبال المعروفة بالطّوال شاما ، ويقع على
قرية النَّبْكَ وما هو على خطها ؛ ويجعلون سُورِيَا ؛ وهي حصّ وبلادها إلى رَحْبة
مالك بن طَوْق شاما ، ويجعلون حماة وشِيزَر من مضافاتها . وثمّ من يجعل منها حماة
دون شِيزَر ؛ ويجعلون قَنَسَرِينَ وبلادها وحَلَب مما يدخل في هذا إلى جبال الروم
وبلاذ العواصم والثغور : وهي بلاد سِيس شامًا . ثم قال : أما عَمَّا وطَرَأْلُس وكل

(١) الزيادة عن ضوء الصبح للؤلف ليستقيم الكلام .

ما هو على ساحل البحر فكل ما قابل منه شيئاً من الشامات حُسب منه . قال :
ونبها على ذلك كله ليعرف . ثم قال : أما ماهو في زماننا وعليه قانون ديواننا فإنه إذا
قال سلطاننا بلاد الشام ونائب الشام لا يريد به إلا دِمَشْقَ ونائبها . وسيأتى الكلام
على حدود ولايته في الكلام على نيابة دِمَشْقَ إن شاء الله تعالى .

المقصود الثانى

(فى ذكر قواعده المستقرّة وأعمالها ، وهى ست قواعداً ، كل قاعدة منها تعدّ مملكة
بل كانت كل قاعدة منها مملكة مستقلة بسلطان فى زمن بنى أيوب)

القاعدة الأولى

(دِمَشْقُ ، وفيها جملتان)

الجملة الأولى

(فى حاضرتها)

وهى بكسر الدال المهملة وفتح الميم وسكون الشين المعجمة وقاف فى الآخر . وتسمى
أيضاً جِلَقَ - بيمين مكسورة ولام مشددة مفتوحة وقاف فى الآخر . وبذلك ذكرها
حَسَّانُ بن ثَابِتٍ رضى الله عنه فى مدحه لبنى غَسَّانَ : ملوك العرب بالشام بقوله :

لِلّهِ دَرُ عِصَابَةٍ نَادَمْتُهُمْ * يَوْمًا بِجِلَقَ فى الزَّمانِ الأوَّلِ

وحكى فى "الروض المعطار" تسميتها جَيُرونَ - بفتح الجيم وسكون الياء المثناة تحت
وضم الراء المهملة وسكون الواو ونون فى الآخر - وسماها فى موضع آخر العُدراء - بفتح
العين المهملة وسكون الذال المعجمة وفتح الراء المهملة وألف بعدها - وموقعها
فى أواخر الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال فى "القانون" : وطولها ستون درجة
وعرضها ثلاث وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . وقد اختلف فى بانها : فقليل بناها

نُوحَ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ وذلك أنه لما نزل من السفينة أُشْرِفَ فَرَأَى تَلَّ حَرَّافٍ بَيْنَ نَهْرِي^(١) حَرَّافٍ وَدِيصَافٍ، فَأَتَاهُ فَبْنَى حَرَّافٌ، ثُمَّ سَارَ فَبْنَى دِمَشْقَ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى بَابِلَ فَبَنَاهَا، وَقِيلَ بَنَاهَا جَيْرُونُ بْنُ سَعْدِ بْنِ عَادٍ، وَبِهِ سَمِيَتْ جَيْرُونُ. وَيَقَالُ إِنَّ جَيْرُونُ وَبَرِيدَا كَانَا أَخَوَيْنِ وَهُمَا أَبْنَا سَعْدِ بْنِ لَقْمَانَ بْنِ عَادٍ، وَبِهِمَا يَعْرِفُ بَابُ جَيْرُونُ وَبَابُ الْبَرِيدِ مِنْ أَبْوَابِهَا. وَقِيلَ بَنَاهَا الْعَازِرُ: غُلَامُ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ، وَكَانَ حَبَشِيًّا وَهَبَهُ لَهُ مُرُودُ بْنُ كَعْنَانَ حِينَ خَرَجَ إِبْرَاهِيمُ مِنَ النَّارِ، وَكَانَ اسْمُهُ دِمَشْقَ فَسَمَاهَا بِاسْمِهِ.

وَفِي "كِتَابِ فَضَائِلِ الْفُرْسِ" لِأَبِي عُبَيْدٍ أَنَّ بِيورَاسِبَ مَلِكَ الْفُرْسِ بَنَاهَا. وَقِيلَ إِنَّ الَّذِي بَنَاهَا ذُو الْقَرْنَيْنِ عِنْدَ فَرَاغِهِ مِنَ السِّدِّ وَوَكَّلَ بِمَارَتِهَا غُلَامًا لَهُ اسْمُهُ دِمَشْقُشَ وَسَكَنَهَا دِمَشْقُشَ وَمَاتَ فِيهَا فَسَمِيَتْ بِهِ. وَهِيَ مَدِينَةٌ عَظِيمَةٌ الْبِنَاءِ ذَاتُ سُوَرٍ شَاهِقٍ وَلَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ: بَابُ كَيْسَانَ، وَبَابُ شَرْقَى، وَبَابُ تُوْمَا، وَبَابُ الصَّغِيرِ، وَبَابُ الْجَلَابِيَّةِ، وَبَابُ الْفَرَادِيسِ، وَالبَابُ الْمَسْدُودُ.

وَرَوَى الْحَافِظُ بْنُ عَسَاكَرٍ عَنْ أَبِي الْقَاسِمِ تَمَّامِ بْنِ مُحَمَّدٍ: أَنَّ بَانِيَهَا جَعَلَ كُلَّ بَابٍ مِنْ هَذِهِ لِكَوْكَبٍ مِنَ الْكَوَاكِبِ السَّبْعَةِ، وَصَوَّرَ عَلَيْهِ صُورَتَهُ، فَجَعَلَ بَابُ كَيْسَانَ لَزَحَلٍ، وَبَابُ شَرْقَى لِلشَّمْسِ، وَبَابُ تُوْمَا لِلزُّهَرَةِ، وَبَابُ الصَّغِيرِ لِلشُّتْرِى، وَبَابُ الْجَلَابِيَّةِ لِلْمَرِيخِ، وَبَابُ الْفَرَادِيسِ لِعُطَّارِدَ، وَالبَابُ الْمَسْدُودُ لِلْقَمَرِ. وَعَلَى كُلِّ حَالٍ فَهِيَ مَدِينَةٌ حَسَنَةٌ التَّرْتِيبِ، جَلِيلَةٌ الْأَبْنِيَّةِ، ذَاتُ حَوَاجِرٍ بَنِيَتْ مِنْ جِهَاتِهَا الْأَرْبَعِ، وَغُوطَتِهَا أَحَدُ مَسْتَنْزَهَاتِ الدُّنْيَا الْعَجِيبَةِ الْمَفْضَلَةِ عَلَى سَائِرِ مَسْتَنْزَهَاتِ الْأَرْضِ، وَكَذَلِكَ الرَّبُّوَّةُ وَهِيَ كَهْفٌ فِي فَمِ وَادِيَا الْغَرْبِيِّ، عِنْدَهُ تَنْقَسِمُ مِيَاهُهَا، يَقَالُ إِنَّ بِهِ مَهْدَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَبِهَا الْجَوَامِعُ وَالْمَدَارِسُ، وَالْخَوَاقِ وَالرُّبُطُ، وَالزَّوَايَا وَالْأَسْوَاقُ الْمُرْتَبَةِ

(١) كَذَا فِي الضَّوِّ أَيْضًا وَلَمْ تَعْرِ عَلَى هَذَيْنِ الْأَسْمَيْنِ.

والديار الجليمة المذهبة السَّقْفُ المفروشة بالرخام المتنوع، ذاتُ البرك والماء الجاري .
وربما جرى الماء في الدار الواحدة في أماكن منها والماء مُحْكَمٌ عليها من جميع نواحيها
باتقان محكم، وهي في وِطَاءٍ مستوية من الأرض بارزةٌ عن الوادى المنحطِّ عن منتهى
ذيل الجبل، مكشوفةٌ الجوانب لتمرّ الهواء إلا من الشمال فإنه محجوب بجبل قاسيُون،
وبذلك تُعاب وتنسب إلى الوَخامة . قال في "مسالك الأبصار" : ولولا جبلها
الغربيُّ الملبَّس بالثلوج صيفا وشتاء، لكان أمرها في ذلك أشدَّ، وحال سُكَّانها أشقَّ؛
ولكنه درياق ذلك السم، ودواء ذلك الداء . وهي مستديرة به من جميع نواحيه .
قال في "مسالك الأبصار" : وغالب بناءها بالحجر ودورها أصغر مقادير من دور
مصر لكنها أكثر زخرفةً منها وإن كان الرخام بها أقل، وإنما هو أحسن أنواعا .
قال : وعناية أهلها بالمباني كثيرةٌ، ولهم في بسايتهم منها ما تفوق به وتحسن
بأوضاعه؛ وإن كانت حَلَبُ أجَلِّ بناءً لعنايتهم بالحجر، فِدَشَقُ أَزِينُ وأكثر رونقا
لتحكم الماء على مدينتها وتسليطه على جميع نواحيها، ويستعمل في عماراتها خَشَبُ
الحُور - بالحاء والراء المهملتين - بدلا من خشب النخل إلا أنه لا يُعْشَى بالبياض
ويكتفى بحسن ظاهره . وأشرفُ دورها ما قُرب، وأجلُّ حاضرتها ما هو في جانيها :
الغربي والشمالي .

فأما جانبها الغربيُّ ففيه قلعتها، وهي قلعة حسنة مرجلة على الأرض، تحيط بها
وبالمدينة جميعها أسوارٌ عالية، يحيط بها خندقٌ يطوف الماء منه بالقلعة . وإذا دعت
الحاجة إليه أطلق على جميع الخندق المحيط بالمدينة فيعمها، وتحت القلعة ساحةٌ
فسيحةٌ بها سُوقُ الخليل، على جانب وادٍ ينتهى فيه مما يلي القلعة إلى شرفين محيطين
به في جهتي القبلة والشمال، في ذيل كل منهما مِيدَانٌ مُمَرَّجٌ بالنبيل الأخضر، والوادى
يشق بينهما . وفي الميدان القبليّ منهما القصرُ الأَبْقَى - وهو قصرٌ عظيمٌ مبنى من أسفله

إلى أعلاه بالحجر الأسود والأصفر بتأليف غريب، وإحكام عجيب، بناه الظاهر ببيرس
 البندقدارى في سلطته، وعلى مثال بني الناصر محمد بن قلاوون القصر الأبقى بقلعة
 الجبل بمصر، وأمام هذا القصر دركاه يُدخل منها إلى دهليز القصر، وهو دهليز
 فسيح يشتمل على قاعات ملوكة مفروشة بالرخام الملون البديع الحُسن، مؤزر بالرخام
 المفصل بالصَّدف والفَصّ المذهب إلى سُجف السقوف، وبالدار الكبرى به
 إيوانان متقابلان تطل شبابيك شريقيهما على الميدان الأخضر، وغربيهما على شاطئ
 وادٍ أخضر يجري فيه نهر، وله رَفَارِفُ عالية تناغى السُحُب، تُشْرِف من جهاتها الأربع
 على جميع المدينة والغوطة .

والوادي كامل المنافع بالبيوت الملوكية والإصطبلات السلطانية والحمام وغير ذلك
 من سائر ما يحتاج إليه، وبالدكاره التي أمام القصر المتقدم ذكرها جَسْرٌ معقود على
 جانب الوادي يُتوصَّل منه إلى إيوان براني يُطلُّ منه على الميدان القبلي، استجده
 أقوش الأفوم في نيابته في الأيام الناصرية ابن قلاوون، وتُجاه باب القصر باب
 يُتوصَّل من رحبته إلى الميدان الشمالي، وعلى الشرفين المتقدم ذكرهما أبنية جليلة
 من بيوت ومناظر ومساجد ومدارس ورُبط وخَوَاقٍ وزَوَايا وحمامات ممتدة على
 جانبيين ممتدين طول الوادي .

ولهذه القلعة نائبٌ بمفردها غير نائب دِمَشْق يحفظها للسلطان ولا يُمكنُ أحدا من
 طلوعها من النائب أو غيره . وإذا دخل السلطان دِمَشْق نزل بها . وبها تَحْتُ مُلْك
 كغيرها من ديار الملك .

وأما جانبها الشمالي ويسمى العُقَيْبة، فهو مدينة مستقلة بذاتها ذات أبنية جليلة
 وعمائر ضخمة، يسكنها كثير من الأمراء والجنود، وبازاء المدينة في سفح جبل قاسيُون
 (مدينة الصالحية): ومى مدينة ممتدة في سفح الجبل بازاء المدينة في طول مدى يُشْرِف

على دِمَشْقَ وَعُصْطَها، ذاتُ بيوت ومدارس وربط وأسواق وبيوت جليلة، وبأعاليها مع ذيل الجبل مقابر دِمَشْقَ العامَّةُ ، ولكل من دِمَشْقَ والصالحية البساتينُ الأنيقة بتسلسل جداولها وتغنى دوحاتها، وبتمایل أغصانها وتغرّد أطيارها، وفي بساتين الزهرة بها العائز الضخمة ، والجواسقُ العليّة ، والبرك العميقة، والبحيرات الممتدة، تتقابل بها الأواوين والمجالس ، وتحفّ بها الغراس والنصبوب المطرزة بالسرو والمثفّ ، والخور المشوق القدّ والرياحين المتأرجة الطيب ، والفواكه الجنيّة ، والثمرات الشهيّة ، والأشياء البديعة ، التي تُغنى شهرتها عن الوصف ، ويقوم الإيجاز فيها مقام الإطناب .

ومسقى دِمَشْقَ وبساتينها من نهر يسمى بردى - بفتح الباء الموحدة والراء والدال المهملتين وبآخره ألف . أصل مخرجه من عينين : البعيدة منهما دون قرية تسمى الزبدانيّ ، ودونها عينٌ بقرية تسمى الفيحة ، بذيل جبل يخرج الماء من صدع في نهاية سفله قد عقد على مخرج الماء منه عقدٌ رومى البناء ، ثم ترّفده منابعٌ في مجرى النهر ، ثم يقسم النهر على سبعة أنهر : أربعة غربية : وهى نهر داريّا ، ونهر المزة ، ونهر القنوات ، ونهر باناس . واثنان شرقية وهما نهر يزيد ، ونهر ثورا ، ونهر بردى ممتد بينهما . فأما نهر باناس ونهر القنوات ، فهما نهر المدينة حاكمان عليها ومسلطان على ديارها ، يدخل نهر باناس القلعة ، ثم يتقسم قسمين : قسم للجامع وقسم للقلعة ، ثم يتقسم كل قسم منهما على أقسام كثيرة ويتفرق في المدينة بأصابع مقدرة معلومة ، وكذلك يتقسم نهر القنوات في المدينة ، ولا مدخل له في القلعة ولا الجامع ، ويجرى في قنيّ مدفونة في الأرض إلى أن يصل إلى مستحقاتها بالدور والأماكن على حسب

التقسيم، ثم تنصب فضلات الماء والبرك ومجاري الميضات إلى قُنيٍّ معقودة تحت الأرض، ثم تجتمع وتتَهَرَّ وتخرج إلى ظاهر المدينة لسقي البساتين .

وأما نهر يَزِيد، فإنه يجري في ذيل الصالحية المتقدم ذكرها ويشق في بعض عمارتها .
وأما بقية الأنهار، فإنها تنصرف إلى البساتين والغيطان لسقيها، وعليها القصور والبنيان خصوصاً ثوراً فإنه نيل دِمَشق، عليه جُلُ مبانيها وبه أكثر تنزهات أهلها، مَنْ يخاله يراه زُمُرْدَةً خضراء، لالغاف الأشجار عليه من الحنانين .

وبها (جامع بنى أمية) وهو جامع عظيم، بناه الوليد بن عبد الملك بن مروان في سنة ثمان وثمانين من الهجرة، وأنفق فيه أموالاً جَمَّةً حَتَّى يقال إنه أنفق فيه أربع مائة صُندوق في كل صُندوق ثمانية وعشرون ألف دينار، وإنه اجتمع في ترخيمه اثنا عشر ألف مَرَّحَمٍ . قال في "الروض المعطار" : ودَّرَعه في الطول من المشرق إلى المغرب مائتا خُطوة وهي ثلثمائة ذراع؛ وعرضه من القبلة إلى الشمال مائة خُطوة وخميس وثلاثون خُطوة وهي مائتا ذراع، وتد زُحْرَفَ بأنواع الزُحْرَفِ من القُصُوص المُدْهَبَةِ والمَرْمَرِ المصقول، وتحت نَسْرِهِ عمودان مجزَّعان بالحجرة لم يُر مثلهما، يقال إن الوليد اشتراها بألف وخمسمائة دينار، وفي المحراب عمودان صغيران يقال إنهما كانا في عرش بَلْقَيْسَ، وعند منارة الشرقية حجرٌ يقال إنه قطعةٌ من الحجر الذي ضربه موسى عليه السلام فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا .

وقد ورد أن المسيح عليه السلام يتزل على المنارة الشرقية منه، ويقال إن القبة التي فيها المحراب لم تزل مَعْبَداً لا ابتداءً عمارتها وإلى آخر وقت . بناها الصابئة متعبداً لهم، ثم صارت إلى اليونانيين فكانوا يُعْظَمُونَ فيها دينهم، ثم انتقل إلى اليهود فقتل يحيى بن زكريا عليه السلام، ونصب رأسه على باب جَيْرُون من أبوابه فأصابته بركته، ثم صار إلى النصارى فجعلتها كنيسة، ثم أفتح المسلمون دِمَشقَ فاتخذوه

جامعها، وعلق رأس الحسين عليه السلام عند قتله في المكان الذي علق عليه رأس يحيى بن زكريا إلى أن جدده الوليد، ويقال إن رأس يحيى عليه السلام، مدفون به، وبه مصحف عثمان الذي وجه به إلى الشام.

قال في "الروض المعطار": ويقال إن أول من وضع جداره الأول هود عليه السلام. وقد ورد في أثر أنه يُعبد الله تعالى فيه بعد خراب الدنيا أربعين سنة.

الجملة الثانية

(في نواحيها وأعمالها وما يدخل تحت حكم الولايات)

وقد ذكر في "التعريف" أن ولايتها من لدن العريش: حد مصر إلى آخر سلمية مما هو شرق بشمال وإلى الرحبة مما هو شرق بجنوب. قال: وقد أضيف إليها في زمن سلطاننا بلاد جعبر، وكان من حتمها أن تكون مع حلب. وحينئذ فتكون ولايتها مشتملة على الشام الأعلى المتقدم ذكره وما يليه وما يلي ما يليه، وبعض الشام الأدنى، وليس يخرج عنه من ذلك إلا حماة وما خرج مع صفد وطرابلس والكرك. قال: ويكون في نيابة نائبها غزاة ونيابة حمص وبعض شيء مما يقتضى الحق أن يكون مع حلب. وتشتمل على بر وأربع صفقات.

فأما البر فالمراد به ضواحيها. قال في "التعريف": وحدها من القبلة قرية الحيارة المجاورة للكسوة وما هو على سمتها طولاً، ومن الشرق الجبال الطوال إلى النبك وما على سمتها من القرى آخذاً على عسان^(١) وما حولها من القرى إلى الزبداني، ومن الغرب ما هو من الزبداني إلى قرى القران المسامطة للحيارة المتقدم ذكرها. قال: ويدخل في ذلك مرج دمشق وغوطتها.

(١) في الأصل والضوء باللام [والصحيح عن ياقوت].

وأما صَفَقَاتُهَا، فأربع صَفَقَات .

الصفقة الأولى

(الساحلية والجبليّة)

وهي الصَّفَقَةُ الغربيّة عن دمشق . قال في "مسالك الأبصار" : وهي عبارة عن بلاد غَزَّة وما جاورها سهلاً ووعراً .

قال في "التعريف" : وهذه الصفقة هي الشام الأعلى، ينتقص منه ماهو من نهر الأردنّ إلى حدِّ قاقون . ثم هذه الصفقة لها جهتان .

الجهة الأولى

(الساحلية؛ وهي التي بساحل بحر الروم المتقدّم ذكره،

وتشتمل على أربعة أعمال)

الأوّل - (عمل غَزَّة) - بفتح الغين المعجمة وتشديد الزاي المعجمة أيضاً . وفي آخرها هاء - وهي مدينة من جُنْدِ فِلَسْطِينَ، في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" : طولها ست وخمسون درجة وعشر دقائق، وعرضها اثنتان وثلاثون درجة . وقال ابن سعيد : طولها سبع وخمسون درجة، وعرضها اثنتان وثلاثون درجة، وهي على طَرَفِ الرمل بين مضر والشام؛ أخذةً بين البر والبحر بجانبها، مبنيةً على تَشْرَعَالٍ على نحو ميل من البحر الروميّ، متوسطة في العِظَم، ذات جوامع، ومدارس، وزوايا، وبمارستان، وأسواق؛ صحيحةُ الهواء، وشرب أهلها من الآبار، وبها أمكنة يجتمع بها المطر إلا أنه يُسْتَقَلُّ في الشرب فيعدل منه إلى الآبار لَخْفَةِ مائها، وبساحلها البساتين الكثيرة . وأجلُّ فاكهتها العِنْبُ والتِّينُ، وبها بعض النخيل، وبرّها ممتد إلى تيه بنى إسرائيل من قبلها، وهو موضع زرع

وماشية إلا أن أهل برها عُسْرَانُ^(١) بعضهم أعداء بعض . ولولا خوف سطوة السلطنة لما أُعْمِدَ سيفُ الفتنه بينهم ولا جتاحوا المدينة ومن فيها .

قلت : والحال فيها مختلف : فأكثر الأحيان هي مقدمة عسكر مضافة إلى دِمَشْقَ ، ياتمر مقدم العسكر فيها بأمر نائب السلطنة القائم بِدِمَشْقَ ، ولا يُمَضَى أمرًا دون مراجعته وإن كانت ولايته من الأبواب السلطانية ، وتارة تكون نيابةً مستقلةً وتضاف إليها الصفقة الساحلية بكاملها فيكون لها حكم النيابات .

الثاني - (عمل الرَّمْلَة) . بفتح الراء المهملة وسكون الميم وفتح اللام وفي آخرها هاء - وهي مدينة من جند الأُرْدُنِّ ، موقعها في الإقليم الثالث . قال في "الأطوال" : طولها ست وخمسون درجة وخمسون دقيقة ، وعرضها اثنتان وثلاثون درجة وعشر دقائق . وقال في "القانون" : طولها ست وخمسون درجة وعشرون دقيقة ، وعرضها اثنتان وثلاثون درجة وأربعون دقيقة . وقال في "تقويم البلدان" : القياس أن طولها ست وخمسون درجة وست وعشرون دقيقة ، وعرضها اثنتان وثلاثون درجة وثلاث وعشرون دقيقة .

وهي مدينة إسلامية بناها سليمان بن عبد الملك في خلافة أبيه عبد الملك . قال في "الروض المعطار" : وسميت الرَّمْلَة لغلبة الرمل عليها . وقال في "مسالك الأبصار" : سميت بأمرأة أسمها رَمْلَة ، وجدها سليمان بن عبد الملك هناك في بيتٍ شَعَرَ حين نزل مكانها يرتاد بناءها ، فأكرمته وأحسنَت نُزْلَه ، فسألها عن أسمها فقالت رَمْلَة ، فبنى البلد وسمّاها بِأسمها . قال في "العزيزي" : وهي قَصَبَة فِلَسْطِينَ ، وهي في سهل من الأرض ، وبينها وبين القُدْس مسيرة يوم . قال في "الروض المعطار" : وبينها وبين نابلس يوم ، وبينها وبين قيسارية مرحلة ، وكان عبدُ الملك قد أجرى إليها قناة

ضعيفة للشرب منها، وأكثر شربهم الآن من الآبار ومن صهاريج يجتمع فيها ماء المطر، وهي مَقَرَّةُ الكاشف بتلك الناحية .

ومينّاها مدينة يَافَا - بفتح المثناة من تحت وألف وفاء ثم ألف في الآخر - وهي مدينة صغيرة بالساحل، وهي في الغرب عن الرملة وبينهما ستة أميال .

الثالث - (عمل لُد) - بضم اللام وتشديد الدال المهملة - وهي بلدة من جُنْدِ فِلَسْطِينَ واقعةٌ في الإقليم الثالث شرقاً بشمال عن الرملة، وبينهما ثلاثة فراسخ، ولم يتحرّلى طولها وعرضها، غير أنها نحو الرملة في ذلك: لقربها منها أو أطول وأعرض بقليل . وهي مدينة قديمة كانت هي قصبة فِلَسْطِينَ في الزمن الأول إلى أن بنيت الرملة فتحول الناس إليها وتركوا لُدّا، وقد ثبت في الصحيح أن المسيح عليه السلام يقتل الدجال ببابها .

الرابع - (عمل قَاقُون) - بفتح القاف وبعدها ألف ثم قاف ثانية مضمومة - وهي مدينة لطيفة غير مُسَوَّرة، بها جامع وحمام وقلعة لطيفة، وشربها من ماء الآبار، ولم يتحرّر لى طولها وعرضها، إلا أن بينها وبين لُد مسيرة يوم فلتعتبر بها بالتقريب .

الجهة الثانية

(الجبلية، وبها ثلاثة أعمال)

الأول - (عمل القُدُس) . والقُدُس بضم القاف والدال لفظ غلب على مدينة بيت المقدس - بفتح الميم وسكون القاف وكسر الدال المهملة - وهو المسجد الأقصى، وأصل التقديس التطهير، والمراد المُطَهَّر من الأدناس . وهي مدينة من جُنْدِ فِلَسْطِينَ واقعةٌ في الإقليم الثالث . قال في "الأطوال": طولها ست وخمسون درجة وثلاثون دقيقة، وعرضها إحدى وثلاثون درجة وخمسون دقيقة . قال في "تقويم البلدان": والقياس أن طولها سبع وخمسون درجة وثلاثون دقيقة، وعرضها ثلاثون درجة .

وهى مبنية على جبل مستدير، وعرة المسلك؛ وبنائها بالمجر والكلس؛ وغالب حجرها أسود؛ وشرب أهلها من ماء المطر المجتمع بصهاريج المسجد الأقصى وعين تجرى إليها عن بُعد، وكذلك عين سلوان وليس مأواها بالكثير، وكان بها آثار قلعة قديمة خربت بفتحها الناصر "محمد بن قلاوون" فى سنة ست عشرة وسبعائة، وليس بها حصانة، وكانت المدينة كلها قد غلب عليها الخراب من حين استيلاء الفرنج عليها، ثم تراجع أمرها للعمارة، وصارت فى نهاية الحسنى؛ بها المدارس والرط والحمامات والأسواق وغيرها. والمسجد الأقصى هو أحد المساجد الثلاثة التى تشد إليها الرحال، وهو القبلة الأولى.

قال فى "الروض المعطار": وأول من بنى بيت المقدس وأرى موضعه يعقوب عليه السلام، وقيل داود. والذى ذكره فى "تقويم البلدان" أن الذى بناه سليمان ابن داود عليهما السلام وبقى حتى خربه مجتنصر، فبناه بعض ملوك الفرس وبقى حتى خربه طيطوس ملك الروم، ثم بقى ورثم؛ وبقى حتى تنصر قسطنطين ملك الروم وأمه هيلانة وبنّت أمه قمامة على القبر الذى يزعم النصارى أن المسيح عليه السلام دفن فيه، وخربت البناء الذى كان على الصخرة وجعلتها مطرحة لقمامات البلد عنادا لليهود؛ وبقى الأمر على ذلك حتى فتح أمير المؤمنين: عمر بن الخطاب رضى الله عنه القدس فدل على الصخرة فنظف مكانها وبنى عليها مسجدا، وبقى حتى ولى الوليد ابن عبد الملك الخليفة فبناه على ما هو عليه الآن. على أن المسجد الأقصى على الحقيقة جميع ما هو داخل السور، وعلى القرب من المسجد الصخرة التى ربط النبى صلى الله عليه وسلم بها البراق ليلة الإسراء، وهى حجر مرتفع مثل الدكة ارتفاعها من الأرض نحو قامة، وتحتهما بيت طوله بسطة فى مثلها، ينزل إليها بسلم وعليها قبة دالية، بناها الوليد بن عبد الملك حين بنى المسجد الأقصى.

قال المهلبى فى كتابه "العزىزى" : ولما بناها الوليد بنى هناك عِدَّة قِباب وسمى كل واحدة منها بأسم : وهى قُبَّة المعراج ، وقبة الميزان ، وقُبَّة السُّلْسِلَة ، وقبة المحشَر . قال فى "مسالك الأبصار" : وإلى الصخرة المتقدمة المذكورة قِبَلَة اليهود الآن ، وإليها حُجَّهم . وبه القُمامَة التى تحجها النصارى من أقطار الأرض ، وبيت لَحْم الذى هو من أجلّ أَمَا كن الزيارة عندهم ، وكان به كنيسة للروم يقال إن بها قبر حَنَّة أُم مريم بنت عمران عليها السلام ثم صارت فى الإسلام دَارَ علم . فلما ملك الفَرنج القُدُس فى سنة آثنتين وتسعين وأربعمائة أعادوها كنيسة ، فلما فتح السلطان صلاح الدين القُدس بنى بها مدرسة . وكان آسَمها فى الزمن الأول إيليا . والأرض المقدسة مشتملة على بيت المقدس وما حوله ، إلى نهر الأُرْدنَّ المسمى بالشرية ، إلى مدينة الرَّمْلَة طولاً ، ومن البحر الشامى إلى مدائن لُوط عليه السلام ، وغالبها جبال وأودية إلا ماهو فى جَنابها .

الثانى - (عمل بلد الخليل عليه السلام) . وآسَمها بيت حَبْرُونَ بإضافة بيت واحد البيوت إلى حَبْرُونَ (بحاء مفتوحة وباء موحدة ساكنة وراء مهملة مضمومة بعدها واو ساكنة ونون) كذا ضبطه فى "تقويم البلدان" : وفى كلام صاحب "الروض المعطار" : ما يدل على إبدال الحاء بيمين والباء الموحدة بمثناة تحت ، فإنه ذكرها فى حرف الحيم فى سياقة الكلام على تسمية دِمَشْقَ حَبْرُونَ . وهى بلدة من جُنْدِ فَلَسطين فى الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة ، طولها فى بعض الأزياج ست وخمسون درجة وثلاثون دقيقة ، وبها قبر إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام ونسائهم ، وهى إحدى القرى التى أقطعها النبى صلى الله عليه وسلم ! لتيم الدارى كما سيأتى ذكره فى الكلام على المناشير إن شاء الله تعالى .

الثالث - (عمل نَابِلَس) - بفتح النون وألف وضم الباء الموحدة واللام وسين مهملة في آخرها - مدينة من جُنْدِ الْأُرْدُنِّ من الإقليم الثالث . قال في "كتاب الأطوال" : طُولُهَا سَبْعٌ وَخَمْسُونَ دَرَجَةً وَثَلَاثُونَ دَقِيقَةً ، وَعَرْضُهَا ثَلَاثُونَ دَرَجَةً . وقال في "تقويم البلدان" : القياس أن طولها ست وخمسون درجة وأربع وعشرون دقيقة ، وعرضها على ما تقدّم . قال في "مسالك الأبصار" : وهي مدينة يُحْتَاجُ إِلَيْهَا وَلَا تَحْتَاجُ إِلَى غَيْرِهَا . قال ابن حوقل : وليس بِفِلَسْطِينَ بِلَدَةٍ فِيهَا مَاءٌ جَارٍ سِوَاهَا ، وَبَاقِي ذَلِكَ شَرَبَ أَهْلُهُ مِنَ الْمَطَرِ وَزَرَعَهُمْ عَلَيْهِ ، وَبِهَا الْبُئْرُ الَّتِي حَفَرَهَا يَعْقُوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَهِيَ مَدِينَةُ السَّامِرَةِ ، وَكَانَتْ السَّامِرَةُ فِي الزَّمَنِ الْمَتَقَدِّمِ لَا تَوُجَدُ إِلَّا بِهَا ، وَبِهَا الْجَبَلُ الَّذِي يَحِجُّ إِلَيْهِ السَّامِرَةُ ، وَسَيَأْتِي الْكَلَامُ عَلَى الْمَوْجِبِ لِتَعْظِيمِهِ عِنْدَهُمْ عِنْدَ الْكَلَامِ عَلَى تَحْلِيفِهِمْ فِي بَابِ الْإِيمَانِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الصفقة الثانية

(القبيلة)

سميت بذلك لأنها قَبِيلُ دِمَشْقَ . قال في "مسالك الأبصار" : وتشتمل على بلاد حَوْرَانَ وَالْغَوْرَ وما مع ذلك . قال في "التعريف" : وحدّها من القبلة جبال الْغَوْرِ الْقَبْلِيَّةِ المجاورة لِمَرْجِ بْنِ عَامِرٍ ، وَمِنَ الشَّرْقِ الْبَرِّيَّةُ ، وَمِنَ الشَّمَالِ حُدُودُ وِلَايَةِ بَرَدِ دِمَشْقَ الْقَبْلِيَّةِ ، وَمِنَ الْغَرْبِ الْأَغْوَارُ إِلَى بِلَادِ الشَّقِيفِ . قال : والأغوار كلّها داخلّة في هذه الصفقة خلا ما يختص بالكرك .

وتشتمل هذه الصفقة على عشرة أعمال .

الأول - (عمل بَيْسَانَ) - بفتح الباء الموحدة وسكون الياء المثناة تحت وفتح السين المهملة وألف ونون - مدينة من جُنْدِ الْأُرْدُنِّ من الإقليم الثالث . قال

في "الأطوال" : طولها ثمان وخمسون درجة، وعرضها اثنتان وثلاثون درجة وخمسون دقيقة . وقال في "تقويم البلدان" : القياس أن طولها سبع وخمسون درجة وثلاثون دقيقة ، وعرضها اثنتان وثلاثون درجة وسبع وعشرون دقيقة . وهي مدينة صغيرة بلا سور، ذات بساتين وأشجار وأنهار وأعين، كثرة الحُصْب واسعة الرزق، ولها عين تشقُّ المدينة، وهي على الجانب الغربي من الغور .

قال في "التعريف" : وهي مدينة الغور، وبها مقر الولاية . قال في "مسالك الأبصار" : ولها قلعة من بناء الفرنج . قال في "الروض المعطار" : ويقال إن طالوت قتل جالوت هناك .

الثاني - (عمل بانياس) - بياء موحدة وألف ونون وياء مثناة تحت وألف ثم سين مهملة - مدينة من جُندِ دِمَشْقَ واقعة في الإقليم الثالث . قال في "تقويم البلدان" : طولها ثمان وخمسون درجة، وعرضها ثلاث وثلاثون درجة . قال : وهي على مرحلة ونصف من دِمَشْقَ من جهة الغرب بميلة إلى الجنوب . قال في "العزري" : وهي في لحف جبل الثلج ، وهو مطلٌ عليها والثلج على رأسه كالعمامة لا يُعَدُّ منه شتاءً ولا صيفاً . قال في "مسالك الأبصار" : وهي مدينة الجولان، وبها قلعة الصَّبِيَّة (بضم الصاد المهملة وفتح الباء الموحدة وسكون الياء المثناة تحت وفتح الباء الموحدة وهاء في الآخر) . قال في "التعريف" : وهي من أجلّ القلاع وأمنعها .

الثالث - (عمل الشعرا) - بفتح الشين المعجمة وسكون العين المهملة وفتح الراء المهملة وبعدها ألف - وهي عن بانياس المتقدمة المذكور شرق بجنوب، وطوله ما بين بانياس إلى جبل الثلج . قال في "التعريف" : والولاية بها تكون تارة بقرية حان (بالحاء المهملة) وتارة بقرية القنيطرة تصغير قنطرة ، ولم يتجزر لي طولها ، وعرضها فلتعتبرا بما قاربهما من الأعمال .

الرابع - (عمل نوى) - بفتح النون والواو وألف في الآخر - وهي بلدة صغيرة، عن دِمَشْقَ في جهة الغرب إلى الجنوب على نحو مرحلة ، وهي مدينة قديمة من أعمال دِمَشْقَ ، بها قبر أيوب النبي عليه السلام ، وإليها ينسب الشيخ محيي الدين النووي الشافعي رحمه الله ، ولم يتحرر لى طولها وعرضها فلتعتبر بما قاربها أيضا ، وهي عن عيين الشعرا المتقدم ذكرها شرق بجنوب أيضا .

الخامس - (عمل أذرعات) - بفتح الهمزة وسكون الذال المعجمة وفتح الراء^(١) والعين المهملتين وألف ثم تاء مشناة من فوق في الآخر - قال في "الروض المعطار" : ويجوز فيها الصرف وعدمه . قال : والتاء في الحالين مكسورة . وقال الخليل بن أحمد : من كسر الألف لم يصرّف ؛ وهذا صريح في حكاية كسر الألف في أولها . ويقال لها يذرعات بياء مشناة تحت بدل الألف - وهي مدينة من أعمال دِمَشْقَ من الإقليم الثالث . قال في "كتاب الأطوال" : طولها ستون درجة ، وعرضها إحدى وثلاثون درجة وخمس وأربعون دقيقة - وهي مدينة البثينة ، وبينها وبين الصنمين ثمانية عشر ميلا . قال في "التعريف" : وبها ولاية الحاكم على مجموع الصفة ، وقد كان قديما بغيرها .

السادس - (عمل عجلون) - بفتح العين وسكون الجيم وضم اللام وسكون الواو ونون في آخره - قلعة من جند الأردن في الإقليم الثالث ، طولها ثمان وخمسون درجة وعشر دقائق ، وعرضها ثلاثون درجة وعشر دقائق . مبنية على جبل يعرف بجبل عوف المتقدم ذكره في جبال الشام المشهورة تُشْرِف على الغور . وهي محدثة البناء بناها عز الدين أسامة بن منقذ : أحد أكابر أمراء السلطان صلاح الدين يوسف ابن أيوب في سنة ثمانين وخمسمائة . قال في "مسالك الأبصار" : وكان مكانها [دير به]

(١) كذا في التقويم أيضا وفي المعجم [وكسر الراء] وفي القاموس [بكسر الراء وفتح] .

راهب اسمه عَجْلُونُ فسميت به . قال في "التعريف" : وهو حصن جليل على صِغَرِهِ ، وله حصانة ومنعة منيعة . ومدينة هذه القلعة الباعونة (بفتح الباء الموحدة وألف بعدها ثم عين . مضمومة وواو ساكنة ونون مفتوحة وفي آخرها هاء) وهي على شوط فرس من عَجْلُون . قال في "المسالك" : وكان مكانها دَيْرًا أيضا به راهب اسمه باعونة فسميت المدينة به ، وهما شرقي بيسان المتقدم ذكرهما

السابع - (عمل البلقاء) . قال في "الروض المعطار" : سميت بالبقاء بن سورية من بني عَمَّان بن لوط ، وهو الذي بناها . قال في "تقويم البلدان" : وهي إحدى كَوَرِ الشَّراة ، وهي عن أريحا في جهة الشرق على مرحلة ، ومدينة هذا العمل حُسبان (بضم الحاء وإسكان السين المهملة وفتح الباء وبعدها ألف ونون) وهي بلدة صغيرة ولها واد وأشجار وأرحية وبساتين وزروع .

قال في "مسالك الأبصار" : ومن هذا العمل (الصَّلْتُ) - وهي بألف ولام لازمين في أوله وفتح الصاد المهملة المشددة وسكون اللام وبعدها تاء مثناة - بلدة لطيفة من جند الأردن في جبل الغور الشرقي في جنوب عَجْلُون على مرحلة منها ، وبها قلعة بناها المعظم عيسى بن العادل أبي بكر بن أيوب ، وتحت القلعة عين واسعة يجري مائها حتى يدخل البلد ، وهي بلدة عامرة أهلة ذات بساتين وفواكه . قلت : وكلامه في "التعريف" قد يخالف كلامه في "مسالك الأبصار" في جعل الصَّلْتُ من عمل حُسبان ، فإنه قال : وأولها من جهة القبلة البلقاء ومدينتها حُسبان ، ثم الصَّلْتُ ، ثم عَجْلُون ، وعَجْلُون عمل مستقل كما تقدم ، ومقتضاه أن يكون الصَّلْتُ أيضا عملا مستقلا . وكذا رأيته في "التذكرة الآمدية" نقلا عن شهاب الدين ابن الفارقي أحد كتّاب الإنشاء بدمشق في الدولة الناصرية ابن قلاوون ، وأخبرني بعض

كُتِبَ الإنشاء أن المستقرَّ الصَّلْت فقط والبقاء مضافة إليها، وعليه يدل كلام القاضى تقي الدين بن ناظر الجليش في "التتقيف" فإنه قال : ومن كُتِبَ إليه من الولاية بالمالك الشامية في قديم الزمان - ولعله في الأيام الشهيدة - وإلى الصَّلْت والبقاء فيما نقل عن خط المرحوم نصر الدين بن النشائي كاتب الدست الشريف .

الثامن - (عمل صرحد) - بفتح الصاد وإسكان الراء المهملتين وفتح الحاء المعجمة ودال مهملة في آخره - بلدة صغيرة ذات يساتين وكروم وليس بها ماء سوى ما يجتمع من ماء المطر في الصهاريج والبرك . قال ابن سعيد : وليس وراء عملها من جهة الجنوب وإلى الشرق إلا البرية^١، ومنها تسلك طريق تعرف بالرصيف إلى العراق يصل المسافرون منها إلى بغداد في نحو عشرة أيام . قال في "التعريف" : وبها قلعة وكان بها ملك من المسالك المعظمية . قال في "مسالك الأبصار" : وهي محدثة البناء بُدِئَتْ قبل نور الدين الشهيد بقليل ، ولما وصلت عساكر هولاكو ملك التتار إلى الشام هدموا شرفاتها وبعض جذرانها فجدها الظاهر ببيرس ، وهي على ذلك إلى الآن .

التاسع - (عمل بصرى) - بضم الباء الموحدة وسكون الصاد المهملة وألف في الآخر - هكذا هو مقيد بالشكل في كتب اللغة والحديث والمسالك والممالك وجارٍ على الألسنة، ووقع في "تقويم البلدان" ضبطه بفتح أوله فلا أدري أهو سبق قلم أو غلط من النسخة أو أخذه من كلام غيره، وهي مدينة بحوران من أعمال دمشق واقعة في الإقليم الثالث . قال في "كتاب الأطوال" و"القانون" : طولها تسع وخمسون درجة وعشرون دقيقة، وعرضها إحدى وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة .

(١) الذى في "تقويم البلدان" طبع باريس سنة ١٨٤٠ م ضبطه بضم الباء الموحدة كما هو المشهور ، فعمل نسخة التقويم كانت كذلك فأصلحها المصحح ولم ينبه .

قال في "مسالك الأبصار" : وهي مدينة حَوْرَانَ السفلى ، بل حَوْرَانُ كلها ، بل الصفقة جميعها ، وكلامه في "التعريف" يوافق ، وهي مدينة أَرْزَلِيَّة مبنية بالحجارة السود ، ولها قلعة ذات بناء مَتِين شبيه ببناء قلعة دِمَشْق . قال في "التعريف" : وكانت دار مُلْك لبني أيوب ، وقد ثبت في الصحيح من حديث الخندق أنه (صلى الله عليه وسلم) . قال "ثم ضربتُ الضربة الثالثة فلاحَت لي مِنْهَا قُصُور بُصْرَى كأنها أنيابُ الكَلَابِ" وهي التي وجد النبي صلى الله عليه وسلم بها بحيرا الراهب وآمن به حين قدم تاجرا لخديجة بنت خُوَلَيْد قبل البعثة ، وقبر بحيرا هناك مشهور يزار ، وقد تقدم الكلام عليها فأغنى عن إعادته هنا .

العاشر - (عمل زُرْع) - بضم الزاي المعجمة وفتح الراء المهملة وعين مهملة في الآخر - وهي بلدة من بلاد حَوْرَانَ لها عملٌ مستقلٌ ، ولم يتحرر لي طولها وعرضها . قال في "التعريف" : وقد يتصل عمل بُصْرَى بأذرعاتٍ لوقوع زُرْع متشاملة .

الصفقة الثالثة

(الشمالية)

سميت بذلك لأنها عن شَمَال دِمَشْق . قال في "مسالك الأبصار" : وهي ساحليَّة وجبليَّة . قال في "التعريف" : وحدّھا من القبلة حدّ ولاية دِمَشْق الشماليّ وبعض الغربيّ ، وحدّھا من الشرق قرية جُوسِيَّة التي بين القرية المعروفة بالقَصَب من عمل حمص وبين القرية المعروفة بالفيجة من عمل بَعْلَبَك ، وحدّھا من الشمال مرج الأسَل المستقل عن قائم الهرمل حيث يمدّ العاصي بطراً بُلُس ، وكل ما تشامل عن جبل لُبْنَانَ إلى البحر ، وحدّھا من المغرب ما هو على سمت البحر منحدرًا عن صور إلى حدّ ولاية بَرَدِمَشْق القبليّ والغربيّ .

وتشتمل هذه الصفقة على خمسة أعمال .

الأول - (عمل بَعْلَبَكَّ) - بفتح الباء الموحدة وسكون العين المهملة وفتح اللام والباء الموحدة الثانية وفي آخرها كاف - هكذا ضبطه في "تقويم البلدان" والجارى على السنة الناس فتح العين وإسكان اللام . قال في "الروض المعطار" : وكان لأهلها صَمٌّ يدعى بَعْلًا ، فالبعل أسم للصنم ، وبَكَّ أسم الموضع فسميت بعليك لذلك . قال : وإليهم بُعث النبي إلياس عليه السلام ، وكأنه يشير بذلك إلى ما قصه الله تعالى في سورة الصافات بقوله : ﴿ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴾ وكان فتحها في سنة أربع عشرة من الهجرة ، وهى مدينة من أعمال دِمَشْق واقعة في الإقليم الرابع طولها ستون درجة ، وعرضها ثلاث وثلاثون درجة وخمسون دقيقة ، وهى مدينة شمالي دِمَشْق ، جليلة البناء ، نبيهة الشان ، قديمة البنيان ، يقال إنها من بناء سليمان عليه السلام . قال في "مسالك الأبصار" : وهى مختصرة من دِمَشْق فى كمال محاسنها وحسن بنائها وترتيبها ، بها المساجد والمدارس والرُّبُط والخوانق والزوايا والبيارستان والأسواق الحسنة ، والماء جار فى ديارها وأسواقها ، وفيها يعمل الدهان الفائق من الماعون وغيره ويحمل منها إلى غالب البلدان مع كونها واسعة الرزق رخيصة السعر ، وكانت دار مُلْك قديم ، ومن عُشها درج "نجم الدين أيوب" ، والد الملوك الأيوبية رحمه الله ، وبها قلعةٌ حصينةٌ جليلة المقدار من أجل البنيان وأعظمه ، وهى مرحلة على وجه الأرض كقلعة دِمَشْق . قال في "التعريف" : بل إنما بنيت قلعة دِمَشْق على مثالها ، وهى هات لا تعد من أمثالها ! وأين قلعة دِمَشْق منها وحجارتها تلك الجبال الثوابت ، وعمدها تلك الصخور النوابت .

قَدْ يَبْعُدُ الشَّيْءُ مِنْ شَيْءٍ يُشَابِهُهُ * إِنَّ السَّمَاءَ نَظِيرُ الْمَاءِ فِي الزَّرَقِ

وبهذه القلعة من عمارة مَنْ نزل بها من الملوك الأيوبية آثارٌ ملوكية جليلة ، ويستدير بالمدينة والقلعة جميعاً سورٌ عظيم البناء مبنيٌّ بالحجارة العظيمة المقدار الشديدة الصلابة ، ويحُفُّ بذلك غُوطَة عظيمة أُنِيَقَةٌ ذات بساتين مشتبكة الأشجار بها الثمار الفائقة ، والفواكه المختلفة . وبظاهرها عين ماء متسعة الدائر مأوؤها في غاية الصفاء بين مروج وبساتين ، يمتد منها نهر يتكسّر على الحصباء في خلال تلك المروج إلى أن يدخل المدينة ، ويتقسّم في بيوتها وجهاتها . وعلى البعد منها عينٌ أخرى تُعرف بعين اللوح (?) في طَرَفٍ بساتينها ، منها فرع إلى الجانب الشمالى من المدينة ، ويصب في قناة هناك ويدخل منه إلى القلعة ، وبخارجها جبلٌ لُبْنَانٌ المعروف بعُشِّ الأولياء .

الثانى - (عَمَلُ الْبِقَاعِ الْبَعْلَبَكِيِّ) - بوصف البقاع - بكسر الباء الموحدة وفتح القاف وبعدها ألف ثم عين مهملة - بالبعليكي ، نسبة إلى بعلبك لقربه منها . قال في "التعريف" : وليس له مقر ولاية .

الثالث - (عَمَلُ الْبِقَاعِ الْعَزِيزِيِّ) - بوصف البقاع بالعزيزي نسبة إلى العزيز عكس الذليل ، وكأنه نسبة إلى الملك العزيز ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب رحمه الله . قال في "التعريف" : ومقرُّ الولاية به كَرَكُ نوح عليه السلام . قال : وهاتان الولايتان الآن منفصلتان عن بَعْلَبَك ، وهما مجموعتان لوالٍ جليل مفرد بذاته .

الرابع - (عَمَلُ بَيْرُوتَ) - بفتح الباء الموحدة وسكون الياء المثناة تحت وضم الراء المهملة وواو وتاء مثناة من فوق في آخرها - وهى مدينة من الإقليم الثالث بساحل دِمَشْقَ . قال في "كتاب الأطوال" : طولها ثمان وخمسون درجة وخمس وخمسون دقيقة ، وعَرْضُها ثلاث وثلاثون درجة وعشرون دقيقة . وهى مدينة جلييلة على ضَفَةِ البحر الرومى ، عليها سُورَان من حجارة ، وفيه كان يتزل الأوزاعى الفقيه

المشهور، وبها جبل فيه معدن حديد، ولها غيضة من أشجار الصنوبر سعتها اثنا عشر ميلاً في التكسير، تتصل إلى تحت بُنَّان المقدم ذكره . قال في "تقويم البلدان" : وشرب أهلها من قناة تجرى إليها . وقال في "مسالك الأبصار" : شرب أهلها من الآبار . قال ابن سعيد : وهي فُرْضة دِمَشْقَ ولها مينا جليلة ، وفي شمالها على الساحل مدينة جُبَيْل تصغير جبل . قال في "الروض المعطار" : بينهما ثمانية عشر ميلاً . قال في "العزيزي" : وبينها وبين بَغْلَبَكَّ على عَقْبَةِ الْمُغِيثَةِ ستة وثلاثون ميلاً .

الخامس - (عمل صيداً) - بفتح الصاد المهملة وسكون المثناة تحت وفتح الدال المهملة وألف مقصورة في الآخر - وهي مدينة بساحل البحر الرومي ، واقعة في الإقليم الثالث ، ذاتُ حَصْنَيْنِ حَصْنَيْنِ . قال ابن القَطَّامِي سميت بصَيْدُونِ بن صدقا بن كَنْعَانَ ابن حام بن نوح عليه السلام ، وهو أول من عمرها وسكنها . وقال في "الروض المعطار" : سميت بأمرأة . وشرب أهلها من ماء يجري إليهم من قناة . قال في "العزيزي" : وبينها وبين دِمَشْقَ ستة وثلاثون ميلاً . قال في "مسالك الأبصار" : وكُورَتُهَا كثيرة الأشجار، غزيرة الأنهار . قال في "الروض المعطار" : وبها سَمَكٌ صغار له أَيْدٍ وأرجل صغار إذا جُفِّفَ وسُحِّقَ وشرب بالماء، أنعط إنعاطاً شديداً . قال في "المسالك" : وهي ولاية جليلة واسعة العمل ممتدة القرى، تشتمل على نيف وستائة ضيعة .

الصفحة الرابعة

(الشرقية؛ وهي على ضرين)

الضرب الأول

(ما هو داخل في حدود الشام، وهو غربي الفرات)

قال في "التعريف": وحدّها من القبلة قرية القَصَب المجاورة لقرية جُوسِيّة المَقدّم ذكرها، أخذاً على النَّبَك إلى القَرَيَتَيْنِ؛ وحدّها من الشرق السَّهَوَة إلى الفُرات ويتّهى إلى مدينة سَلَمِيّة إلى الرّسْتَنِ؛ وحدّها من الغرب نهر الأَرْنُط وهو العاصى، وتشتمل على خمسة أعمال أيضا .

الأول - (عملٍ مَحْص) - بكسر الحاء المهملة وسكون الميم وصادمهملّة في الآخر. قال في "الروض المعطار": ولا يجوز فيها الصرف كما يجوز في هِنْدٍ لأن هذا اسم أعجميّ . قال: وسميت برجل من العالِق اسمُه مَحْصٌ هو أوّل من بناها . قال الزجّاجيّ: هو حص بن المَهر بن حاف بن مكنف^(١)، وقيل برجل من عاملة هو أوّل مَنْ نزلها، وأسمها القديم سُورِيَا (بسين مهملة مضمومة وواو ساكنة وراء مهملة مكسورة وياء مشددة تحت مفتوحة وألف في الآخر) . وبه كانت تسميها الروم، وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "تقويم البلدان": والقياس أن طولها إحدى وستون درجة، وعرضها أربع وثلاثون درجة وعشرون دقيقة، وهي مدينة جليّة، وقاعدة من قواعد الشام العظام . قال في "التعريف": وكانت دارُ مُلْكٍ للبيت الأَسَدِيّ يعنى أسد الدين شيركوه عم السلطان صلاح الدين يوسف ابن أيوب . قال: ولم يزل مِلِكُهَا في الدولة الأيوبية سطوةً تُخَاف وبأسٌ يَخْشَى، وهي في وَطَاءَةٍ من الأرض ممتدة على القرب من النهر العاصى، ومنه شرب أهلها، ولها منه

(١) كذا في النص. أيضا وفي "معجم البلدان" ابن جان .

ماء مرفوعٌ يجرى إلى دار النيابة بها وبعض مواضع بها . قال في "مسالك الأبصار" :
وبها القلعة المصفحة وليست بالمنيعة ، ويحيط بها وبالبلد سورٌ حصين هو أمنع
من القلعة . قال في "العزيزى" : وهى من أصح بلاد الشام هواءً ، وبسطها
بحيرة صافية الماء ، ينقل السمك إليها من الفرات حتى يتولد فيها ، والطير مبنوث
في نواحيها . قال ابن حوقل : وليس بها عقارب ولا حيات . وقد تقدم في الكلام
على خواص الشام وعجائبها أن بها قبةً بالقرب من جامعها إذا ألصق بها طين من طينها
وترك حتى يسقط بنفسه ووضع في بيت أوثياب لم يقربها عقرب . وإن دُر منه على
العقرب شئ أخذته مثل السكرور بما قتله ، ولها من بر بعلبك أنواع الفواكه وغيرها ؛
ومما شها يقارب قماش الإسكندرية في الجودة والحسن ، وإن لم يبلغ شأوه في ذلك .
قال في "الروض المعطار" : ويقال إن بقراط الحكيم منها . وإن أهلها أول من آبتدع
الحساب ؛ وبها قبر خالد بن الوليد رضى الله عنه ، ومقامه مشهور بها يزار .

الثانى - (عمل مضياف) بكسر الميم وسكون الصاد - وهى بلدة جليلة ، ولها
قلعة حصينة في لحف جبل اللكام الشرقى عن حماة وطرابلس ، في جهة الشمال عن
بارين على مسافة فرسخ ، وفي جهة الغرب عن حماة على مسيرة يوم ، وبها أنهر صغار
من أعين ، وبها البساتين والأشجار . وهى قاعدة قلاع الدعوة الآتى ذكرها في أعمال
طرابلس ودار ملكها ، وكانت أولا مضافةً إلى طرابلس ثم أفردت عنها وأضيفت
إلى دمشق .

الثالث - (عمل قاراً) - بقاف مفتوحة بعدها ألف ثم راء مهملة وألف ثانية .
هكذا هو مكتوب في "التعريف" وغيره وهو الجارى على الألسنة . ورأيتها
مكتوبة في "تقويم البلدان" بهاء في الأثر بدل الألف الأخيرة . وهى قرية كبيرة
قبلى حمص ، بينها وبين دمشق على نحو منتصف الطريق ، تنزلها قوافل السفارة ، وبينها
وبين حمص مرحلة ونصف ، وبينها وبين دمشق مرحلتان ، وغالب أهلها نصارى .

الرابع - (عمل سَلَمِيَّة) - بفتح السين المهملة واللام وكسر الميم وياء مشناة تحت مشددة مفتوحة وهاء في الآخر - وهى بلدة من عمل حمص من الإقليم الرابع . قال في "الأطوال" : طولها إحدى وستون درجة وعشرون دقيقة ، وعرضها أربع وثلاثون درجة . قال في "تقويم البلدان" : والقياس أن يكون العرض أربعاً وثلاثين ونصفاً . قال أحمد الكاتب : بناها عبد الله بن صالح بن عليّ بن عبد الله ابن عباس بن عبد المطلب وأسكن بها ولده . وهى بلدة على طرف البادية نَزْهَةً خصبة كثيرة المياه والشجر، ومياها من قُنيّ . قال في "الروض المعطار" : وبينها وبين حمص مرحلة .

الخامس - (عمل تَدْمَر) - بفتح التاء المشناة فوق وسكون الدال المهملة وضم الميم وراء مهملة في الآخر - كذا ضبطه السمعاني في "الأنساب" : والجارى على السنة الناس ضم أولها . قال في "التعريف" : وهى بين القريتين والرحبة، وهى معدودة من جزيرة العرب واقعة في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" : طولها اثنتان وستون درجة ، وعرضها أربع وثلاثون درجة . قال صاحب حماة : وهى من أعمال حمص من شرقها، وغالب أرضها سبخاخ، وبها نخيل وزيتون، وبها آثار عظيمة أزليّة من الأعمدة والصخور، ولها سور وقلعة .

قال في "الروض المعطار" : وهى فى الأصل مدينة قديمة بنتها الجحّ لسليمان عليه السلام، ولها حصون لا ترام . قال : وسميت تَدْمَر بتدمر بنت حسان ابن أدينة، وفيها قبرها . وإنما سكنها سليمان عليه السلام بعدها . قال في "العزيزى" : وبينها وبين دمشق تسعة وخمسون ميلاً، وبينها وبين الرحبة مائة ميل وميلان . قال صاحب حماة : وهى عن حمص على ثلاث مراحل .

(١) فى القاموس وباقوت "وسكون الميم" أى وتخفيف الياء.

الضرب الثاني

(من هذه الصفة ما هو من بلاد الجزيرة، بين الفرات والدجلة

على القرب من الفرات)

وهو مدينة الرَّحْبَةِ . قال في "اللباب" : بفتح الراء والحاء المهملتين والباء الموحدة وهاء في الآخر . وهي مدينة على الفَرَاتِ بين الرَّفَّةِ وَعَانَةَ ، واقعة في الإقليم الرابع . قال في "تقويم البلدان" : والقياس أن طولها أربع وستون درجة وثلاثون دقيقة ، وعرضها ست وثلاثون درجة ، وتعرف برحبة مالك بن طوق ، وهو قائد من قواد هارون الرشيد ، قيل إنه أول من عمرها فنسبت إليه . قال السلطان عماد الدين صاحب حماة : وقد خربت الرَّحْبَةُ المذكورة وصارت قرية ، وبها آثار المدينة من المآذن الشواهد وغيرها ، وأستحدث شيركوه بن محمد بن شيركوه بن شادى صاحب حصص من جنوبها الرحبة الجديدة على نحو فرسخ من الفَرَاتِ ، وهي بلدة صغيرة ولها قلعة على تل تراب ، وشرب أهلها من قناة من نهر سعيد ، الخارج من الفرات . قال : وهي اليوم عطف القوافل من الفَرَاتِ والشام ، وهي أحد الثغور الإسلامية في زماننا .

قال في "التعريف" : وبها قلعة نيابة ، وفيها بحرية وخيالة وكشافة وطوائف من المستخدمين ، ولم تزل إمرتها طبلخاناه ، بمرسوم شريف من الأبواب الشريفة من الأيام الناصرية أين قلاوون إلى الآن .

تنبيه - قال في "التعريف" : ومما أضيف إلى دِمَشْقَ في زمن سلطاننا يعني الناصر بن قلاوون بلادُ جَعْبَر . قال : وحققا أن تكون مع حلب ، وهي مستمرة على ذلك إلى زماننا ، وسيأتي الكلام عليها في الأعمال الحلبية إن شاء الله تعالى .

(١) كذا في التقويم أيضا وضبطها في المعجم بإسكان الحاء وهو مقتضى إطلاق القاموس .

وقد ذكر القاضي تقي الدين بن ناظر الجيش في كتابه "التثقيف" : أنه كان قد آسَـتَقَرَّ
بِتَدْمُرٍ وَسَلَمِيَّةٍ وَالسُّخْنَةِ وَالْقَرَيَتَيْنِ نَوَآبٍ، وَآسَـتَقَرَّ الْحَالُ عَلَى أَنْ مَكَاتِبُهُ كُلُّ مِنْهُمْ
إِنْ كَانَ مَقْدَمًا نَظِيرُ النَّائِبِ بِالرَّحْبَةِ، يَعْنِي "صَدَرَتْ" وَ"الْعَالِي" وَإِنْ كَانَ طَبْلُخَانَاهُ
فَالْأَمْسَمُ "وَالسَّامِي" بِالْيَاءِ .

القاعدة الثانية

(من قواعد البلاد الشامية حَلَبٌ، وفيها جملتان)

الجملة الأولى

(في حاضرتها)

قال في "اللَّبَابِ" : هي بفتح الحاء المهملة واللام وباء موحدة في الآخر -
وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" : وطولها اثنتان
وستون درجة وعشر دقائق، وعَرْضُها خمس وثلاثون درجة ونحسون دقيقة .

وَأَخْتَلَفَ فِي سَبَبِ تَسْمِيَّتِهَا حَلَبَ عَلَى قَوْلَيْنِ حَكَاهُمَا صَاحِبُ "الروض المعطار" :
أحدهما أنه كان مكان قلعتها رُبُوعًا، وكان إبراهيم الخليل عليه السلام يَأْوِي إليها وَيَحْلُبُ
غَنَمَهُ وَيَتَصَدَّقُ بِلَبَنِهَا فَسُمِّيَتْ حَلَبَ بِذَلِكَ . الثاني أنها سُمِّيَتْ بِرَجُلٍ مِنَ الْعَمَالِقِ
أَسْمُهُ حَلَبٌ . قال الزجاجي : حَلَبُ بْنُ الْمَهْرَمِ وَلَدَ جَانِ بْنِ مَكْنَفٍ ^(١) .

قال في "مسالك الأبصار" : وهي مدينة عظيمة من قواعد الشام القديمة ؛ وهي
في وطاء حمراء ممتدة مَبْنِيَّةٌ بِالْحَجَرِ الْأَصْفَرِ الَّذِي لَيْسَ لَهُ نَظِيرٌ فِي الْأَفَاقِ ؛ وَبِهَا الْمَسَاكِنُ
الْفَائِقَةُ، وَالْمَنَازِلُ الْأَنْيَقَةُ، وَالْأَسْوَاقُ الْوَاسِعَةُ، وَالْقِيَاسُ الْحَسَنَةُ، وَالْحَمَامَاتُ الْبَهِيَّةُ .
ذَاتُ جَوَامِعَ وَمَسَاجِدَ وَمَدَارِسَ وَخَوَاقِقَ وَزَوَايَا وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ سَائِرِ وَجُوهِ الْبَرِّ،

(١) في الأصل "خان" وفي الضوء "خاف" والتصحيح من ياقوت .

وبها بیمارستان حسنٌ لعلاج المرضى . قال في "مسالك الأبصار" : ولها نهران : أحدهما يعرف بنهر قُوق ، وهو نهرها القديم . والثاني يعرف بنهر الساجور ، وهو نهر مستحدث ، ساقه إليها السلطان الملك الناصر "محمد بن قلاوون" في سلطنته وحكمه عليها . وقد ذكر السلطان عماد الدين صاحب حماة : أن الملك الظاهر غازي بن العادل "أبي بكر بن أيوب" ساق إليها نهرًا في سنة خمس وستمائة ، ولعله نهر قُوق المذكور . قال في "مسالك الأبصار" : ويجرى إلى داخلها فرع ماء يتشعب في دُورها ومساكنها ولكنه لا يبُل صَدَاها ولا يَشْفِي غُلَّتْها ، وبها الصهاريج المملوءة من ماء المطر ، ومنها تُربُّ أهلها ؛ ويدخل إليها الثلج من بلادها ، وليس لأهلها إليه كثير التفتات لبرد هوائهم وقرب اعتدال صيفهم وشتائهم ؛ وبها الفواكه الكثيرة وأكثرها مجلوب إليها من نواحيها لِقَلَّةِ البساتين بها ؛ وبظاهرها المُرُوجُ الفَيْحُ والبرّ المتدّ حاضرة وبادية ؛ وبها عسكر كثير وأمم من طوائف العرب والأكراد والترُكّان .

قال في "اللباب" : وكان الجُنْدُ في ابتداء الإسلام يتزلون قَسْرَيْنَ ، وهي المدينة التي تُنسب الكورة إليها على ما تقدم ذكره ولم يكن حلب معها ذكر . قال ابن سعيد : ثم ضعفت بقوة حلب عليها ، وهي الآن قرية صغيرة .

قال في "مسالك الأبصار" : وكانت حلب قد عظمت في أيام بني حمدان ، وتاهت بهم شرقًا على كيوان . جاءت الدولة الأتابكية فزادت فخارًا ، وأخذت لها من بروج السماء منطقةً وأسوارًا ؛ ولم تزل على هذا يُسَارُّ إليها بالتعظيم ، ويأبى أهلها في الفضل عليها لِمَشَقِّ التسليم ؛ حتى نزل هولاكو بحوافر خيله فهُدِمَت أسوارها ونحرت حواضرها ، ولم تزل خالية من الأسوار ، عَرِيَّةً من الأبواب ، إلى أن كانت فتنة منطاش في سلطنة الظاهر برقوق والنائب بها من قبله الأمير كمشبغا ، فجدد أسوارها ، ورتب أبوابها ، وهي

سبعة أبواب: باب قَنَسَرِينَ من القبلة، وباب المقام من القبلة أيضا، وباب التَّيرَب من الشرق، وباب الأربعين من الشرق أيضا، وباب النصر من بحريها، وباب الحِثَّان من غربيها، وباب أنطاكية من غربيها أيضا، وهى الآن فى غاية ما يكون من العمارَة وحُسن الرُّونق والبهجة؛ ولعلها قد فاقت أيام بنى حَمْدان؛ ولم يزل نائبا من أكابر الأمراء المُقدِّمين من الدولة الناصرية فما قبلها إلى الآن، وقد زادت رتبته عما كان عليه فى الأيام الناصرية؛ وهى ثانية دِمَشق فى الرتبة؛ ومعاملاتها على ما تقدّم فى دِمَشق من الدراهم والدنانير والفلُوس وصنجة الذهب والفضة . غير أن الفلوس الجُدُد لم تُرَجَّ بها بعدُ، ورَظُلُها سبعمائة وعشرون درهما بالصَّنْجَة الشامية، كلُّ أوقية^(١) ستون درهما، ومعاملاتها معتبرة بالمكوك، ولا تعرف فيها الغرارة، ولا فى شىء من أعمالها؛ وتختلف بلادها فى المكوك اختلافا متباينا فى الزيادة والنقص . قال فى "مسالك الأبصار": والمعدل فيها أن يكون كل مكوكين ونصف غرارة وما بين ذلك وكل ذلك تقريبا .

قلت : وأخبرنى بعض أهلها أن المكوك بنفس مدينة حَلَبَ معتبر بسبع وِيات بالكيل المصرى، والذراع القماش ذراعٌ وسدسُ بذراع القماش القاهرى، ويزيد على ذراع دمشق بقيراطين، وقياس دُور أرضها بذراع العمل المعروف بالديار المصرية .

الجملة الثانية

(فى نواحيها وأعمالها)

قال فى "مسالك الأبصار": هى أوسع الشام بلادا، متصلةٌ ببلاد سِيسَ والرُّوم وديار بكر وبرية العراق . قال فى "التعريف": ويحدها من القبلة المَعْرَة وما وقع

(١) وأواقه اثنتا عشرة أوقية [كما سأتى له فى حلب فى موضع آخر] .

على ستمتها إلى الدمنة الخراب والسلسلة الرومية ومجرى القناة القديمة الواقع ذلك بين الحيار (يعنى بكسر الحاء المهملة والياء المثناة تحت وألف وراء مهملة) والقرية المعروفة بقبة ملاعب، ويحدها من الشرق [البر] حيث يحدها بردى أخذاً على جبل الثلج، ثم الجلاب على أطراف باليس إلى الفرات دائرة بجدها. قال: وبهذا التقسيم تكون بلاد جعبر داخلية في حدودها، ويحدها من الشمال بلاد الروم مما وراء بهسنى وبلاد الأرمن على البحر الشامى: ثم أعمالها على ثلاثة أقسام.

القسم الأول

(ما هو داخل في حدود بلاد الممالك الشامية، ولها بر وأعمال)
فأما برها فهو ضواحيها على ما تقدم في دمشق، وهو كالعمل المنفرد بنفسه.
وأما أعمالها، فقد ذكر المقر الشهابى بن فضل الله في كتابه "التعريف"
و"مسالك الأبصار" بها ستة عشر عملاً على أكثرها، وربما انفرد أحد الكتّابين^(١)
عن الآخر ببعض دون البعض.

الأول - (عمل قلعة المسلمين) - المسماة في القديم بقلعة الروم وهي قلعة من جند قنسرين في البر الغربى الجنوبي من الفرات، في جهة الغرب الشمالى عن حلب على نحو خمس مراحل منها، وفي الغرب عن البيرة على نحو مرحلة، والفرات بذيلها. وموقعها في الإقليم الرابع. قال بعض أصحاب الأزياج: وطولها آنتنان وستون درجة وعشرون دقيقة، وعرضها ست وثلاثون درجة وخمسون دقيقة. وهي من القلاع الحصينة التي لا ترام ولا تدرك، ولها ربض وبساتين، ويمر بها نهر يعرف بمزبان يصب في الفرات. قال في "التعريف": وكان بها خليفة الأرمن

(١) المددود ستة وعشرون وفي الضوا "سبعة وعشرون". (٢) لعله آتقفا على أكثرها.

ولا يزال بها طاغوت الكُفْر، فقصدها الملك الأشرف خليل بن المنصور قلاوون
فتزل عليها، ولم يزل بها حتى فتحها، وسمّاها قلعة المسلمين . قال : وهى من
جلائل القلاع .

الثانى - (عمل الكَحْتَا) - بفتح الكاف وسكون الحاء المعجمة وفتح التاء المشناة فوق
ثم ألف فى الآخر، والألف واللام فيه غير لازمتين - وهى قلعة فى أقاصى الشام من
جهة الشمال بشرق من حلب، على نحو خمس مراحل منها؛ وموقعها فى الإقليم الرابع .
قال بعض أصحاب الأزياج : طولها إحدى وستون درجة وعشر دقائق، وعرضها
ست وثلاثون درجة وخمسون دقيقة . وهى قلعة عالية البناء لأثرام حصانة، ولها
بساتين ونهر، وملطية عنها فى جهة الغرب على مسيرة يومين، وكركر منها فى جهة
الشرق، وكانت أحد ثغور الإسلام فى وجوه التار عند قيامهم . قال فى "التعريف" :
وهى ذات عمل متسع، وعسكر تطوع مجتمع .

الثالث - (عمل كَرَكْر) بفتح الكاف وسكون الراء المهملة ثم كاف مفتوحة ثانية
بعدها راء مهملة ثانية أيضا - وهى قلعة من أقاصى الشام فى الشمال عن حلب
على نحو خمس مراحل أيضا، وفى الغرب من الكَحْتَا المتقدمة الذكر على نحو يوم
منها؛ وموقعها فى الإقليم الرابع . قال فى بعض الأزياج : طولها إحدى وستون
درجة وعشرون دقيقة، وعرضها سبع وثلاثون درجة وخمسون دقيقة .

قال فى "تقويم البلدان" : وهى قلعة حصينة شاهقة فى الهواء يرى
الفرات منها كالجداول الصغير، وهو منها فى جهة الشرق؛ وكانت من أعظم الثغور
فى زمان التتار .

الرابع - (عمل بهسنى) - بفتح الباء الموحدة والهاء وسكون السين المهملة ثم نون
وألف - وهى قلعة فى شمالي حلب على نحو أربع مراحل منها، وموقعها فى الإقليم

الرابع . قال في بعض الأزياج : طولها إحدى وستون درجة وثلاثون دقيقة ، وعرضها ثلاثون درجة وأربعون دقيقة . قال في "تقويم البلدان" : وهي قلعة حصينة مرتفعة لأثرام حصانة ، بها بساتين ونهر صغير وأسواق ورستاق متسع ، وبها مسجد جامع . ثم قال : وهي بلدة واسعة ، كثيرة الخير والخصب ، وهي في الغرب والشمال عن عيّناب ، وبينهما نحو مسيرة يومين ، وبينها وبين سبيس نحو ستة أيام . قال في "التعريف" : وهي الثغر المتأخر لبلاد الدروب ، والمشتعل في حمرة الحروب ، وبها عسكر من التركمان والأكراد . ولا يزال لهم آثار في الجهاد . قال : ولناؤها مكانة جليّة ، وإن كان لا يتحقق بنائب البيرة .

الخامس - (عمل عيّناب) - بفتح العين وسكون الياء المثناة تحت والنون وفتح التاء المثناة فوق ثم ألف وباء موحدة - وهي مدينة من جند قنسرين شمالي حلب على نحو مرحلتين منها ، وموقعها في الإقليم الرابع . قال في بعض الأزياج : طولها اثنتان وستون درجة وثلاثون دقيقة ، وعرضها ست وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . وهي مدينة حسنة ، واسعة الأرجاء ، كثيرة المياه والبساتين ، ذات أسواق جليّة مقصودة للتجار والمسافرين ، وبها قلعة حصينة متقوية في الصخر . وهي عن حلب في الشمال على نحو ثلاث مراحل منها ، وعن قلعة الروم في الجنوب على نحو ثلاث مراحل أيضا ، وعن بهسني في جهة الشرق والجنوب على نحو ثلاث مراحل .

السادس - (عمل الراوندان) - بألف ولام لازمتين وراء مهملة بعدها ألف ثم واو مفتوحة ونون ساكنة ودال مهملة ثم ألف ونون - وهي قلعة من جند قنسرين واقعة في الإقليم الرابع طولها اثنتان وستون درجة ، وعرضها ست وثلاثون درجة . وهي قلعة حصينة على جبل مرتفع أبيض ، ذات أعين وبساتين وفواكه ، وواد

حسن ؛ ونهرها من تحتها نهر عَفْرَيْنَ المتقدم ذكره أخذنا من الشَّمال إلى الجنوب ،
وهي في الغرب والشَّمال عن حلب ، وبينهما نحو مرحلتين ، وفي الشمال عن حارم .
السابع - (عمل الدَّرْبَسَاك) - بفتح الدال المهملة وسكون الراء المهملة وفتح الباء
الموحدة والسين المهملة ثم ألف وكاف ، والألف واللام فيه غير لازمتين - وهي قلعة
من جُند قَنَسَرَيْنَ واقعة في الإقليم الرابع شمالي حلب على نحو ثلاث مراحل أو أربع
منها . قال في "تقويم البلدان" : والقياس أن يكون طولها إحدى وستين درجة ،
وعرضها ست وثلاثون درجة . وهي قلعة حصينة ذات أعين وبساتين ، وبها مسجد
جامع ، ولها من شرفها مروج متسعة ، حسنة المنظر ، كثيرة العُشب ، يمر بها النهر
الأسود المتقدم ذكره .

الثامن - (عمل بَغْرَاس) - بفتح الباء الموحدة وسكون الغين المعجمة وراء مهملة
وألف ثم سين مهملة - كذا ضبطه السمعاني في "الأنسَاب" ووقع في "التعريف"
و"مسالك الأبصار" بالصاد المهملة بدل السين . والجارى على السَّنة الناس
ضم أوله ؛ وهي قلعة من جُند قَنَسَرَيْنَ ، واقعة في الإقليم الرابع شمالي حلب على نحو
أربع مراحل منها . قال في "تقويم البلدان" : والقياس أن طولها ستون درجة
وخمسون وخمسون دقيقة ، وعرضها خمس وثلاثون درجة وثلاث وخمسون دقيقة ،
وهي في الجبل المطل على عَمَقِ حارم . قال ابن حوقل : وكان بها دارضيافة
لرُبَيْدَةَ . قال في "تقويم البلدان" : وهي ذات أعين وبساتين وأشجار ، وبينها
وبين الدَّرْبَسَاك نحو بعض مرحلة ، وهي في جهة الجنوب عن الدَّرْبَسَاك . قال
في "العريزي" : وبينها وبين أنطاكية اثنا عشر ميلا ، وبينها وبين إسكندرونة
كذلك ، وبينها وبين حارم نحو مرحلتين . وبغراس في الجنوب عن دَرْبَسَاك
وبينها بعض مرحلة ، وحارم في جهة الشرق عنها . قال في "التعريف" : وكانت

هى الثَّغَرُ فى بحر الأرْمَنِ حَتَّى اسْتَضِيْفَت الفَتْوحَاتِ الجَاهَانِيَّةُ . قال : وبها رُصَصٌ
وهى عضو من أعضائها وجزء من أجزائها . ورُصَصٌ المذكورة براء مهملة مضمومة
وصادين مهملتين الصاد الأولى مفتوحة ، وهى بلدة على الساحل ، وقد مر ذكرها
فى الكلام على بحر الروم على سواحل الأرمن .

التاسع - (عمل القَصِيرِ) تصغير قصر . قال فى "مسالك الأبصار" : وهى قلعة
غربيّ حَلَبَ على نحو أربع مراحل منها . قال فى "التعريف" : وهى لَأَنْطَاكِيةَ
ولم يتحرّر لى طولها وعرضها .

العاشر - (عمل الشُّغْرِ وبَكَاسَ) - آسمان لقلعتين بينهما رَمِيَّةٌ سَهْمٌ .
فالشُّغْرُ - بضم الشين وسكون الغين المعجمتين ثم راء مهملة .

وبَكَاسٌ - بفتح الباء الموحدة والكاف ثم ألف وسين مهملة فى الآخر . وهما من
جُنْدٍ قَنَسَرَيْنَ ، وموقعهما فى الإقليم الرابع . قال فى بعض الأزياج : طولهما إحدى
وستون درجة ، وعرضهما خمس وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة ، وهما مبنيان على
جبلٍ مستطيل ، وتحتهما نهر يجرى ، وبهما بساتين وأشجار وفواكه كثيرة ، ولهما
رُستاق ومسجد جامع . قال فى "تقويم البلدان" : وهما فى الجنوب عن أَنْطَاكِيةَ
وبينهما الجبال .

الحادى عشر - (عمل شَيْزَرِ) - بفتح الشين المعجمة وسكون الياء المثناة تحت وفتح
الزاي المعجمة وفى آخرها راء مهملة . وهى مدينة من جُنْدٍ حَصَصَ غربيّ حَلَبَ
على نحو ثلاث مراحل منها ، واقعة فى الإقليم الرابع . قال فى "تقويم البلدان" :
القياس أن طولها إحدى وستون درجةً وعشر دقائق ، وعرضها أربع وثلاثون درجةً
وخمسون دقيقة . وهى مدينة ذات أشجار وبساتين وفواكه كثيرة وأكثرها الرمان ،
ولها ذكر فى شعر امرئ القيس مع حمّاة . قال فى "العزيرى" : وبينها وبين حماة

تسعة أميال ، وبينها وبين حَصَّ ثلاثة وثلاثون ميلا ، وبينها وبين أَنْطَاكِية ستة وثلاثون ميلا .

الثاني عشر - (عمل جَجْر شُغْلَان) بلفظ جَجْر واحد الحجارة وإضافته إلى شُغْلَان (بضم الشين وسكون الغين المعجمتين ثم لام ألف ونون) . وهي قلعة شمالي حَلَب على نحو ثلاث مراحل منها . قال في "مسالك الأبصار" : وهي بالقرب من بَغْرَاس في جهة الشمال على مسافة قريبة جدًا ، ولم يتحزّر لى طولها وعرضها ولكنها تعتبر ببَغْرَاس المتقدمة الذكر لقربها منها - وهي الآن خراب .

الثالث عشر - (عمل قلعة أَيْ قُبَيْس) - بهزمة مفتوحة وباء موحدة مكسورة بعدهما ياء ساكنة ثم قاف مضمومة وباء موحدة مفتوحة وياء مشناة تحت ساكنة ثم سين مهملة في الآخر - وهي قلعة حصينة غربي حَلَب مما يلي الساحل ، على نحو ثلاث مراحل قصيرة من حَلَب ، كذا أخبرني به بعض أهل البلاد ، ولم يتحزّر لى طولها وعرضها ، وسيأتى في الكلام على ترتيب المملكة أنها استقرت ولاية ، وربما أضيفت إلى غيرها .

الرابع عشر - (عمل قلعة حَارِم) - بجاء مهملة مفتوحة وألف ثم راء مهملة مكسورة وميم في الآخر . قال في "تقويم البلدان" : والقياس أن طولها ستون درجة وثلاثون دقيقة ، وعرضها خمس وثلاثون درجة وخمسون دقيقة . وهي قلعة حصينة في جهة الغرب من حَلَب على نحو مرحلتين منها ، ذات بساتين وأشجار ، وبهانهر صغير وبينها وبين أَنْطَاكِية مرحلة ، وربضها بلد صغير . قال ابن سعيد : وقد خُصّت بالرمّان الذي يرى باطنه من ظاهره مع عدم العجم وكثرة الماء .

الخامس عشر - (عمل كَفْرِ طَاب) - بفتح الكاف وسكون الفاء وراء مهملة ثم طاء مهملة بعدها ألف وباء موحدة - على إضافة كَفْرِ إلى طَاب . هذا هو الجاري على

الألسنة وهو الصواب ، وأصله من الكُفْر بمعنى التغطية ، والمراد مكان الزرع والحرث لتغطية الحبّ بالزراعة كما في قوله تعالى: ﴿ كَتَلِ غَيْثَ أَنْجَبِ الْكُفَّارِ نَبَاتُهُ ﴾ يريد الزُّرْعَ ، ووقع في كلام صاحب حماة بفتح الفاء وهو وهم .

وظاهر كلام صاحب "الروض المعطار" أن طاب في معنى الصفة لكُفْر فإنه قال : وسمى بذلك لأن حوله أرض كريمة . قال : وأرضه صحيحة الهواء ومن سكّنها لا يكاد يمرض ، وقيل إنه منسوب إلى رجل أسمه طاب - وهى بلدة صغيرة من جندِ خَمَصَ غربيّ حَلَبَ ، على نحو ثلاث مراحل منها ، واقعة في الإقليم الرابع . قال في "كتاب الأطوال" : طولها إحدى وستون درجة وثلاثون دقيقة ، وعرضها خمس وثلاثون درجة وخمس وأربعون دقيقة . وقال في "تقويم البلدان" : القياس أن طولها إحدى وستون درجة وخمس عشرة دقيقة ، وعرضها خمس وثلاثون درجة - وهى على الطريق بين المعرة وشيزر . قال في "العريزي" : وبينها وبين المعرة وشيزر اثنا عشر ميلا .

السادس عشر - (عمل فامية) - بفتح الفاء وألف بعدها ثم ميم مكسورة وياء مشاة تحت وهاء في الآخر . قال في "المشترك" : ويقال لها أفامية بهمزة في أولها يعنى مفتوحة . وهى مدينة من أعمال شيزر، غربيّ حَلَبَ ، على نحو أربع مراحل منها واقعة في الإقليم الرابع . قال في "تقويم البلدان" : والقياس أن طولها إحدى وستون درجة وثلاث دقائق ، وعرضها خمس وثلاثون درجة . قال في "العريزي" : وكورة فامية لها مدينة كانت عظيمة قديمة ، على نشز من الأرض ، ولها بحيرة حلوة يشقها النهر المقلوب .

السابع عشر - (عمل سَرْمِين) - بفتح السين وسكون الراء المهملة وكسر الميم ثم ياء
مشتاة تحت ساكنة ونون بعدها . وهى مدينة فى الغرب من حَلَبَ على نحو مرحلتين
صغيرتين منها ، واقعة فى الإقليم الرابع . قال فى "كتاب الأطوال" : طولها إحدى
وستون درجة وخمسون دقيقة ، وعرضها خمس وثلاثون درجة وخمس وخمسون
دقيقة . وهى مدينة غير مسورة ؛ وبها أسواق ومسجد جامع ؛ وشرب أهلها من الماء
المتجمع فى الصماريح من الأمطار ، وهى كثيرة الحُصْبِ ، وبها الكثير من شجر التين
والزيتون ، وهى فى جهة الجنوب عن حَلَبَ على مسيرة يوم منها وعملها متسع .

ومن مضافاتها مدينة الفُوعَة (بضم الفاء وفتح العين المهملة) . وهى مدينة على
القرب من سَرْمِين فى الغرب منها ، وتسمى هذه الولاية الغَرَبِيَّات (بفتح الغين المعجمة
وسكون الراء المهملة وكسر الباء الموحدة وفتح الياء المشتاة تحت المشددة وألف ثم تاء
مشتاة فوق فى الآخر) . قال فى "التعريف" : وهى أجل ولايات حَلَبَ .

الثامن عشر - (عمل الجُبُول) - بفتح الجيم وضم الباء الموحدة المشددة ثم واو
ساكنة ولام فى الآخر - وهى بلدة شرق حَلَبَ على نحو مرحلة كبيرة منها ، وهى
بالقرب من الفُرَات ، ولم يتحرر لى طولها وعرضها . قال فى "تقويم البلدان" :
ومنها ينقل الملح إلى سائر أعمال حَلَبَ ؛ وقد أخبرنى بعض أهلها أن أصل هذا الملح
نهر يصل إليها يعرف بنهر الذهب فيبقى ماء فيما يمر عليه من البلدان حتى ينتهى إليها
فينعقد ملحا لوقته .

التاسع عشر - (عمل جَبَلِ سَمْعَانَ) - وضبطه معروف . وهى فى جهة الشمال من
حَلَبَ على [يوم] منها ، ولم يتحرر لى طولها وعرضها .
(١)

(١) فى الأصل ساعة وأبدل فى الهامش بانفط "يوم" .

العشرون - (عمل عَزَاز) - بفتح العين المهملة والزاي المعجمة وألف ثم زاي ثانية مكسورة - كذا ضبطه في "اللباب" والجاري على الألسنة أعزَّاز بهمزة مفتوحة في أولها وسكون العين والزاي الأخيرة في الوقف ؛ وهي بلدة شمالي حلب بشرق على نحو مرحلة منها . قال في "كتاب الأطوال" : وطولها إحدى وستون درجة وخمس وخمسون دقيقة ، وعرضها ست وثلاثون درجة . وهي في شمالي حلب بميلة إلى الغرب . قال ابن سعيد : ولأعزاز جهات في نهاية الحسن والطيبة والحصب ، وهي من أنزه الأماكن .

الحادي والعشرون - (عمل تلّ باشر) - بفتح التاء المشاة فوق وتشديد اللام ثم فتح الباء الموحدة وألف بعدها شين معجمة مكسورة وراء مهملة في الآخر - وهي حصن شمالي حلب على مرحلتين منها بالقرب من عيّناب المتقدم ذكرها . قال ابن سعيد : وهي ذات مياه وبساتين .

الثاني والعشرون - (عمل مَنبَج) - بفتح الميم وسكون النون وفتح الباء الموحدة (١) وفي آخرها جيم - كذا ضبطه ابن الأثير في "اللباب" : وهي بلدة من جُند قنسرين شرقي حلب على نحو مرحلتين منها واقعة في الإقليم الرابع . قال في "تقويم البلدان" : والقياس أن طولها اثنتان وستون درجة وخمسون دقيقة ، وعرضها ست وثلاثون درجة وخمسون دقيقة . قال ابن سعيد : بناها بعض الأكسرة الذين غلبوا على الشام وسماها منبجة فعزبت منبج ، وكان بها بيت نار للفُرس ، وهي كثيرة الفنى السارحة والبساتين ، وغالب شجرها التوت ، وأكثرها خراب .

(١) ضبطه في أقاموس كمجلس [أى بكسر اللام] وكذلك ضبطه صاحب "تقويم البلدان" عن اللباب

فعل ما هنا سبق قلم .

الثالث والعشرون - (عمل تيزين) - بكسر التاء المثناة فوق وسكون الياء المثناة تحت وكسر الزاى المعجمة وسكون الياء المثناة تحت ونون فى الآخر - وهى بليدة صغيرة من أعمال حلب فى جهة الغرب على نحو مرحلة منها .

الرابع والعشرون - (عمل الباب وبزاعا) . وضبط الباب معروف ، وبزاعا بضم الباء الموحدة وفتح الزاى المعجمة وألف بعدها عين مهملة وألف مقصورة فى الآخر . كذا ضبطه فى "تقويم البلدان" : والجارى على الألسنة إبدال الألف فى آخره بهاء . وهما بلدتان متقاربتان ، من جنس قنسرين على مرحلة من حلب فى الجهة الشمالية الشرقية فى الإقليم الرابع . قال فى "تقويم البلدان" : والقياس أن طولها اثنتان وستون درجة وعشر دقائق ، والعرض خمس وثلاثون درجة وخمسون دقيقة .

أما الباب : فبليدة صغيرة . قال فى "تقويم البلدان" : بها مشهد به قبر عقيل ابن أبى طالب رضى الله عنه ، وبها أسواق وحمام ومسجد جامع ، وبها البساتين الكثيرة والنزه .

وأما بزاعا - فضيعة من أعمال الباب .

الخامس والعشرون - (عمل دركوش) - بفتح الدال وسكون الراء المهملتين وضم الكاف وسكون الواو وشين معجمة فى الآخر - وهى بلدة على النهر العاصى غربى حلب على نحو ثلاث مراحل منها ، وأكثر زرع أرضها العنب . أخبرنى بعض أهل تلك البلاد أن حبة العنب بها ربما بلغت فى الوزن عشرة دراهم ، وبها قلعة عاصية آستولى هؤلاء على قلاع الشام ماعداها فإنه لم يصل إليها .

السادس والعشرون - (عمل أنطاكية) . قال فى "اللباب" : بفتح الهمزة وسكون النون وفتح الطاء المهملة . قال فى "تقويم البلدان" : ثم ألف وكاف

مكسورة ثم ياء مثناة تحت وهاء في الآخر . قال ابن الجواليقي في "المعرب" :
وياؤها مشددة . وخالف في "الروض المعطار" : فذكر أنها مخففة الياء - وهي
مدينة عظيمة غربي حلب بشمال يسير على نحو مرحلتين منها . قال في "تقويم
البلدان" : وهي قاعدة بلاد العواصم . قال في "تقويم البلدان" : والقياس أن
طولها ستون درجة ، وعرضها خمس وثلاثون درجة وخمسون دقيقة . وهي مدينة
عظيمة قديمة ، على ساحل بحر الروم ، بناها بطليموس الثاني من ملوك اليونان ؛ وقيل
بناها ملك يقال له أنطاكين فعرفت به ، ولها سور عظيم من صخر ليس له نظير
في الدنيا . قال في "العزيزي" : مساحة دورّه اثنا عشر ميلاً . قال في "الروض
المعطار" : عدد شرفاته أربع وعشرون ألفاً ، وعدد أبراجه مائة وستة وثلاثون برجاً .
قال ابن حوقل : وهي أزه بلاد الشام بعد دمشق ، ويمتد بظاهرها العاصي والنهر
الأسود مجودين ، وتجري مياههما في دورها ومساكنها ومسجدها الجامع ، وماؤها
يستحجر في مجاريه حتى لا يؤثر فيه الحديد ، وشربه يحدث رياح القولنج ، والسلاح
بها يسرع إليه الصّدأ ويذهب ريح الطيب بالمكث فيها ، وهي أحد كراسي بطارقة
النصارى ، ولها عندهم قدر عظيم . وقد قيل في قوله تعالى : ﴿ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى
الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴾ إنها أنطاكية وإن ذلك الرجل
"حبيب النجار" وقبره بها مشهور يزار . قلت : وحيث قد فتصير ولايتها المذكورة
في "التعريف" و"مسالك الأبصار" : أثنتى عشرة ولاية .

وميناً أنطاكية المذكورة (السويدية) بضم السين المشددة وفتح الواو وسكون الياء
المثناة تحت وكسر الدال المهملة وفتح الياء المثناة تحت المشددة وهاء في الآخر .
قال في "تقويم البلدان" : وموضعها حيث الطول ستون درجة وخمس وأربعون

(١) لعله ولاياتها . على أن هذه الفلزكة تحتاج إلى تأمل .

دقيقة . وعندها مصبُّ النهر العاصي ، وهناك ينعطف البحر الروميَّ ويأخذ غرباً
شمالاً على سواحل بلاد الأرمن .

القسم الثاني

(من الأعمال الحليية البلاد المتصلة بذيل البلاد المتقدم ذكرها)

في الأعمال الحليية من الشمال ، وهي المعروفة ببلاد الأرمن

قال في ” التعريف “ في مكتبة ممتلك سبيس : وهذه البلاد منها بلادٌ تسمى
العواصم ، ومنها بلادٌ كانت تسمى قديماً بالثغور ، سميت بذلك لمشاغرتها الروم ، وإلى
مثل ذلك أشار في ” تقويم البلدان “ أيضاً .

فالعواصمُ (بفتح العين المهملة والواو وكسر الصاد المهملة وميم في الآخر) . قال ابن
حوقل : وهي أسمٌ للناحية وليست موضعاً بعينه يسمى العواصم . قال : وقصبتها
أنطاكية . قال : وعدَّ ابن خرداذبه العواصم فكثرتها وجعل منها كورة منبج ،
وكورة تيزين وبالس ورصافة هشام ، وكورة جومة وكذا شيزر وأفامية ، وإقليم معرة
النعمان ، وإقليم صوران ، وإقليم تلّ باشر وكفر طاب ، وإقليم سلمية ، وإقليم جوسية ،
وإقليم لبنان إلى أن بلغ إقليم قسطل بين حصّ ودمشق .

قلت : وأقول من سماها بذلك الرشيد هارون حين بنى بها مدينة طرسوس الآتي
ذكرها في سنة سبعين ومائة ، والذي يظهر أنها سميت بذلك لعصمتها مأدونها من
بلاد الإسلام من العدو ، إذ كانت متاخمة لبلاد الكفر ، واقعة في نحر العدو ، وعساكر
المسلمين حافظة لها .

والثغور جمع ثغور (بفتح التاء المثناة وسكون الغين المعجمة وفي آخره راء مهملة) .

قال في ” المشترك “ وهو أسمٌ لكل موضع يكون في وجه العدو ، قال : وثغور الشام
كانت أذنّة وطرُسوس وما معهما فاستولى عليها الأرمن .

وذكر السلطان عماد الدين صاحب حمّة في تاريخه : أن الرشيد في سنة سبعين ومائة عزل الثغور كلّها من الجزيرة وقَسْرَيْنَ وجعلها حيزاً واحداً وسماها العواصم . قلت : ومقتضى ذلك أن تكون الثغور والعواصم أسماء على مسمى واحد ، وعليه ينطبق كلام المقرّ الشهابي بن فضل الله في "التعريف" . وقد حدّد في "التعريف" هذه البلاد بجملتها فقال : وحدّها من القبلة وأنحراف للجنوب بلاد بَغْرَاسَ وما يليها ؛ وحدّها من الشرق جبال الدَّرَبَنْدَات ؛ وحدّها من الشمال بلاد آبن قرمان ؛ وحدّها من الغرب سواحل الروم المفضية إلى العَلَايا وأنطاليا . وسيأتى الكلام على أصل استيلاء الأرمن على هذه البلاد وارتفاعها منهم وعودها إلى الإسلام في الكلام على مكتبة مملوك سِيسَ ، على ما كان عليه الأمر قبل عودتها إلى الإسلام في مكاتبات ملوك الكفر إن شاء الله تعالى .

ويشتمل على عدّة نيابات ، بعضها ذكره في "التعريف" وبعضها استجدّ بعد ذلك ، وهى على ضربين أيضاً .

الضرب الأول

(الأعمال الجبارة) وهى صفتان : ساحلية وجبلية)

فأما الجبلية ، فتلاثة أعمال .

الأول - (عمل مَلَطِيَّة) - بفتح الميم واللام وكسر الطاء المهملة وبعدها ياء مثناة ^(١) تحت مشددة مفتوحة وهاء فى الآخر . وهى مدينة شمالي حلب بمئة إلى الشرق على نحو سبع مراحل منها . قال آبن سعيد : وهى قاعدة بلاد الثُّغُور ، وموقعها فى الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال فى "الأطوال" : وطولها إحدى وستون درجة ،

(١) ضبطها ياقوت والمجد بفتحين ثم سكون وقال ياقوت : كسر الطاء وتشديد الياء من قول العامة .

وعرضها سبع وثلاثون درجة ، وواقفه في ”القانون“ على الطول وجعل العرض ثمانيا وثلاثين درجة ؛ وقد عدّها ابن حوقل من جملة بلاد الشام وقال إنها من قرى بلاد الروم على مرحلة . قال صاحب حماة : والأليق عدّها من بلاد الروم . ثم قال : وعدّها بعضهم من الثغور الجزرية . قال في ”الروض المعطار“ : وكانت قديمة فخرتها الروم ، فبناها أبو جعفر المنصور يعني ثاني خلفاء بني العبّاس في سنة تسع وثمانين ومائة^(١) ، وجعل عليها سورا محكما - وهي بلدة ذات أشجار وفواكه وأنهار ، وهي مسورة ، في بسيط من الأرض والجبال محتفة بها من بُعد ، ولها نهر صغير يمر بسورها ، ولها قنّ تدخلها وتجري في دورها إلا أنها شديدة البرد - وهي في شمالي الجبل الدائر الذي ببيس في غربته ، في الجنوب عن سيواس ، وبينهما نحو ثلاث مراحل ، وفي الغرب عن نخّنا وبينهما نحو مرحلتين . وقد ذكر في ”تقويم البلدان“ : أنها فتحت في سنة خمس عشرة وسبعائة .

الثاني - (عمل درّندة) - بفتح الدال والراء المهملتين وسكون النون وفتح الدال الثانية وهاء في الآخر - وهي مدينة في جهة الغرب عن ملطية على نحو مرحلة ، ذات بساتين وأنهار وعيون ماء تجري ، وبينها وبين حلب نحو عشرة أيام .

الثالث - (عمل دبركي) - بفتح الدال المهملة وسكون الباء الموحدة وفتح الراء المهملة ولسر الكاف وياء مثناة تحت في الآخر . وقد يقال دَوْرَكِي بإبدال الباء واوا . وهي مدينة في جهة الشمال والغرب من حلب ، على نحو عشر مراحل منها ، بها بساتين وأشجار ، وبينها وبين حلب نحو اثني عشر يوما .

(١) ليله مصحف عن ثلاثين فان المنصور تولى الخلافة سنة ست وثلاثين ومائة وتوفي سنة ثمان وخمسين ومائة ، ونقل ياقوت أنه أرسل من بين ملطية سنة أربعين ومائة .

وأما الساحلية، فإن بها خمسة أعمال .

الأول - (آياس) - بفتح الهمزة الممدودة والياء المشناة تحت ثم ألف وسين مهملة في الآخر . وهي مدينة من بلاد الأرمن على ساحل البحر، وموقعها في الإقليم الرابع . قال في "الزيج" : طولها تسع وخمسون درجة ، وعرضها ست وثلاثون درجة ، وهي فُرْضة تلك البلاد، وبينها وبين بَغْرَاس المتقدم ذكرها مرحلتان . قال في "التعريف" : وقد جعلت نيابةً جلييلةً نحو حَصَّ ، وجعل أمرها إلى نائب الشام ، ثم جعلت إلى نائب حَلَبَ ، وهي المعبر عنها بالفتوحات الجاهانية إضافة إلى نهر جاهان المجاور لها ، وهو جيحان المتقدم ذكره ، وكانت استعادتُها من الأرمن في الدولة الناصرية محمد بن قلاوون في سنة ثمان وثلاثين وسبعائة ، ولذلك قال في "التعريف" : والعهد بفتحها قريب .

الثاني - (عمل طَرَسُوسَ) - بفتح الطاء والراء المهملتين جميعاً وضم السين المهملة وسكون الواو ثم سين ثانية - هكذا ضبطه في "الباب" والجارى على الألسنة سكون رائها ، وهي مدينة من بلاد الأرمن على ساحل بحر الروم شمالاً بغرب عن حَلَبَ ، وموقعها في الإقليم الرابع . قال في "تقويم البلدان" : القياس أن طولها ثمان وخمسون درجة وأربعون دقيقة ، وعرضها ست وثلاثون درجة وخمسون دقيقة . قال في "الروض المعطار" : وهي مدينة مسورة ، بناها الرشيد في سنة سبعين ومائة وأكملها في سنة اثنتين وسبعين ، ولها خمسة أبواب : باب الجهاد ، وباب الصَّقْصاف ، وباب الشام ، وباب البحر ، والباب المسدود . والنهر يشق في وسطها وعليه قنطرتان داخل البلد . قال ابن حوقل : وهي في غاية الخصب ، وبينها وبين حد الروم جبال هي الحاخزين الروم والمسلمين ، وبها دُفِنَ المأمون بن الرشيد ، وكانت استعادتُها من الأرمن في الدولة الناصرية حسن بن محمد بن قلاوون .

الثالث - (عمل أدنة) - بهمزة ودال مهملة ونون مفتوحات وهاء في الآخر .
وهى مدينة من بلاد الأرمن واقعة في الإقليم الرابع . قال في بعض الأزياج : طولها
تسع وخمسون درجة ، وعرضها سبع وثلاثون درجة وأربعون دقيقة . قال أحمد
ابن يعقوب الكاتب في كتابه "المسالك والممالك" : وهى من بناء الرشيد . قال
ابن حوقل : وهى مدينة حصينة عامرة ، وبينها وبين طرسوس ثمانية عشر ميلا .

الرابع - (عمل سرفندكار) - بكسر السين وسكون الراء المهملتين وفتح الفاء
وسكون النون وفتح الدال المهملة والكاف ثم ألف وراء مهملة - هكذا ضبطه
صاحب حماة ، ثم قال : وقد يجعل موضع الفاء واوا فيقال سِرُونْدَكَارَ والموجود
في الدساتير إسْفَنْدَكَارُ بهمزة في الأول وسقوط الراء الأولى ؛ وهى قلعة من بلاد
الأرمن واقعة في الإقليم الرابع . قال في "الزيح" : طولها ستون درجة ، وعرضها
سبع وثلاثون درجة وعشرون دقيقة . قال في "تقويم البلدان" : وهى قلعة حصينة
في واد على صخر ، وبعض جوانبها ليس له سور للاستغناء عنه بالصخر ، وهى على القرب
من نهر جيحان من البر الجنوبي ، في الشرق عن تل حمدون على نحو أربعة أميال .

الخامس - (عمل سيس) - بكسر السين المهملة وسكون الياء المثناة تحت ثم
سين مهملة ثانية - هذا هو المعروف في زماننا ، ووقع في كلام صاحب كمال الدين
ابن العديم أن اسمها سَيْسَة بأثبات هاء في آخرها ، وكلامه في "العريزي" يوافقه .
وهى قاعدة بلاد الأرمن وموقعها في الإقليم الرابع . قال في "الزيح" : طولها ستون
درجة ، وعرضها سبع وثلاثون درجة . وهى بلدة كبيرة ذات بساتين وأشجار ، ولها قلعة
حصينة طليها ثلاثة أسوار على جبل مستطيل ، بناها بعض خدام الرشيد وهو الذى
سمّاها . قال ابن سعيد : وكانت قاعدة الثغور الشمالية . قال في "العريزي" : وبينها

(١) الذى في "تقويم البلدان" و"معجم البلدان" و"القاموس" أنها بالذال المعجمة .

وبين المصيبة أربعة وعشرون ميلا، وكانت آستعادتها من الأرمن في الدولة الأشرية شعبان بن حسين. قلت : وقد كانت سيس في أعقاب الفتح نيابة مستقلة، ثم صارت مقدمة عسكر مضافة إلى حلب كما يقع في غرة في كونها تارة تكون نيابة مستقلة، وتارة مقدمة عسكر مضافة إلى دمشق على ما تقدم ذكره .

الضرب الثاني

(١) (من الأعمال الصغار بلاد الأرمن)

وهي ثلاثة عشر عملا لثلاث عشرة قلعة، لم تجر العادة بمكتبة أحد من نوابها عن الأبواب السلطانية، ذكر بعضها في " التعريف " وبعضها في " التثقيف " وبعضها في غيرهما من الدساتير .

الأول - (عمل قلعة باري كروك) بفتح الباء الموحدة وألف بعدها راء مهملة مكسورة ثم ياء ساكنة ثم كاف مفتوحة وراء مهملة وواو ساكنة ثم كاف في الآخر. وهي قلعة على رأس جبل بالقرب من طرسوس في الشمال، على نحو نصف مرحلة قال في " التثقيف " : آستجدت في سنة ستين وسبعائة . قلت : آفتحتها بيدمر الخوارزمي نائب سيس في سلطنة الناصر محمد بن قلاوون .

الثاني - (عمل كاورا) بفتح الكاف وبعدها ألف وواو وراء مفتوحة مشددة وألف في الآخر. وهي قلعة في الشمال عن آياس على جبل مطلق على البحر الرومي على نحو ساعة . قال في " التثقيف " : آستجدت سنة تسع وستين وسبعائة .

الثالث - (عمل كولاك) بفتح الكاف وسكون الواو ولام ألف بعدها كاف ثانية . وهي قلعة مدورة على رأس جبل في الشمال عن طرسوس على نحو مرحلة، يسكنها طائفة من التركمان .

الرابع - (عمل كَرْزَال) بكاف مكسورة وراء هملة ساكنة وزاى معجمة مفتوحة وبعدها ألف ثم لام . وهى قلعة صغيرة على رأس جبل بالقرب من كَوْلَاك المتقدّم ذكرها على نحو مرحلة . قال فى "التثقيف" : استجدّت فى سنة نَيْف وسبعين وسبعائة .

الخامس - (عمل كُومى) بضم الكاف وسكون الواو وكسر الميم وياء مشناة تحت فى الآخر .

السادس - (عمل تَلّ حَمْدُون) بفتح التاء المشناة فوق وتشديد اللام وفتح الحاء المهملة وإسكان الميم وضم الدال المهملة وسكون الواو ونون فى الآخر . وهى قلعة ببلاد الأرمن ، وموقعها فى الإقليم الرابع . قال ابن سعيد : طولها تسع وخمسون درجة وعشرون دقيقة ، وعرضها ست وثلاثون درجة . قال صاحب حماة : كانت قبل أن يخرّبها المسلمون قلعةً حصينة حسنة البناء على تَلّ عال ، ولها سور مانع ورَبَض وبساتين ونهر يجرى ، وعلى القرب من جِيحَان فى جهة الجنوب على نصف مرحلة ، وبينها وبين آياس نحو مرحلة ، وبينها وبين سِيس نحو مرحلتين .

السابع - (عمل الحَارُوبِيَّتَيْن) - بفتح الهاء وألف بعدها ثم راء مهملة مضمومة ونون مكسورة بعدها ياء مشناة تحت مشددة مفتوحة ثم تاء مشناة فوق بعدها ألف ونون . قال فى "التعريف" : وهما حصنان بناهما هارون الرشيد . وقال فى "المشترك" : الهارونية مدينة صغيرة آخططها هارون الرشيد بالثُغُور فى طَرَف جبل اللّكّام . وقال فى "العزى" : الهارونية آخر حدود الثُغُور الشامية مما يتصل بالحدود الجزرية ، وبينها وبين الكنيسة السوداء اثنا عشر ميلاً .

قال في "كتاب الأطوال" : وطولها ستون درجة وثلاثون دقيقة، وعرضها سبع وثلاثون درجة وعشرون دقيقة .

الثامن - (عمل قلعة نَجْمَة) بفتح النون وسكون الجيم وفتح الميم وهاء في الآخر.^(١) وهي قلعة على القرب من الفُرات بينها وبين جسر مَنبِج خمسة وعشرون ميلاً . قال في "تقويم البلدان" : وهذه القلعة في السحاب . قال : وكان يقال لذلك المكان حصن مَنبِج فصارت تعرف بقلعة نَجْمَة . ثم قال : وهي من بناء السلطان محمود بن زنكى . قلت : وفي "التعريف" ما يقتضى أنها من جملة بناء المأمون .

التاسع - (عمل قلعة حيمص) . وهي قلعة خراب صغيرة بالقرب من نهر جِيحَان .
العاشر - (عمل قلعة لُؤْلُؤَة) - وهي قلعة شمالي كَوَلَاكْ أَسْتَعَادَهَا أَبُو عِثْمَانَ .
الحادى عشر - (عمل قلعة تَامْرُون) شمالي طَرَسُوسَ ، بيد عيسى بن ألاس البرسقى التركمانى .

الثانى عشر - (عمل سِنْيَاط كَلَا) شمالي طَرَسُوسَ . كانت داخل المملكة أَسْتَوْلَى عليها أَبُو قُرْمَانَ فى أيام المنصور بن الأشرف شعبان .
الثالث عشر - (عمل بلسلوص) غربى طَرَسُوسَ على ساحل البحر، بيد حسن ابن قوسى البرسقى التركمانى .

القسم الثالث

(من الأعمال الحربية البلاد المجاورة للفرات من شرقية من بلاد الجزيرة الواقعة بين الفرات ودجلة، وهي ثلاثة أعمال)

الأول - (عمل البيرة) بكسر الباء الموحدة وسكون الياء المثناة تحت وفتح الراء المهملة وألف في الآخر . وهي قلعة فى البر الشرقى فى الشمال عن الفُراتِ ، فى الشرق^(٢)

(١) فى المعجم بدون هاء وقال "يلفظ النجم من الكواكب" (٢) لعله وهاء فى الآخر، وهى غير البيرة التى ببلاد الأندلس فان تلك الهزرة فيها أصلية على وزن إخرطة وكبريتة فليتنبه .

عن قلعة الروم المتقدم ذكرها على نحو مرحلة والفُرات بينهما . وقد عُدّها في "تقويم البلدان" : من جُنْد قَنَسَرِينَ من أعمال الشام ، وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في بعض الأزياج : طولها اثنتان وستون درجة وثلاثون دقيقة ، وعرضها ست وثلاثون درجة وخمسون دقيقة ، وهي قلعة ذات آرتفاع وحصينة لأتّرام . قال في "تقويم البلدان" : ولها سوق وعمل . قال ابن سعيد : وقلعتها على صحرة . قال في "التعريف" : ولها منعة وعسكر .

الثاني - (عمل قلعة جَعْبَرِ) - بفتح الجيم وسكون العين المهملة وفتح الباء الموحدة وراء مهملة في الآخر . وهي قلعة من ديار بكر في البر الشرقي الشمالي من الفُرات أيضا ، وموقعها في الإقليم الرابع . قال في "الأطوال" : طولها اثنتان وستون درجة ، وعرضها خمس وثلاثون درجة وخمسون دقيقة . قال القاضي جمال الدين ابن واصل : وكانت هذه القلعة تعرف قديما بالدوسيرية نسبة إلى دوسر : عبدالنعمان ابن المنذر ، وهو الذي بناها أولا لما جعله النعمان على أفواه الشام ، ثم تملكها سابق الدين جعبر القشيرى في أيام المملوك الساجوقية فعرفت به ، ثم آتت عنها منه السلطان ملكشاه الساجوقى . قال صاحب حماة : وهي في زماننا خراب ليس بها ديار . قلت : وذلك في أثناء الدولة الناصرية محمد بن قلاوون ، ثم عمرت بعد ذلك في آخر الدولة الناصرية أو بعدها بقليل ؛ وقد أشار إلى ذلك في "التعريف" : حين تعرّض لذكرها في آخر مضافات الشام قبل ذكر حلب بقوله : وهي مجددة البنيان ، مستجدّة الآن ، لأنها جُددت منذ سنوات ، بعد أن طال عليها الأمد ، وأُخِنى عليها الذى أُخِنى على بُد . وكان قد ذكر قبل ذلك في الكلام على تقاسيم الشام أنها مضافة إلى دِمَشْق . ثم قال : وحقّها أن تكون مع حَاب ، وقد صارت الآن من مضافات حلب .

الثالث - (عمل الرُّها) - بضم الراء المهملة وفتح الهاء وألف في الآخر . وهي مدينة من ديار مُضَرَ في البر الشرقي الشمالي عن الفُرات ، وموقعها في الإقليم الرابع بالقرب

من قلعة الروم . قال في ”الأطوال“ : طولها آثنتان وستون درجة وخمسون دقيقة، وعرضها سبع وثلاثون درجة . قال في ”العزى“ : وهى مدينة عظيمة رومية، فيها آثار عجيبة . قال في ”الروض المعطار“ : وهى مدينة ذات عيون كثيرة تجرى منها الأنهار، وبها البساتين والأشجار الكثيرة، وعليها سور من حجارة، ولها أربعة أبواب باب حَرَّان، والباب الكبير، وباب سبع، وباب الماء . قال : وليس فى بلاد الجزيرة أحسنُ منتهات منها ولا أكثر فواكه ؛ والفُرَاتُ منها فى ناحية الغرب على مسيرة يومين، وفى ناحية الشمال على مسيرة يوم . قال فى ”تقويم البلدان“ : وكان بها كنيسة عظيمة، وفيها أكثر من ثلثمائة دير للنصارى . قال : وهى اليوم خراب يعنى فى أثناء الدولة الناصرية، ثم عمرت بعد ذلك . قلت : وهى اليوم عامرة أهلة، والله سبحانه وتعالى أعلم .

القاعدة الثالثة

(من قواعد المملكة الشامية حماة)

وقد ذكرها فى ”مسالك الأبصار“ بعد دِمَشْقَ ؛ وهو أليق لقربها منها، ولكنه قد ذكرها فى ”التعريف“ بعد حلب فتبعته على ذلك ؛ وفيها جملتان :

الجملة الأولى

(فى حاضرتها)

وهى بفتح الحاء المهملة والميم وألف ثم هاء فى الآخر . وموقعها فى الإقليم الرابع بين حِمَصَ وقَسْرَيْنَ . قال فى ”تقويم البلدان“ : وطولها إحدى وستون درجة وخمس وأربعون دقيقة، وعرضها أربع وثلاثون درجة وأربعون دقيقة ؛ وهى مدينة قديمة أزليّة . قال فى ”تقويم البلدان“ : ولها ذكر فى التوراة، وهى على ضفة

العاصي مَكِينة البناء، ولها سُورٌ جليل، وبيوت ملوكها وشُرُفاتها مطلة على النهر العاصي؛ وبها القصور الملوكية، والدور الأنيقة والجوامع والمساجد والمدارس والرُّبُط والزوايا والأسواق التي لا تَعْدَم نوعاً من الأنواع؛ وبها قلعة مبنية بالحجارة الملونة؛ وغالبُ مبانيها العلية، وآثار الخير والبرِّ الباقية فيها من فواضل نِعَم الدولة الأيوبية؛ وبها نواعيرٌ مرَّكة على العاصي، تدور بجريان الماء، وترفع الماء إلى الدور السلطانية ودُور الأمراء والأكابر والبساتين؛ وفي بساتينها الغُرَّاسُ الفائق والثمار الغريبة؛ ولم يكن لها في القديم نَبَاهة ذِكر، وكان الصَّيْتُ لِحَصِّ دُونِها، ثم تنبه ذكرها في الدولة الأتابكية زنكى؛ فلما آلت إلى ملوك بني أيوب مَصْرُوها بالأبنية العظيمة، والقصور الفاتقة، والمسكن الفاخرة، وتأمير الأمراء، وتجنيد الأجناد فيها؛ وعظَّموا أسواقها وزادوا في غِرَاسِها، وجلبوا إليها من أرباب الصنائع كلَّ من فاق في فنِّه إلى أن كملت محاسنها، وصارت معدودةً من أمهات البلاد وأحسن الممالك؛ وهى في غاية رَفَاهة العيش إلا أنها شديدة الحرِّ محبوبةُ الهواء، ويعرَّض لها في الخريف تغير تنسب به إلى الوخامة، ولا يبقى بها الثلج إلى الصيف كما يبقى في بقية الشام، وإنما يجلب إليها مما يجاورها؛ وحوّلها مروج فيحٌ ممتدةٌ يكثر فيها مصايد الطير والوحش؛ وليس بالممالك الشامية بعد دِمَشْق لها نظير، ولا يدانيها في لُطْف ذاتها من مجاورتها قريب ولا بعيد. قال في "الروض المِعْطار": وبينها وبين حِمَص أربعون ميلاً، ولم تزل بأيدي بقايا الملوك الأيوبية من جهة صاحب مصر، يقيم ملوكهم فيها ملكاً بعد ملك إلى أن كان بها منهم آخر الأيام الناصرية محمد بن قلاوون المتقدم ذكره، وأستقر فيها بالأمير طغتمر الحموى^(١): أحد مقدّمى الألوف بالديار المصرية نائباً؛ وأستمرت بأيدي التّوابع يليها مقدّم ألف بعد مقدّم ألف إلى الآن.

(١) لعل الباء من زيادة النسخ أى كان بها منهم في تلك الأيام وأستقر فيها الأمير الخ.

الجملة الثانية

(في نواحيها وأعمالها)

قال في "التعريف": وحدها من القبلة مدينة الرستن وماسمتها أخذا بين سَلْمِيَّة وقبة ملاعب، إلى حيث جَرَّ النهر والآثار القديمة؛ وحدها من الشرق البرُّ أخذاً على سَلْمِيَّة إلى ما آستفل عن قُبة ملاعب؛ وحدها من الشمال آخر حدِّ المعزة من العرانا،^(١) وحدها من الغرب مضافات مِصَياف وقلاع الدعوة؛ وليس بها ثواب قلاع البتة، ولها ثلاثة أعمال.

الأول - (عمل برّها) - وهو ظاهرها وما حولها كما تقدّم في دمشق وحلب .
الثاني - (عمل بَارِين) - بفتح الباء الموحدة وألف بعدها وكسر الراء المهملة وسكون الياء المثناة تحت ونون في الآخر - وهي بلدة على مرحلة من حماة في الغرب عنها بَمِيلَة يسيرة إلى الجنوب؛ وموقعها في الإقليم الرابع . قال في "تقويم البلدان":
والقياس أن طولها إحدى وستون درجة وخمس وأربعون دقيقة.^(٢)

الثالث - (عمل المَعَرَّة) - بفتح الميم والعين المهملة ثم راء مهملة مشددة مفتوحة وهاء في الآخر - وهي مدينة من جُنْدِ حِمَص واقعة في الإقليم الرابع . قال في "كتاب الأطوال": طولها إحدى وستون درجة وخمس وأربعون دقيقة، وعرضها خمس وثلاثون درجة . وقال في "تقويم البلدان": القياس أن طولها إحدى وستون درجة وأربعون دقيقة، وعرضها خمس وثلاثون درجة وخمس وأربعون دقيقة، وتعرف بمَعَرَّة النُّعْمَان . قال: البلاذري إضافة إلى النُّعْمَان بن شِير الأنصاري رضى

(١) كذا في الأصل بإهمال التقط وفي الضوء "من الغرب".

(٢) لم يتكلم على العرض كما دته ولعله سقط من قلم النسخ . ويستفاد من "التقويم" أن عرضها أربع وثلاثون درجة وأربعون دقيقة .

الله عنه . قال في "العزري" : وهى مدينة جليلة عامرة كثيرة الفواكه والثمار والخضب، وشرب أهلها من الآبار . قال في "الروض المعطار" : ولها سبعة أبواب : باب حلب، والباب الكبير، وباب شيث، وباب الحنان، وباب حصص، وباب كذا^(١) . قال : ويذكر أن قبر شيث بن آدم عليه السلام عند الباب المنسوب إليه فيها، وداخلها قبر يوشع بن نون عليه السلام، وعلى ميل منها دير سمعان الذى به قبر عمر بن عبدالعزيز . قال السمعاني : والنسبة إليها معرني . قال : وبالشام بلدة أخرى تسمى معرة نسر بن بالنون والسين المهمله ، والنسبة إليها معرني . قال صاحب حماة : والمشهور فى الثانية أنها معرة مضرين بيم وصاد مهمله .

القاعدة الرابعة

(من قواعد المملكة الشامية أطراً بلس، وفيها جملتان)

الجملة الأولى

(فى حاضرته)

وهى بفتح الهمزة وسكون الطاء وفتح الراء المهملتين ثم ألف وباء موحدة ولام مضمومتين وسين مهمله فى الآخر . قال السمعاني : وقد تسقط الألف منها فرقا بينها وبين أطراً بلس التى فى الغرب، وأنكر ياقوت فى "المشترك" : سقوطها وعاب على المتنبي حذفها منها فى بعض شعره . قال فى "الروض المعطار" : ومعنى أطراً بلس فيما قيل ثلاث مدن ، وقيل مدينة الناس . وهى مدينة من سواحل حصص واقعة فى الإقليم الرابع . قال فى "كتاب الأطوال" : طولها تسع ونمسون درجة وأربعون دقيقة ، وعرضها أربع وثلاثون درجة ، وكانت فى الأصل من بناء الروم فلما فتحها المسلمون فى سنة ثمان وثمانين وستمئة فى الأيام الأشرفية "خليل بن قلاوون" رحمه

(١) هذا هو السادس وكفى عنه ولم يحله ولم يذكر السابع فليعلم .

الله، نَحَرَّبُهَا وَعَمَّرُوا مَدِينَةَ عَلَى نَحْوِ مِيلٍ مِنْهَا وَسَمَّوْهَا بِاسْمِهَا، وَهِيَ الْمَوْجُودَةُ الْآنَ؛ وَلَمَّا بَنِيَتْ هَذِهِ الْمَدِينَةُ الْجَدِيدَةُ كَانَتْ وَخِيمَةُ الْبَقْعَةِ، ذَمِيمَةُ السَّكَنِ. فَلَمَّا طَالَتْ مَدَّةَ سَكْنِهَا وَكَثُرَ بِهَا النَّاسُ وَالِدَوَابُّ وَصُرِّفَتِ الْمِيَاهُ الْآسِنَةُ الَّتِي كَانَتْ حَوْلَهَا وَعَمِلَتْ بَسَاتِينَ، وَنُصِبَتْ بِهَا النُّصُوبُ وَالْعُرُوسُ، خَفَّ ثِقَلُهَا وَقَلَّ وَخُجُّهَا.

قَالَ فِي "مَسَالِكِ الْأَبْصَارِ": وَلَمَّا وَلَّى نِيَابَتَهَا أَسْتَدْمَرَ الْكَرْجِيُّ كَانَ لَا يَنْفِكُ عَنْ كَوْنِهِ وَنَحْمَا فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ الْمُتَطَبِّبِ، فَأَشَارَ عَلَيْهِ أَنْ يَسْتَكْثِرَ فِيهَا مِنَ الْإِبِلِ وَسَائِرِ الدَّوَابِّ فَفَعَلَ نَخَفَ وَنَحْمَا. قَالَ: وَقَدْ سَأَلْتُ عَنْ عِلَّةِ ذَلِكَ الْكَثِيرَ مِنَ الْأَطْبَاءِ فَلَمْ يَجِيبُوا فِيهِ بِشَيْءٍ.

قُلْتُ: لَا خَفَاءَ أَنَّ الْمَعْنَى فِي الْإِبِلِ مَا أَشَارَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَمْرِ الْعُرَيْنِيِّينَ حِينَ آسَتَوْنَحْمَا الْمَدِينَةَ "أَنَّهُمْ يُقِيمُونَ فِي إِبِلِ الصَّدَقَةِ وَيَشْرَبُونَ مِنْ أَلْبَانِهَا وَأَبْوَالِهَا فَفَعَلُوا ذَلِكَ فَصَحَّحُوا" فَكَأَنَّ ذَلِكَ مِنْ خَاصَّةِ الْإِبِلِ. وَلَعَلَّ التَّأثيرَ فِي ذَلِكَ لِلْإِبِلِ خَاصَّةً دُونَ سَائِرِ الدَّوَابِّ. وَهِيَ الْآنَ مَدِينَةٌ مَتَمَذَّنَةٌ كَثِيرَةُ الزَّحَامِ؛ وَبِهَا مَسَاجِدُ، وَمَدَارِسُ، وَزَوَايَا، وَبِمَارِسْتَانٍ، وَأَسْوَاقٌ جَلِيلَةٌ، وَحَمَامَاتُ حَسَنَانٍ؛ وَجَمِيعُ بَنَائِهَا بِالْحَجَرِ وَالْكَلسِ مَبِيضًا ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، وَغُوطَتُهَا مُحِيطَةٌ بِهَا، وَتَحِيطُ بِغُوطَتِهَا مَزْدَرَعَاتُهَا؛ وَهِيَ بِدِيعَةُ الْمُشْتَرَفِ؛ وَلَهَا نَهْرٌ يَحْكُمُ عَلَى دِيَارِهَا وَطَبَاقِهَا يَتَخَرَّقُ الْمَاءُ فِي مَوَاضِعَ مِنْ أَعَالَى بَيْوتِهَا الَّتِي لَا يُرْقَى إِلَيْهَا إِلَّا بِالدرَجِ الْعَلِيِّ؛ وَحَوْلَهَا جِبَالٌ شَاهِقَةٌ، صَحِيحَةُ الْهَوَاءِ، خَفِيفَةُ الْمَاءِ، ذَاتُ أَشْجَارٍ وَكُرُومٍ وَمَرْجٍ وَمَوَاشٍ، وَمِينَاهَا مِينَا جَلِيلَةٌ، تَهْوِي إِلَيْهَا وَقُودُ الْبَحْرِ الرُّومِيِّ وَتَرْسُو بِهَا مَرَاكِبُهُمْ، وَتُبَاعُ بِهَا بِضَائِعُهُمْ. وَهِيَ بَلَدَةٌ مَتَجَرُّ وَزَرْعٌ، كَثِيرَةُ الْفَائِدَةِ. وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي الْكَلَامِ عَلَى عَجَائِبِ الشَّامِ أَنَّ دَاخِلَ الْبَحْرِ بِالْقَرَبِ مِنْهَا عَلَى نَحْوِ رَمِيَّةٍ حَجَرٍ عَنِ الْبَرِّ عَيْنًا فَوَارَةً عَذْبَةُ الْمَاءِ تَنْفُثُ عَلَى وَجْهِ الْمَاءِ قَدْرَ ذِرَاعٍ أَوْ أَكْثَرَ، يَتَبَيَّنُ ذَلِكَ عِنْدَ سَكُونِ الرِّيحِ.

الجملة الثانية

(في نواحيها وأعمالها)

قال في " التعريف " : وحدّها من القبلة جبل لُبْنَان ممتداً على ما يليه من مَرَج الأسد، حيث يمتدّ النهر العاصي، وحدّها من الشّمال قِلَاع الدَّعوة، وحدّها من الغرب البحر الرومي . وأعمالها على قسمين :

القسم الأول

(الأعمال الجبّار التي يكتبُ نوابها عن الأبواب السلطانية، وهي على ضربين)

الضرب الأول

(مضافاتها نفسها ، وهي ست نيايات)

الأول - (عمل حصن الأكراد) - بإضافة حصن واحد الحصون إلى الأكراد الطائفة المشهورة ، وهي قلعة من جُند حصّ ، موقعها في الإقليم الرابع . قال في "تقويم البلدان" : والقياس أن طولها ستون درجة وثلاثون دقيقة، وعرضها أربع وثلاثون درجة . قال في "المشارك" : وهي قلعة حصينة مقابل حصّ من غربيها، على الجبل المتصل بجبل لُبْنَان نحو مرحلة من حصّ . قال في "التعريف" : وهي حصن جليل وقلعة شماء، لا تبعد منها السماء . قال : وكانت محل النياية ومقرّ العسكر قبل فتح طرّا بلس .

الثاني - (عمل حصن عكّار) - بإضافة حصن إلى عكّار - بفتح العين المهملة وتشديد الكاف المفتوحة وبعدها ألف ثم راء مهملة - وهي قلعة على مرحلة من طرّا بلس في جهة الشرق بوسط جبل لُبْنَان في وادٍ والجبل محيط بها، وشرب أهلها من عين تجري إليها من ذيل لُبْنَان المذكور، ولها ربض ليس بالكبير .

الثالث - (عمل بلاطُس) - بفتح الباء الموحدة وبعدها لام ألف ثم طاء مهملة ونون مضمومتان وسين مهملة في الآخر - وهى قلعة بالقرب من مدينة مصياف في جهة الغرب منها على نصف مرحلة ، وفي جهة الشمال من طرابُلُس على نحو مرحلتين .

الرابع - (عمل صَمِيُون) - بفتح الصاد المهملة وسكون الهاء وضم الياء المثناة تحت^(١) وسكون الواو ثم نون في الآخر - وهى قلعة من جُند قَنَسَرِينَ في الإقليم الرابع . قال في "الزيج" : طولها ستون درجة وعشر دقائق ، وعرضها خمس وثلاثون درجة وعشر دقائق . وهى من القلاع المشهورة ، ذات حصانة ومنعة ، مبنية على صخر أصم ، في ذيل جبل يظهر من اللاذقية وبينهما نحو مرحلة ، وهى في الشرق عن اللاذقية بميلة إلى الجنوب ، وبها المياه الكثيرة حاصلة من الأمطار .

الخامس - (عمل اللاذقية) - بألف ولام لازمتين وذال معجمة وقاف مكسورتين وياء مثناة تحت مشددة مفتوحة وهاء في آخرها . وهى مدينة من سواحل الشام واقعة في الإقليم الرابع . قال في "الأطوال" : طولها ستون درجة وأربعون دقيقة ، وعرضها خمس وثلاثون درجة وخمس وأربعون دقيقة . وعدّها في "الغريزى" من أعمال حمص ثم قال : وهى مدينة جليلة بل هى أجمل مدينة بالساحل منعة وعمارة ، ولها ميناء حسنة ، ومنها إلى أنطاكية ثمانية وأربعون ميلا ، وقد عدّها في "التعريف" : في جملة ولايات طرابُلُس على ما كانت عليه إذ ذاك ، ثم استقرت بعد ذلك نيابة ، وهى الآن أعظم نيابات طرابُلُس .

السادس - (عمل المرقب) - بفتح الميم وسكون الراء المهملة وفتح القاف وباء موحدة في الآخر . وهى قلعة بالقرب من ساحل البحر الرومى ، وموقعها في الإقليم

(١) ضبطها ياقوت والمجد بكسر الصاد وفتح الياء المثناة من تحت .

الرابع . قال في ”الزيج“ : طولها ستون درجة ، وعرضها أربع وثلاثون درجة وخمس وأربعون دقيقة ، وهي قلعة حصينة حسنة البناء مشرفة على البحر وعلى نحو فرسخ منها مدينة (بِلْنِيَّاس) بكسر الباء الموحدة واللام وسكون النون وياء مثناة تحت وألف وسين مهملة - وفي الغالب تضاف إليها فيقال المَرْقَبُ وبِلْنِيَّاسُ ، وهي مدينة حسنة على الساحل ، ذات مياه وأعين تجرى وفواكه كثيرة . قال في ”العزى“ : وبينها وبين أَنْطَرُطُوسَ اثْنَا عَشَرَ ميلاً ، ولم يتعرض لذكر المَرْقَبِ في ”التعريف“ : ولا في ”مسالك الأبصار“ .

الضرب الثاني

(قِلَاعُ الدَّعْوَةِ ، بفتح الدال)

سميت بذلك لأنها كانت بيد الإسماعيلية من الشَّيْعَةِ المنتسبين إلى إسماعيل بن جعفر الصادق ، وهم يسمون أنفسهم أصحاب الدعوة الهاديّة ، وهؤلاء هم المعروفون في ديوان الإنشاء بالقُصَّاد ، وبين العامة بالفداوية ، وسيأتي الكلام على معتقدهم في الكلام على القُصَّاد ، ثم في الكلام على تخليف أهل البدع في باب الإيمان إن شاء الله تعالى - وهي سبع قلاع ، عظيمة الشأن ، رفيعة المقدار ، لا تُسَمَّى مَنَعَةً ولا تُرام حصانَةً ، وكانت أولاً كلها مضافة إلى طَرَابُلُسَ ثم نقلت مضافاً منها إلى دِمَشْقَ على ما تقدّم ذكره ، والبقية على ما كانت عليه من إضافتها إلى طَرَابُلُسَ . وهي ستة أعمال .

الأول - (عمل الرضاة) - بألف ولام لازمتين في أولها وراء مهملة مضمومة وصاد مفتوحة بعدها ألف ثم فاء وهاء - وهي قلعة بالقرب من مِصْيَافَ ، وبالشَّامِ

بلدة أخرى يقال لها الرُصَافَةُ أيضا وتعرف بِرُصَافَةِ هِشَام، على أَقَلِّ من مسافة يوم من الجانب الغربى من القُرَاتِ .

الثانى - عمل (الخَوَائِي) - بفتح الخاء المعجمة والواو ثم ألف وباء موحدة مكسورة وياء فى الآخر - وهى قلعة فى جهة الشمال من طَرَأْبُلسَ على نحو مرحلتين، وقد تقدّم فى الكلام على خواصّ الشام أن بسورها مكانا لا ينظره ملسوع أو رسوله إلا براً ذلك الملسوع ولم يضره السم .

الثالث - (عمل القَدْمُوسِ) - بفتح القاف والdal المهملة وضم الميم وسكون الواو وسين . مهملة فى الآخر - وهى قلعة بالقرب من الخَوَائِي المقدمة الذكر، وقد تقدّم فى الكلام على خواصّ الشام أن بها حماماً يظهر منه أنواع من الحيات وتمشى بين الناس ولا تضر أحدا البتة .

الرابع - (عمل الكَهْفِ) - بفتح الكاف وسكون الهاء وفاء فى الآخر . وهى قلعة بالقرب من القَدْمُوسِ على نحو ساعة على تَسْرِجِبل مرتفع عال يرى على بعد .

الخامس - (عمل المَيْنَقَةِ) - بفتح الميم وسكون الياء المشناة تحت وفتح الزون والقاف وهاء فى الآخر - وهى قلعة بالقرب من الكَهْفِ على نحو ساعة على جبل مرتفع أيضا .

السادس - (عمل العُلَيْقَةِ) - بضم العين المهملة وفتح اللام المشددة وسكون الياء المشناة تحت وفتح القاف وهاء فى الآخر - وهى قلعة على الجبل المذكور على نحو ساعة من المَيْنَقَةِ .

القسم الثانى

(من أعمال طَرَأْبُلسَ الأعمال الصغار؛ وهى ستة أعمال)

قال فى "التعريف" : سوى ما نقل فى تلك القلاع مما له ولاية .

الأول - (عمل أَنْطَرُطُوسَ) . قال في "الباب" : بفتح الهمزة وسكون النون وفتح الطاء وسكون الراء المهملتين وضم الطاء المهملة وسكون الواو وسين مهملة في الآخر . قال في "كتاب الأطوال" : وموضعها حيث الطول ستون درجة ، والعرض أربع وثلاثون درجة وعشر دقائق . وهي بلدة بالساحل . قال في "تقويم البلدان" : وهي تَقَرُّ لأهل حص فتحها المسلمون وخربوا أسوارها ، وهي الآن أهلة . قال : وكان بها مُصَحَّفُ عثمان بن عَفَّان رضى الله عنه .

الثاني - عمل جُبَّةِ المُنَيْطَرَةِ بإضافة جُبَّةٍ (بضم الجيم وتشديد الباء الموحدة المفتوحة وتاء التانيث) إلى المُنَيْطَرَةِ (بضم الميم وفتح النون وسكون الياء المثناة تحت وفتح الطاء المعجمة والراء المهملة وهاء في الآخر) .

الثالث - (عمل الظَّنِّينَ) - بألف ولام لازمتين وطاء معجمة مفتوحة مشددة ونون مشددة مكسورة وياء مثناة تحت مكسورة بعدها ياء ثانية ساكنة ثم نون - وهي كُورَة بين مصياف وفَاميّة ، وليس بها مقر ولاية .

الرابع - (عمل بُشْرِيَه) - بضم الباء الموحدة وفتح الشين المعجمة وفتح الراء المهملة المشددة وسكون الياء المثناة تحت وهاء في الآخر - هكذا مكتوب في "التعريف" : والجارى على الألسنة بشراى بابدال الهاء ياء مثناة تحت .

الخامس - (عمل جَبَلَة) - بفتح الجيم والباء الموحدة واللام ثم هاء في الآخر - وهي بلدة صغيرة بساحل البحر الرومى من الإقليم الرابع . قال في "الأطوال" : طولها ستون درجة ، وعرضها أربع وثلاثون درجة وخمس وخمسون دقيقة . وقال في "تقويم البلدان" : القياس أن طولها ستون درجة ، وعرضها أربع وثلاثون درجة وخمس وخمسون دقيقة . قال في "العزيزى" : ولها أعمال واسعة ،

(١) أوردتها في "معجم البلدان" ونص على إهمال الطاء وأنها بصيغة التصغير .

وبينها وبين اللاذقية اثنا عشر ميلا ، وبينها وبين أنطاكية ثمانية وأربعون ميلا ،
وبها مقام إبراهيم بن أدهم رحمه الله .

السادس - (عجل أنفة) - بفتح الهمزة المقصورة والنون والفاء وبهاء في الآخر -
وهي بلدة على البحر الرومي تردها المراكب بقلّة .

القاعدة الخامسة

(من قواعد الملكة الشامية صفد، وفيها جملتان)

الجملة الأولى

(في حاضرتها)

وهي بفتح الصاد المهملة والفاء وتاء مثناة فوق في آخرها . هكذا ضبطه
في "تقويم البلدان" . ثم قال : والمشهور على السنة الداس أن مكان التاء دالا
مهملة ؛ وهي مدينة من جُند الأردن ، واقعة في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة .
قال في "الزيج" . طولها سبع وخمسون درجة وخمسة وثلاثون دقيقة ، وعرضها
أثنا وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . قال في "تقويم البلدان" : وهي بلدة متوسطة
بين الكبر والصغر ، وذكر العثماني في "تاريخ صفد" : أنه كان مكانها أولا قرية
وأصل الصفّة في لغتهم العطية ، سميت بذلك لأن الفرنج أعطتها للطائفة الدموية منهم
لا يشاركون فيها أحد . قال : وقد تكون سميت بذلك أخذًا من الصفد ، وهو الغل
لأن صاحب الغل يمتنع من الحركة ويلزم موضعه ، وكذلك هذا البلد لأنها في جبل
عال لا يتمكن ساكنه من الحركة في كل وقت ، إن ركب تعب وإن مشى على قدمه
أخاظ لحمه بدمه لصعود الربوة وهبوط الوهدة ، فيستقر في مكانها ويقنع بالنظر ،
وربّما منتشر العمار على ثلاثة أجبل ، وأكثر ما يدخل أهلها حمامات الوادي لقلة

الماء بها وسوء بناء حماماتها، وبساتينها تحتمل في الوادى إلى جهة بحيرة طَبْرِيَّةَ، وكل ما يوجد في دِمَشْقَ يوجد فيها : إما من بلادها، وإما مجلوب إليها من دِمَشْقَ، ونيابتها نيابة جليلة ونائبها من أكبر الأمراء المقدمين، ولها قلعة حصينة ذات بساتين تُشْرِفُ على بحيرة طَبْرِيَّةَ، يَحْفُ بها جبال وأودية. قال ابن الواسطى : بنتها الفرنج سنة خمس وتسعين وأربعمائة . ولما فتحها الظاهر بيبرس رحمه الله عظم شأنها ورفع مقدارها . قال في "مسالك الأبصار" : وهى جديرة بالعظيم فقل أن يوجد لها شبيه ، ولا يعلم لها نظير . ولهذا القاعة نائب مستقل من قِبَلِ السلطان يوثى من الأبواب الشريفة بمرسوم شريف ، وعادته أن يكون من أمراء الطلائخانة، ولا حكم لنائب السلطنة بالبلد عليه بل هو مستقل بنفسه كما فى نائب قلعتى دِمَشْقَ وحلب .

الجملة الثانية

(فى نواحيها وأعمالها)

قال فى " التعريف " : وحدّتها من القبلة الغور حيث جَسَرَ الصَّبْرَةَ من وراء طَبْرِيَّةَ، وحدّتها من المشرق الملاحاة الفاصلة بين بلاد الشقيف وبين حَوْلَةِ بانياس، وحدّتها من الشمال نهر ليطا، وحدّتها من الغرب البحر . وليس فى أعمالها نيابة أصلا . وقد ذكر لها فى "مسالك الأبصار" : أحد عشر عملا .

الأول - (عمل برّها) - كما فى دِمَشْقَ وحلبَ وغيّهما من القواعد المتقدمة .
 الثانى - (عمل النَّاصِرَةِ) - بالألف واللام اللازمتين ونون مفتوحة بعدها ألف ثم صاد مهملة مكسورة وراء مهملة مفتوحة وهاء فى الآخر - وهى بليدة صغيرة قال فى "الروص المعطار" : على ثلاثة عشر ميلا من طَبْرِيَّةَ . قال : ويقال : إن المسيح عليه السلام ولد بها ، وأهل القُدُسِ ينكرون ذلك ويذكرون أنها ولدته

بالْقُدْس ، والمعروف أن أمه حين عادت به من مصر إلى الشام وعمره يومئذ اثنتا عشرة سنة نزلت به القرية المذكورة ، وهى اليوم منبع الطائفة النصيرية . والذى ذكره العثماني في "تاريخ صَفَد" : أن أهل هذه البلاد منسوبون إلى الدين .

الثالث - (عمل طَبْرِية) - بفتح الطاء المَهْمَلَة والباء الموحدة وكسر الراء المهملة وفتح الياء المثناة تحت وتشديدها وداء فى الآخر - وهى مدينة من جُند الأُرْدُن بناها طبريون أحد ملوك اليونان البطالسة فعُرِفَتْ به ثم عربت طبرية ، والنسبة إليها طبراني للفرق بينهما وبين طَبْرِسَـنَـان من نواحى بلاد الشرق حيث ينسب إليها طَبْرِى ، وموقعها فى الإقليم الثالث . قال فى "الأطوال" : طولها ثمان وخمسون درجة وخمس وخمسون دقيقة ، وعَرْضُها اثنتان وثلاثون درجة وخمسون دقيقة . وقال فى "رسم المعمور" : طولها سبع وخمسون درجة وخمس وأربعون دقيقة ، وعَرْضُها اثنتان وثلاثون درجة ، وتبعه ابن سعيد على ذلك . وقال فى "تقويم البلدان" : القياس أن طولها سبع وخمسون درجة وخمس وثلاثون دقيقة ، وعَرْضُها اثنتان وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة ، وهى فى الغُورِ فى سفح جبل على بحيرتها المتقدمة الذكر فى بُحَيْرَات الشام . قال فى "مسالك الأبصار" : ومن عملها قَدَس . قال : وكان معها قديما السَّوَادُ وَيَسَانُ ثم خرجا عنها . قال العثماني فى "تاريخ صفد" : ومن ولايتها البَطِيحَة وكَفَر عاقب .

الرابع - (عمل تَبْنِين وهُونين) - بعطف الثانى على الأول .

فأما تَبْنِينُ ، فبناء مشاة فوق مكسورة وباء موحدة ساكنة ونون مكسورة وياء مشاة تحت ساكنة ونون فى الآخر .

وأما هُونَيْنٌ ، فهما مضمومة وأوسا كنة ونون مكسورة بعدها ياء مثناة تحت سا كنة ونون في الآخر . قال في ”مسالك الأبصار“ : وهما حصنان بُنيَا بعد الخمسة بين صُورَ وبانياسَ بجبل عاملة المتقدم ذكره في جبال الشام المشهورة ، وجعل العثماني في ”تاريخ صفد“ قلعة هُونَيْنَ من عمل الشَّقِيف ، وأهل هذا العمل شِيعَةٌ رافضة .

الخامس - (عمل عَثَلِيثَ) - بفتح العين المهملة وإسكان الثاء المثناة وكسر اللام وسكون الياء المثناة تحت وئاء مثناة في الآخر - وهي كورة بين قاقُون وعَكَّا ، فيها قَرْيَ متسعة وليس بها مقر ولاية معلوم . قال العثماني في ”تاريخ صفد“ : وفي آخر هذا العمل بلاد قاقُون وهو آخر الأعمال الصفدية .

السادس - (عمل عَكَّا) - بفتح العين المهملة وتشديد الكاف المفتوحة وألف في الآخر - وهي مدينة من سواحل الشام . قال العثماني في ”تاريخ صفد“ : بناها عبد الملك بن مَرْوان ، ثم غلبت عليها الفرنج ، ثم آتتجها منهم السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، ثم غلبوا عليها ثانيا ، ثم أَسْتَرَجَمَتْ . وهي واقعة في الإقليم الثالث . قال في ”الأطوال“ : طولها ثمان وخمسون درجة وخمسون وعشرون دقيقة ، وعرضها ثلاث وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . وزال في ”تقويم البلدان“ : القياس أن طولها سبع وخمسون درجة ، وعرضها ثلاث وثلاثون درجة وعشرون دقيقة ، وقيل غير ذلك ؛ وقد خربت بعد أن أَسْتَرَجَمَهَا المسلمون من الفرنج في سنة تسعين وستمائة في الدولة الأشرفية ”خليل بن قلاوون“ ؛ وبها مسجد ينسب لصالح عليه السلام ، وبينها وبين طَبْرِية أربعة وعشرون ميلا ؛ وكانت هي قاعدة هذا الساحل قبل صفد . فلما خربت أقيمت صفد مقامها وصارت هي ولاية .

السابع - (عمل صُور) - بضم الصاد المهملة وسكون الواو وراء مهملة في الآخر - وهي مدينة قديمة بساحل دِمَشْق، واقعة في الإقليم الثالث . قال في "الأطوال" : طولها ثمان وخمسون درجة وخمس وثلاثون دقيقة ، وعرضها اثنتان وثلاثون درجة وثلثان وثلاثون دقيقة . وقال في "تقويم البلدان" : القياس أن طولها سبع وخمسون درجة ، وعرضها ثلاث وثلاثون درجة وخمس دقائق . وبنائها من أعظم أبنية الدنيا ، وكانت من أحصن الحصون التي على ساحل البحر ، فلما فتحها المسلمون في سنة تسعين وستمائة مع عكَّا خربوها خوفا أن يتحصن بها العدو ، وهي خراب إلى الآن . ويقال إنها أقدم بلد بالساحل ، وإن عامة حكماء اليونان منها . قال الشريف الإدريسي : وكان بها مرسى ، يدخل إليه من تحت قطرة عليها سلسلة تمنع المراكب من الدخول . قال في "التعريف" : وبصور كنيسة يقصدها ملوك من البحر عند تملكهم فيملكون ملوكهم بها ، إذ لا يصح تملكهم إلا منها . قال : وشرطهم أن يدخلوها عنوة ، ولذلك لا يزال عليها الرقبة ، ومع ذلك يأتونها مباغته فيقضون أربهم منها ثم ينصرفون ، وسكان هذا العمل رافضة لا يشهدون جمعة ولا جماعة .

الثامن - (عمل الشاغور) - بالفاء ولام لازمتين وشين معجمة مشددة مفتوحة بعدها ألف ثم غين معجمة مضمومة بعدها واو ساكنة وراء مهملة في الآخر - وهي كورة بين عكَّا وصفد والناصرية بها قرى متسعة ، وليس بها مقر ولاية معروف ، وعدها العثماني في "تاريخ صفد" شاغورين .

أحدهما - شاغور البعة . وهو جبل به قرى عامرة . قال : وبالبيعة ديره مصطبة إذا بات عليها من به جنون شفى بإذن الله .

(١) في الضوء "وجعلها" وهي أوضح .

(٢) كذا في الأصل باهمال حروفها - وفي الضوء "التبة" ولم نجد لها بعد البحث .

والناني - شاغور غرابية، وفيه عدة قرى، وبه مقام أولاد يعقوب عليه السلام، وهو من المزارات المشهورة .

التاسع - (عمل الإقليم) - بكسر الهمزة وسكون القاف وكسر اللام وسكون الياء المشاة تحت وميم في الآخر - وهي كورة بين دمشق والشَّغَر والخربة، بها قرى متسعة وليس بها مقر ولاية .

العاشر - (عمل الشَّقِيف) - بفتح الشين المعجمة وكسر القاف وسكون الياء المشاة تحت ثم فاء - ويُعرف بِشَقِيف أَرْنُون (بفتح الهمزة وسكون الراء المهملة وضم النون وسكون الواو ثم نون في الآخر) . قال في "المشارك" : وهو أسم رجل أضيف الشَّقِيفُ إليه ، ويُعرف أيضا بالشَّقِيف الكبير . وهو حصن بين دِمَشَق والساحل، بعضه مغارة منحوتة في الصخر، وبعضه له سور . وهو في غاية الحصانة وعلى القرب منه شَقِيف آخر يُعرف بِشَقِيف تَبْرُون (بكسر التاء المشاة فوق وسكون الياء المشاة تحت وضم الراء المهملة وسكون الواو ونون في الآخر) وهي قلعة حصينة من جُند الأَرْدَن على مسيرة يوم من صَفَد في سَمَت الشمال . قال في "مسالك الأبصار" : وليست من بلاد صَفَد، وأهل هذا العمل رافضة .

الحادي عشر - (عمل جِينِينَ) - بجم مكسورة وياء مشاة تحت ساكنة ونون مكسورة ومثناة تحت ثانية ساكنة ونون في الآخر - وهي بلدة قديمة متسعة، وهي مُرَكَّبَةٌ على كتف واد لطيف به نهر ماء يجري، وهي في الشمال عن قَاقُون على نحو مرحلة، في رأس مَرَج بنى عامر، وبها مقام دِحْيَةَ الكلبي : صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم !

ومن أعمالها (الْبُتُون) . قال في "تقويم البلدان" : بفتح اللام المشددة وضم الجيم المشددة . وهي قرية قديمة في جهة الغرب عن بَيْسَانَ، على نصف مرحلة منها .

قال في "كتاب الأطوال" : موضعها حيث الطول سبع وخمسون درجة وخمس وأربعون دقيقة، والعرض اثنتان وثلاثون درجة، وبالجُّون مقام الخليل عليه السلام، وبها ينزل الملوك على مصطبة هناك معدة لذلك . قال في "مسالك الأبصار" : ومن عملها (قَدُس) . وكان معها قديما (السَّوَادُ وَيَسَارُ) وخرجا عنها، ثم قال : ومما يذكر فيها (حيفا) . وهي خراب على الساحل، و(قلعة كوكب) . وهي التي يقول فيها العباد الأصفهاني : راسية راسخة، شماء شامخة . وقلعة (الطور) وهي مفردة على جبل الطُّور؛ بناها العادل أبو بكر بن أيوب ثم غلبه عليها الفرنج فهدمها .

قلت : واقتصر في "التعريف" : على ولاية برصَفَد وولاية الشَّقِيف، وولاية جِينين، وولاية عَكَّا، وولاية النَّاصِرَة، وولاية صُور، من غير زيادة على ذلك .

القاعدة السادسة

(من قواعد الملكة الشامية الكرك، وفيها جملتان)

الجملة الأولى

(في حاضرتها)

وهي بفتح الكاف والراء المهملة ثم كاف ثانية، والألف واللام في أولها غير لازمتين . وتعرف بكَرْك الشُّوبَك لمقاربتها لها . قال في "تقويم البلدان" : وهي من البلقاء وهما؛ وموقعها في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال ابن سعيد : وطولها سبع وخمسون درجة وخمسون دقيقة، وعرضها إحدى وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . وقال في "تقويم البلدان" : القياس أن طولها سبع وخمسون درجة وخمسون دقيقة، وعرضها إحدى وثلاثون درجة وخميس دقائق . وهي مدينة محدثة البناء كانت ديرا يتدبره رهبان، ثم كثروا فكبروا بناءه وأوى إليهم من يجاورهم من النصارى، فقامت

لهم به أسواق ودرت لهم فيه معاش، وأوت إليه الفرنج فأداروا أسواره فصارت مدينة عظيمة، ثم بنوا به قلعة حصينة من أجل المعادل وأحصنها، وبقى الفرنج مستولين عليه حتى فتحه السلطان "صلاح الدين يوسف بن أيوب" رحمه الله على يد أخيه العادل أبي بكر.

قال في "التعريف" : وكانوا قد عملوا فيه مراكب ونقلوها إلى بحر القلزم لقصد الحجاز الشريف لأمر سؤلها لهم أنفسهم ، فأوقع الله تعالى بهم العزائم الصلاحية، والهزم العادلية؛ فأخذوا، وأمر بهم السلطان صلاح الدين فحملوا إلى منى ونحروا بها على بجرة العقبة حيث تُنحر البُدُن بها، واستمرت بأيدي المسلمين من يومئذ وأتخذها ملوك الإسلام حرزا، ولأموالهم كنزا؛ ولم يزل الملوك يستخلفون بها أولادهم ويعتونها لمخاوفهم؛ وهو بلد خصب، وبواديه حمام وبساتين كثيرة وفواكه مفضلة . قال البلاذري في "فتوح البلدان" : وكانت مدينة هذه الكورة في القديم الغرندل .

الجملة الثانية

(في نواحيها وأعمالها)

قال في "التعريف" : وحدها من القبلة عقبة الصّوّان؛ وحدها من الشرق بلاد البلقاء؛ وحدها من الشمال بحيرة سدّوم المتقدّم ذكرها؛ وحدها من الغرب تيه بنى إسرائيل . ولها أربعة أعمال .

الأول - (عمل برّها) المختص ببلادها كما في غيرها من القواعد المتقدمة .

الثاني - (عمل الشّوبك) - بألف ولام لازمتين وفتح الشين المعجمة المشددة وسكون الواو وفتح الباء الموحدة وكاف في الآخر . قال في "تقويم البلدان" : وهي من جبل الشّرة، وموقعها في الإقليم الثالث . قال ابن سعيد : طولها ست وخمسون

درجة، وعَرْضُهَا إحدى وثلاثون درجة . وقال في "تقويم البلدان" : القياس أن طولها ثمانٌ وخمسون درجة ، وعَرْضُهَا إحدى وثلاثون درجة . وهى بلدة صغيرة أكثر دخولا في البر من الكرك، ذاتُ عيون وجداول تجرى ، وبساتين وأشجار ، وفواكه مختلفة . قال في "العزيزى" : ولها قلعة مبنية بالحجر الأبيض على تلٍّ مرتفع أبيض مطلق على القور من شربه . قال في "تقويم البلدان" : وينبع من تحت قلعتها عينان : إحداهما عن يمينها والأخرى عن يسارها كالعينين للوجه يجران للبلد ، ومنهما شرب أهلها وبساتينها . قال : وكانت بأيدى الفرنج مع الكرك وفتحت بفتحها ، وأقطعها السلطان صلاح الدين مع الكرك لأخيه العادل فأعطاهما لابنه المعظم عيسى ، فأعنتى بأمرهما وجلب إلى الشوبك غرائب الأشجار حتى تركها تضاهى دمشق في بساتينها وتدفع أنهارها وتزيد بطيب مائها .

قلت : وذكر في "مسالك الأبصار" : لها عملين آخرين .

الثالث - (عمل زُغَر) - بضم الزاى وفتح الغين المعجمتين وفي آخرها راء مهملة - وهى مدينة قديمة متصلة بالبادية سميت زُغَر بنت لوط عليه السلام . قال في "تقويم البلدان" : وهى حيث الطول سبع وخمسون درجة وعشر دقائق ، والعرض ثلاثون درجة وكسر .

الرابع - (عمل مُعَان) بضم الميم وفتح العين المهملة وألف ثم نون . قال ابن حوقل : وهى مدينة صغيرة كان يسكنها بنو أمية ومواليهم . قال في "مسالك الأبصار" : وقد خربت هى وعملها ولم يبق بها أحد ، وتعرف بمُعَان بن لوط عليه السلام . قال في "كتاب الأطوال" : وهى حيث الطول سبع وخمسون درجة والعرض ثلاثون درجة . قال في "تقويم البلدان" : وبينها وبين الشوبك مرحلة .

(١) ضبطها ياقوت بالفتح ثم قال "والحدوثون يروونه بالضم" .

الطَّرَفُ الثَّانِي

(من الفصل الثاني، من الباب الثالث، من المقالة الثانية، فيمن ملك البلاد الشامية؛ وملوكها على قسمين)

القسم الأول

(ملوكها قبل الإسلام)

ولم يزل مجموعا قبل الإسلام لملك واحد : إما بمفرده وإما مع غيره .
وملوكه في الجاهلية على أربع طبقات ^(١) .

الطبقة الأولى

(ملوكها من الكنعانيين)

وهم بنو كنعان بن مازيع بن حام بن نوح عليه السلام ، وقيل هم من ولد سام ابن نوح . وكان كنعان قد نزل الشام بجهة فلسطين عند تبليد الألسنة بعد الطوفان ، وتوارثها بنوه بعد ذلك ، وكان كل من ملك منهم يلقب بجالوت إلى أن انتهى الملك إلى رجل منهم اسمه كلياذ ، وهو جالوت الذي قتله داود عليه السلام ، وبقتله تفرق بنو كنعان وبأد ملكتهم وزال . وكان في خلال ذلك بتياء من أطراف الشام ملوك من العمالقة ، وهم بنو عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام ، آنتقلوا إليه من الحجاز ، وهم الذين قاتلهم موسى عليه السلام ، وكان آخر من ملك منهم الشام والحجاز الأرقم بن الأرقم الذي قتله بنو إسرائيل حين وجههم موسى عليه السلام في آخر عمره إلى الحجاز على ما سيأتي ذكره في الكلام على ملوك المدينة إن شاء الله تعالى .

(١) المعدود خمس .

(٢) في القاموس "لاوذ بن إرم بن سام" .

الطبقة الثانية

(ملوكها من بنى إسرائيل)

وأولهم (طالوت) الذي ذكره الله تعالى في القرآن بقوله : ﴿إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾^(١) واسمه شاول بن قيس، ولم يكن لهم قبل ذلك ملك بل حُكَّام وقضاة يحكمون؛ وبقي حتى قتل في قتال الفلسطينيين .

وملك بعده (داود عليه السلام) وكانت دارُ ملكه بالقدس؛ وفتح فتوحات كثيرة من أرض فلسطين وعمَّان ومارب وحلب ونصيبين وغير ذلك، فأقام في الملك أربعين سنة .

وتولَّى ذلك بعده ابنه (سليمان عليه السلام) وعمره اثنتا عشرة سنة، وعمرَ بيت المقدس وفرَّغ منه في سبع سنين، وتوفَّى لأربعين سنة من ملكه .

وملك بعده ابنه (رحبعم) على سبطين من بنى إسرائيل خاصة، وخرج عنه عشرة أسباط فلملكوا عليهم غيره، وبقي في الملك سبع عشرة سنة .

[وملك بعده ابنه (أبيا) وهلك لثلاث سنين]^(٢) .

وملك بعده ابنه (أسا) إحدى وأربعين سنة وتوفى .

فملك بعده ابنه (يوشافاط) خمساً وعشرين سنة وتوفى .

فملك بعده ابنه (يهورام) ثمان سنين وتوفى .

فملك بعده ابنه (أخزيا هو) ستين سنة، وتوفَّى فبقي الملك شاغراً فحكمت فيه امرأة ساحرة اسمها غثليا فقامت في الملك سبع سنين^(٣) .

(١) كذا في حاشية الجمل أيضا وفي "مروج الذهب" "ساود بن بشر" وهو نصيف .

(٢) الزيادة عن ابن خلدون في العبر (ج ٢ ص ١٠١) .

(٣) أفاد في العبر أنها أم أخزيا هو .

- ثم ملك بعدها (يُوَاش) فأقام في الملك أربعين سنة ومات .
- فملك بعده أبنه (أَمْصِيَاهُو) تسعا وعشرين سنة وتوفى .
- فملك بعده (عُزِّيَاهُو) اثنتين وخمسين سنة وتوفى .
- فملك بعده أبنه (يُوشَم) ^(١) ست عشرة سنة ، ويقال إن يونس عليه السلام كان في زمنه .
- ثم ملك بعده أبنه (أَحَاز) ست عشرة سنة أيضا ، وكانت الحرب بينه وبين ملك دِمَشق ، وفي زمنه كان شُعَيْب عليه السلام ، وتوفى .
- فملك بعده أبنه (هُوَحَرْقِيَا) وأتقاده له بقية الأسباط فملك جميعهم ، وأقام في الملك تسعا وعشرين سنة ثم توفى .
- فملك بعده أبنه (مَنْشَا) خمسا وخمسين سنة ثم توفى .
- فملك بعده أبنه (أَمُون) ستين [وقيل ثلثي عشرة] سنة وتوفى .
- فملك بعده أبنه (يُوشِيَا) إحدى وثلاثين سنة ، وجدّد عمارة بيت المقدس ، ثم توفى .
- فملك بعده أبنه (يهوياجور) ثلاثة أشهر ، وغزاه فرعون مصر فأخذه أسيرا .
- وملك بعده أخوه (يهوياقيم) إحدى عشرة سنة ودخل تحت طاعة بُحْتَنَصَّر ، ثم استخلف بُحْتَنَصَّر مكانه أبنه (يُحْنِيُو) بن يهوياقيم فأقام مائة يوم .
- ثم استخلف مكانه عمه (صَدْقِيَا) إحدى عشرة سنة ، فأقام على طاعة بُحْتَنَصَّر تسع سنين ، ثم عصى عليه فجهر إليه جيشا ففتح المقدس بالسيف وحرّقه وهدم بيت المقدس الذي بناه سليمان عليه السلام وأخذ صدقيا المذكور أسيرا ، وهو آخر من ملك منهم . وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى : ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَىٰ بَأْسٍ شَدِيدٍ ﴾ الآية .

(١) في العبر "يُوَاش" . (٢) الزيادة عن ابن خلدون في "العبر" .

الطبقة الثالثة

(ملوكها من الفُرس)

قد تقدّم في الكلام على ملوك مصر أن بُحِتَ نَصْرَ كان نائبا لبهراسف ملك الفُرس إلى حين غلبته على الشام فأستقرّ الشام في مملكة الفُرس مع مصر من لدن بهراسف المذكور إلى غلبة الإسكندر على دارا ملك الفُرس على ما تقدّم في الكلام على ملوك مصر، وفي خلال ذلك عُمرَ بيت المقدس بعد أن بقى سبعين سنة خرابا من تخريب بُحِتَ نَصْر . وأختلف فيمن عمّره، فقيل أردشير، وقيل أبنة دارا، واليهود تسمي الذي عمّره من الفُرس كيرش ويقال كورش .

الطبقة الرابعة

(ملوكها من اليونان)

وأول من ملك الشام منهم الإسكندر بن فيلبس حين ظهر على ملوك الفُرس مضافا إلى مصر، وبقى على ذلك حتى مات، فملك بعض الشام مع العراق انطاخس، وملك بعضه مع مصر البطالسة من ملوك اليونان من ولد بطليموس المنطبق إلى حين أنقراضهم بقتل أغشطش ملك الروم قلوبطرا آخر ملوكهم بمصر على ما تقدّم ذكره في الكلام على ملوك الديار المصرية .

الطبقة الخامسة

(ملوكها من الروم)

وأول من ملكها منهم أغشطش المقدم ذكره حين غلب على قلوبطرا آخر ملوكهم، وبقى بأيدي الروم إلى حين الفتح الإسلامي، يتداولونه مع مصر ملكا بعد ملك على ما تقدّم في الكلام على ملوك الديار المصرية .

القسم الثاني

(من ملوك الشام ملوكه في الإسلام؛ وهم على ضربين)

الضرب الأول

(عُمَّال الصحابة رضوان الله عليهم فمن بعدهم من نواب الخلفاء

إلى حين استيلاء الملوك عليه)

وأول من وليه في الإسلام (أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاح) رضى الله عنه، عند فتحه في خلافة أمير المؤمنين: عمر بن الخطاب رضى الله عنه، ثم صُرف عنه ووليه (مُعاوية بن أبي سفيان) عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أيضا، فبقى إلى أن سلم الحسنُ إليه الأمرَ ونزل له عن الخلافة في سنة إحدى وأربعين من الهجرة، وتوالت عليه خلفاء بني أمية، وأختاروه دارا لخلافتهم من لدن معاوية وإلى أنقراض دولتهم بقتل (مَرْوَانَ بن محمد) آخر خلفائهم على ما تقدّم ذكره في الكلام على مَنْ ولى الخلافة .

ثم كانت دولة بني العباس فولّيتها في خلافة السَّفَّاح عَمَّهُ (عبد الله بن عليّ بن عبد الله بن عباس) في سنة اثنتين وثلاثين ومائة، فبقى أيام السَّفَّاح وبعض أيام المنصور بعده، ثم صرفه المنصور بولاية (أبي مسلم الخراساني) الشام ومصر في سنة سبع وثلاثين ومائة، ثم قتله المنصور بعد ذلك في السنة المذكورة . وتوالى عليه بعد ذلك عُمَّال خلفاء بني العباس إلى أن وليها (عبد الصمد) بن عليّ، ثم عزله الرشيد ووثنى مكانه (إبراهيم بن صالح بن عليّ) ثم توالى عليه العُمَّال إلى أن غلب عليه (أحمد بن طولون) مع مصر على ما سيأتى ذكره إن شاء الله تعالى .

الضرب الثاني

(مَنْ وَلِيَهَا مُلْكًا)

قد تقدّم أن القواعد العظام بالشام ستّ قواعد : وهى دِمَشْقُ، وَحَلَبُ، وَحَمَاةُ، وَأَطْرَابُلُسُ، وَصَفَدُ، وَالكَرْكُ . وكل قاعدة من القواعد الست تشتمل على مملكة .

فأما (دِمَشْقُ) فأول ملوكها (أحمد بن طُولُون) صاحب مصر بعد موت مُقْطَمَهَا أماجور فى سنة أربع وستين ومائتين ؛ وذلك أول اجتماع مصر والشام للملك واحد فى الإسلام ؛ ثم ملكها بعده مع مصر ابنه (نُحَارَوِيَّة) ؛ ثم (هارون بن نَحَارَوِيَّة) ، وكان طنج بن جف نائباً عنهما بها ، وفى أيام هارون تغلبت القرامطة على دِمَشْقُ ؛ ثم أترعها منهم (المكتفى بالله) خليفة بَغْدَاد فى سنة إحدى وتسعين ومائتين ، وأقام عليها (أحمد بن كيغلف) أميراً ، فبقى بها بقية أيام المكتفى ، ثم أيام المقتدر ، ثم أيام الظاهر . فلما وليّ الراضى الخلافة ، عزله عنها فى سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة ، وولى عليها (الأخشيدي) وهو محمد بن طنج بن جف ، وذلك قبل أن يلى مصر فى سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة فاستتاب على دِمَشْقُ بدر الأخشيدي ، فآتزعها منه (محمد بن رائق) فى سنة ثمان وعشرين وثلثمائة ، وأستخلف عليها (أبا الحسين أحمد بن على بن مقاتل) فى سنة تسع وعشرين وثلثمائة ، ثم آتزعها منه (الأخشيدي) المقدم ذكره بعد ذلك وبقيت معه حتى مات فى سنة أربع وثلاثين وثلثمائة ، فولىها بعده ابنه (أُوجُور) وهو صغير ، وقام بتدبير دولته كافور الأخشيدي الخادم ، ثم آتزعها منه (سيف الدولة بن محمدان) صاحب حلب الآتى ذكره ، ثم آتزعها منه (كافور الأخشيدي) المقدم ذكره وولى عليها بدر الأخشيدي الذى كان بها أولاً ، فأقام بها سنة ؛ ثم وليها (أبو المظفر

(١) لعله سقط قبله "جيش بن نَحَارَوِيَّة" فان ابن طنج كان نائباً عن جيش وهارون كما يؤخذ مما سياتى له فى الكلام على حلب .

أبن طنج)؛ ثم لما مات أنوجور بن طنج، ملكها مع مصر أخوه (على بن طنج) ثم (كافور) بعده، ثم (أحمد بن على بن الأخشيد) بعده، وهو آخر من ملك منهم على ما تقدم في الكلام على ملوك مصر.



ثم كانت الدولة الفاطمية بمصر: فملكها (جوهراً) قائد المعز الفاطمي وخطب بها لمولاه المعز وأذن بحج على خير العمل في سنة تسع وخمسين وثلثمائة، وقطعت الخطبة العباسية منها، وأقام بها جعفر بن فلاح نائباً، ثم تغلبت القرامطة عليها في سنة ستين وثلثمائة، ثم أقتلها منهم (المعز) وولّى عليها ريان الخادم؛ ثم غلب عليها (افتكين) مولى معز الدولة بن بويه الديلمي، وقطع الخطبة منها للمعز الفاطمي، وخطب لخليفة بغداد في سنة أربع وستين وثلثمائة؛ ثم انتزعها (المعز الفاطمي) بعد ذلك وقبض عليه وأحضره معه إلى مصر؛ ثم بعد موت المعز وولاية أبنه العزيز تغلب عليها شخص اسمه (قسام) إلا أنه كان يخطب فيها للعزيز؛ ثم انتزعها منه (العزيز) وقرر فيها (بكتكين) في سنة اثنتين وسبعين وثلثمائة؛ ثم انتزعها منه (بكيجور) مولى قرعويه صاحب حلب بأمر العزيز الفاطمي صاحب مصر في سنة ثلاث وسبعين وثلثمائة؛ ثم انتزعها منه وقرر فيها (منيرا الخادم) في سنة سبع وسبعين وثلثمائة؛ ثم استعمل الحاكم بن العزيز الفاطمي عليها (أبا محمد الأسود) في سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة، ثم انتزعها منه (أنوش تكين) الدزيري^(١) بأمر المستنصر الفاطمي في سنة تسع وعشرين وأربعمائة، ثم أمر بالخروج عن طاعته في سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة، فخرج عنها وفسد أمرها بذلك؛ ثم تغلب عليها (أتسر بن أرتق) الخوارزمي أحد أمراء السلطان

(١) الضبط عن أبي الفداء، ونسبه إلى دزير بن رويم الديلمي.

(٢) أي أمر المستنصر أهل دمشق بالخروج عن طاعة الدزيري.

ملكشاه السلجوقي في سنة ثمان وستين وأربعمائة، وقطع الخطبة بها للستنصر الفاطمي وخطب للقتدي العباسي، ومنع من الأذان بحى على خير العمل، ولم يخطب بعد ذلك بالشام لأحد من الفاطميين، ثم غلب عليها (نُتُش بن ألب أرسلان) بن داود بن ميكائيل بن سلجوق، وملكها في سنة إحدى وتسعين وأربعمائة وتوفي؛ فملكها بعده ابنه (دقاق) وأشرك معه في الخطبة أخاه رضوان صاحب حلب مقدما لرضوان في الذكر في الخطبة بعد حرب جرت بينهما، وتوفي دقاق سنة تسع وتسعين وأربعمائة، فخطب طغتكين أتابك دولته لابن دقاق، وهو طفل عمره سنة واحدة، ثم قطع الخطبة له وخطب لعمه بلتاش بن نُتُش، ثم قطع الخطبة لبلتاش وأعاد الخطبة للطفل، وهو آخر من خطب له دِمَشْق من بني سلجوق؛ ثم استقر (طغتكين) المقدم ذكره في ملك دِمَشْق بنفسه، وبقي حتى توفي في سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة؛ وملك بعده ابنه (تاج الملوك توري) بعهد من أبيه، وتوفي سنة ست وعشرين وخمسمائة؛ وملك بعده ابنه (شمس الملوك إسماعيل) بعهد من أبيه .

ثم ملك بعده أخوه (شهاب الدين محمود بن توري) فبقي حتى قتل في سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة، وملك بعده ابنه (مجير الدين أرتق) وفي أيامه تغلب الفرنج على ناحية دِمَشْق .

ثم أترعها منهم الملك العادل (نور الدين محمود بن زنكي) المعروف بنور الدين الشهيد وملكها في سنة تسع وأربعين وخمسمائة، واجتمع له ملك سائر الشام معها، وهو الذي بنى أسوار مدن الشام حين وقعت بالزلازل كدِمَشْق وحمّة وحمص وحلب وشيزر وبعلبك وغيرها؛ وتوفي فملك بعده ابنه (الملك الصالح إسماعيل) وعمره إحدى عشرة سنة، وبقي بها حتى أترعها منه السلطان (صلاح الدين يوسف بن أيوب) صاحب مصر في سنة سبعين وخمسمائة، وقرر فيها أخاه سيف الإسلام طغتكين بن أيوب؛

ثم استخلف عليها السلطان صلاح الدين بعد ذلك ابن أخيه عز الدين (فرخشاه بن شاهنشاه بن أيوب) في سنة ست وسبعين وخمسمائة ؛ ثم صرفه عنها وقدر فيها ابنه الملك الأفضل (نور الدين عليا) ؛ وهو الذي وُزِّر له الوزير ضياء الدين بن الأثير صاحب "المثل السائر" .

ثم آتت عندها منه أخوه الملك العزيز (عثمان ابن السلطان صلاح الدين) صاحب مصر بعد وفاة أبيه بمعاودة عمه العادل أبي بكر في سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة ، والخليفة يومئذ ببغداد الناصر لدين الله . وكان يميل إلى التشيع ، فكتب إليه الأفضل على يستجيشه على أخيه العزيز عثمان وعمه العادل أبي بكر ، من شعره :

مَوْلَايَ ! إِنَّ أَبَا بَكْرٍ وَصَاحِبَهُ * عُثْمَانٌ قَدْ غَضِبَا بِالسَّيْفِ حَقَّ عَلَيَّ !
فَانْظُرْ إِلَى حَظِّ هَذَا الْأَسْمِ كَيْفَ لَقِيَ * مِنَ الْأَوَّاحِرِ مَا لَاقَى مَنْ الْأَوَّلِ !

فكتب إليه الناصر لدين الله في جوابه :

غَضَبُوا عَلَيَّا حَقَّهُ إِذْ لَمْ يَكُنْ * بَعْدَ النَّبِيِّ لَهُ يَسْتَرْبِ نَاصِرُ
فَاصْبِرْ فَإِنَّ عَدَا عَلَيَّكَ حَسَابُهُمْ * وَأَبَشِّرْ فَنَاصِرُكَ الْإِمَامُ النَّاصِرُ !

ولكنه لم يجاوز القول إلى الفعل ؛ ثم سلمها العزيز بعد ذلك لعمه (العادل أبي بكر) فقدر فيها ابنه الملك المعظم عيسى مضافة إلى ما بيده من الكرك والشوبك ، وكان يخطب فيها لأبيه العادل ، ثم لأخيه الكامل محمد صاحب مصر ، وبقى حتى توفي في سنة أربع وعشرين وستمائة ؛ وملك بعده ابنه (الملك الناصر صلاح الدين داود) ، وهو صغير .

ثم آتت عندها منه الملك الناصر (محمد بن العادل أبي بكر) صاحب مصر واستخلف فيها أخاه الملك الأشرف مظفر الدين موسى بن العادل أبي بكر ، فبقى حتى توفي في سنة خمس وثلاثين وستمائة .

وملكها بعده أخوه (الملك الصالح إسماعيل بن العادل أبي بكر) بعهد منه [فأترعها منه الملك الكامل بن العادل أبي بكر] ^(١) في جمادى الأولى سنة خمس وثلاثين وستمائة ^(٢) وتوفى في السنة المذكورة .

فملك بعده الملك الجواد (يونس بن مودود) ^(٣) بن العادل أبي بكر .

ثم أترعها منه الملك الصالح (نجم الدين أيوب) بن العادل أبي بكر في سنة ست وثلاثين وستمائة، ثم أقام فيها الملك المغيث فتح الدين عمر نائباً عنه .

ثم أترعها منه (الملك الصالح إسماعيل بن العادل أبي بكر) صاحب بعلبك في سنة سبع وثلاثين وستمائة .

ثم أترعها منه الملك الصالح (نجم الدين أيوب) بن الكامل محمد صاحب مصر وتسلمها له (معين الدين بن الشيخ) في سنة ثلاث وأربعين وستمائة وتوفى قبل أن يتسلمها فتسلمها له حسام الدين بن أبي علي في السنة المذكورة، ولم تزل بيد نواب الصالح أيوب حتى مات في سنة سبع وأربعين وستمائة .

ثم ملكها بعد وفاته (الملك الناصر يوسف) بن العزيز محمد صاحب حلب في سنة ثمان وأربعين وستمائة، فبقى بها إلى أن غلب عليها هولاكو في سنة ثمان وخمسين وستمائة، وكان آخر أمر الناصر المذكور أنه لحق بهولاكو المذكور فأقام عنده مدة ثم قتله .



ثم كانت الدولة التركية فملكها منهم (الملك المظفر قطز) صاحب مصر حين غلبته التتار على عين جالوت، ثم توالى عليها نواب ملوك الترك من لدن المظفر قطز وإلى

(١) الزيادة عن أبي الفداء ليستقيم الكلام .

(٢) أى الملك الكامل .

(٣) أى نائباً عن العادل بن الكامل .

سلطنة (الناصر فرج) بن الظاهر برقوق في زماننا على ما تقدم ذكره في الكلام على ملوك الديار المصرية ؛ ولم أقف على أسماء نوابها لطول المدة وقلة اعتناء المؤرخين بذكر أسمائهم .



وأما حلب فقد تقدم أن منزل الجند في ابتداء الإسلام كان يقسرين ، ثم طرأت عليها حلب بعد ذلك وأضعفتها . ولعل ابتداء أمرها كان في ابتداء الدولة الطولونية ، وقد كان أحمد بن طولون استولى عليها حين استيلائه على دمشق وصارت في ملكه تبعا للديار المصرية كدمشق . وكان بها نوابه ثم نواب ابنه نحارويه ، ثم نواب جيش ابن نحارويه ، ثم هارون بن نحارويه في نيابة طنج بن جف عن هارون وجيش المذكورين ؛ ثم كانت مع دمشق في نيابة أحمد بن كيغغ ، ثم في نيابة الأخشيد محمد ابن طنج بن جف قبل أن يلى مصر ، ثم في نيابة بدر الأخشيدى على ما تقدم في الكلام على مملكة دمشق .

ثم أترعها من بدر الأخشيدى (سيف الدولة بن حمدون) التغلبى الربيعى ؛ وملكها في سنة ثلاث وثلثمائة ، وبق بها حتى توفى في سنة ست وخمسين وثلثمائة ؛ وملكها بعده ابنه (سعد الدولة أبو المعالى شريف) .

ثم أترعها منه (قرعويه) غلام أبيه في سنة ثمان وخمسين وثلثمائة ، ثم غلب عليها (بكجور) غلام قرعويه المذكور بعد ذلك وأقتلها منه .

ثم أترعها منه (سعد الدولة) المقدم ذكره ، ثم تقلد بها أبو على بن مروان من الخليفة الفاطمى يومئذ بمصر في سنة ثمانين وثلثمائة ولم يدخلها ، وبقيت بيد سعد الدولة المذكور حتى توفى بالفالج في سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة .

ثم ملك بعده ابنه (أبو الفضل) مكانه .

ثم آتزرعها منه (أبو نصر بن لؤلؤ) وخطب بها للحاكم الفاطمي، ثم أمره الحاكم بتسليمها إلى نوابه بها فتسلموها منه وأستقرت بأيديهم حتى آتته إلى نائب من نوابه اسمه (عزيز الملك) فبقى بها بقية أيام الحاكم وبعض أيام ابنه الظاهر، ثم وليها عن الظاهر رجل يقال له (أبن شعبان) ثم تغلب عليها (صالح بن مرداس) أمير بني كلاب في سنة أربع وعشرين وأربعمائة؛ ثم قتل في أيام الظاهر الفاطمي فملكها بعده (شبل الدولة نصر بن صالح).

ثم آتزرعها منه (أنوش تكين الدزيرى) بأمر المستنصر العلوى في شعبان سنة تسع وعشرين وأربعمائة، وبقى حتى توفي في سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة؛ وملكها بعده (معز الدولة ثمال بن صالح بن مرداس) ثم ملك قلعتها بعد ذلك في سنة أربع وثلاثين وأربعمائة؛ ثم تسلمها منه مكيين الدولة (الحسن بن على بن ملهم) في سنة تسع وأربعين وأربعمائة بصلح وقع بينه وبين الفاطميين على ذلك.

ثم آتزرعها منه (محمود بن شبل الدولة) بن صالح المتقدم ذكره، وملك قلعتها في سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة.

ثم آتزرعها منه (معز الدولة ثمال بن صالح) في ربيع الأول سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة، وبقى بها حتى توفي في ذى القعدة سنة أربع وخمسين وأربعمائة. وملكها بعده أخوه (عطية بن صالح) في السنة المذكورة.

ثم آتزرعها منه ابن أخيه (محمود بن شبل الدولة) المتقدم ذكره في رمضان سنة أربع وخمسين وأربعمائة، وبقى بها حتى توفي في ذى الحجة سنة ثمان وستين وأربعمائة.

وملكها بعده ابنه (نصر بن محمود) ثم قتله التتركان.

وملكها بعده أخوه (سابق بن محمود).

ثم أترعها منه شرف الدولة (مسلم بن قريش) صاحب الموصل، وقتل في صفر سنة سبع وسبعين وأربعمائة .

وملكها بعده أخوه (إبراهيم بن قريش) .

ثم أترعها منه (نُتْش بن ألب أرسلان) السلجوقي صاحب دِمَشْق في السنة المذكورة .

ثم أترعها منه (السلطان ملكشاه السلجوقي) وسلمها إلى قسيم الدولة آقسنقر؛ ثم أستعادها (نُتْش بن ألب أرسلان) المقدم ذكره بعد موت ملكشاه وأستضافها إلى دِمَشْق، وأنبسط ملكه حتى ملك بعد ذلك أذَرَبَيْجَان، وبقي حتى قتل في صفر سنة ثمان وثمانين وأربعمائة .

وملكها بعده ابنه (رَضْوَان) في سنة ثمان وثمانين وأربعمائة، وبقي حتى توفي في سنة سبع وخمسمائة .

وملكها بعده ابنه (سلطان شاه بن رَضْوَان) .

ثم أترعها منه (إيلغازي بن أرتق) صاحب ماردين وسلمها إلى ولده حسام الدين تمرش؛ ثم غلب عليها (سليمان بن أرتق) وعصى بها على أبيه فأترعها أبوه منه وسلمها إلى ابن أخيه (سليمان بن عبد الجبار بن أرتق) في رمضان سنة ست عشرة وخمسمائة .

ثم أترعها منه عمه (بلك بن بهرام بن أرتق) ، وبقي بها حتى قتل في سنة سبع عشرة وخمسمائة؛ وملكها بعده ابن عمه (تمرش بن إيلغازي) في ربيع الأول من السنة المذكورة؛ ثم حاصرها الفرنج، وهي في يده فخلصها منهم آقسنقر البرسقي صاحب الموصل، وملكها مع ماردين في السنة المذكورة، وبقي حتى قتلته الباطنية في سنة عشرين وخمسمائة .

وملكها بعده أبنه (عز الدين مسعود) وأستخلف بها أميرا من أمرائه أسمه قايمار، ثم أستخلف عليها بعده رجلا أسمه كيغلغ .

ثم أترعها منه (سليان بن عبد الجبار) بن أرتق المقدم ذكره .

ثم أترعها منه (عماد الدين زنكى) : صاحب الموصِل في المحرم سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة ، وملك معها حماة وخمص وبعلبك ، وبقى حتى قتله غلمائه في ربيع الأول سنة إحدى وأربعين وخمسمائة .

ثم ملك بعده أبنه الملك العادل (نور الدين محمود) وبقى إلى أن توفى .

وملك بعده أبنه (الصالح إسماعيل) فبقى بها بعد ملك السلطان صلاح الدين يوسف ابن أيوب دِمَشَق حتى توفى بها في سنة سبع وسبعين وخمسمائة .

وملكها بعده بوصية منه ابن عمه (عز الدين مسعود) بن مودود بن زنكى بن مودود في السنة المذكورة .

ثم أترعها منه السلطان (صلاح الدين يوسف بن أيوب) في سنة تسع وسبعين وخمسمائة ، وقزر فيها أبنه الظاهر غياث الدين غازى .

ثم أترعها منه وسلمها لأخيه (العادل أبى بكر بن أيوب) في السنة المذكورة ، ثم أعاد إليها أبنه الظاهر غازى المقدم ذكره في سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة ، فبقى بها حتى توفى في جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة وستمائة .

وملكها بعده أبنه (الملك العزيز محمد) فبقى بها حتى توفى في ربيع الأول سنة أربع وثلاثين وستمائة .

ثم ملكها بعده أبنه الملك (الناصر يوسف) وعمره سبع سنين ولم تزل بيده حتى استولت عليها التتار في سنة ثمان وخمسين وستمائة .



ثم كانت الدولة التركية . فكان أول من ملكها من ملوك الترك (المظفر قُطُز) حين كسر التتار على عين جالوت على ما تقدم ذكره في الكلام على مملكة دِمَشق ؛ ثم توالى عليها ثواب ملوك الترك من لدن المظفر قطز وإلى زماننا في سلطنة الناصر فرج بن الظاهر برقوق على ما تقدم ذكره في الكلام على مملكة الديار المصرية .



وأما حماة . فقد تقدم في الكلام على قواعد الشام أن الذكر في القديم إنما كان لمُحَصٍّ ، وإنما تَبَهَّت حماة في الذكر في الدولة الأتابكية : عماد الدين زنكي . وذلك أن حماة كانت تَبَعًا لغيرها من الممالك ، تارة تضاف إلى دِمَشق ، وتارة إلى حَلَب . فكانت مع دِمَشق بيد (طُغْتِكِين) أتابك دولة رضوان بن نُشَس السلجوقي في سنة تسع وخمسمائة .

ثم آتَرَعَهَا منه السلطان (محمد بن ملكشاه السلجوقي) في السنة المذكورة ، وسلمها للأمير (فيرخان بن قراجا) .

ثم ملكها (تورى بن طُغْتِكِين) وقرر بها أبنه سونج فبقيت بيده حتى آتَرَعَهَا منه عماد الدين زنكي في سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة .

ثم آتَرَعَهَا منه بعد ذلك (تاج الملوك إسماعيل بن تورى) بن طُغْتِكِين السلجوقي في سنة سبع وعشرين وخمسمائة .

ثم ملكها (العاذل نور الدين محمود بن زنكى) مع دِمَشق وحَلَب وغيرهما في سنة إحدى وأربعين وخمسمائة ؛ ثم صارت بعده مع غيرها من البلاد الشامية إلى أبنه (الصالح إسماعيل) فبقيت بيده حتى آتَرَعَهَا منه السلطان (صلاح الدين يوسف)

آبن أيوب) فى سنة سبعين وخمسمائة، وقرر فيها خاله شهاب الدين الحارمى، ثم قرر فيها أخاه تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب فى سنة أربع وسبعين وخمسمائة، فبقيت بيده حتى توفى فى سنة سبع وثمانين وخمسمائة.

فوليا بعده آبنه الملك المنصور (ناصر الدين محمد) فبقى بها حتى آنتزعها منه أخوه (الملك المظفر محمود) فى سنة ست وعشرين وستمائة، فبقى بها حتى توفى فى سنة ثلاث وأربعين وستمائة.

ووليا بعده آبنه (الملك المنصور محمد) فبقى حتى غلب عليها هولاكو ملك التتار مع ديمق وحلب وغيرهما، فقرّر بها المظفر قطز صاحب مصر بعد هزيمة التتار، فبقى بها حتى توفى فى سنة ثلاث وثمانين وستمائة.

فوليا بعده آبنه (المظفر شادى) عن المنصور قلاوون صاحب مصر بعهد منه، وبقى بها حتى توفى فى سنة ثمان وتسعين وستمائة فى الأيام الناصرية محمد بن قلاوون فى سلطنته الثانية.

فولّى الملك الناصر مكانه (قراستقر) أحد أمرائه نائباً عليها، وكان العادل كتبغا بعد خلعه من السلطنة قد آستقر نائباً بصرخد فنقله الملك الناصر محمد بن قلاوون إليها بعد هزيمة غازان ملك التتار، وجعله نائباً بها فى سنة آثنتين وسبعائة، ومات بعد ذلك.

فولّى الملك الناصر مكانه فى نيابتها (قبجق) أحد أمرائه ثم صرفه عنها.

وولّى مكانه (أستمر الكرجى) ثم صرفه عنها بعد عوده من الكرك.

وولّى فيها الملك المؤيد (عماد الدين إسماعيل) بن الأفضل على، بن المظفر عمر سلطنة على عادة من تقدّمه فيها من الملوك الأيوبية، وكتب له بذلك عهداً عنه، فبقى بها إلى أن توفى فى سنة آثنتين وثلاثين وسبعائة.

فولى السلطان الملك الناصر مكانه آبنه (الملك الأفضل محمد) وكتب له بذلك عهداً أيضاً، فبقى بها حتى أزاله قُوصُون أتابك العساكر فى سلطنة المنصور أبى بكر ابن الناصر محمد بن قلاوون فى سنة إحدى وأربعين وسبعمائة .

وولى مكانه الأمير (طقزدمر) نائباً بها، وأسسترت نيابةً إلى الآن، يتوالى عليها نواب ملوك مصر نائباً بعد نائب إلى زماننا كغيرها من الممالك الشامية، وأتقطعت مملكة بنى أيوب من الشام بذلك .



وأما أطرابُلسُ، فكان قد تغلب عليها قاضيا أبو على بن عمَّار وملكها وطالت مدته فيها .

ثم آتتزعها منه (المستنصر الفاطمى) خليفة مصر مع غيرها من السواحل الشامية، فبقيت بيده حتى غلب عليها القُومص فملكها فى سنة ثلاث وخمسمائة، فبقيت فى أيدي الفرنج من حينئذ إلى أن فتحها "الملك المنصور قلاوون" أحد ملوك الديار المصرية فى سنة ثمان وثمانين وستمائة بعد أن مضى عليها فى يد الفرنج مائة وخمس وثمانون سنة وأعجز فتحها من مضى من ملوك بنى أيوب فمن بعدهم . ومن حين فتحها جعلت نيابة، وتوالى عليها نواب ملوك مصر من لدنه إلى زماننا .



وأما صَقَد، فقد تقدّم فى الكلام على قواعد الممالك الشامية أنها كانت فى القديم قريةً وأن الفرنج الدّموية باتها وأسستدت حصنها فى سنة خمس وسبعين وأربعمائة . ثم فتحها (الظاهر بيبرس) بعد ذلك فى رابع عشر شوال سنة أربع وستين وستمائة، وقتر بها الأمير كيغلى العلأى نائباً، وتوالى عاها بعد ذلك نواب ملوك مصر من لدن الظاهر بيبرس وإلى زماننا فى سلطنة الملك الناصر فرج بن الظاهر برقوق .



وأما الكرك، فقد تقدّم أن قلعتها كانت ديراً لرهبان، وكانت بيد الفرنج، وأن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب في سنة أربع وثمانين وخمسمائة فتحها، وقزر فيها أخاه (الملك العادل أبا بكر بن أيوب) فبقيت بيده إلى أن مات السلطان صلاح الدين، فقرر فيها ابنه (الملك المعظم عيسى) فبقيت في يده إلى أن آستضاف إليها دمشق، وتوفى في سنة أربع وعشرين وستمائة .

وملكها بعده ابنه (الملك الناصر صلاح الدين داود) في سنة ست وعشرين وستمائة، وبقى إلى سنة سبع وأربعين وستمائة، فاستخلف عليها ابنه (الملك المعظم عيسى) بعد أن أخذ منه غالب بلاده وقر بنفسه .

ثم أترع (الصالح نجم الدين أيوب) الكرك من المعظم عيسى بن الناصر داود في السنة المذكورة، وأقام بها بدر الدين الصوابي نائباً عنه، وبقى الناصر داود بعد ذلك مُشرداً في البلاد إلى أن مات في سنة خمس وخمسين وستمائة، وكان من أهل العلم والورع، وله شعر رائق، منه :

أَلَا لَيْتَ أُمِّي أَيْمٌ طَوَّلَ دَهْرَهَا * وَلَمْ يَقْضِهَا رَبِّي لِمَوْلَى وَلَا بَعْلٍ !
وَيَا لَيْتَهَا لَمَّا قَضَاهَا لَسِيدٌ * لَيْبَ أَرِيْبٍ طَيْبِ الْفَرْعِ وَالْأَصْلِ،
قَضَاهَا مِنَ اللَّاتِي حُلِقْنَ عَوَاقِرًا * وَلَا بُشِرْتُ يَوْمًا بِأُنْثَى وَلَا فَحْلٍ
وَيَا لَيْتَهَا لَمَّا غَدَتْ بِي حَامِلًا * أُصِيبَ مِنِّي أَحْتَفَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمْلِ
وَيَا لَيْتَنِي لَمَّا وُلِدْتُ وَأَصْبَحْتُ * تُشَدُّ إِلَى الشَّدَقِمِيَّاتِ بِالرَّحْلِ،
لَحِقْتُ بِأَسْلَافِي فَكُنْتُ ضَجِيعَهُمْ * وَلَمْ أَرِ فِي الْإِسْلَامِ مَا فِيهِ مِنْ نُكُلٍ

وكان الملك المغيث فتح الدين عمر بن العادل أبي بكر بن الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب معتقلا بالشَّوْبَك ، فأخرجه الصوابي نائب الملك الصالح وملكه الكرك فبقي بها حتى قبض عليه الملك الظاهر بيبرس وقتله في سنة إحدى وسبعين وستمائة ، وهو آخر من ملكها من بني أيوب .

قلت : وأما غير هذه الممالك الخمص وبعلبك فإنما كانت في الغالب تبعا لغيرها حتى إن خمص وبعلبك حين استولت التتار على الشام في آخر الدولة الأيوبية كانتا مضافتين إلى دمشق .

وأعلم أن غالب أطراف البلاد الشامية ومضافاتها كانت بأيدي ملوك متفرقة من قديم الزمان وبعضها حدث أفراداه ، ثم تنقلت بها الأحوال حتى استولى على كثير منها أهل الكفر ، وصارت بأيديهم إلى أن قبض الله تعالى لها من فتحها ، ثم استعاد أهل الكفر منها ما استعادوا ، ثم فتح ثانيا على ما يأتي ذكره إن شاء الله تعالى . فمن ذلك القدس - كانت بيد تُتُش بن ألب أرسلان السلجوقي صاحب دمشق المتقدم ذكره . كان قد أقطعها للأمير أرتق جد ملوك ماردين الآن . فلما توفي أرتق المذكور صار القدس لولديه يلغازي وسقمان ، وبقي بيديهما إلى أن انتزعه منهما (المستنصر الفاطمي) في سنة تسع وثلاثين وأربعمائة ، وبقي بيده إلى أن ملكه الفرنج منه في سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة ، بعد أن بذلوا السيف في المسلمين نحو سبعة أيام وقتلوا في المسجد الأقصى ما يزيد على تسعين ألف نفس ، وبقي بيديهم حتى فتحه السلطان (صلاح الدين يوسف بن أيوب) في سنة أربع وثمانين وخمسمائة ، ثم استعاده الفرنج من الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب بمهادنة جرت بينهم في سنة ست وعشرين وستمائة .

ثم انتزعه منهم (الملك الناصر داود) صاحب الكرك في سنة سبع وثلاثين وستمائة .

ثم سلمه (الصالح إسماعيل) صاحب دِمَشْق (والناصر داود) صاحب الكرك المتقدم ذكره للفرنج بعد ذلك ليكونوا عوناً لهما على الصالح نجم الدين أيوب صاحب مصر في سنة إحدى وأربعين وستمائة .

ثم فتحه الصالح (نجم الدين أيوب) صاحب مصر وأقتله من أيديهم في سنة اثنتين وأربعين وستمائة ، فأستمر بأيدي المسلمين إلى الآن .

ومن ذلك بلاد السواحل الشامية كانت بأيدي أناس متفرقة .

فأما أطرابلس وصفد ، فقد تقدم الكلام عليهما في الكلام على ملوك الممالك الشامية . وأما غيرها من بلاد السواحل وما والاها ، فإن غالبها كان بيد الفاطميين خلفاء مصر إلى أن ضعفت دولتهم في أيام المستنصر أحد خلفائهم ، فقصدت الفرنج هذه السواحل من كل جهة وأستولوا على بلادها شيئاً فشيئاً .

فأستولوا على عكا وجبيل في سنة تسع وتسعين وأربعمائة ، وعلى صيدا في سنة أربع وخمسمائة ، وأستشروا فسادهم حتى ملكوا يروت وعسقلان وصور وأنطرسوس والمرقب وأرسوف والأذقية ولدا والرملة ويافا ونابلس وغزة وبيت لحم وبيت جبريل ، وغير ذلك من بلاد السواحل وما جاورها ، فبقيت في أيديهم حتى فتحها السلطان "صلاح الدين يوسف بن أيوب" فيما بين الثلاث والثمانين والخمسمائة إلى الثمان والثمانين والخمسمائة .

ثم عقد الهدنة بينه وبين الفرنج في سنة ثمان وثمانين على أن تكون يافا وأرسوف وعكا وقيسارية وأعمالها بيد الفرنج ، وأن تكون لدا والرملة مناصفة بينهم وبين المسلمين .

ثم أستولوا على يروت في سنة أربع وتسعين وخمسمائة ، ثم وقعت الهدنة بعد ذلك بين الفرنج وبين العادل أبي بكر بن أيوب في سلطته في سنة إحدى وستمائة على أن تستقر بيد الفرنج يافا وترك لهم مناصفة لدا والرملة .

ثم استعاد الفرنج عكا في سنة أربع عشرة وستمائة في أيام العادل أبي بكر المذكور .
ثم استولوا على صيدا وما معها في أيام ابنه الكامل محمد في سنة ست وعشرين
وستمائة قبل تسليمه القدس لهم .

ثم سلمهم الصالح إسماعيل صاحب دمشق صفد والشقيف على أن يعاونوه على
الصالح أيوب صاحب مصر في سنة ثمان وثلاثين وستمائة .

ثم سلمهم الصالح إسماعيل المذكور والناصر داود صاحب الكرك عسقلان وطبرية
حين سلماهم القدس في سنة إحدى وأربعين وستمائة .

ثم فتح "الصالح أيوب" صاحب مصر غزة وأستولى عليها في سنة اثنتين وأربعين
وستمائة .

ثم فتح (الظاهر بيبرس) في سنة اثنتين وستين وستمائة قيسارية وأرسوف، وصفد
ويافا في سنة أربع وستين وستمائة . وفتح صهيون في سنة ست وستين وستمائة ،
وأطرابلس في سنة ثمان وثمانين .

ثم فتح ابنه (الأشرف خليل) عكا في سنة تسعين وستمائة، واتبعت فتوحه ففتح
صيدا وبيروت وعكا في السنة المذكورة . وبنموحه تكاملت بلاد السواحل
بأجمعها . ولما فتحت هدمت جميعها خوفا أن يملكها الفرنج ثانيا وبقيت بأيدي
المسلمين إلى الآن .

ومن ذلك أنطاكية - التي هي قاعدة العواصم . فإنها كانت بيد باغي سيان بن محمد
ابن ألب أرسلان السلجوقي إلى أن غلب عليها الفرنج في سنة إحدى وتسعين
وأربعائة، وقتلوا باغي سيان المذكور، وقتل فيها ما يزيد على مائة ألف نفس بعد
حصار تسعة أشهر، وماكوا معها كفر طاب، وصهيون، والشعفر وبكاس، وسرمين

وَالدَّرْبَسَاكَ وَغَيْرَهَا مِنْ بِلَادِ حَلَبَ ، وَبَالِغُوا حَتَّى جَاوَزُوا الْفَرَاتَ إِلَى بِلَادِ الْجَزِيرَةِ ؛
وَمَلَكُوا الرُّهَّا وَسَرُوجَ وَغَيْرَهُمَا مِنْ بِلَادِهَا حَتَّى فَتَحَ السُّلْطَانُ صَالِحُ الدِّينِ يَوْسُفُ
أَبْنَ أَيُّوبَ الشُّغْرَ وَبَكَاسَ وَسَرْمِينَ وَغَيْرَهَا فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ .

ثُمَّ اسْتَعَادَتْهَا الْفَرَنْجُ بَعْدَ فَتْحِهِ ؛ ثُمَّ فَتَحَ أَنْطَاكِيَّةَ "الظَّاهِرُ بَيْرَسُ" فِي سَنَةِ سِتٍّ
وَسِتِينَ وَسَمِائَةٍ ، فَبَقِيَتْ فِي أَيْدِي الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْآنَ .

وَمِنْ ذَلِكَ - بَاقِي بِلَادِ الثُّغُورِ وَالْعَوَاصِمِ كَأَيَّاسَ وَأَذَنَةَ وَالْمَصِصَةِ وَطَرَسُوسَ
وَبَغْرَاسَ وَبَهْسَنَى وَالدَّرْبَسَاكَ وَسَيْسَ وَغَيْرَهَا مِنْ بِلَادِ الثُّغُورِ . فَإِنَّ الْأَرْمَنَ وَثَبُّوا عَلَيْهَا
قَبْلَ الْأَرَبِجَاءِ وَأَسْتَوْلَوْا عَلَى نَوَاحِيهَا وَمَنْعُوا مَا كَانُوا يُؤَدُّونَهُ مِنَ الْإِثَاوَةِ لِلْمُسْلِمِينَ ،
وَاسْتَضَافُوا إِلَى ذَلِكَ قَلْعَةَ الرُّومِ وَمَا قَارِبَهَا ، فَبَقِيَتْ فِي أَيْدِيهِمْ حَتَّى فَتَحَ الظَّاهِرُ
بَيْرَسَ بَغْرَاسَ وَبَهْسَنَى وَالدَّرْبَسَاكَ وَغَيْرَهَا ، وَأَنْتَرَعَهَا مِنَ الْأَرْمَنِ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ
وَسِتِينَ وَسَمِائَةٍ .

وَفَتَحَ الْأَشْرَفُ "خَلِيلُ بْنُ الْمَنْصُورِ قَلَاوُونَ" قَلْعَةَ الرُّومِ ، وَأَنْتَرَعَهَا مِنْ يَدِ خَلِيفَتِهِمْ
فِي سَنَةِ إِحْدَى وَتَسْعِينَ وَسَمِائَةٍ ، وَسَمَّاَهَا قَلْعَةَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى مَا تَقَدَّمَ فِي الْكَلَامِ عَلَى
الْأَعْمَالِ الْحَلَبِيَّةِ .

وَفَتَحَ "النَّاصِرُ مُحَمَّدُ بْنُ قَلَاوُونَ" فِي سُلْطَتِهِ الثَّالِثَةِ ^(١) أَيَّاسَ ، وَمَا وَالَاهَا فِي سَنَةِ ثَمَانٍ
وِثَلَاثِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ .

وَفَتَحَ "الْأَشْرَفُ شُعْبَانُ بْنُ حُسَيْنَ" بْنُ النَّاصِرِ مُحَمَّدُ بْنُ قَلَاوُونَ سَيْسَ وَسَائِرَ بِلَادِ
الْأَرْمَنِ عَلَى يَدِ قَشْتَمِرِ الْمَنْصُورِيِّ نَائِبِ حَلَبَ .

وَمِنْ ذَلِكَ - قَلَاعُ الدَّعْوَةِ ، الَّتِي هِيَ الْآنَ مِنْ أَعْمَالِ طَرَابُلُسَ : وَهِيَ مِصْيَافُ
وَالْعَلِيقَةِ وَالْمِنْقَةِ وَالْكَهْفِ وَالْقُدْمُوسَ وَالْخَوَاصِي . فَإِنَّهَا كَانَتْ بِأَيْدِي الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ

(١) ضَبَطَهَا صَاحِبُ "الْقَامُوسِ" كَسَجَابَ وَنَصَّ عَلَى مَدِّ الْهَمْزَةِ صَاحِبُ "التَّقْوِيمِ" .

المعروفين الآن بالفداوية، قبل دخولهم في طاعة ملوك الديار المصرية، فبقيت بأيديهم حتى انتزعها منهم الملك "الظاهر بيبرس" في سنة ثمان وستين وستمائة، وانتزع منهم العليقة في سنة تسع وستين .

ثم انتزعت منهم باقي القلاع في سنة إحدى وسبعين ودخلوا تحت طاعة ملوك مصر من حينئذ، وصاروا شيعة لهم .

وهذا آخر ما يحتمله الكتاب مما يحتاج إلى معرفته .

الطرف الثالث

(من الفصل الثاني، من الباب الثالث، من المقالة الثانية في ذكر أحوال المملكة الشامية، وفيه مقصدان)

المقصد الأول

(في ترتيب نياباتها على ما هي مستقرة عليه)

قد تقدم أن الممالك المعتبرة بالبلاد الشامية ست ممالك في ست قواعد، وكل مملكة منها قد صارت نيابة سلطنة مضاهية للملكة المستقلة .

النيابة الأولى

(^(١) نيابة دمشق، وفيها جملتان)

الجملة الأولى

(في ذكر أحوالها في المعاملات ونحوها)

أما الأثمان المتعامل بها فيها، فعلى ما تقدم في الكلام على معاملات الديار المصرية من المعاملة بالدنانير المصرية ونحوها وزنا، والدنانير الاقزنية عدداً، والدراهم النقرة وزنا

لا تختلف النقود في ذلك، إلا أن الصَّنَجَةَ في أوزان الذهب بالديار المصرية تخالف الصنجة الشامية في ذلك، فتتقص الصنجة الشامية عن المصرية كل مائة مثقالٍ مثقالٌ وربع مثقالٍ، وتتقص صنجة الدراهم الشامية عن الصَّنَجَةِ المصرية كل مائة درهم درهمٌ، والمعاملة فيها بفلوس صِغار، وكان يتعامل بها في الديار المصرية في الزمن الأول قبل ضرب الفلوس الجُدُد، حساباً عن كل درهم أربعة وستون فلساً، وكل أربعة فلوس منها يُعبر عنها عندهم بحبة، ثم راجت الفلوس الجُدُد عندهم بعد سنة ثنتين وثمانمائة . إلا أن كل ^(١) بدرهم بخلاف ما تقدم في الديار المصرية من أن كل أربعة وعشرين فلساً منها بدرهم .

وأما رطلها الذي يعتبر به موزوناتها فستمائة درهم بدرهمهم المتقدم تقديره، وأوقية اثنتا عشرة أوقية، كلُّ أوقية نحسون درهما .

وأما كيلها الذي يعتبر به مكيلاتها فالغِزارة، وهي اثنا عشر كيلاً، كلُّ كيل ستة أمداد، يتقص قليلاً عن رُبُع الوِيَّةِ المصريَّة، ونسبة الإردب من الغِزارة أن كل غِزارة ومد ونصف ثلاثة أمداد بالكيل المصري تحريراً على الدمشقي ^(٢) . ثم قال : لكن كيل دِمَشَق ورطلها هو المعتبر وإليه المرجع .

وأما قياس قماشها فبذراع يزيد على ذراع القماش بالقاهرة بنصف سدس ذراع وهو قيراطان .

وأما قياس أرض الدَّور بها وما في معناها، فإنه يعتبر بذراع العمل المتقدم الذكر في الديار المصرية .

(١) بياض في الأصل بقدر كلة .

(٢) لم يقدم لنا ما يعود عليه الضمير ولعله صاحب "المسالك" .

وأما سعرها فقال في "مسالك الأبصار" : سعر اللحم بها أرخص من مصر والدجاج والإوز أعلى من مصر، وكذلك السكر؛ ولم يتعرض لغير ذلك . ولا خفاء في أن الفاكهة فيها أرخص من مصر بالقدر الكبير ، والقمح والشعير والبقلاء نحو من سعر مصر؛ وذلك كله عند اعتدال الأسعار . أما حالة الغلاء فيختلف الحال بحسبه .

الجملة الثانية

(في ترتيب مملكتها ، وهو ضربان)

الضرب الأول

(في ترتيب حاضرتها)

أما جُيُوشها ، فعلى ما تقدم في الديار المصرية في اجتماعها من الترك والحرکس والروم والروس والآص ، وغير ذلك من الأجناس المضاهية للترك في الزيِّ ، ويزيد بها التُّركمان المتميزون عن صفة الترك وزِيَّهم ، وجندها ينقسمون إلى ما تقدم في الديار المصرية : من الأمراء المقدمين والطلبخانات والعشرات ، ومن بين المقدمين والطلبخانات : كأمرء السبعين والخمسين ، وما بين العشرات والطلبخانات كالعشرينات ونحوهم ؛ وكذلك مقدمو الحلقة وجندها ، ولا وجود فيها للممالك السلطانية لأنهم لا يكونون إلا بحضرة السلطان . وقد أخبرني من له خبرة بحال مملكتها أن الأمراء المقدمين بها كانوا في الأيام الناصرية محمد بن قلاوون عشرة غير النائب بها ، وربما نقصوا الآن عن ذلك ، وأن أمراء الطلبخانات بها كانوا إذ ذاك أربعين وأنهم الآن نيف وخمسون ، وأن أمراء العشرات كانوا بها ألفين ومائة وخمسين بما فيهم من البحرية .

وأما إقطاعاتها - فقال في "مسالك الأبصار" : إن إقطاعاتها لا تقارب إقطاعات مصر ، بل تكون على الثلاثين منها ، إلا في أكابر الأمراء المقربين بحضرة السلطان ، فإن إقطاعاتهم خارجة عن العادة فلا يُعتدُّ بها . قال : ولا أعرف بالشام ما يقارب ذلك إلا ما هو لنائب دِمَشْق .

وأما بيوتاتها السلطانية - فقال في "مسالك الأبصار" : بها خزانة تخرج منها الإناعام والخيل ، وخزائن سلاح ، وزرَدُ خاناه ، وبيوت تشتمل على حاشية سلطانية مختصرة ، حتى لو جهز السلطان إليها جريدة وجد بها من كل الوظائف القائمة بدولته . قال : وكل أمير أمر فيها أو في غيرها من الشام أو ربّ وظيفة ولى وظيفة من عادة متوليها لبس خلعة أو خدم أحد خدمة في مهم من المهمات أو أمر من الأمور يستوجب خلعة أو إناعاما ولم يُخلع عليه من مصر كان من دِمَشْق خلعته وإناعامه ، ومنها تخرج أعلام الإمرة وطلائعهن وشعار الطبلخاناه . وفي خزائن السلاح بها تُعمل المجانيق والسلاح ، ويحمل إلى جميع الشام وتعمربه البلاد والقلاع ، ومن قلعته تجرّد الرجال وأرباب الصنائع إلى جميع قلاع الشام ، وتنسحب في التجاريد والمهمات .

قلت : أما باقى البيوت كالفرّاش خاناه والإصطبلات السلطانية وما شاكلها ، فلا وجود لها فيها مما ينسب إلى السلطان ، بل يكون ذلك للنائب قائما مقام السلطان لأنه فى الحقيقة السلطان الحاضر ؛ وكان بها مطابخ السكر السلطانية فأضيفت إلى من يتحدّث فى الأغوار من النائب أو غيره من الأمراء الأكابر .

الضرب الثاني

(في بيان أرباب الوظائف بدمشق على تبأين مراتبهم ؛ ووظائفها
المعتبرة على خمسة أصناف)

الصنف الأول

(وظائف أرباب السيوف)

وهي مضاهية لوظائف أرباب السيوف بالحضرة السلطانية في كثير منها ؛
وهي عدة وظائف .

(منها) نيابة السلطنة بها - وهي أجل نيابات المملكة الشامية وأرفعها في الرتبة ،
ونائبها يضاهي النائب الكافل بالحضرة السلطانية في الرتبة والألقاب والمكاتب ، ويعبر
عنه في المكاتب السلطانية وغيرها ” بكافل السلطنة الشريفة بالشام المحروس “
ويكتب له من الأبواب السلطانية تقليد شريف من ديوان الإنشاء الشريف ؛
وهو قائم بدمشق مقام السلطان في أكثر الأمور المتعلقة بنيابته ، ويكتب عنه
التواقيع الكريمة ، ويكتب عنه المربعات بتعيين إقطاعات الجند ، وتجهز إلى الأبواب
الشريفة فيشملها الخط الشريف السلطاني ، ويترتب حكم المربعات المهرية والمناشير
على حكمها كما سيأتي في الكلام على المناشير في موضعها إن شاء الله تعالى ؛ وهو يكتب
على كل ما يتعلق بنيابته من المناشير والتواقيع والمراسيم الشريفة بالاعتماد ؛ ومعه يكون
نظر البيارستان النوري بدمشق كما يكون نظر البيارستان المنصوري بالقاهرة مع
أتاك العساكر ؛ وكذلك يكون معه نظر الجامع الأموي بها .

(ومنها) نيابة القلعة بها - وهي نيابة منفردة عن نيابة السلطنة ، ليس لنائب السلطنة
عليها حديث ، وولايتها من الأبواب السلطانية بمرسوم شريف يكتب من ديوان

الإنشاء الشريف . قال في "التثقيف" : وكان عادة نائبيها في الأيام المتقدمة مقدّم ألف ، ثم استقرت بعد ذلك طبلخاناه ، وهي على ذلك إلى الآن . ومن شأنه حفظ القلعة وصونها ، ولا يسلم مفتاحها لأحد إلا لمن يتولاها مكانه أولم يأمره السلطان بتسليمه له . ولنائبيها أجناد بحرية مقيمون في القلعة لخدمته ، ولا يحضر هو ولا أحد منهم دار النيابة بالمدينة ، ولا يركبون في الغالب . وقد أخبرني بعض أهل المملكة أن بالقلعة طبلًا مرتبًا لاستعلام أوقات الليل إذا أُذن للعشاء الآخرة ضرب عليه عند مضى كل أربع درج ضربة واحدة إلى أن ينقضى ثلث الليل الأول . فإذا دخل الثلث الثاني ضرب عليه عند مضى كل أربع درج ضربتين إلى أنقضاء الثلث الثاني . فإذا دخل الثلث الثالث ضرب عليه عند مضى كل أربع درج ثلاث ضربات إلى أن يؤذن للصبح . قال : وهكذا شأن سائر القلاع بالممالك الشامية .

(ومنها) الجوبية - وكان بها في الأيام الناصرية آبن قلاوون فيما يقال ثلاثة حُجَّابٍ ، أحدهم حاجب الحُجَّاب ، ويعبر عنه في ديوان الإنشاء بالأبواب السلطانية بأمير حاجب ؛ وعادته أن يكون مقدّم ألف من الزمن القديم وهلمَّ جرًّا ، وهو الرتبة الثانية من النائب ؛ ومن شأنه الجلوس بدار العدل ، ولا يقف كما يقف حاجب الحُجَّاب بين يدي السلطان بالديار المصرية ، وإذا نَحَرَج النائب عن دِمَشْق في مهمٍّ أو غيره ، كان هو نائب الغيبة عنه . وإذا برز مرسومُ السلطان بالقبض على نائب السلطنة بها ، كان هو الذي يقبض عليه ويفعل فيه ما يؤمر به من سجن أو غيره ، ويقوم بأمر البلد إلى أن يُقام نائب آخر . والحاجبان الآخران طبلخانتان أو طبلخاناه عشرة ، وربما كانوا أربعة : حاجب الحُجَّاب وثلاث طبلخانات أو طبلخانتان وعشرون أو عشرة أو غير ذلك ؛ ورُتَبهم في المراكز أن يكون حاجب الحُجَّاب والذي يليه في الرتبة ميمنة والثاني ميسرة . ثم صاروا في الأيام الظاهرية برقوق خمسة أو ستة .

ولم تجر العادة بأن يُكتب لأحد منهم مرسومٌ شريف من الأبواب الشريفة عند ولايته، ولا مدخلٌ للنائب بها في كتابة ما يوقع لأحد منهم .

(ومنها) شدُّ المُهمَّات - وهي رتبة جليلة ، وموضوعها التحدُّث في أمور الاحتياجات السلطانية، وتارة لنائب السلطنة بدمشق، وتارة لحاجب الحجاب، وتارة لبعض الأمراء من المقدمين والطلبخانات بحسب ما يقتضيه رأى السلطان .

(ومنها) نقابة القلعة بها - وهي إمرة عشرة بمرسوم شريف ، يكتب له من الأبواب الشريفة .

(ومنها) نقابة النُقباء - وهما نقيبان : نقيبٌ لليمنة ونقيبٌ لليسرة .

(ومنها) الحزِندارية - وموضوعها التحدُّث على الحُلع والتشاريف السلطانية بالقلعة وعادتها أربعة طواشيَّة خُصِيَّانٌ بعضهم أعلى رتبةً من بعض ، أحدهم في رتبة أمير طلبخاناة أو أمير عشرين ، والثاني دونه ، والثالث دونه ، والرابع دونه ، وكل منهم له توقيع كريم من نائب السلطنة بدمشق على قدر رتبته .

(ومنها) نقابة الجيش - وفيها ثلاثة نفر، أكبرهم يعبر عنه بنقيب النُقباء ، تارة يكون أمير طلبخاناة، وفي غالب الأوقات أمير عشرة، ودونه أثنان من جند الحلقة . ويكتب لكل منهم توقيع كريم عن النائب على قدر رتبته .

(ومنها) شدُّ الدواوين - وموضوعها التحدُّث في استخراج الأموال السلطانية رفيقاً للوزير كما في الديار المصرية ، وكانت في الأيام المتقدمة إمرة طلبخاناة ، ثم استقرت إمرة عشرة . وهي الآن جندي من أجناد الحلقة ، ويكتب لتوليها توقيع كريم عن النائب .

(ومنها) شدُّ الأوقاف - وموضوعها التحدُّث على أوقاف المسلمين بدمشق ، وعادتها إمرة عشرة ، وربما كانت طلبخاناة، ويكتب لتوليها توقيع كريم عن النائب .

(ومنها) شدّ الحاصّ - وعادته طبّاخناه أو عشرة أيضا .

(ومنها) شدّ الزكاة - وموضوعها التحدّث على متجّر الكارم ونحوه ، وكانت في الزمن المتقدم إمرة عشرة ، وهي الآن جندى ، ويكتب لتوليها توقيع كريم عن النائب .

(ومنها) شدّ العُشر - وموضوعها التحدّث في واصل الفرنج ، وكانت إمرة عشرة ، وهي الآن جندى ، ويكتب لتوليها توقيع كريم عن النائب .

(ومنها) شدّ دار الطّعم - وهي بمثابة الوكالة بالديار المصرية ، وولايتها عن النائب بتوقيع كريم ، وعادتها إمرة عشرة أو مقدّم حلقة أو جندى ، ويكتب بها توقيع كريم عن النائب .

(ومنها) ولاية المدينة - وموضوعها التحدّث في أمر الشرطة كما في سائر الولايات ، وعادتها إمرة عشرة ، وربما وليها جندى ، ويكتب بها توقيع كريم عن النائب .

(ومنها) المهمندارية - وموضوعها تلقى الرُّسل الواردين ، في أمور أخرى كما في الديار المصرية . وقد أخبرني بعض أهل المملكة أنه كان بها في الأيام الناصرية ابن قلاوون في نيابة الأمير تنكز مهمندار واحد مقدّم ألف ، ثم استقرّت في الدولة الأشرفية "شعبان بن حسين" نفرين ، وهي على ذلك إلى زماننا ، وهما الآن أمير عشرة ، وجندى ، ويكتب لكل منهما توقيع كريم عن النائب على قدر رتبته .

(ومنها) أمير اخورية البريد - وموضوعها التحدّث على خيول البريد بدمشق ونواحيها . وأخبرني بعض أهل هذه المملكة أنه لم يزل بها أمير عشرة من الأيام الناصرية ابن قلاوون وإلى الآن .

(ومنها) تقدّمة البريد - وموضوعها التحدّث على جماعة البريدية بدمشق . وأخبرني بعض أهل المملكة أنها كانت في الأيام الناصرية ابن قلاوون منحصرة

في واحد من جملة البريدية، ثم أستقر فيها الآن آثنان إما إمرة عشرة وإمرة خمسة، أو إمرة خمسة وجندى، أو نحو ذلك؛ ويكتب لكل منهما توقيع كريم عن النائب على قدر مرتبته .

(ومنها) سُود صغار متعددة، يولّى بها أجناد بتوقيع لهم عن النائب : كشّد دار البَطِيخ والفاكهة ، وشّد المسابك من الحديد والنحاس والزجاج وغير ذلك ، وشّد الموارث الحشرية ونحو ذلك . وكان لمطابخ السُّكَّر شّد مفرد يولّى بتوقيع كريم عن النائب ، ثم أستقر ذلك مضافا لمن يتحدّث على الأغوار من النائب أو غيره .

قلت : أما سائر أرباب الوظائف من الأمراء المستقر مثلهم بالحضرة السلطانية : كرأس نوبة ، وأمير مجلس ، وأمير سلاح ، وأمير اخور ، وأمير جاندار ، وأستادار المباشرة ، وأستادار الصحبة ، وشادّ الشراب خاناه ، والجاشكير ، ومقدم المالك ونحوهم ، فلا وجود لهم هناك . وإنما يكون للنائب مثلهم من أجناده كغيره من سائر الأمراء .

الصنف الثاني

(الوظائف الديوانية ؛ وهي عشر وظائف)

(منها) الوزارة - وهي تارة تلورتبة صاحبها بأن يكون جليل القدر، كما إذا كان قد تقدّمت له ولاية وزارة بالديار المصرية أو نحو ذلك فيصرّح له بالوزارة ، وتارة تقصّر رتبته عن ذلك فيطلق عليه ناظر المملكة الشامية ، ولا يُسمَح له من ديوان الإنشاء بالأبواب السلطانية باسم الوزارة ، وإن كان الجارى على السنة العامة إطلاق لفظ الوزير عليه . وكيفما كان فإنما يوليه السلطان من الأبواب الشريفة . إن كان وزيرا كتب له تقليد، وإن كان ناظرا للملكة كتب له مرسوم . قلت : وقُلّ أن

يلها أرباب السيوف، فإن وقع ذلك أحتاج معه إلى ناظر مملكة كما يكون ناظر الدولة مع الوزير ربّ السيف بالديار المصرية .

(ومنها) كتابة السرّ - ويعبر عن متوليها في ديوان الإنشاء بالأبواب السلطانية بصاحب ديوان الإنشاء بالشام المحروس، ولا يقال فيه : صاحب دواوين الإنشاء كما في الديار المصرية . على أنها تضاهي كتابة السر بالديار المصرية في الرياسة وزفعة القدر . وموضوعها على نحو ما تقدم في الديار المصرية . وكيفما كان فإنما يوثق من الأبواب السلطانية بتوقيع شريف، ويحترز السلطان فيها على أن يكون كاتب السر من خاصته الموثوق بهم ليطلع به بخصيات أمور المملكة وما يحدث بها مما لعل النائب قد يُخفيه عن السلطان . وبديوانه تُكتب الدست وتُكتب الدّرج كما بالديار المصرية، ويقال إنه كان عدّة تُكتب الدست في الأيام الناصرية ابن قلاوون نفرين وتُكتب الدّرج جماعة يسيرة، ثم زاد الأمر كما في الديار المصرية . وولايات تُكتب الدست وتُكتب الدّرج بتواقيع كريمة عن النائب دون الأبواب الشريفة .

وأخبرني بعض أهل دمشق العارفين بأحوال المملكة أن كاتب السرّ في الزمن المتقدم لم يكن يحضر دار العدل مع النائب، وإنما كان يحضر تُكتب الدست فقط فيوقعون بما يحتاج إليه في المجلس وينصرفون إلى كاتب السرّ فيخبرونه بما أتفق، وكاتب السرّ يجتمع بالنائب في أوقات مخصوصة فيما يتعلق بالأمور السلطانية فقط، وكان كاتب السرّ ربما دأب على الموقعون فيما يقع بدار العدل فيلحقه بعض الخلل . فلما ولي كتابة السرّ القاضي ^(١) سعى السعي العظيم حتى أذن له في الحضور بدار العدل والتوقيع فيه، واستمر ذلك إلى الآن .

(ومنها) نظر الجيش - وموضوعه التحدث في الإقطاعات : إما في كتابة مربعات تُكْتَب بما يعينه النائب من الإقطاعات المتوفرة عن أربابها بالموت ونحوها وتكملها بخطوط ديوانه، ويجهزها النائب إلى الأبواب الشريفة ليضمها الخط الشريف السلطاني، وتعمل إلى ديوان الجيوش بالديار المصرية فتجعل شاهداً محمداً فيه، وتكتب منه مربعة، بمقتضاها يخرج المنشور على نظيرها كما تقدمت الإشارة إليه . وإما في إثبات المناشير الشريفة التي تصدر إليه من الأبواب السلطانية بديوانه حفظاً لحسابات المقطعين . وليس بالشام كتابة مناشير أصلاً، بل ذلك مختص بالأبواب السلطانية، فإن كان فيه كتابة الدست وقّع بدار العدل في جملة الموقعين وإلا فلا . وإذا كان موقعا جلس مجلس ناظر الجيش وإن كان متأخرا في المقدمة عن غيره من الموقعين، وولاية هذا الناظر من الأبواب الشريفة السلطانية بتوقيع شريف . وبديوانه عدة مباشرين من صاحب ديوان وكتاب وشهود، ولا يتم عن النائب بتوقيع كريمة . وناظر الجيش هو الذي يحكم في المحاكمات الديوانية كما يحكم فيها مستوفى المرتجع بالديار المصرية .

(ومنها) نظر المهمات الشريفة - وهي وظيفة جلييلة يكون متوليها من أرباب الأقلام رفيقا لشاد المهمات المتقدم ذكره من أرباب السيوف : من النائب أوحاجب الحجاب أو غيرهما . وهي تارة تضاف إلى الوزارة، وتارة تفرد عنها بحسب ما يراه السلطان . وولايتها من الأبواب السلطانية بتوقيع شريف . وبهذا الديوان عدة مباشرين من كتاب وشهود، فيوليم النائب بتوقيع كريمة .

(ومنها) نظر الخاص - وموضوعه هناك التحدث فيما يتعلق بالمستأجرات السلطانية وغيرها من الأغوار وما يجري مجراها، وربما أضيف نظرها للوزير .

(ومنها) نظر الخزانة، ويعبر عنها بالخزانة العالية . ومتوليها يكون رفيقا للخازندارية من الطواشيئة المتقدم ذكرهم . فيكون متحدثا في أمر التشاريف والخلع وما معها، وهى وظيفة جليلة يوليها النائب بتوقيع كريم .

(ومنها) نظر البيمارستان النورى - وقد صار النظر عليه معدوقا بالنائب، يفوض المتحدث فيه إلى من يختاره من أرباب الأعلام .

(ومنها) نظر الجامع الأموى - وفي الغالب يكون مع قاضى القضاة الشافعى .

(ومنها) نظر خزائن السلاح - وموضوعها كما فى الديار المصرية ، وولايتها عن النائب بتوقيع كريم .

(ومنها) نظر البيوت - وموضوعها على ما تقدم فى الديار المصرية ، وولايتها عن النائب بتوقيع كريم . وأخبرنى بعض الدمشقيين أن هذه الوظيفة آسم على غير مسمى لا حقيقة لها ولا مباشرة، لعدم البيوت السلطانية هناك .

(ومنها) نظرييت المال - وحكمها كما فى الديار المصرية .

(ومنها) نظردىوان الأسرى - وهو المتحدث فى الأوقاف التى تُفدى بها الأسرى .

(ومنها) نظر الأسواق - وموضوعها كما تقدم فى الديار المصرية من المتحدث

على سوق الرقيق والخليل ونحوها، وولايتها عن النائب بتوقيع كريم .

(ومنها) نظر مراكر البريد - ومتوليها يكون رفيقا لأمير اخور البريد المتقدم ذكره، وولايته عن النائب بتوقيع كريم .

(ومنها) نظر الحوطات - وهو على نحو من استيفاء المرتجع بالديار المصرية فى تحصيل الأموال السلطانية .

أما الحكم فى المحاكمات الديوانية، فيختص بناظر الجيش كما تقدم ذكره .

(ومنها) نظر المسابك - ومتولى يكون رفيقا لشاة المسابك المتقدم ذكره في أرباب السيوف، وولايته عن النائب بتوقيع كريم . قلت : ويضم إلى كل نظر من هذه الأنظار مباحثرون : من شهود وغيرهم ، يكتب لذوى الصوب منهم تواقع كريمة عن النائب بوظائفهم ، في أنظار أخرى لا يسع أستيفائها : كنظر المواريث الحشرية وغيرها . ومما أهمل من الأنظار بها نظر مطابخ السكر كما أهمل شدها لإضافتها إلى المتحدث في الأغوار على ما تقدم ذكره في الكلام على وظائف أرباب السيوف .

الصف الثالث

(من الوظائف بدمشق الوظائف الدينية؛ وهى عدة وظائف أيضا)
 (منها) قضاء القضاة - وبها أربع قضاة من المذاهب الأربعة على الترتيب المتقدم في الديار المصرية . فأعلام الشافعى وهو المتحدث على الموازع الحكيمة والأوقاف وأكثر الوظائف؛ ويختص بتولية التواب في النواحي والأعمال بجميع أعمال دمشق حتى في غزّة، ويليه في الرتبة الحنفى، ثم المالكى، ثم الحنبلى . وكان استقرار القضاة الأربعة بها بعد حدوث ذلك بالديار المصرية، لكن لم تستقر الأربعة دفعة واحدة كما وقع في الديار المصرية في الدولة الظاهرية ببيرس، بل على التدريج . وأقدمهم فيها الشافعى؛ وولاية الأربعة من الأبواب الشريفة بتواقع شريفة .
 (ومنها) قضاء العسكر - وموضوعه كما تقدم في الديار المصرية، وبها قاضيا عسكر شافعى، وحنفى؛ وليس بها مالكى، ولا حنبلى؛ وولايتهما من الأبواب الشريفة السلطانية بتواقع شريفة .

(ومنها) إفتاء دار العدل - وهى على ما تقدم في الديار المصرية أيضا، وبها مفتيان شافعى وحنفى؛ كما في قضاء العسكر، وولايتهما عن النائب بتواقع كريمة .

(ومنها) وكّالة بيت المال - وموضوعها ما تقدّم في الديار المصرية ، وولايتها من الأبواب الشريفة السلطانية بتوقيع شريف ووكالته مشبّوة على ^(١)الحكام مُنْقَذة . ولكن لاجلوس له بدار العدل كما يجلس ويكل بيت المال بالديار المصرية ، إلا أن يكون كاتب دست فيجلس بواسطتها في جملة الموقعين لا بالوكالة .

(ومنها) رقابة الأشراف - والأمر فيها كما في الديار المصرية ، وولايتها عن النائب بتوقيع كريم . وقد تقدّم في الكلام عليها في الديار المصرية أنه كان من حقها أن تُورَد في جملة وظائف أرباب السيوف إذ يكتب في توقيع متوليها "الأميرى" وإن كان متعماً ، وإنما التغليب العرفي اقتضى ذكرها في جملة وظائف أرباب الأقلام .

(ومنها) مشيخة الشيوخ - وموضوعها كما في الديار المصرية : من التحدث على جميع الخوانق والفقراء بدمشق وأعمالها ، والعادة أن يكون متوليها شيخ الخانقاه الشميصاتية بدمشق ، وولايتها عن النائب بتوقيع كريم .

(ومنها) الحسبة - وهي كما تقدّم في الديار المصرية من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وولايتها عن النائب بتوقيع كريم . ولا مجلس لمتوليها بدار العدل كما يجلس محتسب القاهرة بدار العدل في الديار المصرية ، وإليه ولاية نواب الحسبة بجميع أعمال دمشق .

(ومنها) الخطابات المعدوقة بنظر النائب - فيولى فيها بتواقيع كريمة حتى إنه ربما كتب عنه التواقيع بخطابة الجامع الأموى ، وإن كان الغالب أنها لاتولى إلا من الأبواب الشريفة بتوقيع شريف ، وقد صارت مضافة لقاضى القضاة الشافعى .

(ومنها) التداريس - وتختلف باختلاف حال من يتولاها في الرقعة وغيرها ، وولايتها عن النائب بتواقيع كريمة غالباً والله أعلم .

(١) الأولى ثابتة ، وقد جرى في التعبير العرف العامى .

الصنف الرابع

(من الوظائف بِدِمَشْقَ وظائف أرباب الصناعات)

(فمنها) رياسة الطَّبِّ ، ورياسة الكَحَّالِينَ ، ورياسة الجرائحية - وكلُّها على نحو ما تقدّم في الديار المصرية ؛ وولاية كل منها بتوقيع كريم عن النائب . أما مهتارية البيوت وما في معناها ، فهناك تختص بالنائب لقيامه مقام السلطان واختصاص البيوت به .

الصنف الخامس

(وظائف زعماء أهل الذمة بها)

وفيها بطرك النصارى اليَعاقِبة ، وبَطْرُكُ النصارى المَلِكانيّة ، ورئيس اليهود القرّائين والرّبّانيين ، ورئيس السامرة ، ولكنه مقيم بمدينة نَابْلُس التي هي مدينتهم المعظمة عندهم ، وإلى طُورها حَجَّهم ، وله نائب مقيم بِدِمَشْقَ . قلت : وربما كتب عن السلطان من الأبواب الشريفة بتواقيع ومراسيم بالحل^(١) على ما تصدر ولايته عن النائب ، وربما كتب به عنه ابتداء .

الجملة الثالثة

(في ترتيب النيابة بها)

وتوافق ترتيب السلطنة في الديار المصرية في بعض الأمور ، وتخالفها في بعض . وكان عادة النائب بها في المواكب أن يركب في العسكر من الأمراء ومقدّمى الحَلقة وأجنادها في كل يوم اثنين وخميس ، ويخرجون إلى سُوق الخيل تحت القلعة فيسيرون

(١) المراد بثبيت ما يصدر عن النائب كما تفيد البقية .

خيولهم ، وتعرض عليهم خيول المتنادة وغيرها من آلات السلاح ونحوها ، وينادى بينهم على العقار من الدور والضّياح وغيرها ، ولا يتعدون سوق الخيل إلى غيره . أما الآن فإنهم قد رفضوا التسيير بسوق الخيل ، وصار النائب يخرج بالسكر إما إلى ميدان ابن أتابك ، وإما إلى قبة يلغا : قبل دِمَشق ، وإما إلى المزة غربى دِمَشق ، وإما إلى القابون شمالى دِمَشق على حسب ما يختاره ، فيسيرون هناك بدلا من تسييرهم بسوق الخيل ، ولا يسيرون بسوق الخيل إلا في يوم مهم من حضور رُسل من بعض الملوك الغرباء ونحو ذلك . فإذا فرغوا من التسيير عند ارتفاع النهار، عاد النائب في موّكه حتى يأتى باب الحديد من أبواب القلعة ، ويقف الأمراء على ترتيب منازلهم ، وينادى بينهم على العقار والدور وغيرها ، وكذلك الخيول والسلاح . ثم يسير النائب إلى دار النيابة ، فإن كان في الموكب سَمَاط تقدم الأمراء في خدمته ، ويترجل ممالكه من سوق الخيل ، ثم الأمراء على القرب من دار النيابة على ترتيب منازلهم حتى يكون ترجل المقدمين على باب دار النيابة ، ويبقى النائب راكبا وحده حتى ينتهى إلى قاعة عظيمة معدة للجلوس في المواكب بمثابة الإيوان الذى يجلس فيه السلطان بقاعة الجبل بالديار المصرية ، ويصدر بها كرسى من خشب مغشى بغشاء من الحرير الأطلس الأصفر، وعليه سيف نمجاه، مسند إلى صدره، فيجلس النائب بصدر القاعة على مقعد مختص به، لا يشاركه أحد في الجلوس عليه، وخلفه بثمنخ منصوب وراء ظهره كعادة الأمراء ، ويكون الكرسي المذكور على شماله على نحو ثلاثة أذرع منه، ويجلس قاضى القضاة الشافعى عن يمين النائب على نحو ثلاثة أذرع منه، مسندا ظهره إلى جدار صدر القاعة، ويجلس قاضى القضاة الحنفى عن يمينه، وقاضى القضاة المالكى عن يمين الحنفى، وقاضى القضاة الحنبلى عن يمين المالكى، وقاضى العسكر الشافعى عن يمين قاضى القضاة الحنبلى، وقاضى العسكر

الحنفى عن يمين قاضى العسكر الشافعى ، صفاً مساوياً للنائب فى صدر القاعة ؛ ويجلس كاتب السر من جهة يسار النائب ملاصقاً لمقعد الذى هو جالس عليه ، جاعلاً يمينه إلى جدار صدر القاعة وظهره إلى جهة الكرسيّ . بالتحراف قليل لمواجهة النائب ؛ وكتب الدست بالميسرة تحته بالتدريج على حسب القدم صفاً ممتداً من كاتب السر إلى جهة باب القاعة ؛ ويجلس الوزير مقابل كاتب السر من الجانب الآخر على سمت يمين قاضى القضاة الحنبلى ؛ ويجلس ناظر الجيش تحته ، وكتب الدست باليمين تحت ناظر الجيش على الترتيب بالقدم أيضاً ، أخذاً من الوزير إلى جهة باب القاعة ، فيصير كاتب السر والوزير ومن يسامتهما صفين متقابلين ؛ ويجلس أتابك العناكر من الأمراء فى رأس الميمنة خلف الوزير على بعد ، وبقية الأمراء المقدمين تحته على الترتيب بحسب القدم ، وأمراء الطليخاناه باليمين تحتهم كذلك حتى يصيروا صفاً آخر كصف الوزير ومن معه ؛ ويجلس المتقدمون من أمراء الميسرة خلف كاتب السر ومن معه وتحتهم الطليخاناه على الترتيب المتقدم صفاً آخر مقابلاً لصف الميمنة ، بحيث يكون أوله خارجاً عن يسار الكرسيّ . ويكون بين النائب ورأس الميمنة نحو خمسة أذرع ، وبينه وبين رأس الميسرة نحو عشرة أذرع ، وتقف طائفة من أمراء العشرات والخمسات ومقدمى الحلقة باليمين صفاً مستقيماً خلف الأتابك والأمراء الجلوس فى صفه على ترتيب منازلهم ، ويقف مماليك النائب عن يسار الكرسيّ صفاً أخذاً من خلف أول مقدمى الميسرة بالتحراف فيه إلى خلف ، وطائفة من مقدمى الحلقة خلف الأمراء الجالسين فى الفرجة الواقعة بينهم وبين مماليك النائب ؛ ويجلس حاحب الحجاب أمام النائب فى آخر صفى الموقعين المحتدين من كاتب السر والوزير بميلة إلى صف الميمنة ؛ ويقف بقية الحجاب خلفه ، وتقبأ الجيش خلفهم . وترفع القيص فيتناولها تقبأ الجيش ويوصلونها إلى

حاجب الحجاب فيتناولها ويقوم فيوصلها إلى كاتب السر فيفترقها على الموقعين ،
ويبتدئ هو بالقراءة فيقرأ ما بيده من القصص ويوقع عليها بما يرسم به النائب ،
ثم يقرأ الذى يليه ، ثم الذى يليه إلى آخر صفه . فإذا فرغ ذلك الصف من القراءة ،
قرأ من هو أول الصف الذى فى جانب الوزير ، ثم الذى يليه ، ثم الذى يليه إلى آخر
الصف . فإذا انتهت القراءة ، قام القضاة ومن فى صفهم وكاتب السر والوزير وناظر
الجيش وسائر أرباب الأقاليم فينصرفون . فإذا آنقضى المجلس وأنصرف القضاة
ومن معهم ، مد السباط ، ويجلس النائب على رأس السباط والأمراء ومقدمو الحلقة
على ترتيب منازلهم فيما يكون ، ثم يرفع السباط ويتحول النائب إلى طرف الإيوان
فيجلس فيه ، ويجلس قدامه كاتب السر وناظر الجيش وتأتى المحاكمات فيفصلها ،
ويقرا عليه كاتب السر ما يرفع فى ذلك المجلس من القصص ، ويتكلم مع ناظر الجيش
فيما يتعلق بأمر الجيش والإقطاعات ، ثم يقوم من مجلسه ذلك وينصرف كاتب
السر وناظر الجيش .

قال فى "مسالك الأبصار" : وتزيد عساكر الشام على غيرها ركوب يوم السبت .
قلت : وهو ركوب مجتهد ليس فيه دار عدل ولا سباط . على أنه ربما أهمل
حضور دار العدل ومد السباط فى يومى الاثنين والخميس أيضا كما فى الديار المصرية .

المقصود الثانى

(فى ترتيب ماهو خارج عن حاضرة دمشق ؛ وهو على ضربين)

الضرب الأول

(ماهو خارج عن حاضرتها من النيابات والولايات)

قد تقدم أن لدمشق أربع صفقات : غربية (وهى الساحلية) . وقبيلية .
وشمالية . وشرقية . فى الصفقة الأولى وهى الغربية نيابتان وخمس ولايات .

فأما النيابتان :

فالأولى - (نيابة غزّة) أو مقدمة العسكر بها على ما يأتي بيانه إن شاء الله تعالى .
ومعاملاتها بالدنانير وبالدرهم النقرة، وصنّجتها في الذهب والفضة كصنّجة الديار
المصرية . وكان بها فلوس كل ثمانين منها بدرهم، ويعبر عن كل أربعة منها بحبة،
ثم راجت بها الفلوس الجُدُد في أوائل الدولة الناصرية "فرج بن برقوق" ولكن كل
سنة وثلاثين فلساً منها بدرهم، ورطلها سبعمائة وعشرون درهما بالدرهم المصري،
وأواقيّه اثنتا عشرة أوقية، كل أوقية ستون درهما . ومكيلاتها معتبرة بالغرارة . وكل
غرارة من غرائرها ثلاثة أراذب بالمصري، وقياس قماشها بالذراع المصري، وأرضها
معتبرة بالفدان الإسلامي والفدان الرومي على ما تقدّم في دمشق، وجيوشها مجمعة
من الترك ومن في معناهم ومن العرب والتركمان، وبها من الوظائف النيابة، ثم تارة
يصرح لنائبها بنبابة السلطنة . وبكل حال فنائبها أو مقدّم العسكر بها لا يكون
إلا مقدّم ألف، وبها أمراء الطبلخاناه والعشرات والخمسات ومن في معناهم، وفيها
من وظائف أرباب السيوف الحجوبية، وحاجبها أمير طبلخاناه، وولاية المدينة
وولاية البر، وشدّ الدواوين، والمهمندارية، ونقابة النقباء وغير ذلك .
وبها من الوظائف الديوانية كاتب درج، وناظر جيش، وناظر مال، وولايتهم
من الأبواب السلطانية؛

ومن الوظائف الدينية قاض شافعي، وولايته من قبيل قاضي دمشق
إذا كانت غزّة تقدمة عسكر وإلا فهي من الأبواب السلطانية، وقاض حنفي
قد استحدث، وولايته من الأبواب السلطانية، وبها المحتسب، ووكيل بيت المال
ومن في معناهم، وكلهم نواب لأرباب هذه الوظائف بدمشق كما في القاضي الشافعي،
وليس بها قضاء عسكر ولا إفتاء دار عدل .

الثانية - (نيابة القدس) - وقد تقدم أنها كانت في الزمن المتقدم ولاية صغيرة . وأن النيابة استحدثت فيها في سنة سبع وسبعين وسبعائة ، ونيابتها إمرة طبلخاناه ، وقد جرت العادة أن يضاف إليها نظر القدس ومقام الخليل عليه السلام ، ومعاملتها بالذهب والفضة والفلوس على ما تقدم في معاملة دمشق ، ورطلها ^(١) وكيلا معتبر بالغرارة ، وغرارتها ^(١) وقياس قماشها بذراع ^(١) ، وبها من الوظائف غير النيابة ولاية قلعة القدس ، وواليها جندي ، وكذلك ولاية المدينة ، وكانت توليتها أولا من جهة نائب السلطنة بدمشق ، ثم أخبرني بعض أهل المملكة الشامية أن ولاية والي القلعة وولاية البلد صارتا إلى نائب القدس من حين استقر نيابة ، وكذلك ولاية بلد الخليل عليه السلام . وبها قاض شافعي ومحتسب نائبان عن قاضي دمشق ومحتسبها ، وكذلك جميع الوظائف بها نيابات عن أرباب الوظائف بدمشق .

وأما الولايات :

فالأولى - (ولاية الرملة) - وكانت في الأيام الناصرية محمد بن قلاوون من الولايات الصغار بها جندي ، ثم استقر بها في دولة الظاهر برقوق كاشف أمير طبلخاناه ، ثم حدثت مكاتبة عن الأبواب السلطانية بعد ذلك .

الثانية - (ولاية لد) - وقد كانت في الأيام الناصرية ابن قلاوون ولاية صغيرة بها جندي ، ثم أضيفت إلى الرملة حين استقر بها الكاشف المقدم ذكره .

الثالثة - (ولاية قاقون) - وكان بها في الأيام الناصرية جندي ، ثم أضيفت إلى كاشف الرملة عند استقراره .

الرابعة - (ولاية بلد الخليل عليه السلام) - وكان في الأيام الناصرية بها جندي ، ثم أضيفت إلى القدس حين استقر النائب به .

(١) بياض بالأصل في هذه المواضع ولعلها مثل الذي تقدم في غرة لتقارب الأمكنة .

الخامسة - (ولاية نابلس) - وهي باقية على حالها في الأفراد بالولاية ، وواليتها تارة يكون أمير طبلخاناه، وتارة أمير عشرين، وتارة أمير عشرة .
وأما الصفقة الثانية وهي القبلية، فيها نيابتان وثمان^(١) ولايات .
فأما النيابتان :

فالأولى منهما (نيابة قلعة صَرْخَدَ) - قال في " التعريف " : قد يجعل فيها من يَنْحَطُّ عن رتبة السلطنة أو تكون نيابة معظمة ، وذكر نحوه في " مسالك الأبصار " وكأنه يشير إلى ما كانت عليه في زمانه ، فإنه من جملة مَنْ كان نائباً بها العادل كتبغا بعد خلعه من السلطنة ، ثم أنتقل منها إلى نيابة حماة . وأعلم أن بَصْرَخَدَ المذكورة قلعة لها وَاِلٍ خاص . قال في " الثقيف " : وهي من القلاع التي يستقل نائب الشام بالتولية فيها .

الثانية - (نيابة عَجْلُون) - وقد أشار في " الثقيف " إلى أنها نيابة حيث قال : وعَجْلُونُ إن كانت نيابة فإن نائب الشام يستقل بالتولية فيها ، ولم تجرله عادة بمكاتبة من الأبواب الشريفة .

وأما الولايات :

فالأولى - (ولاية بَيْسَانَ) - وواليتها جُنْدَى .

الثانية - (ولاية بَانِيَّاسَ) - وواليتها جُنْدَى تارة ، وتارة إمرة عشرة .

الثالثة - (ولاية قلعة الصَّبِيَّة) - وكانت ولاية صغيرة وبها جندي ثم أضيفت إلى بَانِيَّاسَ .

الرابعة - (ولاية الشَّعْرَا) - وكانت في الأيام الناصرية مضافة إلى بَانِيَّاسَ ، وهي الآن ولاية مفردة ، وواليتها جُنْدَى .

(١) أى ان جعلت الصلت ولاية مفردة وإلا فسبعة .

الخامسة - (ولاية أَدْرَعَات) - قال في "التعريف" : وبها مقر ولاية الحاكم على جميع الصفقة ؛ ثم الحاكم على جميع الصفقة تارة يكون طبلخاناه وتكون ولايته عن نائب الشام ، وتارة يكون مقدم ألف فتكون ولايته من الأبواب السلطانية . أخبرني بعض كتّاب دَسْت دِمَشَق أنه إن كان مقدم ألف ، سُمِّي كاشف الكُشَاف وإن كان طبلخاناه سُمِّي والى الولاية وهو الغالب .

السادسة - (ولاية حُسْبَان والصِّلَت) - من البقاء . أخبرني القاضي ناصر الدين ابن أبي الطيب كاتب السريدِمَشَق أنها إن جمعا لوال واحد كان أمير طبلخاناه أو أمير عشرة ، وإن أفرد كل منهما لوال كان جُنْدِيَا .

السابعة - (ولاية بُصْرَى) - ووالها جُنْدِي أيضا .

الصفقة الثالثة الشمالية . وفيها نيابة واحدة وثلاث ولايات .

فأما النيابة (فنيابة بَعْلَبَك) - وقد كانت في الأيام الناصرية محمد بن قلاوون إمرة عشرة ، ثم صارت الآن إمرة طبلخاناه ، وبكل حال فنياب الشام هو الذي يستقل بولايتها ، وربما وليت من الأبواب السلطانية . قال في "التعريف" : ولها ولاية خاصة يعنى غير ولاية المدينة ؛ وقد كانت في الدولة الأيوبية مفردة في الغالب بملك بمفردها .

وأما الولايات :

فالأولى - منها (ولاية البَقَاع البَعْلَبَكِي) - قال في "التعريف" : وهاتان الولاياتان^(١) الآن منفصلتان عن بَعْلَبَك ، وهما مجموعتان لوال واحد جليل مفرد بذاته ؛ وهما على ما ذكره من جمعهما لوال واحد إلى الآن ، إلا أنه تارة يليهما مقدم حلقة وتارة جندى .

(١) أى ولاية "البقاع البعلبكى" و"البقاع العزى" فكان المناسب أن يذكر البقاع العزى أيضا كما سبق له ذكرهما في الأعمال وعقبهما بعبارة التعريف هذه فتنبه .

الثانية - (ولاية يبروت) - وولايتها الآن إمرة طبلخاناه .

الثالثة - (ولاية صيدا) - قال في "مسالك الأبصار" : وهي ولاية جليلة ، وهي على ما ذكره إلى زماننا ، تارة يليها أمير طبلخاناه ، وتارة أمير عشرة .

الصفقة الرابعة الشرقية . وبها ثلاث نيابات وأربع ولايات .

فأما النيابات :

فالأولى - (نيابة حصص) - وهي نيابة جليلة ، وقد كانت في الأيام الناصرية فما بعدها مقدمة ألف . قال في "التتيف" : ثم استقرت طبلخاناه بعد ذلك . قال :

ونائب قلعتها من الممالك السلطانية . وقد تقدم أن الذكر في الزمن القديم كان لها دون حماة ، وقد كانت في الدولة الأيوبية مملكة منفردة تارة ، وتضاف إلى غيرها أخرى .

الثانية - (نيابة مضيايف) - وقد تقدم أنها كانت أولا من مضافات أطربلس في جملة قلاع الدعوة ، ثم أضيفت بعد ذلك إلى دمشق ، واستمرت على ذلك إلى الآن . ونيابتها تارة تكون إمرة طبلخاناه ، وتارة تكون إمرة عشرة ، وبكل حال فتوليها من الأبواب السلطانية . ونائبها لا يكتب له إلا في المهمات دون خلاص الحقوق أيضا .

الثالثة - (ولاية صيدا)^(١) - والغالب في نيابتها أن تكون مقدمة ألف ، وأشار في "التتيف" إلى أنها قد تكون طبلخاناه . قال في "التعريف" : وبقليتها بحرية وخيالة وكشافة وطوائف من المستخدمين .

(١) تقدمت في "الصفقة الثالثة الشمالية" . على أنه لم يتكلم على الولايات الأربع التي ذكرها في ترجمة هذه الصفقة ، وقد ذكر في التعريف الجملة التي نقلها عنه في الكلام على الرحبة التي عدّها من الصفقة الرابعة وجعل ولاياتها أربعا ولاية حصص ، وولاية سلية ، وولاية قارا ، وولاية تدمر . وبالجملة فهذا الموضع يحتاج إلى تحرير .

الضرب الثاني

(من الخارج عن حاضرة دمشق العربان؛ والإمرة بها في بطون من العرب)

البطن الأولى

(آل ربيعة من طيء من كهلان من القحطانية)

وهم بنو ربيعة بن حازم، بن علي، بن مفرج، بن دَعْفَل، بن جراح؛ وقد تقدم نسبه مستوفى مع ذكر الاختلاف فيه في الكلام على ما يحتاج إليه الكاتب في المقالة الأولى. قال في "العبر": وكانت الرياسة عليهم في زمن الفاطميين: خلفاء مصر لبني جراح، وكان كبيرهم مفرج بن دَعْفَل بن جراح، وكان من إقطاعه الرملة. ومن ولده حَسَّان وعلي ومحمود وحرار، وولى حَسَّان بعده فعظم أمره وعلا صيته، وهو الذي مدحه الرِّيَاشِيّ الشاعر في شعره. قال الحمداني: وكان مبدأ ربيعة أنه نَسَأَ في أيام الأتابك زنكي صاحب الموصل، وكان أميرَ عرب الشام أيام طُغْتَكِين السَّلْجُوقِيّ صاحب دِمَشْقَ ووفد على السلطان نور الدين محمود بن زنكي صاحب الشام فأكرمه وشادَ بذكره. قال: وكان له أربعة أولاد، وهم فَضْل، ومرا، وثابت، ودَعْفَل. ووقع في كلام المسيحي أنه كان له ولد اسمه بدر. قال الحمداني: وفي آل ربيعة جماعة كثيرة أعيان لهم مكانة وأبهة، أول من رأيتُ منهم مائع بن حديثة وغنام بن الطاهر، على أيام الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب. قال: ثم حضر بعد ذلك منهم إلى الأبواب السلطانية في دولة المعز أيك وإلى أيام المنصور قلاوون زامل ابن علي بن حديثة، وأخوه أبو بكر بن علي، وأحمد بن حمي وأولاده وإخوته، وعيسى ابن مُهَنَّأ وأولاده وأخوه؛ وكلهم رؤساء أكابر وسادات العرب ووجوهها، ولهم عند السلاطين حُرمة كبيرة وصيتٌ عظيم، إلى رونق في بيوتهم ومنازلهم.

مَنْ تَلَقَّ مِنْهُمْ تَقُلْ : لَا قَيْتُ سَيِّدَهُمْ * مثلُ النُّجُومِ الَّتِي يَسِيرُ بِهَا السَّارِي
ثم قال : إلا أنهم مع بُعْدِ صِيَّتِهِمْ قَلِيلٌ عَدْدُهُمْ . قال في ”مسالك الأبصار“ :
لكنهم كما قيل :

تُعَيِّرُنَا أَنَّا قَلِيلٌ عَدِيدُنَا * فَقُلْتُ لَهَا : إِنَّا الْكَرَامُ قَلِيلٌ
وَمَا ضَرُّنَا أَنَّا قَلِيلٌ وَجَارُنَا * عَزِيزُ وَجَارٍ أَكْثَرِينَ ذَلِيلٌ

ولم يزل لهم عند الملوك المكانة العلية والدرجة الرفيعة، يُحْلُونَهُمْ فَوْقَ كَيَوَانٍ،
وَيُنَوِّعُونَ لَهُمْ أَجْنَاسَ الْإِحْسَانِ . قال الحمداي : وَفَدَّ فَرَجُ بْنُ حِيَّةٍ عَلَى الْمُعْزَايِيكِ
فَأَنزَلَهُ بَدَارَ الضِّيَافَةِ وَأَقَامَ أَيَّامًا، فَكَانَ مَقْدَارُ مَا وَصَلَ إِلَيْهِ مِنْ عَيْنٍ وَقَاشٍ وَإِقَامَةٍ - لَهُ
وَلَمِنْ مَعَهُ - سِتَّةٌ وَثَلَاثِينَ أَلْفَ دِينَارٍ . قَالَ : وَاجْتَمَعَ أَيَّامَ ”الظَّاهِرِ بَيْرِسَ“ جَمَاعَةٌ
مِنْ آلِ رُبَيْعَةٍ وَغَيْرِهِمْ فَخَصَلُ لَهُمْ مِنَ الضِّيَافَةِ خَاصَّةً فِي الْمَدَّةِ السَّيْرَةِ أَكْثَرُ مِنْ هَذَا
الْمَقْدَارِ ، وَمَا يَعْلَمُ مَا صُرِفَ عَلَى يَدَيِّ مِنْ بَيْوتِ الْأَمْوَالِ وَالْخَزَائِنِ وَالْغِلَالِ لِلْعَرَبِ
خَاصَّةً إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى .

وَأَعْلَمُ أَنَّ آلَ رُبَيْعَةٍ قَدْ انْقَسَمُوا إِلَى ثَلَاثَةِ أَفْخَازٍ، هُمُ الْمَشْهُورُونَ مِنْهُمْ وَمِنْ عَدَاهُمْ
أَتْبَاعُهُمْ لَهُمْ وَدَاخِلُونَ فِي عَدَدِهِمْ ، وَلِكُلِّ مِنَ الثَّلَاثَةِ أَمِيرٌ مُخْتَصٌّ بِهِ .

الفخذ الأول - (آل فضل) - وهو فضل بن ربيعة المقدم ذكره ، وهم رأس
الكل وأعلامهم درجة وأرفعهم مكانة . قال في ”مسالك الأبصار“ : وَدِيَارُهُمْ مِنْ
حِمَصَ إِلَى قَلْعَةِ جَعْبَرٍ ، إِلَى الرَّحْبَةِ ، آخِذِينَ عَلَى شَقَى الْفَرَاتِ وَأَطْرَافِ الْعِرَاقِ حَتَّى
يَنْتَهَى حَدُّهُمْ قِبْلَةَ بَشْرٍ إِلَى الْوَشْمِ ، آخِذِينَ يَسَارًا إِلَى الْبَصْرَةِ ، وَلَهُمْ مِيَاهُ كَثِيرَةٌ
وَمَنَاهِلٌ مُورَدَةٌ :

وَلَهَا مَنَهْلٌ عَلَى كُلِّ مَاءٍ * وَعَلَى كُلِّ دِمْنَةٍ آثَارُ

وقد ذكر في "مسالك الأبصار" : نقلا عن محمود بن عرام ، من بنى ثابت بن ربيعة : أن آل فضل تشعبوا شعبا كثيرة ، منهم آل عيسى ، وآل فرج ، وآل سميطة ، وآل مسلم ، وآل علي . قال : وأما من ينضاف إليهم ويدخل فيهم ، فرعب ، والحريث ، وبنو كلب ، وبعض بنى كلاب ، وآل بشار ، وخالد حمص ، وطائفة من سنيس وسعيدة ، وطائفة من بربر وخالد الحجاز ، وبنو عقيل من كدر ، وبنو رميم ، وبنو حى ، وقران ، والسراجون . ويأتيهم من البرية من عريه غالب ، وآل أجود ، والبطنين ، وساعدة ، ومن بنى خالد آل جناح ، والصبيات من مياس ، والحبور ، والدغم ، والقرسة ، وآل منيحة ، وآل بيوت ، والعامرة ، والعلمجات من خالد ، وآل يزيد من عابد ، والدوامر ، إلى غير هؤلاء ممن يخالفهم في بعض الأحيان . قال المقر الشهابي بن فضل الله : على أنى لا أعلم في وقتنا من لا يؤثرُ صحبتهم ويظهر محبتهم . وسيأتى ذكر قبائل أكثر هذه العُربان التي تنضاف إليهم في مواضعها إن شاء الله تعالى .

قال في "مسالك الأبصار" : وأسعدُ بيت في وقتنا آل عيسى ، وقد صاروا بيوتا : بيت مُهنا بن عيسى ، وبيت فضل بن عيسى ، وبيت حارث بن عيسى ، وأولاد محمد ابن عيسى ، وأولاد حديثه بن عيسى ، وآل هبة بن عيسى . قال : وهؤلاء آل عيسى في وقتنا هم ملوك البر فيما بعد وأقرب ، وساداتُ الناس ولا تصلح إلا عليهم العرب . وأما الإمرة عليهم فقد جرت العادة أن يكون لهم أمير كبير منهم يولى من الأبواب السلطانية ، ويكتب له تقليدٌ شريف بذلك ، ويلبس تشريفا أطلس أسوة النواب إن كان حاضرا ، أو يُجهزُ إليه إن كان غائبا ، ويكون لكل طائفة منهم كبير قائم مقام أمير عليهم ، وتصدر إليه المكاتبات من الأبواب الشريفة إلا أنه لا يكتب له تقليدٌ ولا مرسوم . قال في "مسالك الأبصار" : ولم يصَّرح لأحد منهم بإمرة على العرب

يتقليد من السلطان إلا من أيام العادل أبي بكر : أنحى السلطان صلاح الدين يوسف
 ابن أيوب ، أمر منهم حديثه يعني ابن عَقْبَة^(١) بن فضل بن ربيعة ، والذي ذكره
 قاضي القضاة ولي الدين بن خلدون في تاريخه أن الإمرة عليهم في أيام العادل
 أبي بكر بن أيوب كانت لعيسى بن محمد بن ربيعة ، ثم كان بعده ماتع بن حَديثه
 ابن عَقْبَة^(١) بن فضل ، وتوفي سنة ثلاثين وستمائة ، وولي عليهم بعده ابنه مهنا ، وحضر
 مع المظفر قطز قتال هولاكو ملك التتار وانتزع سَلَمِيَّةَ من المنصور بن المظفر
 صاحب حماة وأقطعها له ؛ ثم ولي الظاهر بيبرس عند مسيره إلى دِمَشْقَ لتشييع
 الخليفة المستعصم إلى بغداد عيسى بن مهنا بن ماتع ووقر له الإقطاعات على حفظ
 السابلة وبقى حتى توفي سنة أربع وثمانين وستمائة ؛ فولئ المنصور قلاوون مكانه ابنه
 مهنا بن عيسى ، ثم سافر الأشرف " خليل بن قلاوون " إلى الشام فوفد عليه مهنا
 ابن عيسى في جماعة من قومه فقبض عليهم ، وبعث بهم إلى قلعة الجبل بمصر فَأَعْتَقُوا
 بها وبقوا في السجن حتى أفرج عنهم العادل كتبغا عند جلوسه على التخت سنة
 أربع وتسعين وستمائة ورجع إلى إمارته ؛ ثم كان له في أيام الناصر بن قلاوون نُصرةٌ
 واستقامة تارة وتارة ، وميلٌ إلى التتر بالعراق ، ولم يحضر شيئا من وقائع غازان ؛ ووفد
 أخوه فَضْلُ بن عيسى على السلطان الملك الناصر سنة اثنتي عشرة وسبعائة فولاه
 مكانه وبقى مهنا مشردا ، ثم لحق سنة ست عشرة بخدابندا ملك التتار بالعراق فأكرمه
 وأقطعه بالعراق وهلك خدابندا في تلك السنة فرجع مهنا إلى الشام ، وبعث ابنه
 مجدا وموسى وأخاه محمد بن عيسى إلى الملك الناصر ، فأكرمهم وأحسن إليهم ، ورد
 مهنا إلى إمارته وإقطاعه ؛ ثم رجع إلى موالة التتر فطرد السلطان الملك الناصر آل
 فَضْلٍ بأجمعهم من الشام وجعل مكانهم آل علي ، وولي منهم على أحياء العرب محمد

(١) في الأصل هنا غيبة ، والذي في الجزء الأول (ص ٣٢٥) عقبة ، فليتنبه .

أبن أبى بكر بن على، وصرف إقطاع مهنا وأولاده إليه وإلى أولاده، وأقام الحاسب على ذلك مدة . ثم وفد مهنا على السلطان الملك الناصر صحبة الأفضل بن المؤيد صاحب حماة فرضى عنه السلطان وأعاد إمارته إليه ورجع إلى أهله ، فتوفى سنة أربع وثلاثين وسبعائة ؛ وولّى مكانه أخوه سليمان فبقى حتى توفى سنة أربع وأربعين وسبعائة عقب موت الملك الناصر ؛ وولّى مكانه أخوه سيف بن فضل فبقى حتى عزله السلطان الملك الكامل "شعبان بن قلاوون" سنة ست وأربعين ، وولّى مكانه أحمد بن مهنا بن عيسى فبقى حتى توفى فى سنة سبع وأربعين وسبعائة فى سلطنة الناصر "حسن بن محمد بن قلاوون" المرة الأولى ؛ وولّى مكانه أخوه فيّاض فبقى حتى مات سنة ستين وسبعائة ، وولى مكانه أخوه جبار من جهة الناصر حسن فى سلطته الثانية ، ثم حصلت منه نفرة فى سنة خمس وستين وسبعائة وأقام على ذلك ستين إلى أن تكلم بسببه مع السلطان نائب حماة يومئذ فأعيد إلى إمارته ؛ ثم حصل منه نفرة ثانية سنة سبعين فى الدولة الأشرية "شعبان بن حسين" فولّى مكانه آبن عمه زامل آبن موسى بن عيسى فكانت بينهم حروب ، قتل فى بعضها قشتمر المنصورى نائب حلب فصرفه الأشرف وولّى مكانه آبن عمه معقل بن فضل بن عيسى ، ثم بعث معقل فى سنة إحدى وسبعين يستأمن لجبار المتقدم ذكره من السلطان الملك الأشرف فأمنه ، ووفد جبار على السلطان فى سنة خمس وسبعين فرضى عنه وأعادته إلى إمارته فبقى حتى توفى سنة سبع وسبعين ، فولّى مكانه أخوه قنارة ، وبقى حتى مات سنة إحدى وثمانين ، فولّى مكانه معقل بن فضل بن عيسى وزامل بن موسى آبن عيسى المتقدم ذكرهما شريكين فى الإمارة ؛ ثم عزّلا فى ستتهما وولّى مكانهما

(١) ذكر فى العربى هذا والذى قبله مظفر الدين موسى ووفاته فى ٤٢ وذكرا أن سليمان توفى فى ٤٣

وبعد شرف الدين عيسى بن فضل ووفاته فى ٤٤ .

محمد بن جبار بن مَهَنَّا وهو نُعَيْرٌ، ثم وقعت منه نُفْرَةٌ في الدولة الظاهرية برقوق ،
فولى مكانه بعض آل زامل ، ثم أعيد نُعَيْرُ المذكور إلى إمرته وهو باق على ذلك إلى
الآن ، وهو محمد بن جبار بن مهنا بن عيسى بن مهنا بن مائع بن حديثه بن عقبة^(١)
أبن فضل بن ربيعة .

وقد ذكر المقرّ الشهابي بن فضل الله في "مسالك الأبصار" : أمراء آل فضل
في زمانه ، فذكر أن أمير آل عيسى وسائر آل فَضْلٍ أحمد بن مهنا ، وأمير بيت فضل
أبن عيسى سيف بن فضل ، وأمير بيت حارث بن عيسى قنّاة بن حارث . ثم قال :
أما أولاد محمد بن عيسى ، وأولاد حديثه بن عيسى ، وآل هبة بن عيسى فأتباع .

وذكر القاضي تقي الدين بن ناظر الجيش في "التثقيف" : أنهم صاروا بيتين :
وهما بيت مهنا بن عيسى وفضل بن عيسى . وذكر من أكابرهم عَسَاف بن مهنا
وأخاه عتقا ، وزامل بن موسى بن مهنا ، ومحمد بن جبار وهو نُعَيْرٌ قبل الإمرة ، وعوّاد
أبن سليمان بن مهنا ، وعلى بن سليمان بن مهنا ، وأما بنو فضل بن عيسى فذكر منهم
فضل بن عيسى ، ومُعَيْقِل بن فضل ، وقال : كان قبلهما سيف وأبو بكر . ثم قال :
ومن لم يكاتب أولاد فيّاض وبقية أولاد جبار ورقية بن عمر بن موسى ونحوهم .

الفخذ الثاني - (من آل ربيعة آل مرا) - نسبة إلى مرا بن ربيعة ، وهو أخو
فضل المتقدم ذكره . قال في "النعريف" : ومنازلهم حوران . وقال في "مسالك
الأبصار" : ديارهم من بلاد الحِندُور والجَوْلان إلى الزرقاء والضليل إن بُصرى ،
ومُشَرِّقاً إلى الحِزّة المعروفة بحرّة كشت قريباً من مكّة المعظمة إلى شعباء إلى نيران
مزَيْد إلى الهَضْب المعروف بهضب الرّاقى ، وربما طاب لهم البر وأمتد بهم المرعى
أوانٍ خَصْبٍ الشتاء فتوسعوا في الأرض وأطالوا عدد الأيام والليالي حتى تعود مكّة

المعظمة وراء ظهورهم ، ويكاد سهيل يصير شامهم ، ويصيرون مستقبليين بوجوههم الشام . وقد تشعب آل مرا أيضا شُعباً كثيرة ، وهم آل أحمد بن حجي وفيهم الإمرة ، وآل مسخر ، وآل نبي ، وآل بقره ، وآل شماء .

ومن ينضاف إليهم ويدخل في إمرة أمراءهم حارثه ، والخاص ، ولأم ، وسعيدة ، ومُدْج ، وقرير ، وبنو صخر ، وزبيد حوران : وهم زبيد صرخد ، وبنو غني ، وبنو عر قال ؛ ويأتيهم من عرب البرية آل ظفير ، والمفارجة ، وآل سلطان ، وآل غزى ، وآل برجس ، والحرسان ، وآل المغيرة ، وآل أبي فضيل ، والزرق ، وبنو حسين الشرفاء ، ومطين ، وخشم ، وعدوان ، وعزرة . قال : وآل مرا أبطال مناجيد ، ورجال صناديد ، وأقبال قل كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَديدًا ، لا يَعدُّ منهم عَتَرَةُ الْعَبْدِي ، ولا عَرَابَةُ الْأَوْسِي ، إلا أن الحظ يحظ بنى عمهم [بأكثر] مما يحظهم ، ولم تزل بينهم نُوب الحَرْب ، ولم في أكثرها الغَلَب . قال الشيخ شهاب الدين أبو التناء محمود الحلبي رحمه الله : كنت في نوبة حُصَّ في واقعة التتار جالسا على سَطْح باب الإصطبل السلطاني بمَشَقْ إذ أقبل آل مرا زُهاء أربعة آلاف فارس شاكين في السلاح على الخيل المسومة ، والحياد المطهمة ، وعليهم الكرغندات الحمر الأطلس المعدني ، والديباج الرومي ، وعلى رؤوسهم البَيض ، مقلدين بالسيوف ، وبأيديهم الرماح كأنهم صُقُور على صُقُور ، وأمامهم العبيد تميل على الركائب ، ويرقصون بتراقص المهارى ، وبأيديهم الجناثب ، التي إليها عيون الملوك صُورا ، ووراءهم الطعان والحول ، ومعهم مغنيّة لهم تعرف بالحضرمية طائفة السُّمعة ، سافرة من الهودج وهي تغني :

وَكُنَّا حَسِبْنَا كُلَّ بَيْضَاءٍ شُحْمَةً * لِيَالِي لَا قَيْنَا جُدَامًا وَحَمِيرًا
وَلَمَّا لَقَيْنَا عُصْبَةً تَغْلِيَّةً * يَقُودُونَ جُرْدًا لِلنَّيَّةِ ضُمَرًا
فَلَمَّا قَرَعْنَا النَّعْجَ بِالنَّعْجِ بَعْضُهُ * بِيَعُضُ أَبَتْ عِيدَانُهُ أَنْ تَكْسُرَا
سَقَيْنَاهُمْ كَأْسًا سَقُونَا بِمِثْلِهِ * وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الْمَوْتِ أَضْبَرَا

وكان الأمر كذلك، فإن الكسرة أولاً كانت على المسلمين ثم كانت لهم الكثرة على التتار، فسبحان منطق الألسنة ومُصَرَّف الأقدار .

الفخذ الثالث - من آل ربيعة (آل علي) - وهم فرقة من آل فضل المقدم ذكرهم ينتسبون إلى علي بن حديثة بن عقبة بن فضل بن ربيعة . قال في "مسالك الأبصار" : وديارهم مرج دِمَشَقْ وِغُوطُهَا، بين إخوتهم آل فضل وبني عمهم آل مرا، ومنتهاهم إلى الحوف والجَبَابنة، إلى السكة، إلى البرادع . قال في "التعريف" : وإنما نزلوا غُوطَةَ دِمَشَقْ حيث صارت الإمرة إلى عيسى بن مهنا وبقي جار الفرات في تلايب التتار . قال في "مسالك الأبصار" : وهم أهل بيت عظيم الشأن مشهور السادات ، إلى أموال جمة ونعم ضخمة ومكانة في الدول عليه . وأما الإمرة عليهم فقد ذكر في "مسالك الأبصار" : أنه كان أميرهم في زمانه رَمْلَةَ بن جمار بن محمد بن أبي بكر بن علي بن حديثة بن عقبة بن فضل بن ربيعة . ثم قال : وقد كان جده أميراً ثم أبوه . قلد الملك الأشرف "خليل بن قلاوون" جده محمد بن أبي بكر إمرة آل فضل ، حين أمسك مهنا بن عيسى . ثم تقلدها من الملك الناصر أخيه أيضاً حين طرد مهنا وسائر إخوته وأهله . قال : ولما أمر رَمْلَةُ كان حَدَثَ السن فحسده أعمامه بنو محمد بن أبي بكر ، وقدموا على السلطان بتقاديمهم وتراموا على الأمراء، وخواصَّ السلطان، وذوى الوظائف فلم يُحْضِرْهم السلطان إلى عنده ولا أذنّى أحداً منهم ، فرجعوا بعد معاينة الحين ، بُحْتَى حُتَيْنَ ، ثم لم يزالوا يتربصون به الدوائر وينصبون له الجائل والله تعالى يقيه سيئات ما مكروا حتى صار سيد قومه ، وفرقد دهره ، والمُسَوَّد في عشيرته ، المبيّض لوجوه الأيام بسيرته . وله إخوة ميامين كبار ، هم أمراء آل فضل وآل مرا . وقد ذكر القاضي تقي الدين بن ناظر الجيش في "التثقيف" : أن الأمير عليهم في زمانه في الدولة الظاهرية برقوق كان عيسى بن زيد بن جمار .

البطن الثانية

جَرَم (بفتح الجيم وسكون الراء المهملة) . قال الحمداني : وأسمه ثعلبة وجرم أسم أمه ، وقد تقدم ذكر نسبه في الكلام على ما يحتاج إليه الكاتب في المقالة الأولى . قال في "مسالك الأبصار" : وهم ببلاد غَزَّةَ والدَّارُوم مما يلي الساحل إلى الجبل وبلد الخليل عليه السلام . قال الحمداني : وجَرَمُ المذكورة شَمِجَان ، وقران ، وجَيَّان . قال : والمشهور منهم الآن جذيمة ، ويقال إن لهم نسباً في قريش ، وزعم بعضهم أنها ترجع إلى مخزوم . وقال آخرون : بل من جذيمة بن مالك بن حنبل ابن عامر بن لؤي بن غالب بن فهر . ثم قال : وجذيمة هذه هم آل عَوْسَجَةَ ، وآل أحمد ، وآل محمود ، وكلهم في إمارة شاور بن سنان ثم في بنيه ، وكان لسنان المذكور أخوان فيهما سُودَدٌ : وهما غانم وخضر . ومن جذيمة جابع (؟) الرايدين وبنو أَسَلَمَ ، ويقال إن أَسَلَمَ من جُدَام لا من جذيمة ولكنها اختلطت بها ؛ ومن جذيمة أيضاً شبل ، ورضيعة جَرَم ونيفور ، والقذرة ، والأحامدة ، والرفثة وكور جرم ، وموقع . وكان كبيرهم مالك الموقعي ؛ وكان مقدماً عند السلطان صلاح الدين بن أيوب وأخيه العادل ؛ ومنهم بنو غور ، ويقال إنهم من جرم بن جرمن من سنيس ؛ ومن هؤلاء العاجلة ، والصمان ، والعبادلة ، وبنو تمام ، وبنو جميل ؛ ومن بني جميل بنو مقدم ؛ ومن بني غور آل نادر ؛ ومن بني غوث بنو بها ، وبنو خولة ، وبنو هرماس ، وبنو عيسى ، وبنو سهيل . وأرضهم الدَّارُوم ، وكانوا سفراء بين الملوك ، وجاورهم قوم من زبيد يعرفون ببني فهيد ثم اختلطوا بهم . قال الحمداني : فهذه جرم الشام وحلفاؤهم ، ومن جاورهم ولادهم .

وأما الإمرة عليهم . فقد ذكر في "التعريف" : أن الإمرة على عرب غَزَّةَ في زمانه كانت لفضل بن حجي ، وعرب غَزَّةَ هم جَرَمُ المذكورون ، والمعروف أن

جَرْمًا يَكُونُ لَهُمْ مَقْدَمٌ لَا أَمِيرَ . وَعَلَيْهِ جَرِي الْقَاضِي تَقِيّ الدِّينِ بْنِ نَاطِرِ الْجَيْشِ فِي "التَّثْقِيفِ" وَذَكَرَ أَنَّ مَقْدَمَهُمْ فِي زَمَانِهِ فِي الدَّوْلَةِ الظَّاهِرِيَّةِ بِرُقُوقِ كَانَ عَلَى ابْنِ فَضْلٍ .

البطن الثالث

تَعْلَبَةٌ مِنْ طِيٍّ أَيْضًا . قَالَ فِي "مَسَالِكِ الْأَبْصَارِ" : وَدِيَارَهُمْ مِمَّا إِلَى مِصْرَ إِلَى الْخَرْوَبَةِ . وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي سِيَاقَةِ الْكَلَامِ عَلَى جَرْمِ أَنَّ تَعْلَبَةَ هَذِهِ مِنْ بَقَايَا تَعْلَبَةِ الْمُتَقَلِّينَ إِلَى مِصْرَ ، وَتَقَدَّمَ فِي الْكَلَامِ عَلَى عَرَبِ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ أَنَّ تَعْلَبَةَ الَّذِي يُنْسَبُونَ إِلَيْهِ تَعْلَبَةُ ابْنِ سَلَامَانَ ، وَأَنَّ سَلَامَانَ بَطْنٌ مِنْ بَطُونِ طِيٍّ ، وَأَنَّ تَعْلَبَةَ الْمَذْكُورِينَ بَطْنَانِ : وَهُمَا دَرْمًا وَزُرَيْقُ ابْنَا عَوْفِ بْنِ تَعْلَبَةَ وَقِيلَ ابْنَا تَعْلَبَةَ لَصُلْبِهِ ، وَأَنَّ أَسْمَ دَرْمًا عَمْرُو ، وَدَرْمًا أَسْمَ أُمِّهِ فَغَلَبَ عَلَيْهِ ، وَأَنَّ مِنْ دَرْمًا الْجَوَاهِرَةِ وَالْحَنَابِلَةَ وَالصُّبَيْحِيِّينَ . قَالَ الْحِمْدَانِيُّ : وَتَعْلَبَةُ الشَّامِ مِنْ دَرْمًا آلُ غِيَاثِ الْجَوَاهِرَةِ وَمِنْ الْحَنَابِلَةِ وَمِنْ بَنِي وَهْمٍ مِنَ الصُّبَيْحِيِّينَ ، وَمِنْ أَخْلَافِهِمْ فَرْقَةٌ مِنَ النِّعَمِيِّينَ وَمِنْ الْعَارِ وَالْجَمَانَ ، وَتَقَدَّمَ فِي الْكَلَامِ عَلَى تَعْلَبَةِ مِصْرَ أَيْضًا أَنَّ بِكُلِّ مِنْ تَعْلَبَةِ مِصْرَ وَالشَّامِ قَوْمًا مِنْ خِنْدِفٍ وَقَيْسٍ وَمُرَادٍ وَبَيْنَ .

قُلْتُ : وَلَمْ يَكُنْ فِي "التَّعْرِيفِ" وَلَا "التَّثْقِيفِ" لِتَعْلَبَةِ الْمَذْكُورِينَ ذِكْرٌ لِعَدَمِ مَنْ يَكْتُبُ مِنْهُمْ إِذْ لَمْ يَكُونُوا فِي مَعْنَى مَنْ تَقَدَّمَ .

البطن الرابع

بَنُو مَهْدِيٍّ (بِفَتْحِ الْمِيمِ وَسُكُونِ الْهَاءِ وَالْدَالِ الْمَهْمَلَةِ) قَدْ تَقَدَّمَ فِي الْكَلَامِ عَلَى عَرَبِ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ أَنَّهُمْ أَخُو نَحْمٍ وَهُوَ جُدَامُ بْنُ عَدِيِّ بْنِ عَمْرُو بْنِ سَبِيٍّ مِنَ الْعَرَبِ الْعَارِبَةِ ، إِمَّا مِنْ عَمْرُو بْنِ سَبِيٍّ مِنَ الْقَحْطَانِيَّةِ كَمَا يَقْتَضِيهِ كَلَامُ "مَسَالِكِ الْأَبْصَارِ"

وإما من عُدْرَةٍ من قُضَاعَةٍ من حَمِيرٍ بن سبيل من القحطانية أيضا كما صرح به في "التعريف" . قال في "التعريف" : ومنازلهم البلقاء . وقال في "مسالك الأبصار" : منازلهم البلقاء إلى ناس إلى الصوان ، إلى عَمِّ أَعْفَر . قال الحمداني : ومن بني مَهْدِيّ المشابطة الذين منهم أولاد عسكر ، والعناترة ، والنترات ، واليعاقبة ، والمطارنة ، والعفير ، والرؤيم ، والقطاربة ، وأولاد الطائية وبنو دوس ، وآل يسار ، والمحاربة ، والسماعة ، والعجّارمة من بني طريف ، وبنو خالد والسلمان والقرانسية والدرالات والحملات والمساهرة والمعاورة ، وبنو عطاء ، وبنو ميّاد وآل شبل ، وآل رويم ، وهم غير الرويم المتقدم ذكرهم ، والمحارقة وبنو عيّاض ، ومنهم طائفة حول الكرك يأتي ذكرهم في الكلام على عرب الكرك . قال الحمداني : ويجاورهم بالبقاء طائفة من حارثة ولهم نسب بقرى بني عُقْبَة .

وأما الإمرة عليهم فقد ذكر في "التعريف" أن إمرةهم مقسومة في أربعة منهم ، لكل واحد منهم الربع ، ولم يسم أمراء زمانه منهم . وذكر في "التثقيف" مثل ذلك ، وسمى أمراءهم في زمانه . فقال : وهم بربوب ذئب بن محفوظ العنسي ، وسعيد بن بحري بن حسن العنسي ، وزامل بن عبيد بن محفوظ العنسي ، ومحمد بن عباس بن قاسم بن راشد العسري .

البطن الخامسة

زُبَيْدٌ (بضم الزاي) . قال في "مسالك الأبصار" : وهم فرق شتى . وذكرهم بالشام وغيره ولم يتعرض لنسبهم في أيّ أحياء العرب . وذكر الجوهرى أن زُبَيْدًا اسم قبيلة ، ولم يزد على ذلك . قلت : والموجود في كتب التاريخ عدّ زُبَيْدٍ من

بطون سعد العَشيرة من مَدَحِج بن كَهْلان بن سبيل من العرب العاربة، وهم عرب اليمن على ما تقدم ذكره . وقد ذكر في "مسالك الأبصار" : أن بالشام منهم فِرْقَةٌ بَصْرَخَدَ، وفِرْقَةٌ بَغُوطَةُ دِمَشْقَ . وذكر في "التعريف" : منهم زُبَيْدُ المَرَجِ وزُبَيْدُ حَوْرَانَ وزُبَيْدُ الأحلاف . وذكر مثله في "التثقيف" : ومقتضى الجمع بين كلامه في "المسالك" و"التعريف" : أن تكون زُبَيْدُ خمس فِرَقَ : زُبَيْدُ المَرَجِ ، وزُبَيْدُ الغوطة ، وزُبَيْدُ صَرَخَدَ ، وزُبَيْدُ حَوْرَانَ ، وزُبَيْدُ الأحلاف وليس كذلك ، بل زُبَيْدُ الغوطة وزُبَيْدُ المَرَجِ واحدة ، فإن المراد غوطة دِمَشْقَ ومَرَجُهَا ، وهما متصلان والتازلون فيما كالفرقة الواحدة ، وزُبَيْدُ صَرَخَدَ هي زُبَيْدُ حَوْرَانَ كما صرح به في موضع آخر من "مسالك الأبصار" : إذ صَرَخَدُ من جملة بلاد حَوْرَانَ . أما زُبَيْدُ الأحلاف فديارهم بالقرب من الرَّحبة بجوار آل فَضْل . قال الحمداني : والذين بَصْرَخَدَ منهم آل مَيَّاسَ ، وآل صِفَى ، وآل بَرَّةَ ، وآل محسن ، وآل جحش ، وآل رجاء . والذين بالمَرَجِ والغوطة آل رجاء ، وآل بدال ، والدوس ، والحريث ، وهم في عداد آل ربعة المتقدم ذكرهم وذكر معهم المشاركة جيرانهم . ثم قال : وإمارة زُبَيْدَ هؤلاء في نَوَافِلَ ، وليس للمشاركة إمارة ، ولكن لهم شيوخ منهم ، وأمر الفريقين إلى نواب الشام ليس لأحد من أمراء العرب عليهم إمارة ، وديارهم متصلة من المَرَجِ والغوطة إلى أُمِّ أَوْعَالٍ إلى الدريشدان ، وعليهم الدَّرَكُ وحفظ الأطراف .



وأما العرب المستعربة ، (وهم بنو إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام ! على ما تقدم بيانه في الكلام على عرب الديار المصرية) ، فالمشهور بأعمال دِمَشْقَ منهم قبيلة واحدة ، وهم بنو خالد عَرَبُ حِصَصَ . قال الحمداني : وهم يدعون النسب إلى خالد

أَبْنُ الْوَلِيدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَقَدْ أَجْمَعَ أَهْلُ الْعِلْمِ بِالنِّسْبِ عَلَى اقْتِرَاضِ عَقِبِهِ . قَالَ فِي "مَسَالِكِ الْأَبْصَارِ" : وَلَعَلَّهُمْ مِنْ ذَوَى قَرَابَتِهِ مِنْ مَخْزُومٍ ، وَكِفَاهُمْ ذَلِكَ نَفَارًا أَنْ يَكُونُوا مِنْ قَرِيْشٍ . وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُ نِسْبِ مَخْزُومٍ فِي قَرِيْشٍ فِي الْكَلَامِ عَلَى بَنِي خَالِدٍ فِي جُمْلَةِ عَرَبِ الدِّيَارِ الْمَصْرِيَّةِ فَأَغْنَى عَنْ إِعَادَتِهِ هُنَا .

قُلْتُ : وَمِنْ جُمْلَةِ مَنْ عَدَّهُ فِي "التَّعْرِيفِ" مِنْ عَرَبِ الشَّامِ غَزِيَّةً ، وَلَمْ يَتَحْزَرْ لِي هَلْ هِيَ مِنَ الْعَرَبِ الْعَرَابِيَّةِ أَوْ الْعَرَبِ الْمُسْتَعْرَبَةِ . فَلِذَلِكَ ذَكَرْتُهَا بِمُفْرَدِهَا . وَقَدْ ذَكَرَ الْحَمْدَانِيُّ أَنَّهُمْ مُتَفَرِّقُونَ فِي الشَّامِ وَالْحِجَازِ وَبَغْدَادَ ، وَفِيَا بَيْنَ الْعِرَاقِ وَالْحِجَازِ ، وَلَمْ يَذْكُرْ وَاحِدًا مِنْهُمَا مَنَازِلَهُمْ مِنَ الشَّامِ ، بَلْ ذَكَرَ الْحَمْدَانِيُّ مَنَازِلَهُمْ بِالْبَرِّيَّةِ وَالْعِرَاقِ خَاصَّةً . وَقَالَ : هُمْ بَطُونٌ وَأَنْغَاذٌ ، وَلَهُمْ مَشَايِخُ مِنْهُمْ مَنْ وَقَدَّ عَلَى السَّلَاطِينِ فِي زَمَانِنَا ، وَأَشَارَ فِي "التَّعْرِيفِ" إِلَى أَنَّ الْغَالِبَ عَلَيْهِمْ عَدَمُ الطَّاعَةِ ، وَمِنْهُمْ أَحْلَافٌ لآلِ فَضْلِ قَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُمْ وَهُمْ غَالِبٌ وَآلُ أَجُودَ وَالْبَطْنَيْنِ ، وَسَازَكْرَهَا بِبَطُونِهَا وَمَنَازِلِهَا وَمِيَاهِهَا مِنَ الْبَرِّيَّةِ فِي جُمْلَةِ عَرَبِ الْحِجَازِ .

النِّيَابَةُ الثَّانِيَّةُ

(مِنْ نِيَابَاتِ السُّلْطَنَةِ بِالْمَمْلُوكِ الشَّامِيَّةِ ، نِيَابَةُ حَلَبَ ، وَفِيهَا جَمَلَتَانِ)

الجُمْلَةُ الْأُولَى

(فِي ذِكْرِ أَحْوَالِهَا فِي الْمَعَامَلَاتِ وَنَحْوِهَا)

أَمَّا الْأَثْمَانُ الْمُتَعَامَلُ بِهِمَا مِنَ الدَّنَانِيرِ وَالْدِرَاهِمِ وَالصَّنَجَةِ ، فَعَلَى مَا تَقَدَّمَ فِي دِمَشْقَ مِنْ غَيْرِ فَرْقٍ ، وَلَمْ تُرْجَ الْفُلُوسُ الْجُدُّدُ فِيهَا إِلَى الْآنَ وَإِنَّمَا يُتَعَامَلُ فِيهَا بِالْفُلُوسِ الْقَدِيمَةِ ، وَرِطْلُهَا سَبْعُمِائَةٍ وَعِشْرُونَ دِرْهَمًا ، وَأَوَاقِيُّهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ أَوْقِيَّةً ، كُلُّ أَوْقِيَّةٍ سِتُونَ دِرْهَمًا ، وَفِي أَعْمَالِهَا رَبْعًا زَادَ الرِّطْلُ عَلَى ذَلِكَ ، وَتَعْتَبَرُ مِكِيلَاتُهَا بِالْمَكْوُكِ

في حاضرتها وسائر أعمالها؛ والمكوك المعبر في حاضرتها سبع وبيات بالكيل المصري،
وأما في نواحيها وبلادها، فيختلف اختلافا متباينا في الزيادة والنقص . قال
في "مسالك الأبصار" : والمعتدل منها أن يكون كل مكوكين ونصف غرارة^(١)،
وما بين ذلك كل ذلك تقريبا، ويقاس القماش بها بذراع يزيد على ذراع القماش
المصري سُدس ذراع، وهو أربعة قراريط؛ وتعتبر أرض دورها بذراع العمل
كما في الديار المصرية وأرض زراعتها بالفدان الإسلامي والفدان الرومي كما في دِمَشق؛
ونحاج أرض الزراعة بها كما في دِمَشق، وأسعارها على نحو سعر دِمَشق إلا في الفواكه
فإنها في دِمَشق أرخص لكثرتها بها .

الجملة الثانية

(في ترتيب مملكتها، وهي على ضريين)

الضرب الاول

(ترتيب حاضرتها)

أما جيوشها فعلى ما تقدم في دِمَشق من آشتمال عسكرها على الترك والجرس
والروم والروس وغير ذلك من الأجناس المشابهة للترك، وأنقسامها إلى الأمراء
المقدمين والطبلخانات والعشرات ومن في معناهم من العشرينات والخمسات، وكذلك
أجناد الحلقة ومقدموها؛ وإقطاعاتها على نحو ما تقدم في دِمَشق في المقدار؛ وربما
زاد إقطاع الحلقة بها على إقطاع الحلقة بالديار المصرية بخلاف إقطاعات الأمراء
بها فإنها لا تساوى إقطاعات الأمراء بالديار المصرية .

وأما وظائفها فعلى أربعة أصناف .

(١) تقدم ذلك في (ص ١١٨) من هذا الجزء فأنظره .

الصنف الأول

(وظائف أرباب السيوف؛ وهى عدة وظائف)

(منها) نيابة السلطنة - وهى نيابة جليلة فى الرتبة الثانية من نيابة دمشق ، ويعبر عنها فى ديوان الإنشاء بالأبواب الشريفة بنائب السلطنة الشريفة ، ولا يقال فيه كافل السلطنة كما يقال لنائب دمشق ، ويكتب عن نائبها التواقيع الكريمة بأكثر وظائف حلب وأعمالها ، وكذلك يكتب عنه المربعات الجيشية بالديار المصرية ، والمناشير الإقطاعية على حكمها كما تقدم فى دمشق ، وكذلك يكتب على كل ما يتعلق بنيابته من المناشير والتواقيع والمراسيم الشريفة بالاعتماد ، ويزيد على نائب دمشق بسرحين يسرحهما للصيد ، الأولى منهما يسرحها فى بلاد حلب من جانب الفرات الغربى يتصيد فيها الغزلان ، يقيم فيها نحو عشرة أيام ، والثانية وهى العظمى يعبر فيها الفرات إلى بر الجزيرة شرق الفرات ، ويتنقل فى نواحيها مما هو داخل فى مملكة الديار المصرية وما حولها ، يتصيد فيها الغزلان وغيرها من سائر الوحوش ، وقيم فيها نحو شهر .

(ومنها) نيابة القلعة بحلب - وهى نيابة منفردة عن نيابة السلطنة بها ، وليس لنائب السلطنة على القلعة ولا على نائبها حكم كما تقدم فى قلعة دمشق ، وعادة نائبها أن يكون أمير طبائخاناه ، وتوليتهما من الأبواب السلطانية بمرسوم شريف ، وفيها من الأجناد البحرية المعدن لحراستها نحو أربعين نفسا ، مقيمون بها لا يظعنون عنها بسفر ولا غيره ، يجلس منهم فى كل نوبة عدة فى الباب الثانى منها من حين فتح الباب فى أول النهار وإلى حين قفله فى آخر النهار ، وبها الحرس فى الليل ، وضرب الطبل على مضى كل أربع درج كما تقدم فى قلعة دمشق .

(ومنها) الجُوبية - والعادة أن يكون بها أربعة مُجَّاب. أحدهم مقدّم ألف: وهو حاجب المُجَّاب، ويعبر عنه في ديوان الإنشاء بالأبواب الشريفة في المكاتبات وغيرها بأمر حاجب بحلب كحاجب المُجَّاب بدمشق، وهو ثاني نائب السلطنة في الرتبة ولا يدخل أحد دار النيابة راكبا غير النائب وغيره، وهو نائب الغيبة إذا خرج نائب السلطنة في مهمٍّ أو متصدِّ أو غير ذلك؛ وإليه تَرُدُّ المراسيم السلطانية بقبض نائب السلطنة إذا أراد السلطان القبض عليه، ويكون هو المتصدّي لحال البلد إلى أن يُقام لها نائبٌ، والثلاثة الباقون إما ثلاث طبليخانات، أو طبليخانتان وعشرة، أو ما في معنى ذلك، وولاية حاجب المُجَّاب والحاجب الثاني من الأبواب الشريفة السلطانية بغير تقليد ولا مرسوم، ومن عداهما ولايته عن نائب حلب، وفيها اثنتان واحد بالميمنة وواحد بالميسرة، فالذي في الميمنة في الغالب يكون أمير عشرة وربما كان أمير خمسة، والذي بالميسرة جنديّ من أجناد الحلقة، وولايتهما عن النائب كل منهما بتوقيع كريم.

(ومنها) شدّ الأوقاف - وهي بها رتبةٌ جليلة أعلى من شدّ الأوقاف بدمشق، وعادتها مقدمة ألف أو طبليخاناه، تُؤلّى من الأبواب الشريفة بتوقيع شريف. كذا أخبرني بعض أهلها؛ ومتوليها يتحدّث على سائر أوقاف المملكة الحلبية.

(ومنها) المهمندارية - وموضوعها على ما تقدّم في الديار المصرية ودمشق، وبها اثنتان: فأحدهما تارة يكون أمير طبليخاناه وتارة يكون أمير عشرة، والآخر جنديّ حلّة، وولاية كل منهما بكل حال عن النائب بتوقيع كريم.

(ومنها) شدّ الدراوين - وموضوعها كما تقدّم في الديار المصرية ودمشق، وعادته إمرة عشرة، وربما وليها جنديّ، وولايتها عن النائب بتوقيع كريم.

(ومنها) شدّ مراكر البريد - وموضوعها كما تقدّم في دِمَشْقَ، وعادتها إمرة عشرة، وربما كان مقدّم حَلَقَة أو جنديا، وولايتها عن النائب بتوقيع كريم .

(ومنها) ولاية المدينة - وموضوعها التحدّث في الشُرْطَة كما تقدّم في الديار المصرية ودِمَشْقَ، وعادتها إمرة عشرة، وربما وليها مقدّم حَلَقَة، وولايتها عن النائب بتوقيع كريم .

(ومنها) شدّ الأقواد - وموضوعها التحدّث على الأموال التي تُساق قَوْدًا من المملكة في كل سنة، وعادتها إمرة عشرة، وربما وليها مقدّم حَلَقَة، وولايتها عن النائب بتوقيع كريم .

قلت : وسائر وظائف الأمراء أرباب السيوف المستقرّ مثلهم بالحضرة السلطانية كرأس نوبة وأمير مجلس ومن في معانها ممن يجرى هذا التجري المختص بالنائب يكون له مثلها من أجناده لقيامه مقام السلطان هناك كما تقدّم في دِمَشْقَ .

وأما الوظائف الديوانية بها لأرباب الأقلام .

(فمنها) الوزارة - ويعبر عنها في ديوان الإنشاء بالأبواب الشريفة بنظر المملكة ليس إلا، ولا يصرح له بأسم الوزارة بحال، وإن كان الجارى على السنة العامة تلقب متوليا بالوزير، ولم تجر العادة بأن يتولاها إلا أرباب الأقلام، وولايتها من الأبواب الشريفة السلطانية بتوقيع شريف، ولديوان هذا النظر عدّة مباشرين أتباع لناظرها كصاحب الديوان والمستوفى والكاتب والشهود وسائر فروع الوزارة، والنائب يولّى كلا من هؤلاء المباشرين بتواقيع كريمة .

(ومنها) كتابة السر - ويعبر عن متوليا في ديوان الإنشاء بالأبواب الشريفة بصاحب ديوان المكاتبات بحلب، ولا يُسمَح له بصاحب ديوان الإنشاء بحلب

كما في دِمَشقَ، وولايته من الأبواب الشريفة بتوقيع شريف ؛ وبديوانه كُتِّبَ الدَّستُ وكُتِّبَ الدَّرَجُ كما في دِمَشقَ والديار المصرية .

(ومنها) نظر الجيش - والحكم فيه كما تقدم في دِمَشقَ من كتابة المرَبَّعات بما يُعيَّنه النائب من الإقطاعات وتجهيزها للأبواب الشريفة لتُشَمَّلَ بالخط الشريف وتخلَّدَ شاهدا بديوان الجيوش بالديار المصرية ، وكذلك إثبات ما يصدر إليه من المناشير من الأبواب الشريفة ؛ وولايته من الأبواب الشريفة .

(ومنها) نظر المال - وهو بمعنى الوزارة كما في دِمَشقَ إلا أنه لا يطلق على متوليه وزير البتة ، وولايته من الأبواب الشريفة بتوقيع شريف . ولديوانه كُتِّبَ أتباعُ له : كصاحب الديوان والكُتَّاب والشهود وغيرهم ؛ وولاية كل منهم عن النائب بتواقيع لهم كما في دِمَشقَ .

(ومنها) نظر الأوقاف - وحكما التحدث على الأوقاف بمدينة حَلَبَ وأعمالها كما في دِمَشقَ ؛ وولايتها عن النائب بتوقيع كريم .

(ومنها) نظر الجامع الكبير - ومتوليها يكون رفيقا للنائب في التحدث فيه ؛ وولايتها عن النائب بتوقيع كريم .

(ومنها) نظر البيمارستان - وقد تقدم في الكلام على مدينة حَلَبَ أن بها بيمارستانين أحدهما يعرف بالعتيق والآخر بالجديد، ولكل منهما ناظر يُحْصِه ؛ وولاية كل منهما عن النائب بتوقيع كريم .

(ومنها) نظر الأقواد - ومتوليها يكون رفيقا لشاذ الأقواد المتقدم ذكره في أرباب السيوف ؛ وولايته عن النائب بتوقيع كريم .

الصنف الثانى

(الوظائف الدينية)

(فمنها) القضاء - وبها أربعة قضاة من المذاهب الأربعة كما فى دِمَشقَ ، إلا أن استقرار الأربعة بها كان بعد استقرارها بِدِمَشقَ ، وولاية كل منهم من الأبواب الشريفة بتوقيع شريف . ويختص الشافعى منهم بعموم تولية التواب بالمدينة وجميع أعمالها ، ويقتصر من عداه على التولية فى المدينة خاصة كما تقدّم فى دِمَشقَ والديار المصرية .

(ومنها) قضاء العسكر - وبها قاضيا عسكرا: شافعى وحنفى كما فى دِمَشقَ ، وولايتهما من الأبواب الشريفة ، ويكتب لكل منهما توقيع شريف .

(ومنها) إفتاء دار العدل - وبها أثنان أيضا: شافعى وحنفى كما فى دِمَشقَ ، وولاية كل منهما عن النائب بتوقيع كريم .

(ومنها) وكالة بيت المال - وولايتها من الأبواب الشريفة بتوقيع شريف ، ووكالته عن السلطان بمصر مثبتة فتتخذ بالملكة كما تقدّم فى دمشق .

(ومنها) رقابة الأشرف - والأمر فيها على ما تقدّم فى دِمَشقَ والديار المصرية ، وولايتها عن النائب بتوقيع كريم .

(ومنها) مشيخة الشيوخ - والحكم فيها كما فى دِمَشقَ ، وعادتها أن يكون متوليا هو شيخ الخانقاه المعروفة بالقديم ، وولايتها عن النائب بتوقيع كريم ، وربما كانت من الباب الشريف .

(ومنها) الحسبة - وهى على ما تقدّم فى دِمَشقَ والديار المصرية ، وولايتها عن النائب بتوقيع كريم ، ومتولياها يولى تواب الحسبة بسائر الأعمال الحلية .

(ومنها) الخطابة بالجامع الكبير - وولايتها عن النائب بتوقيع كريم .
 (ومنها) التداريس والتصاوير المعدوقة بنظر النائب - وولايتها عنه بتواقيع كريمة
 على قدر مراتب أصحابها .

الصنف الثالث

(وظائف أرباب الصناعات)

(فمنها) رئاسة الطب ، ورئاسة الكحالين ، ورئاسة الجرائحية كما في دمشق
 والديار المصرية ، وولاية كل منهم بتوقيع كريم عن النائب . أما مهتارية البيوت
 ومن في معنائهم ففقودون هناك لفقد البيوت السلطانية ، وإنما مهتارية البيوت
 بها للنائب خاصة لقيامه مقام السلطان بها كما في دمشق .

وأما ترتيب النيابة بها فعلى نحو ما تقدم في دمشق ، وعادة النائب بها أن يركب
 في المواكب في يومى الاثنين والخميس من دار النيابة ، ويخرج من باب يقال له باب
 القوس ، في وسط البلد على القرب من القلعة ، ويمر منه إلى سوق الخيل ، ويخرج من
 سور البلد من باب النرب ، ويتوجه إلى مكان يعرف بالميدان ويعرف بالقبة أيضا
 على القرب من المدينة بطريق القرية المعروفة بجبريل ، في جهة الجنوب عن المدينة ،
 ثم يعود من حيث ذهب ، وقد وقف الأمراء في أنتظاره بسوق الخيل ، وآخر
 خيولهم إلى القلعة ورءوس خيولهم إلى الجهة التي يعود منها أمراء الخمسات ، ثم أمراء
 العشرات ومن في معنائهم على ترتيب منازلهم ، ثم أمراء الطبلخانات ، ثم الأمراء
 المقدمون . فإذا حاذى النائب في عوده أمراء الخمسات والعشرات في طريقه ، سلم
 وهو سائر فيسألمون عليه ، وهم وقوف في أمكتهم لا يتحركون ولا يرحون عنها . فإذا
 حاذى أمراء الطبلخانات ، سلم عليهم فيتقدمون بخيولهم إليه نحو قصبتى قياس فيسلمون

عليه ثم يعودون إلى أمكنتهم فيقفون فيها . فإذا حاذى الأمراء المقدمين سلم عليهم فيفعلون كما فعل أمراء الطبلخانات من التقدم إليه والسلام عليه ثم يعودون إلى أمكنتهم ، ويمر النائب حتى ينتهي إلى آخر سوق الخيل فيعطف رأس فرسه ويقف مستقبلاً للجهة التي عاد منها في الجنوب والعسكر ، واقفون على حالهم ، وينادى بينهم على العقارات من الأملاك والضياح وكذلك الخيول والسلاح قدر خمس درج ، ثم يمر إلى دار النيابة : فإن كان ذلك الموكب فيه سباط ، سار في خدمته إلى دار النيابة من كان معه في ركوب الموكب من الأمراء الأكابر والأصاغر من الحجاب وغيرهم ، ويمر بباب القلعة وقد نزل نائب القلعة إلى بابها فوقف فيه ممالك في خدمته من الأجناد البحرية المقيمين بالقلعة ، فإذا مر بهم النائب ، سلم على نائب القلعة فيسلم عليه ، ويطلع نائب القلعة إلى قلعته ، ويمر النائب في طريقه إلى دار النيابة ، ويكون ممالك النائب قد ترجلوا عن خيولهم ، وترجل أمراء الخمسات والعشرات بعدهم ، ثم يترجل الطبلخانات على القرب من دار النيابة ، ثم الأمراء المقدمون على باب دار النيابة ، كل منهم على قدر منزلته ، ويستمر النائب راجعاً حتى يأتي المقعد المذكور^(١) ، وهو مقعد مربع مرتفع عن الأرض عليه قبة مرتفعة ودرازين من خشب دائر ، وفيه دكة من خشب صغيرة في جانبه مرتفعة عن المقعد قدر ذراع ، تسع جالسا فقط معدة لجلوس النائب ، فينزل النائب على باب من أبواب المقعد الثلاثة مخصوص به ، ويجلس حاجب الحجاب على مصطبة لطيفة أعلى السلم خارج الدرازين معدة لجلوسه عن يمين النائب ، ويكون القضاة الأربعة وقاضيا العسكر ومفتيا دار العدل وكاتب السر وكتاب الدست وناظر الجيش قد حضروا قبل حضور النائب وحاجب الحجاب وطلعوا من سلم مخصوص بهم وأخذوا مجالسهم وجلسوا في انتظار النائب ، فإذا حضر قاموا

(١) أى في غير هذه النيابة .

وجلسوا بجلوسه ، ويكون جلوسهم بترتيب خاص يوافق دِمَشْقَ في بعض الأمور ويخالف في بعضها : فيجلس عن يسار النائب قاضي القضاة الشافعي ، و يليه قاضي القضاة الحنفي ، و يليه قاضي القضاة المالكي ، و يليه قاضي القضاة الحنبلي ، و يليه قاضي العسكر الشافعي ، و يليه قاضي العسكر الحنفي ، و يليه مفتي دار العدل الشافعي ، و يليه مفتي دار العدل الحنفي ، و يليه الوزير ، صفًا مستقيماً ، و يجلس كاتب السر أمام النائب على القرب منه ، و يليه عن يمينه ناظر الجيش ، و يليه كُتَّاب الدَّست على ترتيب منازلهم حتى يسأوا في المقابلة الصف الذي فيه قضاة القضاة ومن معهم ، و يجلس باقي الموقعين بين الصنفين مقابل حاجب الحجاب حتى يصلوهما فيصيرون كاللحقة المستديرة ، و يقف الحجاب الصغار أسفل السلم الذي يصعد منه ، و حاجب الحجاب و ثقباء الجيش خلفهم ، والولاء خلف ثقباء الجيش . فإن كان الأمراء قد حضروا لأجل السَّماط ، جلس المقدمون والطبلاخاناء على مصاطب معدة لهم على القرب من المقعد الذي يجلس فيه النائب ومن معه من أرباب الأقلام المتقدم ذكرهم ، و تُرَفَّق القصص فيناولونها ثقباء الجيش ويناولونها الحجاب فيناولونها لحاجب الحجاب فيناولوها لكاتب السر فيفرقها على الموقعين ويُبقي بعضها معه ، فيقرأ ما معه ثم يقرأ من بعده على الترتيب إلى آخر الموقعين . فإذا آنقضت قراءة القصص قام من المجلس القضاة ومن في معانهم وكُتَّاب الدست فانصرفوا . فإذا آنقض المجلس ، فإن كان في الموكب سَماط قام النائب والأمراء من أما كن جلوسهم فدخلوا إلى قاعة عظيمة قد وضع بصدرها كرسي سلطنة مغشي بالحرير الأطلس الأصفر وعليه نِمْجاء مسندة إلى صدره كما تقدّم في دِمَشْق ، وقد مد السَماط السلطاني فيجلس النائب على رأس السَماط والأمراء على ترتيب منازلهم في الإمرة والقُدْمة ويأكلون ويرفع السَماط ، ثم يقوم الأمراء فينصرفون ، و يقوم النائب ومعه كاتب السر و ناظر الجيش

فيدخل إلى قاعة صغيرة فيها شباك مطل على دوار بإصطبل النائب، فيجلس في ذلك الشباك، ويجلس كاتب السر وناظر الجيش فيصرفان^(١).

قلت : ويخالف دمشق في أمور :

أحدها - أن كرمي السلطنة ليس بدار العدل حيث يجلس النائب والمتعممون كما في دمشق بل في مكان آخر .

الثاني - أن الأمراء لا يجلسون مع النائب بدار العدل كما في دمشق بل في مكان منفرد .

الثالث - أن النائب يجلس على دكة مرتفعة عن جلسائه بخلاف دمشق، فإنه يجلس مساويا لهم، وكأن المعنى فيه عدم جلوس الأمراء في مجلس النائب بحلب بخلاف دمشق .

الرابع - أن الوزير بحلب يجلس في آخر صف القضاة ومن في معناهم تحت مفتحي دار العدل، وبدمشق يجلس في رأس صف يقابل كاتب السر، وكأن المعنى فيه أن كاتب السر بحلب يجلس أمام النائب فلو جلس الوزير فوقه لخالف قاعدة جلوس كاتب السر، أو جلس تحته لكان نقصا في رتبته . ولا شك أنه يجلس فوقه القضاة ومن في معناهم لرفعة رتبة الشرع .

الخامس - أن السباط بحلب لا يمد بدار العدل كما في دمشق بل في مكان آخر مخصوص .

السادس - أن النائب بحلب له موضع مخصوص يجلس فيه للحاكمات ومد السباط، وفي دمشق يجلس على طرف الإيوان بدار العدل بعد رفع السباط منه .

(١) لعله ثم ينصرفان .

الجملة الثانية

(في ترتيب ما هو خارج عن حاضرة حلب ؛ وهو ثلاثة أنواع ^(١))

النوع الأول

(ولاية الأمور من أرباب السيوف ؛ وهو ثلاثة أصناف)

الصنف الأول

(النواب ؛ وهم على ضربين)

الضرب الأول

(ما هو داخل في حدود البلاد الشامية ، وهي إحدى عشرة نيابة)

الأولى - (نيابة قلعة المسلمين المسماة في القديم بقلعة الروم) - وعادة نائبها أن يكون مقدّم ألف يولّي من الأبواب السلطانية بمرسوم شريف .
الثانية - (نيابة الكّحّنا) - ونيابتها تارة تكون طبلخاناه وتارة عشرة ؛ وتوليها من نائب حلب .

الثالثة - (نيابة كركر) - ونيابتها تارة طبلخاناه وتارة عشرة ؛ وتوليها من نائب حلب .

الرابعة - (نيابة بهسنى) - وقد ذكر في " التثقيف " ما يقتضى أن نيابتها طبلخاناه ، لكن أخبرني بعض كُتّاب السربحلب أنها ربما كانت مقدمة ألف . وقد ذكر في " التعريف " ما يقتضى ذلك فقال : ولنائبها مكانة جليّة ، وإن كان لا يلتحق بنائب البيرة ؛ وبكل حال فتوليها من الأبواب السلطانية بمرسوم شريف .

الخامسة - (نيابة عيّنتاب) - وقد أوردها في " التثقيف " في جملة أمراء العشرات وذكر أنه رأى بخط ابن النشائي ما يقتضى أنها كانت طبلخاناه . وقد أخبرني

(١) لم يذكر الانوعين فتنبه .

بعض كُتَّاب سر حلب أنها استقرت مقدمة ألف في أواخر الدولة الظاهرية برقوق، واستقرت توليتها من الأبواب السلطانية .

السادسة - (نيابة الرأوندان) - وقد أوردها في "التثقيف" في جملة نيابات العشرات . وقد أخبرني بعض كُتَّاب السرب حلب أنها استقر بها آخر جندى، وتوليتها من نائب حلب .

السابعة - (نيابة الدر بساك) - وقد أوردها في "التثقيف" في جملة العشرات . وأخبرني بعض كُتَّاب سر حلب أنها ربما أضيفت لنائب بغراس الآتى ذكرها وأنها الآن بيد ابن صاحب الباز التركاني، وتوليتها من نائب حلب .

الثامنة - (نيابة بغراس) - وقد أوردها في "التثقيف" في جملة العشرات، وولايتها من نائب حلب . وهى بيد أولاد داود الشيباني التركاني من تقادم السنين، وولايتها من نائب حلب .

التاسعة - (نيابة القصير) - وقد أوردها في "التثقيف" في جملة العشرات . وأخبرني بعض كُتَّاب سر حلب أن بها الآن جندياً .

العاشرة - (نيابة الشغروبكاس) - وقد أوردها في "التثقيف" في جملة العشرات، وقد أخبرت أنها استقر بها آخر جندى، وتوليتها من نائب حلب .

الحادية عشرة - (نيابة شيزر) - كانت في الزمن المتقدم إمرة عشرة يستقل نائب حلب بتوليتها فلما تسلطت عليها العربان بعد وقعة منطاش والناصرى استقرت مقدمة بولاية من الأبواب السلطانية بمرسوم شريف .

الضرب الثاني

(النيابات الخارجة عن حدود البلاد الشامية، وهي قسمان)

القسم الأول

(بلاد الثغور والعواصم وما والاها، والمعتبر فيها ثمان نيابات)

الأولى - (نيابة مَلِيطِيَّة) - ونيابتها طبلخاناه، وتوليها من الأبواب السلطانية.

الثانية - (نيابة دَبْرِكِي) - وقد ذكر في "التثقيف" أنها تارة تكون طبلخاناه وتارة تكون عشرة، وبكل حال فولايتها من نائب حلب .

الثالثة - (دَرَنْدَة) - ونيابتها في الغالب إمرة عشرة، وربما كانت طبلخاناه، وولايتها في الحالتين من نائب حلب .

الرابعة - (نيابة الأَبْلُسْتِين) - ونيابتها مقدمة ألف من الأبواب السلطانية بمرسوم شريف .

الخامسة - (نيابة آيَاس) - وهي المعبر عنها بالفتوحات الجاهانية - ونيابتها مقدمة ألف، وتوليها من الأبواب السلطانية بمرسوم شريف .

السادسة - (نيابة طَرَسُوس) - ونيابتها مقدمة ألف، وتوليها من الأبواب السلطانية بمرسوم شريف .

السابعة - (نيابة أَدَنَة) - ونيابتها مقدمة ألف، وتوليها من الأبواب السلطانية بمرسوم شريف .

الثامنة - (نيابة سِرْفَنْد كَار) - ونيابتها إمرة عشرة، ووقع في "التثقيف" نقلاً عن ابن النشائي ما يقتضي أنها كانت أولاً طبلخاناه، وبكل حال فولايتها من نائب حلب .

(١) التاسعة - (نيابة سيس) - وقد تقدم أن فتحها قريب في الدولة الأشرفية "شعبان
 ابن حسين" ولم تزل نيابتها منذ فتحت مقدمة ألف ، وكانت قد جعلت نيابة
 مستقلة عند الفتح ثم جعلت بعد ذلك مقدمة عسكر كغزة إلا أن مقدم العسكر بها
 لا يكاتب في خلاص الحقوق بخلاف مقدم العسكر بغزة .

قلت : وبعد ذلك نيابات صغار يولي بها نائب حلب أجنادا ، ولا مكاتب لها
 من الأبواب السلطانية : وهي نيابة قلعة باري كروك ، ونيابة كاورا ، ونيابة كولاك ،
 ونيابة كرزال ، ونيابة كومي ، ونيابة تل حمون ، ونيابة الهارونيتين ، ونيابة قلعة
 نجمة ، ونيابة حيمص ، ونيابة قلعة لؤلؤة .

القسم الثاني

(ما هو في حدود بلاد الجزيرة شرق الفرات ، والمعتبر فيها ثلاث نيابات)

الأولى - (نيابة البيرة) - ونيابتها مقدمة ألف ، وتوليها من الأبواب السلطانية
 بمرسوم شريف .

الثانية - (نيابة قلعة جعبر) - ونيابتها طبلخاناه ، وتوليها من الأبواب السلطانية
 بمرسوم شريف .

الثالثة - (نيابة الرها) - قال في "التثقيف" : وقد جرت العادة أن تكون نيابتها
 طبلخاناه ، ثم استقر بها في الدولة المنصورية في سنة ثمان وسبعين وسبعائة
 مقدم ألف .

الصنف الثاني

- (من أرباب السيوف بخارج حَلَب الولاية، وولاية جميعها من نائب حلب بتواقيع كريمة، والمشهور منها اثنتا عشرة ولاية)
- الأولى - (ولاية بَرَحَلَب كما في دِمَشَق) - إلا أن والى برحلب هو والى الولاية.
- الثانية - (ولاية كَفْرِ طَاب) - ووالها جندى.
- الثالثة - (ولاية سَرَمِين) - ووالها فى الغالب جندى، وربما كان أمير عشرة.
- الرابعة - (ولاية الجُبُول) - ووالها جندى.
- الخامسة - (ولاية جَبَل سَمْعَان) - ووالها جندى، وهو مقيم بمدينة حلب، يحضر المواكب مع والى المدينة ووالى البر: لقربه منها.
- السادسة - (ولاية عَزَاز) - ووالها جندى، وربما كان أمير عشرة.
- السابعة - (ولاية تَلِّ بَاشِر) - وكان لها والٍ بمفردها جندى، ثم أضيفت آخرها لَعَيْتَاب.
- الثامنة - (ولاية مَنِيَج) - ووالها جندى.
- التاسعة - (ولاية تِيزِين) - وهى تارة تفرد بوال يكون جُنْدِيَا، وتارة تضاف إلى حَارِم، ويقال والى حارم وتيزين.
- العاشرة - (ولاية الباب وَبُرَاعَا) - ووالها جندى.
- الحادية عشرة - (ولاية دَرُكُوش) - ووالها جندى.
- الثانية عشرة - (ولاية أَنْطَاكِيَّة) - ووالها تارة يكون جُنْدِيَا وتارة أمير عشرة، وأخبرنى بعض كُتَّاب السَرِّ بِحَلَب أنها ربما أضيفت إلى نائب القُصَيْر.

قلت : ووراء ذلك ولايات أحرِبِلاد الرُمن ونحوها لم يتحررلى حالها ، والظاهر أن ولاية جميعها أجناد .

النوع الثاني

(مما هو خارج عن حاضرة حلب العُربان)

واعلم أنه قد تقدم في الكلام على آل فضل من عُربان دِمَشق أن منازلهم ممتدة بأراضى الشام إلى الرُحبة وجَعبرَ في جانب الفُرات ، وتقدم في الكلام على قواعد الشام المستقرة نقلا عن المقر الشهابي ابن فضل الله في "التعريف" أن جَعبر كانت في زمانه من مضافات دِمَشق ، وأن الواجب أن تكون من مضافات حَلَب ، فإنها أضيفت بعده إلى حَلَب ، وحينئذ فيكون في بلاد حلب بعض عرب آل فضل المتقدم ذكرهم هناك .

والمختص بأعمال حلب من العرب المشهورين قبيلتان .

القبيلة الأولى - (بنو كلاب) . قال في "مسالك الأبصار" : وهم عرب أطراف حَلَب والروم ، ولهم غزوات عظيمة معلومة وغارات لاتعد ، ولا تزال تُباع بنات الروم وأبنائهم من سبائهم ، ويتكلمون بالتركية ويركبون الأكاديش ، وهم عرب غزو ، ورجال حروب ، وأبطال جيوش ، وهم من أشد العرب بأسا ، وأكثرهم ناسا . قال : وإفراط نكايتهم في الروم صُفّت السيرة المعروفة "بدلومة والبَطال"^(١) منسوبة اليهم بما فيها من مُلح الحديث ولُمح الأباطيل ؛ ولكنهم لا يدينون لأمر منهم يجمع كلمتهم ، ولو آتقادوا لأمر واحد لم يبق لأحد من العرب بهم طاقة .

(١) هي السيرة المشهورة الآن "بذات الهمة" وقد طبعت أخيرا بالمطبعة "الحسينية" وانتشرت

في أيدي العامة وهي في بابها لا بأس بها .

قال الحمداني : وكان بنو كلاب قد ظهوروا على آل ربيعة ، وذلك أن الملك الكامل كان طلب من مَاتِج بن حَدِيثَة وَغَنَام بن الطاهر حِمَالًا يحمل عليها غِلَالًا إلى خِلَاطَ يَقُوْتَهَا بها ، فَأَحْتَج بِغَيْبَةِ حِمَالِهِ في البرية ، وكان بعض بنى كلاب حاضرا فتكفل له بمُجَاتِهِ من الجمال ووفى له بذلك ، فحقد بها الملك الكامل على مَاتِج بن حَدِيثَة وَغَنَام بن الطاهر وَأَسْتَوْحَشَا منه ثم أَتَيَاه عند أَخْذِهِ آمِدًا ، فَوَجَّهَهُمَا فَرَجًا خَائِفِينَ منه إلى أن فَحَّ دَسْتَقَ فَاتَيَاه بِأَنْوَاعِ التَّقَادِمِ وَتَقَرَّبَا إِلَيْهِ بِالْخِدْمَةِ . قال : وكانت بنو كلاب تَخْدُمُ الملك الأشرف موسى وتصحبه لمتاخمة بلاد الروم .

قال في "مسالك الأبصار" : وكان سلطاننا يعني الناصر محمد بن قلاوون لا يزال ملتفتا إلى تَأَلُّفِ بنى كلاب هؤلاء ، وكان أحمد بن نصير المعروف بالْتَرْتَرَى قد عاث في البلاد والأطراف وَأَسْتَدَّ في قطع الطريق ، فَأَمَّنَهُ وَخَلَعَ عَلَيْهِ وَأَقْطَعَهُ فَأَنْقَادَتِ بنو كلاب للطاعة ، وكان الملك الناصر قد أمر عليهم سليمان بن مُهَنَّا وجعل عليه حفظ جَعْبَرٍ وما جاء رها .

القبيلة الثانية - (آل بَشَار) - قال في "مسالك الأبصار" : وديارهم الجزيرة وَالْأَحْصَ بِلَاد حلب . قال : والأحلاف منهم حَالِمٌ في عدم الانقياد لِأَمِيرٍ واحد حَالٌ بنى كَلَاب . ولو أَجْتَمَعُوا لِمَا أَمِنَ بِأَسْهَمِ نَقِيمٌ على تَفَرُّقِ كَلِمَتِهِمْ ، وبسبب جماعتهم لا يزال آل فضل منهم على وَجَل ، وطالما بَاتُوا وقلوبهم منهم مَلَأَتْ من الحَذَرِ ، وعيونهم وَسْنَى من السهر ، وبينهم دماء ، وهم وبنو ربيعة وبنو عَجَل جيران ، وديارهم من سِنْجَار وما يُدَانِيهَا إلى الْبَارَةِ أو قريب الجزيرة الْعُمَرِيَّة إلى أطراف بغداد .

(١) هو بهذا الضبط موضع . أنظر معجم البلدان (ج ١ ص ١٤٩ - ١٥٣) .

النيابة الثالثة
(نيابة أطرابلس ، وفيها جملتان)

الجملة الأولى
(في ذكر أحوالها ومعاملاتها)

أما معاملاتها فبالدينار والدراهم النقرة على ماسر في الديار المصرية ودمشق وحلب ؛ وصنجاتها كصنجة دمشق في الذهب والفضة ؛ وبها الفلوس العتق (١) فلسا بدرهم ؛ ورطلها ستمائة درهم كما في دمشق ، وأوقية أثنتا عشرة أوقية كل أوقية خمسون درهما . وتعتبر مكيلاها بالمشوك كما في حلب ؛ ويقاس القماش بها بذراع كل عشرة أذرع منه إحدى عشرة ذراعا بالمصري ؛ وتقاس أرض دورها بذراع العمل كما في الديار المصرية وغيرها من البلاد الشامية ؛ وتعتبر أرض زراعتها بالفدان الإسلامي والفدان الرومي كما في دمشق وغيرها من البلاد الشامية ؛ ونحارجها على ماتقدم في دمشق وغيرها من بلاد الشام .

وأما جيوشها فن الترك ومن في معناهم على ماتقدم في غيرها من الممالك الشامية ، وبها أمير واحد مقدّم ألف غير النائب ، وباقي أمراءها طبلخاناه وعشرات وخمسات ومن في معناهم من العشرينات وغيرها ؛ وبها من وظائف أرباب السيوف نيابة السلطنة : وهي نيابة جليلة ، نائبها من أكبر مقدّمى الألوف ، وهو في الرتبة الثانية من حلب كما في حماة ؛ وليس بها قلعة يكون لها نائب بل نائب السلطنة هو المتسلم لجميعها والمتصرف فيما لديها من أمر العسكر وغيره .

ومنها المجوبية ، وبها ثلاثة حجاب أكبرهم طبلخاناه وهو حاجب الحجاب ، والحاجبان الآخران كل منهما أمير عشرة .

ومنها المهندارية، وشدة الدواوين، وشدة الخصاص، وشدة مراكر البريد، وشدة
المينا، وتقابة النقباء، وأمير اخورية، وشدة الأوقاف، وتقدمة البريدية، وأمير اخورية
البريد، وولاية المدينة، وتقدمة التريكان وغير ذلك، وكلها يوليها النائب بها .

وبها من أرباب الوظائف الديوانية ناظر المملكة، وناظر الجيش، وصاحب
ديوان المكاتبات، وولاية الثلاثة من الأبواب السلطانية بتواقيع شريفة، وكُتاب
دست، وكُتاب درج، ولايتهم من نائبها .

وبها من الوظائف الدينية قضاء القضاة من المذاهب الأربعة، وقاضيا عسكري
شافعي وحنفي، ومفتيا دار عدل كذلك، ومحتسب، ووكيل بيت المال . إلى غير
أولئك من أرباب الوظائف .

وأما ترتيب النيابة بها فإن النائب يركب في يومى الاثنين والخميس من دار
النيابة، ويخرج في موكره من الأمراء والأجناد حتى يأتى ساحل البحر، ثم يعود إلى
دار النيابة ومعه جميع الأمراء والأجناد، خلا الأمير المقدم فإنه لا يحضر معه إلى دار
النيابة . وإذا حضر النائب إلى دار النيابة جلس في دار العدل بصدر الإيوان
وليس بها كرسي سلطنة، ويجلس قاضيان: شافعي وحنفي عن يمينه، ومالكى وحنبل
عن يساره، ووكيل بيت المال تحت القاضي المالكى، ويجلس كاتب السر أمامه
على القرب من يساره وكُتاب الدست خلفه، وحاجب الحجاب جالس أمام النائب
على القرب منه، ويأخذ الحجاب الصغار القصص ويناولونها إلى حاجب الحجاب
فيدفعها لكاتب السر، ويفصل المحاكمات، ثم ينفض المجلس ويمد السَّمَاطُ فَيَاكلون
وينصرفون كما في غيرها .

الجملة الثانية

(فيا هو خارج عن حاضرتها، وهو على ضريين)

الضرب الأول

(التواب، وهم على قسمين)

القسم الأول

النيابات بمضافات نفس أطرابلس، وبها خمس نيابات كلهم يكتبون عن الأبواب السلطانية في المهمات ونحوها، دون خلاص الحقوق. فإنه يختص بنائب السلطنة بها.

- الأولى - (نيابة حصن الأكراد) - ونيابته إمرة عشرة.
- الثانية - (نيابة حصن عكار) - ونيابته إمرة عشرة.
- الثالثة - (نيابة بلاطنس) - ونيابتها إمرة عشرة.
- الرابعة - (نيابة صهيون) - ونيابتها إمرة عشرة.
- الخامسة - (نيابة اللاذقية) - ونيابتها إمرة عشرة.

القسم الثاني

(نيابات قلاع الدعوة، وهي ست نيابات خارجا عن مضاف

حيث أضيفت إلى دمشق)

- الأولى - (نيابة الرصافة) - وأصل نيابتها إمرة عشرة.
- الثانية - (نيابة الخواري) - وأصل نيابتها إمرة عشرة.
- الثالثة - (نيابة القُدُوس) - وأصل نيابتها إمرة عشرة.

- الرابعة - (نيابة الكهف) - وأصل نيابتها إمرة عشرة .
 الخامسة - (نيابة المنيقة) - وأصل نيابتها إمرة عشرة .
 السادسة - (نيابة القلعة) - وأصل نيابتها إمرة عشرة .
 قلت : وقد أخبرني بعض كتّاب المملكة أن هذه النيابات كلّها استقر فيها أجناد ؛
 وبالجملة فإنما يولّى فيها نائب طرابُلُس بكل حال .

الضرب الثاني

(الولاية)

- وبها ولايات ست ، وولاية جميعها أجناد ، عن نائب طرابُلُس .
 الأولى - ولاية أنطَرطوس .
 الثانية - ولاية جُبّة المنيطرة .
 الثالثة - ولاية الظنّين .
 الرابعة - ولاية بُشَريه .
 الخامسة - ولاية جبلة .
 السادسة - ولاية أنفة .

النيابة الرابعة

(نيابة حماة ، وفيها جملتان)

الجملة الأولى

(في ذكر أحوالها ومعاملاتها)

أما معاملاتها فعلى ما تقدّم في غيرها من الممالك الشامية من المعاملة بالدنانير والدرهم ، وصنّجتها كصنّجة دمشق وحلب وطرابُلُس ، تنقص عن الصنّجة المصرية

كل مائة مثقال مثقالاً وربع ، وكل مائة درهم درهم وربع ، ورطلها سبعمائة وعشرون درهماً بصنعتها ، ومكيلاتها معتبرة بالمشوك كما في حلب وبلادها ، ومكوكها مقدر كل مكوكين وربع مكوك غرارة بالدمشقي ، وقياس قماشها بذراع ^(١) وقياس أرضها بذراع العمل المعروف .

الجملة الثانية

(في ترتيب نيابتها ، وهي على ضربين)

الضرب الأول

(ما بحاضرتها)

أما جيوشها فمن الترك ومن في معانهم ، وبها عدة من أمراء الطبلخاناه والعشرات والخمسات ومقدمي الحلقة وأجنادها ، وليس بها مقدم ألف . وقد تقدم في الكلام على قواعد الشام المستقرة أنها كانت بيد بقايا الملوك الأيوبيين إلى آخر الدولة الناصرية " محمد بن قلاوون " في سلطنته الأخيرة . قال في " مسالك الأبصار " : إن صاحبها كان مستقل فيها بإعطاء الإمرة والإقطاعات وتولية القضاة والوزراء وتكاتب السروسائر الوظائف بها ، وتكتب المناشير والتواقيع من جهته ولكنه لا يُمضي أمراً كبيراً في مثل إعطاء إمرة أو وظيفة كبيرة حتى يشاور صاحب مصر ، وهو لا يجيبه إلا بأن الرأي ما تراه ومن هذا ومثله ، وربما كتب له مرسوم شريف بالتصرف في مملكته . قال في " مسالك الأبصار " : ومع ذلك فصاحب مصر متصرف في ولاية صاحبها وعزله ، من شاء ولّاه ومن شاء عزله ، ولم يزل الأمر على ذلك إلى أن خلع الأفضل محمد بن المؤيد المتقدم ذكره من سلطنتها ، بعد موت ^(٢)

(١) بياض في الأصل .

(٢) أى وأسدت نيابتها في ذلك الحين إلى ملوك أبيه " سيف الدين طقزقر " كما في تاريخ أبي الفداء .

السلطان الملك الناصر وملك آبنه أبى بكر، ونائبها من أكابر الأمراء المقدمين، ولكنه فى الرتبة دون نائب طرابلس وإن كان مساويا له فى المكتبة من الأبواب السلطانية؛ ويظهر ذلك فى كتابة المطلقات الجار حيث يذكر نائب طرابلس قبله .
وبها من وظائف أرباب السيوف الحجوبية؛ وبها حاجبان : الكبير منهما طبلخاناه والثانى عشرة؛ والمهندارية ، وبها اثنان وهما جنديان ؛ وشد مراكر البريد، وبه جندي؛ وأمير اخورية البريد ، ومتوليها جندي؛ وولاية المدينة ، واليه جندي؛ ونقابة العساكر، وبها اثنان وهما جنديان أحدهما أكبر من الآخر . وجميع أرباب الوظائف يوليهـم النائب بها بتوقيع كريمة ، وليس بها قلعة لها نائب .

وبها من الوظائف الدينية من أرباب الأعلام أربعة قضاة من المذاهب الأربعة ، ولايتهم من الأبواب السلطانية بتوقيع شريفة ، وقاضى عسكر حنفى ، وليس بها قضاة عسكر من المذاهب الثلاثة الأخر ولا مفتو دار عدل؛ وبها وكيل بيت المال ، وولايته من الأبواب السلطانية بتوقيع شريف ووكالة شرعية ؛ ومحتسب بولاية عن النائب بتوقيع كريم .

وبها من الوظائف الديوانية من أرباب الأعلام كاتب سر، ويعبر عنه فى ديوان الإنشاء بصاحب ديوان المكاتبات بحماة المحروسة ، وولايته من الأبواب السلطانية بتوقيع شريف ، وله أتباع من كتّاب الدست وكتّاب الدّرج وولايتهم عن النائب بتوقيع كريمة ؛ وبها ناظر المملكة القائم مقام الوزير، وولايته من الأبواب السلطانية بتوقيع شريف ، وله أتباع من كتّاب وشهود، وولايتهم عن النائب بتوقيع كريمة .
إلى غير ذلك من وظائف صغار يوليها النائب بتوقيع كريمة .

وترتيب المؤكّب بها أن النائب بها يركب من دار النيابة فى يومى الخميس والأثنين وصحبته العسكر من الأمراء وأجناد الحلقة، ويخرج إلى خارج المدينة من قبلها

ويسير في الموكب إلى ضيعة تسمى بقرين على القرب من حماة، ثم يعود في موكبِهِ
 حتى يقف بسوق الخيل بمكان خارج المدينة يعرف بالموقف، وينادى بينهم على
 الخيول، وربما نودى على بعض العقارات، ثم تصبح الجاويشية، وينصرف عن
 ذلك المكان ويدخل المدينة، ويأتى دار النيابة ويدخل أول العسكر من داخل
 باب يعرف باب العُسرة^(١)، ثم يترجل الناس على الترتيب على قدر منازلهم حتى لا يبقى
 راكب سوى النائب بمفرده، ولا يزال راجعا حتى يترجل بشباك بدار النيابة معد للحكم
 فيجلس فيه ويجلس عنده داخل الشباك القضاة الأربعة: الشافعى والحنفى عن
 يمينه، والمالكي عن يساره والحنبلية يليه، ويجلس الأمراء على قدر منازلهم، وكاتب
 السر وناظر الجيش أمام النائب خارج الشباك، ويقف هناك الحاجبان والمهمندار
 ونقيب النقباء، وتُرفع القصص فيقرأها كاتب السر عليه ويرسم فيها بما يراه، ثم يقوم
 من مجلسه ذلك وينصرف القضاة ويدخل إلى قبة معدة لجلوسه ومعه كاتب السر
 وناظر الجيش والأمراء فيفصل بقية أموره مما يتعلق بالجيش وغيره، ثم يد السباط
 بعد ذلك فيأكلون وينصرفون.

الضرب الثانى

(ما هو خارج عن حاضرتها)

وليس بخارجها نيابات، بل يقتصر فيه على ثلاث ولايات، ولائها أجناد يوليه
 النائب بها .

الأولى - ولاية برها كما في دمشق وحلب .

الثانية - ولاية بارين .

الثالثة - ولاية المعرة . وليس بها عرب ولا تُركان تنسب إليها .

(١) في الضوم "باب العزة" .

النيابة الخامسة

(نيابة صَفَد ، وفيها جملتان)

الجملة الأولى

(فيما هو بحاضرتها)

أما معاملاتها فكما في دِمَشَق وغيرها من البلاد الشامية ؛ وصنجاتها كصنجاتها ورطلها ... (١) وأواقيه اثنتا عشرة أوقية كل أوقية ... (١) وتعتبر ميكلاتها ... وتقاس أرض دورها بذراع العمل كما في غيرها ، وتعتبر أرض زراعتها بالفدان الإسلامي والفدان الرومي كما في غيرها من البلاد الشامية .

وأما جيوشها ووظائفها الديوانية ووظائفها الدينية ، فكما في طَرَابُلُس . وأما ترتيب النيابة بها ... (١) ...

الجملة الثانية

(فيما هو خارج عن حاضرتها)

وليس بأعمالها نيابة بل لها ولايات ، يليها أجناد من قبل نائب صَفَد ، وهي إحدى عشرة ولاية .

الأولى - ولاية بَرِّها كما في غيرها من الممالك المتقدمة .

الثانية - ولاية الناصرة .

الثالثة - ولاية حَلَبِيَّة .

الرابعة - ولاية تَبْنين وهونين .

الخامسة - ولاية عَنَلِيث .

(١) بياض في الأصل في المواضع الأربعة .

- السادسة - ولاية عكا .
- السابعة - ولاية صور .
- الثامنة - ولاية الشاغور .
- التاسعة - ولاية الإقليم .
- العاشر - ولاية الشقيف .
- الحادية عشرة - ولاية جينين .

النيابة السادسة (نيابة الكرك ، وفيها جملتان)

الجملة الأولى (فيما هو بمحاضرتها)

أما معاملتها فكما في غيرها : من المعاملة بالدنانير والدرهم ، وصنعتها ^(١) ورطلها ^(١) وأواقيته اثنتا عشرة أوقية كل أوقية ^(١) ويقاس قماشها بذرار ^(١) وتقاس أرض دورها بذرار العمل كما في غيرها ، وتعتبر أرض زراعتها بالفدان الإسلامي والفدان الرومي كما في غيرها من بلاد الشام ، وكذلك نحراج أرضها .

وأما جيوشها فعلى ما تقدم في غيرها من الممالك من اجتماعها من الترك ومن في معناتهم ؛ وبها من الأمراء الطليخانات والعشرات والخمسات ومن في معناتهم ، وليس بها مقدم ألف غير النائب كما تقدم والمجوية والمهمندارية وتقدمة البريد ، وولاية القلعة ؛ وبها من الوظائف الديوانية ناظر المال وناظر الجيش وكتب درج ؛ وولاية هؤلاء الثلاثة من الأبواب السلطانية .

(١) يياض في الأصل .

(١) وأما ترتيب الموكب بها .

الجملة الثانية

(فيما هو خارج عن حاضرتها، وهو على ضريين)

الضرب الأول

(الولايات، وفيها أربع ولايات)

الأولى - ولاية برّها كما في غيرها .

الثانية - ولاية الشّوَيْك .

الثالثة - ولاية زُغَر .

الرابعة - ولاية مُعَان .

الضرب الثاني

(العرب)

وعرب الكرك فيما ذكره في "مسالك الأبصار" : بنو عُقْبَة، وعُقْبَة من جُدَام .

قال في "مسالك الأبصار" : وكان آخر أمراءهم شطى بن عتبة (؟) وكان سلطاننا

(١) بياض بالأصل بقدرسة أسطر .

الملك الناصر محمد بن قلاوون قد أقبل عليه إقبالا أحله فوق السما كين وألحقه
بأمراء آل فضل وأمراء آل مرا ، وأقطعه الإقطاعات الجليلة ، وألبسه التشريف
الكبير، وأجرل له الجباء، وعمر له ولأهله البيت والجباء. وكذلك ممن ينسب إلى عرب
الكرّك بنو زهير عرب الشّوبك ، وآل عجبون ، والعطويون ، والصونيون وغيرهم .

الفصل الثالث

من الباب الثالث من المقالة الثانية
(في المملكة الحجازية ، وفيه سبعة أطراف)

الطَّرَفُ الأوَّل

(في فضل الحجاز وخواصّه وعجائبه)

أما فضله ففي "صحيح مسلم" من حديث جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه
أن النبي صلى الله عليه وسلم ! قال : " غَلِظُ الْقُلُوبِ وَالْجَفَاءُ فِي الْمَشْرِقِ ، وَالْإِيمَانُ
فِي أَهْلِ الْحِجَازِ " .

قلت : وفي ذلك دليل صريح لفضل الحجاز نفسه ، وذلك أن هواء كل بلد
يؤثر في أهله بحسب ما يقتضيه الهواء ، ولذلك تجد لأهل كل بلد صفات وأحوالا
تخصهم ، وقد أخبر صلى الله عليه وسلم عن أهل الحجاز بالرفّة كما أخبر عن أهل
المشرق بالغلظة والجفاء ، وناهيك بفضل الحجاز وشرفه أن به مهبط الوحي ومنبع
الرسالة ، وبه مكة والمدينة اللتين هما أشرف بلاد الله تعالى وأجل بقاع الأرض ،
ولكل منهما فضل يخصه يأتي الكلام عليه عند ذكره فيما بعد إن شاء الله تعالى .

وأما خواصه فيختص من جهة الشرع بأمرين :

أحدهما - أنه لا يستوطنه مشرك من ذمى ولا معاهد، وإن دخله لم يمكن من الإقامة في موضع منه أكثر من ثلاثة أيام ثم يُصَرَف إلى غيره، فإن أقام بموضع أكثر من ثلاثة أيام، عُرِّرَ إن لم يكن له عُذر. قال أصحابنا الشافعية: ولو عقد الإمام عقداً لكافر على الإقامة بالحجاز على مسمى بطل العقد ووجب المسمى.

الثاني - أنه لا تُدفن فيه موتاهم وإن دفن أحد منهم فيه نقل إلى غيره.

وأما عجائبه فمنها مقام إبراهيم عليه السلام، وهو الحجر الذي كان يقوم عليه لبناء البيت فأثرت فيه قدماه وصار أثرهما فيه ظاهراً كما أخبر الله تعالى عن ذلك بقوله: ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾ وهو باق على ذلك أمام البيت من جهة الباب إلى الآن.

(ومنها) ما ذكره في "الروض المعطار" من أن أثر قدم إسماعيل عليه السلام بمسجد بنى في حجر فيه أثر عقه حين رَفَسَ إبليس برجله عند اعتراضه له في ذهابه مع أبيه للدبح.

(ومنها) حصي الحمار، وهو أنه في كل سنة يرعى الحجاج عند الجمرات الثلاث في أيام منى ما تحصيل منه التلألؤ العظيمة على طول المدى، ومع ذلك لم يكن موجوداً بنى منها إلا الشيء القليل على تطاول السنين، يقال إن مهما تُقبِل منها رفع والباقي منها ما لم يتقبل.

الطرف الثاني

(في ذكر حدوده، وأبْتداء عمارته، وتسميته حجازاً)

أما حدوده فأعلم أن الحجاز عبارة عن مكة والمدينة واليمامة ومخاليفها على خلاف في بعض ذلك، يأتي ذكره في موضعه إن شاء الله تعالى، وهو يجملته قطعة من جزيرة العرب، وهي ما بين بحر القلزم وبحر الهند وبحر فارس والفرات وبعض بادية الشام.

قال المدائني: جزيرة العرب خمسة أقسام: تِهَامَةٌ، وَنَجْدٌ، وَالْحِجَازُ، وَالْعَرُوضُ،
وَالْيَمَنُ. وزاد ابن حوقل في أقسامها بادية العراق وبادية الجزيرة فيما بين دِجْلَةٍ
وَالْفُرَاتِ وبادية الشام، وفيها خلاف يطول ذكره.

قال النووي في "تهذيب الأسماء واللغات": وسميت جزيرة العرب جزيرةً
لأنجزار الماء عنها حيث لم يمد عليها وإن كان مطيفا بها. والحجاز عندهم عبارة عن
جبل السَّراة - بالسين والراء المهملتين - على ما أورده في "الروض المعطار"؛ وَضُبِطَ
في "تقويم البلدان" في الكلام على البلقاء من الشام بالشين المعجمة، وهو جبل
يُقْبِلُ من اليمن حتى يتصل ببادية الشام، وهو أعظم جبال العرب. وحدّه من الجنوب
تِهَامَةٌ: وهي ما بينه وبين بحر الهند في غربى بلاد اليمن؛ وحدّه من الشرق بلاد اليمن
وهي بينه وبين فارس؛ وحدّه من الشمال نَجْدٌ، وهو ما بينه وبين العراق؛ وحدّه من
الغرب بحر القلزم وما في جنوبيه من بادية الشام.

الطرف الثالث

(في ابتداء عمارته وتسميته حجازا)

أما ابتداء عمارته فإنه لما أنبت أولاد سام بن نوح عليه السلام وهم العرب
في أقطار هذه الجزيرة حين قَسَمَ نوح الأرض بين بنيهِ، نزل الحجاز منهم من العرب
البادية طَسْمٌ وَجَدَيْسٌ [ومنزلهم] الْيَمَامَةُ ومنزلة جرهم على القرب من مكة فكان ذلك
أول عمارة الحجاز بعد الطوفان؛ ثم بادت هذه العرب وهلكوا عن آخرهم، ودرست
أخبارهم وأتقطعت آثارهم. وعمر الحجاز بعدهم جُرْهُمُ الثانية، وهم بنو جرهم بن
قَحْطَانَ بن عَابِر بن شَالِح بن أَرْقَشْدَ بن سام بن نوح عليه السلام. ولما أسكن
إبراهيم الخليل عليه السلام ولده إسماعيل بمكة كما أخبر تعالى عنه بقوله: ﴿رَبَّنَا إِنِّي

أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ ۖ كَانَتْ جَرْهَمُ الثَّانِيَةِ نَازِلِينَ بِالقَرَبِ مِنْ مَكَّةَ فَاتَّصَلُوا بِإِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَتَزَوَّجَ مِنْهُمْ وَكَثُرَ وَلَدُهُ وَتَنَاسَلُوا فَعَمَّرُوا الْحِجَازَ إِلَى الْآنَ .

وأما تسميته حجازاً، فقال الأصمعيّ : سُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ حِجْزٌ بَيْنَ نَجْدٍ وَتِهَامَةٍ وَلَا مَتَدَادَهُ بَيْنَهُمَا عَلَى مَا تَقَدَّمَ . وَقَالَ ابْنُ الْكَلْبِيِّ : سُمِّيَ بِذَلِكَ لِمَا أَحْتَجِزُ بِهِ مِنَ الْجِبَالِ . قُلْتُ : وَوَهُمْ فِي "الرَّوَضِ الْمُعْطَارِ" فَقَالَ : سُمِّيَ حِجَازاً لِأَنَّهُ حِجْزٌ بَيْنَ الْقَوْرِ وَالشَّامِ، وَقِيلَ لِأَنَّهُ حِجْزٌ بَيْنَ نَجْدٍ وَالسَّرَاةِ، وَمَا أَعْلَمُ مَا الَّذِي أَوْقَعَهُ فِي ذَلِكَ .

الطَّرَفُ الرَّابِعُ

(فِي ذِكْرِ مِيَاهِهِ وَعَيُونِهِ وَجِبَالِهِ الْمَشْهُورَةِ)

أما مياهه وعيونه، فقال المتكلمون في المسالك والممالك : ليس بالحجاز بل بجزيرة العرب جملةً نَهْرٌ يَجْرِي فِيهِ مَرَكَبٌ، وَإِنَّمَا فِيهِ الْعَيُونُ الْكَثِيرَةُ الْمُتَفَجِّرَةُ مِنَ الْجِبَالِ الْمُعْتَصِدَةِ بِالسِّيُولِ وَالْأَمْطَارِ، الْمُتَمَتِّدَةُ مِنْ وَادٍ إِلَى وَادٍ، وَعَلَيْهَا قَرَاهِمٌ وَحَدَائِقُهُمْ وَبَسَاتِينُهُمْ مِمَّا لَا يَحْصَى ذَلِكَ كَثَرَةً، كَمَا فِي الطَّائِفِ وَبَطْنِ مَرٍّ وَبَطْنِ نَحْلٍ، وَعُصْفَانَ وَبَدْرٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ .

وأما جباله المشهورة، فأعلم أن جميع أرض الحجاز جبال وأوديةٌ ليس فيها بسيط من الأرض، وجباله أكثر من أن تدخل تحت العدّ أو يأخذها الحصر، وقد ذكر الأزرقي في "تاريخ مكة" أن لمكة ^(١) اثني عشر ألف جبل لكل جبل منها اسم يخصه ولكن قد شهرت جبال مكة والمدينة والنبع .

(١). لعله للحجاز .

فمن جبال مكة المشهورة (جبل أبى قيس) وهو الجبل الذى فى جنوبى مكة ممتداً على شرقها . قال الأزرقى : وهو أول جبل وُضع بالأرض ولذلك كان أقرب الجبال إلى البيت .

(ومنها) جبل قينقاع^(١) - بقاف مفتوحة وياء مثناة تحت ساكنة ونون مضمومة وقاف ثانية مفتوحة بعدها ألف وعين مهملة - وهو الجبل الذى غربى مكة، سُمى بذلك لمكان سلاح تُبع منه ، والقعقة صوت السلاح ، كما سُمى جِيَاد جِيَاداً لمكان خيله منها .

(ومنها) جبل حرّاء - بحاء مهملة مكسورة وراء مهملة مفتوحة بعدها ألف - وهو جبل يُشرف على مكة من شرقها يرى البيت من أعلاه ، وفيه الغار الذى كان يتعبد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ! وفيه جاءه جبريل عليه السلام فى أول النبوة .

(ومنها) جبل ثور - بفتح التاء المثناة وسكون الواو وراء مهملة فى الآخر - وهو جبل مشرف على مكة من جنوبها ، وفيه الغار الذى آخفى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم من المشركين ومعه أبو بكر الصديق رضى الله عنه .

(ومنها) جبل تبيير^(٢) - بفتح التاء المثناة فوق وكسر الباء الموحدة وسكون الياء المثناة تحت وراء مهملة فى الآخر - وهو جبل مشرف يرى من منى والمزدلفة .

الطَّرَفُ الْخَامِسُ

(فى زُرُوعه وفواكهه ورياحينه ومواشيه ووحوشه وطيوره)

أما زُرُوعه ففيه من الحبوب المزدرة البرّ والشعير والذرة والسَلْت ، وجميعها تُزَرَع على المطر ، وربما زُرِع بعضها على ماء العيون ، والشعير والذرة أكثر الحبوب

(١) صوابه قَيْقَاعَان . أنظر معجم البلدان ومعجم ياقوت . (٢) صوابه تَبِيرُ التَّاءِ المثلثة .

وجودا، ويُزَرَع فيه على العيون البَطِيخُ : الأخضر والأصفر، والقِنَّاء، والبَازِجَان،
والدَّبَّاءُ، والملوخيا، والهِندِباءُ، والفُجْلُ، والكُرَّاثُ، والبَصَلُ، والثُّومُ .
وأما فواكهه ففيه الرُّطْبُ، والعِنَبُ، والمَوْزُ، والتَّفَّاحُ، والسَّفَرَجُلُ، واللِّيمُونُ
وغير ذلك .

وأما رياحينه ففيه التامر حَتَاءً، ويسمى عندهم القَاغِيَّةُ : بالفاء وغين معجمة وياء
مشناة تحت وهاء في الآخر .

وأما مواشيه ففيه الإِبِلُ، والضَّائُنُ، والمعز بكثرة، والبقر بقلّة . وبه من الخيل
ما يفوق الوصف حسنه، ويُعجز البرق إدراكه .

وأما وحوشه ففيه الغَزَلَانُ، وحُرُّ الوحش، والدَّثَابُ، والضَّبَاعُ، والثعالب،
والأرانب وغيرها .

وأما طيوره ففيه الحمام، والدجاج، والحِداة، والرخم .

الطرف السادس

(في قواعده وأعماله ؛ وفيه ثلاث قواعد)

القاعدة الأولى

(مكة المشرفة ، وفيها جبلتان)

الجملة الأولى

(في حاضرتها)

وقد ذكر العلماء رحمهم الله لها ستة عشر اسما . ” مَكَّة ” بفتح الميم وتشديد
الكاف المفتوحة وهاء في الآخر . كما نطق به القرءان الكريم في قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي
كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِطَّنْ مَكَّة ﴾ ، سميت بذلك لقلة ماؤها أخذًا من

قولهم أَمَتَكَ الفَصِيلُ ضَرَعَ أُمَّهُ إِذَا أَمْتَصَهُ ، وقيل لأنها تَمُكُّ الذنوب بمعنى أنها تَذْهَبُ بها، ويقال لها أيضا (بَكَّةٌ) بإبدال الميم باء موحدة . وبه نطق القرءان أيضا في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ ﴾ قال الليث : سميت بذلك لأنها تَبْكُ أعناق الجبابة أُنًى تدفُّها والْبَكُّ الدَّقُّ ، وقيل بالميم الحرم كله وبَكَّةُ المسجد خاصة ، حكاه الماوردي عن الزهرى - وزيد بن أسلم - وقيل بالباء اسم لموضع الطواف ، سمي بذلك لأزدحام الناس فيه والْبَكُّ الأزدحام . ومن أسمائها أيضا (أُمُّ الْقُرَى) و (الْبَلَدُ الْأَمِين) و (أُمُّ رُحْم) بضم الراء وإسكان الحاء المهملتين لأن الناس يتراحمون فيها ويتوادعون ، و (صَلَاح) مبنى على الكسر كقَطَامٍ ونحوه ، و (الْبَاسَّة) لأنها تَبْسُ الظالم أى تحطمه ، و (النَّاسَةُ) بالنون لأنها تَنْسُ الملاح فيها أى تطرده ، و (النَّسَاسَةُ) لذلك أيضا ، و (الْحَاطِمَةُ) لأنها تحطِمُ الظالم كما تقدم ، و (الرَّاسُ) و (كُوْنِي) بضم الكاف وفتح المثناة ، و (الْقُدُسُ) و (القَادِسُ) و (المَقْدَسَةُ) . قال النووى : وكثرة الأسماء تدل على شرف المسمى ، ولذلك كثرت أسماء الله تعالى وأسماء رسوله صلى الله عليه وسلم ! وقد تقدم أنها من جملة الحجاز . وحكى ابن حوقل عن بعض العلماء أنها من تِهَامَةَ ورجحه في "تقويم البلدان" . وموقعها في الإقليم الثانى من الأقاليم السبعة . قال في "كتاب الأطوال" : طولها سبع وستون درجة وثلاث عشرة دقيقة ، وعرضها إحدى وعشرون درجة وأربعون دقيقة . وقال في "القانون" : طولها سبع وستون درجة فقط ، وعرضها إحدى وعشرون درجة وعشرون دقيقة . وقال في "رسم المعمور" : طولها سبع وستون درجة ، وعرضها إحدى وعشرون . وقال كوشيا وطولها سبع وستون درجة وعشر دقائق ، وعرضها إحدى وعشرون درجة وأربعون دقيقة . وقال ابن سعيد : طولها سبع وستون درجة وإحدى وثلاثون دقيقة ، وعرضها إحدى وعشرون درجة وعشرون دقيقة . وهى مدينة فى بطن وادٍ والجبال

مَحْفَةً بِهَا ، فَأَبُو قُبَيْسٍ مَشَرَفَ عَلَيْهَا مِنْ شَرْقِيَّهَا وَأَجْيَادٌ بَفَتْحِ الْهَمْزَةِ مَشَرَفٌ عَلَيْهَا مِنْ غَرْبِيَّهَا . قَالَ الْجَوْهَرِيُّ : سَمِيَ بِذَلِكَ لِمَوْضِعِ خَيْلٍ تَبِعَ مِنْهُ . قَالَ فِي "الرَّوْضِ الْمَعْطَارِ" : وَسَعَتْهَا مِنَ الشَّمَالِ إِلَى الْجَنُوبِ نَحْوَ مِائِلَيْنِ ، وَمِنْ أَسْفَلِ أَجْيَادٍ إِلَى ظَهْرِ جَبَلٍ قُعَيْقَعَانَ مِثْلَ ذَلِكَ . قَالَ الْكَلْبِيُّ : وَلَمْ يَكُنْ بِهَا مَنَازِلُ مَبْنِيَّةٍ فِي بَدْءِ الْأَمْرِ ؛ وَكَانَتْ جُرْهُمُ وَالْعَمَالِقَةُ حِينَ وَلَّيْتَهُمْ عَلَى الْحَرَمِ يَنْتَجِعُونَ جِبَالَهَا وَأَوْدِيَّتَهَا يَنْزِلُونَ بِهَا ؛ ثُمَّ جَاءَتْ قَرِيشٌ بَعْدَهُمْ فَشَوْا عَلَى ذَلِكَ إِلَى أَنْ صَارَتْ الرِّيَاسَةُ فِي قَرِيشٍ لَقُصَى بْنِ كِلَابٍ فَبْنَى بِهَا دَارَ النَّدْوَةِ ، يَحْكُمُ فِيهَا بَيْنَ قَرِيشٍ ؛ ثُمَّ صَارَتْ لِمَشَاوَرْتِهِمْ وَعَقْدِ الْأُلُويَّةِ فِي حُرُوبِهِمْ ؛ ثُمَّ تَتَابَعَ النَّاسُ فِي الْبِنَاءِ : فَبَنَوْا دُورًا وَسَكَنُوهَا ، وَتَزَايَدَ الْبِنَاءُ فِيهَا حَتَّى صَارَتْ إِلَى مَا صَارَتْ . وَبَنَاؤُهَا بِالْحَجَرِ وَعَلَيْهَا سُورٌ قَدِيمٌ قَدْ هُدِمَ أَكْثَرُهُ وَبَقِيَ أَثَرُهُ وَالْمَسْجِدُ فِي وَسْطِهَا . وَقَدْ ذَكَرَ الْأَزْرَقِيُّ فِي "تَارِيخِ مَكَّةَ" أَنَّ الْكَعْبَةَ كَانَتْ قَبْلَ أَنْ تُدْحَى الْأَرْضُ رَابِعَةً حُمْرَاءَ مَشْرِفَةٍ عَلَى وَجْهِ الْمَاءِ ، وَلَمَّا أَهْبَطَ اللَّهُ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَجَاءَ إِلَى مَكَّةَ ، اسْتَوْحَشَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ قُبَّةً مِنَ الْجَنَّةِ مِنْ دُرَّةٍ بِيضَاءَ لَهَا بَابَانِ فَوُضِعَتْ مَكَانَ الْبَيْتِ فَكَانَ يَتَأَنَسُ بِهَا ، وَجَعَلَ حَوْلَهَا مَلَائِكَةً يَحْفَظُونَهَا مِنْ أَنْ يَقَعَ بِبَصَرِ الشَّيَاطِينِ عَلَيْهَا . قَالَ فِي "الرَّوْضِ الْمَعْطَارِ" : وَكَانَ الْحَجَرُ الْأَسْوَدُ كَرْسِيًّا يَجْلِسُ عَلَيْهِ . قَالَ : وَطُولُهُ ذِرَاعٌ . وَالَّذِي ذَكَرَهُ الْمَآوَرِدِيُّ وَغَيْرُهُ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ لَمَّا قَالُوا : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا ﴾ لِأَذْوَا بِالْعَرْشِ خَوْفًا مِنْ غَضَبِ اللَّهِ تَعَالَى فَطَافُوا حَوْلَهُ سَبْعًا فَرَضَى عَنْهُمْ وَقَالَ : آبَنُوا فِي الْأَرْضِ بَيْتًا يَعُودُ بِهِ مِنْ تَخِطُّطٍ عَلَيْهِ مِنْ بَنَى آدَمَ فَبَنَوْا هَذَا الْبَيْتَ ، وَهُوَ أَوَّلُ بَنَائِهِ ؛ ثُمَّ بَنَاهَا إِبْرَاهِيمُ وَإِسْمَاعِيلُ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِقَوْلِهِ : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ ﴾ قَالَ فِي "الرَّوْضِ الْمَعْطَارِ" : وَلَمْ يَجْعَلْ لَهَا سَقْفًا . قَالَ : ثُمَّ أَهْدَمَتْ الْكَعْبَةَ فَبَنَتْهَا الْعَمَالِقَةُ ، ثُمَّ أَهْدَمَتْ فَبَنَتْهَا جُرْهُمُ ، ثُمَّ أَهْدَمَتْ فَبَنَاهَا قُصَى بْنُ كِلَابٍ وَسَقَفَهَا بِخَشَبِ

الدَّوْمِ وجريد النخل، وجعل ارتفاعها خمسا وعشرين ذراعا، ثم آسَتهَدَمَت وكانت فوق القامة فأرادت قُرَيْشٌ تعليتها فهدمتها وبنتها، والنبي صلى الله عليه وسلم عمره خمس وعشرون سنة، وشهد بناءها معهم، وكان بابها بالأرض فقال أبو حذيفة ابن المغيرة: يا قوم أرفعوا باب الكعبة حتى لا يدخل إلا مسلم ففعلوا ذلك وسَقَفُوهَا بخشب سفينة ألقاها البحر إلى جُدَّة .

قال في "الروض المعطار": وكان طولها ثمانى عشرة ذراعا، ثم أحترق البيت حين حُوصِرَ ابن الزبير بمكة وتأثرت حجارته بالنار، فهدمه ابن الزبير وأدخل فيه ستة أذرع من الحجر، وقيل سبعة، وجعل له بابين ملصقين بالأرض: شرقيا وغربيا يُدْخَلُ من أحدهما ويُخْرَجُ من الآخر، وجعل على بابها صفائح الذهب، وجعل مفاتيحه من ذهب . قال في "الروض المعطار": وبلغ بها في العلو سبعا وعشرين ذراعا . فلما قتل ابن الزبير كتب عبد الملك بن مروان إلى الحجاج يأمره بإعادته على ما كان عليه في زمن النبي صلى الله عليه وسلم من بناء قريش فهدم جانب الحجر وأعادته إلى ذلك، وسد الباب الغربى ورفع الشرقى عن الأرض إلى حده الذى هو عليه الآن، وكان عبد الملك بن مروان بعد ذلك يقول: "وَدِدْتُ أَنى كُنْتُ حَمَلْتُ ابن الزبير من بناء الكعبة ما تَحْمَلُ" .

ثم جدّد المتوكل رُخَامَ الكعبة فأزرها بفضة وألبس سائر حيطانها وسَقَفَهَا الذهب، وهو على ذلك إلى الآن . وهو مبنى بالحجر الأسود مستطيل البناء على التربع، في ارتفاع خمسة وعشرين ذراعا . وله أربعة أركان .

الأول - ركن الحجر الأسود . وهوما بين الشرق والجنوب، ومنه يتبدأ الطواف .

(١) عبارة ياقوت "ورفعوا بابها بخافة السيل وأن لا يدخل فيها إلا من أحبوا" .

الثاني - الشامي . وهو ما بين الشرق والشمال ، سمي بذلك لمسامته بعض بلاد الشام ، وداخله باب المَطْلَع إلى سطح الكعبة .

الثالث - الغربي . وهو ما بين الشمال والغرب ، سمي بذلك لمسامته بلاد المغرب ، ولو سمي بالمصري لكان جديرا به لمسامته بلاد مصر .

الرابع - اليماني . وهو ما بين الغرب والجنوب ، سمي بذلك لمسامته بلاد اليمن ولذلك خففت الياء في آخره نسبة إلى اليمن . وقال ابن قتيبة : سمي بذلك لأنه بناه رجل من اليمن يقال له **أَبْنُ أَبِي سَالَمٍ** ، وقد يُطْلَق عليه وعلى ركن الحجر الأسود **اليمانيان** ، وعلى الشامي والغربي **الشاميان** تغليا .

ثم بين ركن الحجر الأسود وبين الركن الشامي أربعة وعشرون ذراعا ، وبالقرب من الركن الأسود في هذا الحدّار باب الكعبة على أربعة أذرع وشيء من الأرض يُرَقَى إليه بَدَرَجٍ من خشب توضع عند فتح الباب ؛ والمُلْتَرَمُ بين الركن الأسود والباب الشرقي ؛ وبالقرب من الركن الشامي منه مصلى آدم عليه السلام .

وهذا الحدار مقسوم ثلاث جهات .

الأولى - من الركن الأسود إلى باب الكعبة . وهي في جهة القبلة لأهل البَصْرَةِ ، والأهواز ، وفارس ، وأصبهان ، وكرمان ، وسجستان ، وشمال بلاد الصين وما على سمت ذلك .

الثانية - من الباب إلى مصلى آدم عليه السلام . وهي جهة القبلة لأهل الكوفة ، وبغداد ، وحُلُوان ، والقادسيّة ، وهمدان ، والرّيّ ، ونيسابور ، ومرو ، وخوارزم ، ومُجَنَّا ، ونَسَا ، وفرغانة ، والشاش ، ونُحْرَاسَان ، وما على سمت ذلك .

الثالثة - من مصلى آدم عليه السلام إلى الركن الشامي . وهي جهة القبلة لأهل الرّهّا ، والمَوْصِل ، ومَلْطِيّة ، وشمشاط ، والحيرة ، وسنجار ، وديار بكر ، وأرمينية إلى باب الأبواب ، وما على سمت ذلك .

وبين الركن الشامى والركن الغربى أحد عشر ذراعا ، وبأعلى هذا الجدار الميزابُ فى الوسط منه وخارجه الحجرُ (بكسر الحاء المهملة وسكون الجيم) مستديرا به على سمت الركنين ، يفصل بينه وبين البيت فُرْجَتَان .

وهذا الجدار مقسوم بثلاث جهات أيضا .

الأولى - من الركن الشامى إلى دُونِ الميزاب . وهى جهة القبلة لدمشق ، وحمّاة ، وسَلَمِيَّة ، وحلب ، ومنبج ، وميافارقين ، وماسامت ذلك .

الثانية - وسط الجدار من الميزاب وما إلى جانبه . وهى جهة القبلة للدينة النبوية (على ساكنها أفضل الصلاة والسلام) وجانب الشام الغربى ، وغزّة ، والرّملة ، وبَيْت المقدس ، وفِلَسْطِين ، وعكا ، وصيدا .

الثالثة - ما يلى هذه الجهة إلى الركن الغربى . وهى جهة القبلة لمصر بأسرها من أسوان إلى دِمياط ، والإسكندرية ، وبرقة ، وكذلك طرابلس الغرب ، وصقلية ، وسواحل الغرب ، والأندلس وما على سمت ذلك . وبين الركن الغربى والركن اليمانى فى هذا الجدار الباب المسدود تُجَاه الباب المفتوح .
وهذا الجدار مقسوم بثلاث جهات أيضا .

الأولى - من الركن الغربى إلى ثلث الجدار . وهى جهة القبلة لأهل الشمال من بلاد البجّاة ، والنوبة ، وأوسط الغرب من جنوب الواحات إلى بلاد الجريد إلى البحر المحيط وما على سمت : ذلك من عيذاب ، وسواكن ، وجنوب أسوان ، وجُدّة ، ونحو ذلك .

الثانية - من ثلث الجدار إلى دُونِ الباب المسدود . وهى جهة القبلة لأهل الجنوب من بلاد البجّاة ودَهْلَك وسواكن والنوبة والتكُور ، وما وراء ذلك وعلى سمتة .

الثالثة - من دون الباب المسدود إلى الركن اليماني . وهي جهة القبلة لأهل الحبشة ، والزنج ، والزليج ، وأكثر بلاد السودان وما والاها من البلاد أو كان على سمتها .

وبين الركن اليماني وركن الحجر الأسود عشرون ذراعاً ، أنقص من مقابله بذراع ، وبالقرب من ركن الحجر الأسود من هذا الجدار مصلى النبي صلى الله عليه وسلم ! قبل الهجرة .

وهذا الجدار مقسوم بثلاث جهات .

الأولى - الركن اليماني إلى سبعة أذرع من الجدار . وهي جهة القبلة لتدمر ، وحضر موت ، وعدن ، وصنعاء ، وعمان ، وصعدة ، والشحر ، وسبيل ، وزبيد وما والاها أو كان على سمتها .

الثانية - من حدّ الجهة المتقدمة إلى دون مصلى النبي صلى الله عليه وسلم ! قبل الهجرة . وهي جهة القبلة لجنوب بلاد الصين ، والسند ، والتهايم ، والبحرين ، وما سامت ذلك .

الثالثة - من مصلى النبي صلى الله عليه وسلم ! قبل الهجرة إلى ركن الحجر الأسود . وهي جهة القبلة لأهل واسط ، وبلاد الصين ، والهند ، والمرجان ، وكابل ، والقندهار ، والمعبر ، وما والاها من البلاد أو كان على سمتها .

ويقابل الجدار الشرقي من البيت مما يلي ركن الحجر الأسود زمزم وسقاية العباس ، ويقابله مما يلي الركن الشامي مقام إبراهيم عليه السلام . وقد تقدم الكلام عليه في عجائب الحجاز فيما مرّ ، ويسمى ما بين الكعبة وزمزم والمقام الحطيم (الحاء والطاء المهملتين) . قال في "الروض المعطار" : سمي بذلك لأنه كان من لم يجد من الأعراب

ثوباً من ثياب أهل مكة يطوف فيه رمي ثيابه هناك وطاف عريانا. وخارج المسجد الصفا والمروة اللذان يقع السعي بينهما.

الجملة الثانية

(في نواحيها وأعمالها ، وهى على ضربين)

الضرب الأول

(الحرم ومشاعر الحج الخارجة عن مكة)

أما الحرم فهو ما يطيف بمكة مما يحرم صيده وقطع شجره وحشيشه ونحو ذلك ، وقد تقدم أن الله تعالى جعل ملائكة يحرسون القبة التي أنزلها الله تعالى إلى آدم من الجنة ووضعت له مكان الكعبة وجعلت الملائكة حرسا لها كي لا يقع عليها بصر الشياطين ، فكانت مواقف الملائكة هى حدود الحرم . قال ابن حوقل : وليس بمكة والحرم شجريئمر إلا شجر البادية ، أما خارج الحرم ففيه عيون وثمار .

وأعلم أن مقادير جهات الحرم تتفاوت في القرب والبعد عن مكة ، وعلى حدوده أعلام منصوبة في كل جهة تدل عليه . قال في "الروض المعطار" : قال الزبير : وأول من وضع علامات الحرم ونصب العمدة عليه عدنان بن أدد ، خوفا من أن تدرس معالم الحرم أو تتغير . قال : وحده من التنعيم على طريق سرف إلى مَر الظهران خمسة أميال ، وذكر في موضع آخر أنها ستة أميال ، وحده من طريق جدة عشرة أميال ، ومن طريق اليمن ستة أميال ، ودوره سبعة وثلاثة وثلاثون ميلا .

ثم بحدود هذا الحرم أما كن مشهورة ، يخرج إليها من مكة من أراد أن يهل بعمره فيحرم منها .

أحدها - (التَّعِيمُ) - بآلف ولام لازمتين وفتح التاء المشناة فوق وسكون النون وكسر العين المهملة وسكون الياء المشناة تحت وميم في الآخر - وهو موضع على حد الحرم على طريق السالك من بطن مَرٍّ وإلى مكة . قال في "الروض المعطار": وسمي التعيم لأن الجبل الذي عن يمينه اسمه نُعَيْم والذي عن يساره اسمه نَاعِمٌ والوادي الذي هو فيه اسمه نَعْمَانُ ؛ ومنه آعتمرت عائشة رضي الله عنها مع عبد الرحمن بن أبي بكر، وهناك مسجدٌ يعرف بمسجد عائشة إلى الآن ؛

الثاني - (الحُدَيْيَّةُ) - بضم الحاء وفتح الدال المهملتين وسكون الياء المشناة تحت وكسر الباء الموحدة وفتح الياء المشددة وفي آخرها تاء - ونقل في "الروض المعطار" عن الأصمعيّ تخفيف الياء الثانية . قال في "تقويم البلدان" : وهو موضع/بعضه في الحِلِّ وبعضه في الحَرَم ، وفيه صَدُّ المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البيت ؛ وهي أبعد أطراف الحرم عن البيت ؛ وهي على مسيرة يوم ؛ وهي في مثل زاوية للحرم . وذكر في "الروض المعطار" أن الحديبية أسم لبئر في ذلك المكان، ومذهبُ الشافعيّ أن العمرة منه أفضل من التعيم .

الثالث - (الْحِجْرَانَةُ) - بكسر الجيم والعين المهملة وفتح الراء المهملة المشددة بعدها ألف ونون مفتوحة وهاء في الآخر - ونقل في "الروض المعطار" عن الأصمعيّ سكون العين وتخفيف الراء . قال : وهو مكان بين مكة والطائف ولكنه إلى مكة أقرب ، ومنه أحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعمرة في وجهته تلك ، ومذهب الشافعيّ أن العمرة منه أفضل من الحُدَيْيَّةِ .
وأما مشاعر الحج الخارجة عن مكة فثلاثة .

(١) أي مرجعه من غزاة حنين وقسم فيها غنائم هوازن . أنظر "معجم البلدان" .

أحدها - مَنَى بكسر الميم وفتح النون وألف مقصورة - سميت بذلك لما يَمْنَى فيها من الدماء أى يراق . قال فى "المشترك" : وبينها وبين مكة ثلاثة أميال - وهى تشبه القرية مبنية على ضفتى الوادى . وبها مسجد الخيف - بفتح الخاء المعجمة وسكون الياء المشناة تحت وفى آخره فاء - وهو مسجد عظيم متسع الأرجاء بغير سقف .

الثانى - (المُزْدَلِفَةُ) - بضم الميم وسكون الزاى المعجمة وفتح الدال المهملة وكسر اللام وفتح الفاء وآخرها هاء - وهى موضع على يسرة الذهاب من مَنَى إلى عرفة . قال النووى : سميت بذلك من التزلف والأزدلاف وهو التقرب ، لأن الحجاج إذا أفاضوا من عَرَفَاتٍ أزدلّفُوا إليها أى تقربوا ومضوا إليها ، وتسمى جمعا أيضا بفتح الجيم وسكون الميم وعين مهملة - لأنه يجمع بها بين المغرب والعشاء وبها مسجد متسع . قال فى "الروض المعطار" : طوله ثلاثة وستون ذراعا ، وعرضه خمسون ذراعا ، وأرتفاع جداره عشرة أذرع .

الثالث - (عَرَفَة) - بفتح العين والراء المهملتين والفاء وهاء فى الآخر - ويقال فيه أيضا عَرَفَاتٌ على الجمع ، وبه جاء القرآن فى قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا أَقَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ ﴾ وهو موقف الحج ، وسمى عرفات لتعارف آدم عليه السلام وحواء به . قال كعب الأحبار : أهبط آدم عليه السلام بالهند ، وحواء بعرفة ، وإبليس بجدة ، والحیة بأضهان ، وأمر الله تعالى آدم بحج البيت فحج ، فكان حيث وضع قدمه تتفجر الأنهار وتبنى المساجد . فلما وصل إلى عرفة ، وجد بها حواء فتعارفا بها .

الضرب الثانى

(قُراها ومَحَالِفُها)

وأعلم أن أكثر جبال مكة وأوديتها مسكونة معمورة إلا أنه ليس بها قرية مُقَرَّة إلا حيث المياه والعيون البخارية والحدائق المحدقة ، والمشهور من ذلك عشرة أماكن .

الأول - (جُدَّة) - بضم الجيم وتشديد الدال المهملة ثم هاء - وهى فُرُصَةُ مكة على ساحل بحر القلزم ، وموقعها فى أول الإقليم الثانى من الأقاليم السبعة ، وهى فى الغرب عن مكة بمسلة إلى الشمال . قال فى "الأطوال" : طولها ست وستون درجة وثلاثون دقيقة ، وعرضها إحدى وعشرون درجة وخمس وأربعون دقيقة . وواقعه على ذلك فى "القانون" . وقال فى "رسم المعمور" : طولها خمس وستون درجة وثلاثون دقيقة ، وعرضها على ما تقدم . وهى مينا عظيمة محل حط وإقلاع ، إليها تنتهى المراكب من مصر واليمن وغيرهما ، ومنها تصدر من مكة . قال فى "تقويم البلدان" : وهى من مكة على مرحلتين . وقال الإدريسي : بينهما أربعون ميلاً ، وهى ميقات من قطع البحر من جهة عيذاب إليها .

الثانى - (بَطْنُ نَخْلٍ) - وضبطه معروف ، ويقال فيه أيضاً وادى نَخْلَةٍ على التوحيد ونخلة بإسقاط لفظ وادى . قال الجوهري : وبه كانت العزى التى هى أحد طواغيت قُرَيْش ، وبعث النبي صلى الله عليه وسلم إليها خالد بن الوليد فهدمها ، وهى الآن بيد هُدَيْل ، وهى قَرْى مجتمعة ذات عيون وحدائق ومزدرع . أخبرنى بعض أهل الحجاز أن بها نحو أربعة عشر نهراً على كل نهر قرية ، وغالب فواكه مكة وَقَطَانِيَّهَا وبقولها منها ، ومنها يصب الماء إلى بطن مرة الآتى ذكره .

الثالث - (الطَائِفُ) - بألف ولام لازمتين فطاء مهملة مشددة مفتوحة بعدها ألف وياء مثناة تحت مكسورة ثم فاء - وهو بلد شرقى بطن نخل المتقدم ذكرها ، وبطن نخل بينه وبين مكة . قيل سميت الطائف لأنها فى طوفان نوح آنقطعت من الشام وحملها الماء وطافت بالأرض حتى أرسَتْ فى هذا الموضع . وقال فى "الروض المعطار" : أسمها القديم وَجْجٌ يعنى بواو مفتوحة وجيم مشددة - سميت برجل من العمالقة ، ثم سكنها ثقيف فبنوا عليها حائطاً مطيفا بها فسميت الطائف .

قال : وهى إحدى القريتين المذكورتين فى قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ . قال فى "تقويم البلدان" : وهى من الحجاز تقريبا ، وموقعها فى أوائل الإقليم الثانى . وقال ابن سعيد : طولها ثمان وستون درجة وإحدى وثلاثون دقيقة ، وعرضها إحدى وعشرون درجة وأربعون دقيقة ، وهوبلد خصيب كثير الفواكه المختلفة مما يشابه فواكه الشام وغيرها ، وهى طيبة الهواء إلا أنها شديدة البرد حتى إنه ربما جمد الماء بها لشدة بردها .

الرابع - (بَطْنُ مَرٍّ) - بفتح الباء الموحدة وسكون الطاء المهملة ونون بعدها ثم ميم مفتوحة وراء مهملة مشددة - وهو واد من أودية الحجاز فى الشمال عن مكة على مرحلة منها على طريق حُجَّاج مصر والشام . قال فى "الأطوال" : طولها سبع وستون درجة وعرضها إحدى وعشرون درجة وخمس وأربعون دقيقة . قال فى "تقويم البلدان" : وهى بقعة بها عدة عيون ومياه تجري ونخيل كثير ، والنخل والمزدرع متصل من وادى نخلة إليها . وذكر غيره أن بها نحو أربعة وعشرين نهرا على كل نهر قرية ، ومنها تُحمل الفواكه والبُقولات إلى مكة كما تحمل من نخلة والطائف ، وهى بيد بنى حسن أمراء مكة .

الخامس - (الْهَدَّة) - بألف ولام ثم هاء ودال مهملة مفتوحين وهاء ساكنة فى الآخر - وهو واد على القرب من بطن مَرٍّ ، على مرحلة ونصف من مكة ، به أربعة عشر نهرا على كل نهر قرية ، وهى بيد بنى جابر .

السادس - (عُسْفَانٌ) - بضم العين وسكون السين المهملتين وفتح الفاء ثم ألف ونون - وهو واد معروف على طريق حُجَّاج مصر ، على ثلاث مراحل من مكة ، كان بها حدائق ومياه تنصب إليها من الهدة المذكورة ، وهى الآن خراب ليس بها عمارة .

السابع - (الْبَرْزَةُ) - بألف ولام ثم باء موحدة مفتوحة وراء مهملة ساكنة وزاى معجمة مفتوحة وهاء فى الآخر - وهى واد بالقرب من عُسْفَانَ على مرحلتين من مكة؛ به أربعة عشر نهرا على كل نهر قرية؛ وهى الآن بيد بنى سَلُولَ وبنى مُعَبِّدٍ بضم الميم وفتح العين المهملة وتشديد الباء الموحدة المفتوحة .

الثامن - (خُلَيْصٌ) - بضم الخاء المعجمة وفتح اللام وإسكان الياء المشناة تحت والصاد المهملة - وهو واد على طريق مُجَجَّاج مصر على أربع مراحل من مكة؛ به نحو تسعة أنهر على كل نهر قرية .

التاسع - (وادى كُلَيْة) - بضم الكاف وفتح اللام وتشديد الياء المشناة تحت المفتوحة وهاء فى الآخر - وهو واد بالقرب من خُلَيْصٍ به نحو سبعة أنهر على كل نهر قرية، وكان بيد سُلَيْمٍ، وقد خرب من مدة قريبة بعد الثمانين والسبعائة .

العاشر - (مَرُّ الظُّهْرَانِ) - بفتح الميم وتشديد الراء المهملة ثم ألف ولام وظاء معجمة مفتوحة وهاء ساكنة وراء مهملة مفتوحة بعدها ألف ونون - وهو موضع بينه وبين مكة نحو ستة عشر ميلا، وهو الذى نزل به رسول الله صلى الله عليه وسلم ! عند صلحه مع قريش، كان به ضياع كثيرة وهو الآن خراب . قال فى "الروض المعطار" : وبه حصن كبير؛ كان يسكنه شكر بن الحسن بن على بن جعفر الحسنى يعنى أمير مكة الآتى ذكره فى جملة أمرائها .

الطرف السابع

(في ذكر ملوك مكة ، وهم على ضربين)

الضرب الأول

(ملوكها قبل الإسلام)

اعلم أن مكة بعد الطوفان كان ملوكها في عاد ، وكان بها منهم معاوية بن بكر بن عوص بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام ، وكان مع معاوية بن بكر (وهو عاد الآخرة فيما يقال) يعرب ثم غلبهم العماقية عليها . فلما غلب ابن قحطان بن عابر بن شالخ ابن أرفخشذ بن سام بن نوح عادا على اليمن وفتق ملك اليمن في إخوته ، آستولى على الحجاز وأخرج العماقية منه وولى أخاه جرهم بن قحطان على الحجاز ، فبقي به حتى مات . فملك بعده ابنه عبد ياليل . ثم ملك من بعده ابنه جرهم ، ثم ملك بعده ابنه عبد المدان ، ثم ملك بعده ابنه بقلعة ، ثم ملك بعده ابنه عبد المسيح ، ثم ملك بعده ابنه مضاض ، ثم ملك بعده ابنه الحرث ، ثم ملك بعده عمرو بن مضاض أخوه بشر بن الحرث ، ثم ملك بعده مضاض بن عمرو بن مضاض .

قال ابن سعيد : وجرهم هذه هم الذين بعث إليهم إسماعيل عليه السلام وتزوج فيهم ، وكانت قبلهم جرهم أخرى مع عاد . قال في "الروض المعطار" : وفي ذلك يقول عمرو بن الحرث بن مضاض ، وهو التاسع من ملوك جرهم المتقدم ذكرهم :

وصاهرنا من أكرم الناس والدًا * فأبناؤه منا ونحس الأصاهر!

قال صاحب حمة في "تاريخه" : وقد اختلف المؤرخون في أمر الملك على الحجاز بين جرهم وبين إسماعيل ، فبعضهم يقول : كان الملك في جرهم ، ومقاتيح الكعبة وسداتها في يد ولد إسماعيل ، وبعضهم يقول : إن قي دار بن إسماعيل توجهت أخواله من جرهم وعقدوا له الملك عليهم بالحجاز .

وأما سِدَانَةُ الْبَيْتِ ومفاتيحه فكانت مع بنى إِسْمَاعِيلَ بلا خلاف حتى آتتهى ذلك إلى نَائِيَةٍ من ولد إِسْمَاعِيلَ، فصارت السِّدَانَةُ بعده جُرْهُمَ، ويدل على ذلك قول عمرو بن الحرث .:

وَكُنَّا وَلَاةَ الْبَيْتِ مِنْ بَعْدِ نَائِيَةٍ * نَطُوفُ بِذَلِكَ الْبَيْتِ وَالْأَمْرُ ظَاهِرُ!
 وذكر في "الروض المعطار": أنه كان مع جُرْهُمَ بمكة قَطُورًا، وجُرْهُمَ وقَطُورًا
 أخوان، وكان منزل جرهم أعلى مكة بُقْعَيْعَانَ فما حاز، ومنزل قَطُورًا أسفل مكة
 بأجباد فما حاز، وآتته رياسة قَطُورًا في زمن مُضَاضِ بْنِ عَبْدِ الْمَسِيحِ الْمُتَقَدِّمِ ذكره
 إلى السَّمِيدِ، وكان مُضَاضُ يُعَشِّرُ مَنْ دَخَلَ مكة من أعلاها، والسَّمِيدُ يُعَشِّرُ
 من دخلها من أسفلها، ثم بغى بعضهم على بعض وتنافسوا الملكَ وأقتتلوا فقتل
 السَّمِيدُ، وأستقلَّ مُضَاضُ بِالْأَمْرِ، وبقيت جُرْهُمُ وَلَاةَ الْبَيْتِ نحو ثلثمائة سنة
 فأكلوا مال الكعبة الذى يهدى إليها وأستحلوا حرماها، وبلغ من أمرهم أن الرجل إذا
 لم يجد مكانا يزنى فيه (٢) الكعبة فزنى فيها، ولم يتناهوا حتى يقال إن إساف
 ابن سهيل زنى ببنات بنت عمرو بن ذؤيب في جوف الكعبة فسيخا حجرين، ونضب
 ماء زمزم لكثرة البغي ودرست معالمها؛ ثم جاء عمرو بن لُحَيٍّ فغير دين إبراهيم
 عليه السلام وبدله وبعث العرب على عبادة التماثيل، وعمر ثلثمائة سنة ونمسا
 وأربعين سنة، وبلغ من الولد وولد الولد ألفين .

ثم صارت سِدَانَةُ الْبَيْتِ ومفاتيحه إلى نُحْرَاعَةَ بْنِ الْأَزْدِ من بنى كَهْلَانَ بْنِ سَبَّاحٍ من
 العرب العاربة؛ وكانت منازلهم من حين تفرق عرب اليمن بسبب سَيْلِ الْعَرِمِ بيطن
 مرَّ على القرب من مكة؛ وصارت لهم الرياسة بسِدَانَةَ الْبَيْتِ، وبقيت السِّدَانَةُ بيدهم

(١) في "السبائك" و"العبر" بدون ألف .

(٢) يياض بالأصل، ولعل أصله "دخل"، كما هو ظاهر .

إلى أن آتته إلى أبي غبشان: سليمان بن عمرو الخزازي في زمن بهرام جور بن يزدجرد من ملوك الفرس؛ ورئیس قريش يومئذ قصى بن كلاب، فاجتمع قصى مع أبي غبشان على شراب بالطائف، فلما سكر أبو غبشان اشتري قصى سداثة البيت منه بزق نحره وتسلم مفاتيحه وأشهد عليه بذلك، وأرسل ابنه عبد الدار بها إلى البيت فرفع صوته وقال: يامعشر قريش! هذه المفاتيح: مفاتيح بيت أبيكم إسماعيل، قد ردها الله عليكم من غير عار ولا ظلم^(١). فلما صحا أبو غبشان ندم حيث لا ينفعه الندم. ويقال "أخسر من صفقة أبي غبشان" وأكثر الشعراء القول في ذلك حتى قال بعضهم:

بَاعَتْ خُرَاعَةُ بَيْتِ اللَّهِ إِذْ سَكِرْتُ * بَزَقَ نَحْرِي، فَبَقِيتُ صَفْقَةُ الْبَادِي
بَاعَتْ سِدَاتَهَا بِالْتَّرَرِ وَأَنْصَرَفْتُ * عَنِ الْمَقَامِ وَظِلِّ الْبَيْتِ وَالنَّادِي

ولما وقع ذلك عدت خراعة على قصى فظهر عليهم وأجلاهم عن مكة؛ وكان بمكة عرب يميزون الحجيج إلى الموقف، وكان لهم بذلك رياسة فأجلاهم قصى عن مكة أيضا وأنفرد بالرياسة. قال العسكري في "الأوائل": وكان أول من نال الملك من ولد النضر بن كنانة.

ولما تم لقصى ذلك بنى دار الندوة بمكة، فكانت قريش تقضى فيها أمورها فلا تنجح ولا تشاور في أمر حرب ولا غيره إلا فيها؛ ولم تزل الرياسة فيه وفي بنيه بعد ذلك. فولد له من الولد عبد مناف وعبد الدار وعبد العزى.

ثم انتقلت الرياسة العظمى بعد ذلك لبنى عبد مناف، وكان له من الولد هاشم وعبد شمس والمطلب ونوفل، وكان هاشم أرفعهم قدرا وأعظمهم شأنا، وإليه آتته سيادة قومه؛ وكانت إليه الرقادة وسقاية الحجيج بمكة؛ وكانت قريش تجارا، وكانت تجارتهم لا تعدو مكة وما حولها فخرج هاشم إلى الشام حتى نزل بقيصر

ملك الروم فسأله كتابة أمان لتجار قريش ، فكتب له كتابا لكل من مرَّ عليه ، فخرج هاشم فكلما مرَّ بحى من العرب أخذ من أشرافهم أمانا لقومه حتى قَدِم مكة ، فاتاهم بأعظم شيء أتوا به قَطُّ بركة ، فخرجوا بتجارة عظيمة وخرج معهم حتى أوردتهم الشام ، وخرج أخوه المطلب إلى اليمن فأخذ لهم أمانا من ملكه ، وخرج أخوهما عبد شمس إلى ملك الحبشة فأخذ لهم أمانا كذلك ، وخرج أخوهم نوفل إلى كسرى ملك الفرس فأخذ لهم منه أمانا . وكانت قريش يرحلون في الشتاء للشام وفي الصيف لليمن ، وآتست معاشهم بسبب ذلك ، وكثرت أموالهم حتى آمن الله عليهم بذلك بقوله : ﴿ لِيَبْلِغَ قُرَيْشٌ إِيْلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴾ والإيلاف الأمان .

ثم وُلِدَ لهاشم عبد المطلب وبقيت الرياسة فيه ، وكانت برّ زمزم قد أنظمت ونصب مأوها فحفرها عبد المطلب ، حتى أكل الله تعالى بنبوة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ! .

وأما سدانة البيت ومفاتيحه ، فبقيت بيد بنى عبد الدار بن قصي المتقدم ذكره من حين تسلمها عبد الدار عند أخذها من أبي غبشان الخزاعي حتى صارت لبنى شيبه من بنى عبد الدار ، وآتته في زمن النبي صلى الله عليه وسلم إلى عثمان بن طلحة بن عبد الدار . فلما دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح ، أغلق عثمان باب الكعبة وصعد السطح وأبى أن يدفع المفتاح إليه ، وقال : لو علمت أنه رسول الله لم أنمنعه ، فلوى على بن أبي طالب يده وأخذه منه وفتح ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم الكعبة فصلى ركعتين ، فلما خرج سأله العباس أن يعطيه المفتاح ويجمع له السقاية والسدانة فنزل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾ فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا أن يرد المفتاح إلى

عثمان ويعتذر إليه، فقال عثمان : أكرهت وأذيت ثم جئت ترفق ؟ فقال له علي :
لقد أنزل الله تعالى في شأنك قرأنا وقرأ عليه الآية ، فقال عثمان : أشهد أن لا إله
إلا الله وأن محمدا رسول الله ، فهبط جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم
فأخبره أن السدانة في أولاد عثمان أبداً ، فهي باقية فيهم إلى الآن .

الضرب الثاني

(ملوكها في الإسلام ، وهم على طبقات)

الطبقة الثالثة^(١)

(عمال النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين)

هاجر منها النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة قبل وفاته ، وحج حجة الوداع في السنة
العاشرة من الهجرة ، وتوفي سنة إحدى عشرة من الهجرة وعلى مكة عثمان بن أسيد ،
وتوالى عليها عمال الخلفاء بعده إلى آخر أيام الحسن بن علي بن أبي طالب كرم
الله وجهه .

الطبقة الرابعة

(عمال بني أمية من لدن معاوية رضى الله عنه إلى أنقراضهم)

ثم وثى عليها معاوية بن أبي سفيان في خلافته في سنة اثنتين وأربعين من الهجرة
(خالد بن العاص بن هشام) ثم أضيفت إلى عمال المدينة إلى أيام الوليد بن عبد الملك
فكان من وليها منهم (الوليد بن عتبة) ثم (عمرو بن سعيد الأشدق) ثم (الوليد بن عتبة)

(١) هكذا في الأصل بهذا العنوان وصوابه الأولى والذي يظهر أن هذا من النسخ فإن المقام لا يحتمل
السقط . ومن جهة أخرى لم يترك في الأصل بياض حتى كان يخيل أن المؤلف ترك الكلام عليه للعود إليه
فكان ما هنا "الطبقة الأولى" وما بعدها "الطبقة الثانية" وهكذا حتى تسلسل الطبقات .

ثانياً؛ ثم (مُصْعَب بن الزبير) من جهة أخيه عبد الله بن الزبير لما بُويع له بالخلافة؛
 ثم (جابر بن الأسود) ثم (طلحة بن عبد الله بن عوف) ثم (طارق بن عمرو بن عثمان)
 ثم (الحجاج بن يوسف الثقفي) ثم (أَبَانُ بن عثمان) ثم (هشام بن إسماعيل المخزومي)
 ثم (عُمَرُ بن عبد العزيز) .

ثم أفردوا الوليد بن عبد الملك عن المدينة وولّى عليها (خالد بن عبد الله القسري)
 بعد عمر بن عبد العزيز ؛ ثم وليها (عبد العزيز بن خالد بن أُسَيْد) أيام سليمان
 ابن عبد الملك ؛ ثم عزله يزيدُ سنة ثلاث ومائة وأضافها مع المدينة إلى (عبد الرحمن
 ابن الضحاك) ، ثم عزله عن مكة والمدينة لثلاث سنين من ولايته وولّى مكانه
 (عبد الواحد النضري) ، ثم عزله هشام بن عبد الملك في خلافته وولّى مكانه
 على مكة والمدينة (إبراهيم بن هشام بن إسماعيل) ثم عزله هشام سنة أربع عشرة ومائة
 وولّى مكانه على مكة والطائف دون المدينة (محمد بن هشام المخزومي) ؛ ثم ولّى
 الوليدُ بن يزيد في خلافته خالدَ (يوسف بن محمد الثقفي) على مكة مع سائر أعمال
 الحجاز ؛ ثم ولّى مروانُ على مكة وبرّ الحجاز (عبد العزيز بن عمرو بن عبد العزيز)
 ثم عزله في سنة تسع وعشرين ومائة وولّى مكانه على مكة والحجاز (عبد الواحد)
 ثم توالى عليها عُمَّالُ بني أمية إلى أن انقرضت دولتهم .

الطبقة الخامسة

(عُمَّالُ بني العباس)

وأولهم أبو العباس السَّفَّاح ، فولّى عليها وعلى المدينة وسائر الحجاز عمّه (داود) ثم توفى
 سنة ثلاث وثلاثين ومائة ؛ فولّى مكانه في جميع ذلك (زياد بن عبد الله بن عبد
 الدار الحارثي) .

ثم وثى السَّفَّاحُ على ذلك سنة ثلاث وأربعين ومائة (السَّريُّ بن عبد الله ابن الحارث بن العباس) .

ثم عزله أبو جعفر المنصور سنة ست وأربعين ومائة ووثى مكانه عمه (عبد الصمد ابن علي) ثم عزله عنها سنة تسع وأربعين ومائة ووثى مكانه (محمد بن إبراهيم الإمام) ثم عزله ووثى مكانه (إبراهيم ابن أخيه) ثم وثى على مكة وسائر الحجاز واليمامة (جعفر بن سليمان) ؛ ثم توالى عليها العمال إلى أن وثى الرشيد في خلافته على مكة واليمن (حمادا اليزيدي^(١)) سنة أربع وثمانين ومائة .

ثم وليها في زمان الأمين (داود بن عيسى) .

ثم وليها (محمد بن عيسى) ثم عزله المتوكل سنة ثلاث وثلاثين ومائتين وولى مكانه ابنه (المتنصر) بن المتوكل .

ثم وليها (علي بن عيسى بن جعفر بن المنصور) ثم عزله المتوكل سنة سبع وثلاثين ومائتين ووثى مكانه (عبد الله بن محمد بن داود بن عيسى بن موسى) ثم عزله المتوكل سنة ثنتين وأربعين ومائتين ووثى مكانه (عبد الصمد بن موسى بن محمد بن إبراهيم الإمام) ثم توالى عليها العمال من قبل خلفاء بني العباس إلى أن غلب عليها السُّلَيمَانِيُّونَ الآتِي ذَكَرَهُمْ آتِفًا .

الطبقة السادسة

(السُّلَيمَانِيُّونَ مِنْ بَنِي الْحَسَنِ)

نسبة إلى سليمان بن داود بن الحسن المثنى بن الحسن السبط .

وكان سليمان هذا في أيام المأمون بالمدينة وحدثت الرئاسة فيها لبنيه بعد أيام، وكان كبيرهم آخر المائة الثالثة محمد بن سليمان الربذي .

(١) في الكامل لابن الأثير "البربري" .

قال البيهقي: خلع طاعة العباسيين وخطب لنفسه بالإمامة في سنة إحدى وثلاثمائة في خلافة المقتدر؛ ثم أعترضه أبوطاهر القرمطي في سنة ثلثي عشرة وثلاثمائة، فأنقطع الحجج العراق بسبب ذلك .

ثم أنفذ المقتدر الحجج من العراق في سنة سبع عشرة وثلاثمائة فوافاهم القرمطي بمكة فنههم، وخطب لعبيد الله المهدي صاحب إفريقية وقلع الحجر الأسود وباب الكعبة وحملهما إلى الأحساء، وتعطل الحج من العراق إلى أن ولي الخلافة القاهرة في سنة عشرين وثلاثمائة فحج بالناس أميره في تلك السنة .

ثم أنقطع الحج من العراق بعدها إلى أن صولحت القرامطة على مال يؤديه الحجج إليهم، فحجوا في سنة سبع وعشرين وثلاثمائة، وخطب بمكة للراضي بن المقتدر، وفي سنة تسع وعشرين لأخيه المتقي من بعده .

ثم أنقطع الحج من العراق بسبب القرامطة إلى سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة، فخرج ركب العراق بمهادنة القرامطة في خلافة المستكني؛ ثم خطب بمكة لمعز الدولة ابن بويه مع المقتدر في سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة، ثم تعطل الحج بسبب القرامطة؛ ثم برز أمر المنصور الفاطمي صاحب إفريقية لأحمد بن أبي سعيد أمير القرامطة بعد موت أبي طاهر بإعادة الحجر الأسود إلى مكانه فأعاده في سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة . وفي سنة ثنتين وأربعين وثلاثمائة حاول أمير الركب المصري الخطبة لابن الأخشيد صاحب مصر فلم يأت له ذلك وخطب لابن بويه، وأتصلت وفود الحج من يومئذ .

وفي سنة ثلاث وخمسين خطب للقرمطي بمكة مع المطيع .

وفي سنة ست وخمسين وثلاثمائة خطب بمكة لبختيار بن معز الدولة بعد موت أبيه .

ثم في سنة ستين وثلاثمائة جهز المعز الفاطمي عسكرا من إفريقية لإقامة الخطبة له بمكة وعاضدهم بنو الحسين أهل المدينة فنتعهم بنو الحسن أهل مكة من ذلك وأستولوا على مكة .

فلما ملك مصر المعز كان الحسن بن جعفر بن الحسن بن سليمان بالمدينة فبادر فملك مكة ودعا للمعز وكتب له المعز بالولاية ؛ ثم مات الحسن فولّى مكانه أخوه عيسى . ثم ولى بعده أبو الفتوح الحسن بن جعفر بن أبي هاشم ؛ ثم الحسن بن محمد بن سليمان بن داود سنة أربع وثمانين وثلاثمائة ؛ ثم جاءت عساكر عضد الدولة بن بويه ففتر الحسن وترك مكة . ولما مات المعز وولى ابنه العزيز ، بعث إلى مكة أميرا علويا فخطب له بالحرمين وأستمزت الخطبة بمكة للعلويين إلى سنة سبع وستين وثلاثمائة . وفي سنة ثمان وستين خطب لعضد الدولة بن بويه ؛ ثم عادت الخطبة بمكة إلى الخلفاء الفاطميين بمصر ؛ ثم كتب الحاكم سنة ثنتين وأربعين وأربعمئة إلى عماله بالبراءة من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فأنكر ذلك أبو الفتوح أمير مكة وحمله ذلك على أن آتبد بالأمر في مكة وخطب لنفسه وتلقب بالراشد بالله ، وقطع الحاكم الميرة عن الحرمين فرجع أبو الفتوح إلى طاعته فأعاده إلى إمارته بمكة .

وفي سنة ثنتي عشرة وأربعمئة خطب بمكة للظاهر بن الحاكم ؛ ثم خطب بمكة سنة سبع وعشرين وأربعمئة للمستنصر بن الظاهر ؛ ثم توفى أبو الفتوح أمير مكة المتقدم ذكره سنة ثلاثين وأربعمئة لست وأربعين سنة من إمارته .

وولى بعده إمارة مكة ابنه شكر وملك معها المدينة وأستضافها لمكة ، وجمع بين الحرمين كله ثلاثا وعشرين سنة ومات سنة ثلاث وخمسين وأربعمئة . قال ابن حزم : وكانت وفاته عن غير ولد وأقرضت بموته دولة بن سليمان بمكة .

الطبقة السابعة

(الهواشم)

نسبة إلى أبي هاشم : محمد بن الحسن بن محمد بن موسى بن عبد الله أبي الكرام
أبن موسى الجون بن عبد الله بن حسن بن الحسن السبط .

كان رئيس الهواشم لما مات شكر آخر أمراء السليمانيين (محمد بن جعفر) بن أبي
هاشم المذكور فاستولى على إمارة مكة في سنة أربع وخمسين وأربعمائة بعد موت
شكر، وخطب للمستنصر الفاطمي صاحب مصر، ثم خطب لبني العباس في سنة
ثمان وخمسين وأربعمائة فقطعت ميرة مصر عن مكة فعذله أهله على ذلك فأعاد
الخطبة للمستنصر الفاطمي، ثم استماله القائم العباسي وبذل له الأموال فخطب له
سنة ثنتين وستين بالموسم فقط، وكتب للمستنصر بمصر يعتذر إليه، ثم بعث إليه
السلطان ألب أرسلان السلجوقي بأموال كثيرة في سنة ثلاث وستين فخطب له بنفسه .
ثم جمع محمد بن جعفر المتقدم ذكره وزحف إلى المدينة فأخرج منها بني الحسين
وملكها وجمع بين الحرمين .

ثم مات القائم وأقطع ما كان يصل إلى أمير مكة منه فقطع الخطبة للعباسيين .
ثم أرسل المقتدى بالله العباسي بمال فأعاد الخطبة للعباسيين فاستمرت الخطبة
لهم إلى أن مات السلطان ملكشاه السلجوقي سنة ست وثمانين وأربعمائة فآقتطعت
الخطبة بمكة للعباسيين وبطل الحاج من العراق، ومات المقتدى وبويع آبنه
المستظهر، ومات المستنصر العبيدي بمصر وبويع آبنه المستعلي فخطب له بمكة .

ثم مات محمد بن جعفر أمير مكة المتقدم ذكره سنة سبع وثمانين وأربعمائة لثلاث وثلاثين سنة من إمارته ، وولى بعده ابنه (قاسم) فكثرت اضطرابه ؛ ثم توفي سنة ثمان عشرة وخمسمائة لثلاثين سنة من إمارته .

وولى بعده ابنه أبو فُلَيْتة فَأَفْتَحَ بِالْخُطْبَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ وَحَسَّنَ الثَّنَاءَ عَلَيْهِ ؛ ثُمَّ مَاتَ سَنَةَ سَبْعٍ وَعَشْرِينَ وَخَمْسِمِائَةَ لِعَشْرٍ سَنِينَ مِنْ إِمَارَتِهِ وَوَلَّى بَعْدَهُ ابْنُهُ قَاسِمٌ وَالْخُطْبَةُ مُسْتَمِرَّةٌ لِلْعَبَّاسِيِّينَ .

ثم صنع المقتنى بابا للكعبة وأرسله إليها في سنة ثنتين وخمسين وخمسمائة وحمل الباب العتيق إليه فَأَتَّخَذَهُ تَابُوتًا يَدْفَنُ فِيهِ ، وَأَتَّصَلَتْ الْخُطْبَةُ لِبْنِي الْعَبَّاسِ إِلَى سَنَةِ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ ، وَبَوَّعَ الْمُسْتَنْجِدُ فَخُطِبَ لَهُ كَمَا كَانَ يُحْتَضَرُ لِأَبِيهِ الْمَقْتَنِى .

ثم قتل قاسم بن أبي فليته سنة ست وخمسين وخمسمائة ، وولى بعده ابنه (عيسى) في أيام العاضد : آخر خلفاء الفاطميين بمصر ، وتوفي المستنجد وبعث المستضىء بالركب العراقى وَأَنْقَضَتْ دَوْلَةُ الْفَاطِمِيِّينَ بِمِصْرَ ، وَوَلِيَهَا السُّلْطَانُ صَلَاحُ الدِّينِ يَوْسُفُ بْنُ أَيُّوبَ فَخُطِبَ لَهُ بِالْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ .

والذى ذكره السلطان عماد الدين صاحب حماة في "تاريخه" أن عيسى عم قاسم سيرا الحاج في سنة ست وخمسين وخمسمائة وقام مكان ابن أخيه قاسم المذكور ، ثم عاد قاسم فملك مكة ، ثم هرب وعاد عمه عيسى فملكها وهرب قاسم إلى جبل أبي قبيس فوقع عن فرسه فأمسكه عيسى وقتله .

ثم مات المستضىء وبويع ابنه الناصر وَخُطِبَ لَهُ بِالْحَرَمَيْنِ ، وَحُجَّتْ أُمُّهُ وَعَادَتْ فَأَنْهَتْ إِلَيْهِ مِنْ أَحْوَالِ عَيْسَى بْنِ قَاسِمٍ أَمِيرِ مَكَّةَ مَا عَزَلَهُ بِهِ ؛ وَوُلَّى مَكَانَهُ أَخَاهُ (مكث بن قاسم) وكان جليل القدر ، وهو الذى بنى القلعة على جبل أبي قبيس ، ومات سنة تسع وثمانين وخمسمائة ، وبموته انقرضت دولة الهواشم بمكة .

وذكر السلطان عماد الدين صاحب حماة في "تاريخه" أن أمير حاج العراق في سنة إحدى وسبعين وخمسمائة توجه من عند الخليفة بعزله ، فخرى بينهما حرب انتهى الأمر فيها إلى انهزام أكثر المذكور ، وأقيم أخوه داود مكانه . وما زالت الإمرة فيه تارة ، وفي أخيه أكثر تارة حتى مات داود في سنة تسع وثمانين وخمسمائة . وقال : إنه داود بن عيسى بن محمد بن أبي هاشم .

الطبقة الثامنة

(بنو قتادة)

نسبة إلى قتادة بن إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم بن موسى بن عيسى بن عبد الله أبي الكرام بن موسى الجون بن عبد الله بن حسن بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه .

وكان السبب في ولايته مكة أنها لما كانت مع الهواشم كان بنو حسن مقيمين بنهر العاقمية من وادي ينبع ، فجمع قتادة قومه بنو مطاعن وأسالف بن أحمد وبنو إبراهيم وتأمر عليهم وملك ينبع ، ثم ملك الصفراء ، وسار إلى مكة فأتزعا من الهواشم المتقدم ذكرهم وملكها ، وخطب للناصر لدين الله العباسي : خليفة بغداد ، وتعاضم أمره حتى ملك مع مكة والينبع أطراف اليمن وبعض أعمال المدينة وبلاد نجد ، ولم يفد على أحد من الخلفاء ولا من الملوك ، وتوفي سنة سبع عشرة وستمائة ، وولى مكانه آبنه الحسن فامتعض لذلك أخوه راجح بن قتادة ، ثم قدم الملك المسعود أقسر بن الكامل صاحب اليمن سنة عشرين وستمائة من اليمن إلى مكة وملك مكة وقتل جماعة من الأشراف ونصب رايته وأزال راية أمير الركب الذي من جهة الخليفة ، فكتب الخليفة من بغداد إلى آبيه الكامل يعاتبه في ذلك ، فكتب الكامل

إلى أبنه أقمز برئتُ يا أقمز من ظهر العادل إن لم أقطع يمينك ! فقد نبذت وراء
ظهرك دنياك ودينك ! ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم ! ؛ وذهب حسن
أبن قتادة إلى بغداد صريخاً فمات بها سنة ثنتين وعشرين وستمائة ، ومات أقمز بمكة
سنة ست وعشرين ودفن بالمعلّى ، وبقي على مكة قائده نضر الدين بن الشيخ ؛ وقصد
راجح بن قتادة مكة مع عساكر عمر بن رسول فملكها من يد نضر الدين بن الشيخ
سنة تسع وعشرين وستمائة .

ثم جاءت عساكر مصر سنة ثنتين وثلاثين مع الأمير جبريل فلكوا مكة وهرب
راجح إلى اليمن ؛ ثم عاد ومعه عمر بن رسول صاحب اليمن بنفسه فهربت عساكر
مصر ، وملك راجح مكة وخطب لعمر بن رسول بعد الخليفة المستنصر .

ثم غلب على مكة سنة سبع وأربعين وستمائة أبو سعد الحسن بن عليّ بن قتادة
ولحق راجح باليمن ؛ وسار جَمَاز بن حسن بن قتادة سنة إحدى وخمسين وستمائة إلى
الناصر بن العزيز بن الظاهر بن أيوب بدمشق مستجيشاً على أبي سعد أن يقطع
ذكر صاحب اليمن ، فجهرله عسكراً وسار إلى مكة فقتل أبا سعد في الحرم وملك
مكة ، ثم وصل راجح من اليمن إلى مكة وهو شيخ كبير السن وأخرج منها جمَاز بن
حسن فلحق باليمن .

ثم دار أمر مكة بين أبي نعيم محمد بن أبي سعد عليّ بن قتادة وبين غالب بن راجح
أبن قتادة ، ثم استبد أبو نعيم بإمرة مكة ونفى قبيلة أبيه أبي سعد إلى اليمن ؛

ولما هلك أبو نعيم قام بأمر مكة من بعده أبناء رميثة وحميضة ونازعهما أخواهما
عُطيفة وأبو الغيث فأعتقلاهما ، ووافق ذلك وصول بيارس الجاشنكير كافل المملكة
المصرية في الأيام الناصرية فأطلق عُطيفة وأبا الغيث وولاهما ، وأمسك رميثة
وحميضة وبعث بهما إلى مصر ؛ ثم ردّ السلطان رميثة وحميضة إلى إمارتهما بمكة

مع عسكره وبعثا إليه بعطيفة وأبى الغيث، وبقي التنازع بينهم، وهم يتعاقبون في إمرة مكة مرة بعد أخرى وهلك أبو الغيث في بعض حروبهم ببطن مرة .

ثم تنازع حميضة ورميثة وسار رميثة إلى الملك الناصر محمد بن قلاوون صاحب مصر سنة خمس عشرة وسبعائة فأمدّه بعساكر وجه بها إلى مكة وأصطلحوا .

ثم خالفهم عطيفة سنة ثمان عشرة وسبعائة ووصل إلى السلطان فأمدّه بالعساكر فملك مكة وقبض على رميثة فسجن ثم أطلق سنة عشرين وأقام بمصر، وبقي حميضة مشردا إلى أن آستأمن السلطان فأمنه، ثم وثب بحميضة مماليك كانوا معه وقتلوه، وأطلق رميثة من السجن وأستقر شريكا لأخيه عطيفة في إمارتها .

ثم مات عطيفة وأقام أخوه رميثة بعده مستقلا بإمارة مكة إلى أن كبر وهزم . وإلى ذلك أشار في "التعريف" بقوله : وأول إمرة في رميثة وهو آخر من بقى من بيته، وعليه كان النص من أبيه دون البقية مع تداولهم لها، وكان آبناءه بقية وعجلان قد أقسما معه إمارة مكة برضاه، ثم أراد الرجوع فلم يوافقاه عليه وأستمر معه في الولاية .

ولما مات رميثة تنازع ولداه : بقية وعجلان، وخرج بقية وبقي عجلان بمكة، ثم غلبه عليها بقيّة، ثم اجتمعوا بمصر سنة ست وخمسين وسبعائة فوّلّى السلطان عجلان، وفتر بقية إلى الحجاز فأقام هناك منازعا لعجلان من غير ولاية . وعجلان هو المستبّد بها مع سلوك سيرة العدل والإنصاف والتجافى عن أموال الرعية والتعرض للجاورين إلى أن توفى سنة سبع وسبعين وسبعائة .

وولّى بعده ابنه أحمد، وكان قد فوّض إليه الأمر في حياته وقاسمه في أمره، فقام أحمد بأمر مكة جاريا على سنن أبيه في العدل وحسن السيرة، ومات في رمضان سنة ثمان وثمانين وسبعائة في الدولة الظاهرية برقوق .

(١) عبارة التعريف "وهي الآن في رميثة وهو الخ ."

فولّى مكانه أبنة محمد، وكان صغيراً في كفالة عمه كيش بن عجلان فبقى حتى وثب عليه فداوى عند ملاقة الحمل فقتله ؛ ودخل أمير الركب إلى مكة فولّى عنان ابن مغامس بن رميثة مكانه .

ثم لحق على بن عجلان بالأبواب السلطانية بمصر فولاه الظاهر برقوق سنة تسع وثمانين وسبعائة شريكاً لعنان، وسار مع أمير الركب إلى مكة فهرب عنان ودخل على بن عجلان مكة فاستقل بإمارتها ؛ ثم وفد على بن عجلان على السلطان بمصر سنة أربع وتسعين فأفردته بالإمارة وأنزل عنان بن مغامس عنده وأحسن إليه ، ثم أعقله بعد ذلك وبقي على بن عجلان في إمارة مكة حتى قتل بطن مرّ في سنة سبع وتسعين وسبعائة . فولّى السلطان ابن أخيه حسن بن أحمد مكانه وأستبدّ بإمارة مكة وهو بها إلى هذا العهد . وهو حسن ، بن أحمد ، بن عجلان ، بن رميثة ، بن أبي نميّ محمد ، بن أبي سعد على ، بن أبي عزيز قتادة ، بن إدريس ، بن مطاعن ، بن عبد الكريم ، بن موسى ، ابن عيسى ، بن سليمان ، بن عبد الله ، بن أبي الكرام ، بن موسى الجون ، بن عبد الله ، ابن حسن ، بن الحسن السبط ، بن على بن أبي طالب رضى الله عنه .

الطرف السابع

(في ترتيب مكة المشرفة ؛ وفيه جملتان)

الجملة الأولى

(فيما هو بحاضرتها)

أما معاملاتها فعلى ما تقدّم في الديار المصرية والبلاد الشامية من المعاملة بالدنانير والدرهم الثّقرة ؛ وصنّجتها في ذلك كصنّجة الديار المصرية ، ويعبر عن الدرهم الثّقرة فيها بالكامل ، نسبة إلى الملك الكامل محمد بن أبي بكر بن أيوب صاحب مصر ،

وعندهم درهم آخر من فضة خالصة، مربع الشكل، زنته نحو نصف، ثم نقص حتى صار نحو سدس، يعبرون عنه بالمسعودي نسبة إلى الملك المسعود صاحب اليمن، وهو في المعاملة بثلاثي درهم كاملي،

ولم يكن بها في الزمن المتقدم فلوس يتعامل بها ثم راجت الفلوس الجُدُّد بها في أيام الموسم فيما قبل الدولة الظاهرية برقوق . ثم راجت في سائر الأوقات آخرًا، إلا أن كل درهم بها ثمانية وأربعون فلسًا على الضعف من الديار المصرية، حيث كل درهم فيها أربعة وعشرون فلسًا، ويعبر عن كل خمسة قراريط من الدرهم الكامل فيها بجائز، وعن الربع والسدس منه بجائزين، وتعتبر أوزانها بالبن : وهو مائتان وستون درهما، وأواقيهِ عشرة، كل أوقية عشرة دراهم، ويكيلها بالغرارة، وكل غرارة من غرائرها (١) وقياس قماشها بالذراع المصري، وأسعارها في الغالب مرتفعة عن سعر مصر والشام. وأما إمرتها فإنها إمرة أعرابية يمشي أميرها في إمرته على قاعدة أمراء العرب دون عادة الملوك في المواكب وغيرها، وأتباعه عرب، وأكثرهم من بني الحسن أشراف مكة، ويعبر عن أكابرهم بالقواد، وهم بمثابة الأمراء للملوك، وربما استخدم المماليك الترك ومن في معانهم .

وأكثر متحصّله مما يؤخذ من التجار الواردين إلى مكة من الهند واليمن وغيرهما . وأما تجهيز ركب الحجيج إليها ففي كل سنة يجهز إليها التحمل من الديار المصرية بكسوة البيت مع أمير الركب ويكسى البيت بالكسوة المجهزة مع التحمل، ويأخذ سدنة البيت الكسوة التي كانت على البيت، فيهادون بها الملوك وأشراف الناس، وداخل البيت كسوة أخرى من حرير منقوش لا تحتاج إلى التغيير إلا في السنين المتطاولة لعدم وصول الشمس ولس الأيدي إليها .

(١) بياض في الأصل .

ومن عادة أمير مكة أنه إذا وصل المحمل إلى ظاهر مكة خرج لملاقاته، فإذا وافاه
ترجل عن فرسه وأتى الجمل الحامل للمحمل فقلب خفف يده اليمنى وقبله خدمة
لصاحب مصر . وقد روى ابن التجار في تاريخ المدينة النبوية من طريق الحافظ
أبي نعيم إلى حسين بن مضعب أنه أدرك كسوة الكعبة يؤتى بها المدينة قبل أن
تصل إلى مكة فتشتر على الرضراض في مؤخر المسجد، ثم يخرج بها إلى مكة . وذلك
في سنة إحدى وثلاثين أو اثنتين وثلاثين ومائة .
وأعلم أن كسوة الكعبة لها حالان :

الحال الأولى - ما كان الأمر عليه في الجاهلية . قد روى الأزرق في "أخبار
مكة" : بسنده إلى أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم ! "نهى
عن سب أسعد الحيرى وهو تبع" وكان أول من كسا الكعبة . وذكر ابن إسحاق
عن غير واحد من أهل العلم أن أول من كسا الكعبة كسوة كاملة تبع وهو أسعد
أرى في منامه أن يكسوها فكساها الأنطاع ، ثم أرى أن آكسها فكساها الوصائل
ثياب حبرة من عصب الين ، وعن ابن جريج نحوه .

وعن ابن أبي مليكة أنه قال : بلغنى أن الكعبة كانت تكتسى في الجاهلية كسّى
شئ . كانت البدن تجلل الحبر والبرود والأكسية وغير ذلك من عصب الين ، وكان
يهدى للكعبة هدايا من كسّى شئ سوى جلال البدن : حبر وخزواتماط فتكسى منه
الكعبة، ويجعل مابقى في خزانة الكعبة . فإذا بلى منها شيء أخلف عليها مكانه ثوب
آخر، ولا ينزع بما عليها شيء .

وعن عبد الجبار بن الورد قال : سمعت ابن أبي مليكة يقول : كانت قريش
في الجاهلية ترافد في كسوة الكعبة، فيضربون ذلك على القبائل بقدر احتمالها، من عهد
قصي بن كلاب حتى نسا أبو ربيعة بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، وكان

يختلف إلى الين يتجر فيها فأثرى في المال، فقال لقريش : أنا أكسو الكعبة وحدي سنةً وجميع قُريش سنةً، فكان يفعل ذلك حتى مات : يأتي بالحبرِ الجندية من الجند فيكسو الكعبة ، فسمته قريش العدل لأنه عدل فعله بفعل قريش .

وروى الواقدي عن النوار بنت مالك أم زيد بن ثابت رضى الله عنه أنها قالت : رأيت قبل أن ألد زيد بن ثابت على الكعبة مطارف نحر أخضر وأصفر ، وكرار وأكسية الأعراب وشقاق شعر .

وعن ابن جريح أن الكعبة فيما مضى إنما كانت تكتسى يوم عاشوراء إذا ذهب آخر الحاج ، حتى كان بنو هاشم فكانوا يعلّقون القميص يوم التروية من الديباج لأن يرى الناس ذلك عليها بهاء وجمالا ، فإذا كان يوم عاشوراء علّقوا عليها الإزار .

وعن عطاء بن يسار عن عمر بن الحكم قال : نذرت أمي بدنة تتحرها عند البيت وجللتها شقتين من شعر ووبر فنحرت البدنة وسيرت للكعبة بالشقتين ، والنبي صلى الله عليه وسلم يومئذ بمكة لم يهاجر ، فنظرت إلى البيت يومئذ وعليه كُسى شئ من وصائل وأنطاع وكرار ونحو وتمارق عراقية ، كل هذا قد رأيته عليه .

قلت : حاصل الأمر أن الذى كُسيته الكعبة الأنطاع وحبرأت الين والبرود والكرار والأنماط والتمارق ومطارف النحر الأخضر والأصفر والأكسية وشقاق الشعر والوبر وغير ذلك .

الحال الثانية - ما كان الأمر عليه في صدر الإسلام وهلم جرا إلى زماننا .

أما في صدر الإسلام فقد روى الواقدي عن إبراهيم بن أبي حبيبة عن أبيه أن البيت كان في الجاهلية يُكسى الأنطاع فكساه النبي صلى الله عليه وسلم الثياب اليمانية ، ثم كساه عمر وعثمان رضى الله عنهما القباطى . وعن ابن أبي نجيح أن عمر

أَبْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَسَا الْكَعْبَةَ الْقَبَّاطِيَّ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ ، كَانَ يَكْتَبُ فِيهَا إِلَى مِصْرَ ، ثُمَّ عُثْمَانُ مِنْ بَعْدِهِ . فَلَمَّا كَانَ مَعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ كَسَاهَا كَسَوْتَيْنِ : كِسْوَةَ عُمَرَ الْقَبَّاطِيَّ وَكِسْوَةَ دِيْبَاجٍ ، وَكَانَتْ تَكْسَى الدِّيْبَاجُ يَوْمَ عَاشُورَاءَ ، وَتَكْسَى الْقَبَّاطِيَّ فِي آخِرِ شَهْرِ رَمَضَانَ .

وَرَوَى الْأَزْرَقِيُّ عَنْ نَافِعٍ قَالَ : كَانَ أَبُو عَمْرِو يَكْسُو بُدْنَهُ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَحْرِمَ الْقَبَّاطِيَّ وَالْجَبَرِ ، وَفِي رِوَايَةِ الْأَنْمَاطِ ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ عَرَفَةَ أَلْبَسَهَا إِيَّاهَا وَإِذَا كَانَ يَوْمُ النَّحْرِ نَزَعَهَا عَنْهَا ثُمَّ أَرْسَلَ بِهَا إِلَى شَيْبَةَ بْنِ عُثْمَانَ الْحَجَّيِّ فَنَاطَهَا عَلَى الْكَعْبَةِ . وَرَوَى الْوَاقِدِيُّ عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا يَنْذِرُونَ كِسْوَةَ الْكَعْبَةِ وَيُهْدُونَ إِلَيْهَا الْبُدْنَ عَلَيْهَا الْجَبَرَاتُ ، فَيَبْعُثُ بِالْجَبَرَاتِ إِلَى الْبَيْتِ كِسْوَةَ . فَلَمَّا كَانَ يَزِيدُ بْنُ مَعَاوِيَةَ كَسَاهَا الدِّيْبَاجَ الْخُسْرَوَانِيَّ ، فَلَمَّا كَانَ أَبُو الزَّيْرِ أَتَبَعَهُ عَلَى ذَلِكَ ، فَكَانَ يَبْعُثُ إِلَى أَخِيهِ مُصْعَبِ بْنِ الزَّيْرِ يَبْعُثُ بِالْكِسْوَةِ كُلِّ سَنَةٍ وَكَانَتْ تَكْسَى يَوْمَ عَاشُورَاءَ .

قَالَ الْأَزْرَقِيُّ : وَقَدْ قِيلَ إِنَّ ابْنَ الزَّيْرِ أَوَّلَ مَنْ كَسَاهُ الدِّيْبَاجَ . قَالَ أَبُو هَلَالٍ الْعَسْكَرِيُّ فِي كِتَابِهِ "الْأَوَائِلُ" : وَهُوَ الصَّحِيحُ .

وَذَكَرَ الْوَاقِدِيُّ عَنْ أَشْيَاخِهِ أَنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ مَرْوَانَ كَانَ يَبْعُثُ فِي كُلِّ سَنَةٍ بِالدِّيْبَاجِ مِنَ الشَّامِ فَيَمُرُّ بِهِ عَلَى الْمَدِينَةِ فَيُنْشَرُ يَوْمًا فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْأَسَاطِينِ هَاهُنَا وَهَاهُنَا ، ثُمَّ يَطْوَى وَيَبْعُثُ بِهِ إِلَى مَكَّةَ . وَقَدْ قِيلَ إِنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ أَوَّلَ مَنْ كَسَا الْكَعْبَةَ الدِّيْبَاجَ . قَالَ الْمَاورِدِيُّ : وَكَسَاهُ بَنُو أُمَيَّةٍ فِي بَعْضِ أَيَّامِهِمُ الْحُلَّالِ الَّتِي كَانَتْ عَلَى أَهْلِ نَجْرَانَ فِي جَزَيْتِهِمْ ، وَالدِّيْبَاجِ مِنْ فَوْقِهَا .

قَالَ الْأَزْرَقِيُّ : وَلَمَّا جَاءَ الْمُهَدِيُّ فِي سَنَةِ سِتِينَ وَمِائَتَيْنِ ، رُفِعَ إِلَيْهِ أَنَّ ثِيَابَ الْكَعْبَةِ قَدْ أُنْقَلَتْهَا وَيَخَافُ عَلَى جُذْرَانِهَا مِنْ ثِقَلِ الْكِسْوَةِ ، فَجَزَّهَا حَتَّى لَمْ يَبْقَ عَلَيْهَا شَيْءٌ مِنْ

الكسوة، ثم أفرغ عليها ثلاث كُسَى : قباطىّ ونزوديباج . ولما غلب حسينُ ابن حسن الطالبيّ على مكة في سنة مائتين، وجد ثيابها قد ثقلت عليها أيضا فخرّدها في أول يوم من المحرم وكساها كسوتين من قزّ رقيق إحداهما صفراء والأخرى بيضاء مكتوب بينهما .

”بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على محمد وعلى أهل بيته الطيبين الأخيار.“
 ”أمر أبو السرايا الأصغر بن الأصغر راعية آل محمد صلوات الله عليه وسلامه بعمل“
 ”هذه الكسوة لبيت الله الحرام“ .

وذكر الأزرقى عن جدّه أن الكعبة كانت تكسى في كل سنة كسوة ديباج يعنى أحمر وكسوة قَبَاطَى . فأما الديباج فتكساه يوم التروية ، فيعلق القميص ويدلّ ولا يخط ، وإذا صدر الناس من منى خيط القميص وترك الإزار حتى يذهب الحاج لثلا يخترقوه . فإذا كان يوم عاشوراء علق عليها الإزارُ يوصل بالقميص ، وكأن المراد بالإزار ما تدركه الأيدي في الطواف وبالقميص ما فوق ذلك إلى أعلى الكعبة ، فلا تزال هذه الكسوة الديباج عليها حتى يوم سبع وعشرين من شهر رمضان فتكسى القباطىّ القطن .

فلما كانت خلافة المأمون رفع إليه أن الديباج يئلى ويتخزق قبل أن يبلغ الفطر، فسأل المأمون صاحب بريد مكة في أى الكسوة الكعبة أحسن ؟ فقال له : في البياض ، فأمر بكسوة من ديباج أبيض ، عملت سنة ست ومائتين وبُعِث بها إلى الكعبة ، فصارت الكعبة تكسى ثلاث كسَى : تكسى الديباج الأحمر يوم التَّروِيَةِ ، وتكسى القباطىّ يوم هلال رجب ، وتكسى الديباج الأبيض يوم سبع وعشرين من شهر رمضان للفطر .

ثم رفع إلى المأمون أيضا أن إزار الديباج الأبيض يتخرق وييل في أيام الحج من مسّ الحاج قبل أن يُحاط عليها إزار الديباج الأحمر في عاشوراء ، فزادها إزار ديباج أبيض تُكسَاه يوم التَّروِيَةِ ، فيستر به ما تخرق من الإزار الذي كسيته .

ثم رفع إلى المتوكل في سنة أربعين ومائتين أن إزار الديباج الأحمر ييل قبل هلال رجب من مسّ الناس ومسحهم بالكعبة ، فزادها إزارين مع الإزار الأول ، فأزال قميصها الديباج الأحمر وأسله حتى بلغ الأرض ، ثم جعل الإزار فوقه ، في كل شهرين إزار ، ثم نظر المجبة فإذا الإزار الثاني لا يحتاج إليه ، فوضع في تابوت الكعبة وكتبوا إلى المتوكل أن إزارا واحدا مع ما أذيل من قميصها ، فصار يبعث بإزار واحد فتكسى بعد ثلاثة أشهر ، فيكون الذيل ثلاثة أشهر .

ثم في سنة ثلاث وأربعين ومائتين أمر المتوكل بإزالة القميص القباطي حتى بلغ الشاذروان الذي تحت الكسوة . قال الماوردي : ثم كسا المتوكل أساطينه الديباج .

وقد حكى المؤيد صاحب حماة في "تاريخه" أن الفاطميين خلفاء مصر في إمارة أبي الحسن جعفر من السليمانيين على مكة في سنة إحدى وثمانين وثلثمائة كسوا الكعبة البياض .

قلت : ثم رفع الأمر في خلفاء بني العباس ببغداد إلى شعارهم من السواد ، فلبسوا الكعبة الديباج الأسود ، ثم جرى ملوك مصر عند استيلائهم على الحجاز على لباسها السواد .

والذي جرى عليه الحال في زماننا إلى آخر الدولة الظاهرية برقوق وأوائل الدولة الناصرية ولده أن الكعبة تُكسى الديباج الأسود كسوة مسبلة من أعلى

الكعبة إلى أسفلها مرقوما بأعلىها طراز رقم بالبياض من أصل النسيج مكتوب فيه ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾ الآيات، وعلى الباب برقع من نسبة ذلك مرقوم فيه بالبياض ... (١) ... ثم في سنة ... (١) ... وثمانمائة في الدولة الناصرية فرج بن برقوق غير الطراز من لون البياض إلى لون الصفرة، فصار الرقم في السواد بحريير أصفر مقصَّب بالذهب، ولا يخفى أنه أنفُس من الأول والثاني أبهج منه لشدة مضادة ما بين البياض والسواد، ثم جعل بعض جوانب الكسوة ديباجا أسود على العادة، وبعضها كمخا أسود بجامات مرقوم فيها بالبياض "لا إله إلا الله محمد رسول الله". ثم جعل بعد ذلك برقع البيت من حرير أسود منشورا عليه المخايش الفضة الملبسة بالذهب فزاد نفاسة وعلا قيمة. ثم في سنة أربع عشرة وثمانمائة جعل واجهة الباب من الكسوة كمخا أزرق بجامات مكتوب فيها ... (٣) ... والله العالم ما كان وما يكون.

قلت : وحاصل ما تقدم أن الذي أشتملت عليه أصناف الكسوة في الإسلام الثياب اليمانية، والقباطى المصرية، والحبر والأنماط والحلل التجرانية، والديباج الأبيض، والديباج الأحمر، والديباج الأخضر، والديباج الأصفر، والديباج الأسود، والديباج الأزرق.

وأما تجريد الكعبة من ثيابها، فقد ذكر الأزرق أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يترع كسوة البيت في كل سنة فيقسمها على الحاج. وعن ابن أبى مليكة أنه قال : كانت على الكعبة كُسى كثيرة من كسوة أهل الجاهلية : من الأنطاع والأكسية والكرار والأنماط، فكانت رُكاماً بعضها فوق بعض.

(١) في الأصل بياض بهذا المقدار.

(٢) لعله وإن كان أبهج منه لشدة الخ تأمل.

(٣) في الأصل بياض بهذا المقدار.

فلما كسيت في الإسلام من بيت المال، كان يخفف عنها الشيء بعد الشيء إلى أن كانت أيام معاوية فكتب إليه شيبه بن عثمان المحبِّيُّ يرغب إليه في تخفيفها من كسئي الجاهلية حتى لا يكون عليها شيء مما مسته أيديهم لنجاستهم، فكتب إليه معاوية أنَّ جَرَدَهَا، وبعث إليه بكسوة من ديباج وقباطى وَحَبْرَة، فجَرَدَهَا شيبه حتى لم يبق عليها شيء، وكساها الكسوة التي بعث بها معاوية، وقسم الثياب التي كانت عليها بين أهل مكة؛ وكان ابن عباس حاضرا في المسجد وهم يجردونها فلم ينكر ذلك ولا كرهه .

وروى أن عائشة رضى الله عنها أنكرت على شيبه ذلك ، وقالت له بعها وأجعل ثمنها في سبيل الله، وكذلك ابن عباس .

وروى الواقدي عن أم سلمة رضى الله عنها أنها قالت : إذا نزع عن الكعبة ثيابها فلا يضرها من لبسها من الناس من حائض أو جنب . وقد تقدم أن المهدي جردها حين حج في سنة ستين ومائتين؛ وحسين^(١) الطالبي جردها في سنة مائتين .

قلت : والذي استقر عليه الحال في زماننا أنها لا تُلبَس في كل سنة غير كسوة واحدة على ما تقدم بيانه، وذلك أن الكسوة تعمل بمصر على النمط المتقدم، ثم تُحمَلُ صحبة الركب إلى مكة فيُقطع ذيل الكسوة القديمة على قدر قامة من جدار الكعبة ويظهر من الجدار ما كان تحته، ويبقى أعلاها معلقا حتى يكون يوم فتخلع الكسوة العتيقة وتعلق الجديدة مكانها ، ويكسئ المَقَام من نسبة كسوة الكعبة ، يأخذ بنو شيبه الحجة الكسوة العتيقة فيهدونها للججاج ولأهل الآفاق . وقد زاد رفدهم فيها من حين حصلت المغالاة في كسوة الكعبة وبرقعها على ما تقدم .
” اللهم زد هذا البيت تشريفا وتعظيما، وتكريما ومهابة“ .

(١) صوابه ومائة . أنظر تاريخ خلافة المهدي .

(٢) بياض في الأصل .

وَأَعْلَمُ أَنَّ جِدَارَ الْكَعْبَةِ كَانَ عَزِيزَ الرُّوْيَةِ حِينَ كُنْتَ الْكَسُوةَ تَتَرَاكُمُ عَلَيْهَا وَلَا يَجُزُّدُ عَنْهَا شَيْءٌ، حَتَّى إِنْ الْأَزْرَقُ حَكَى عَنْ جَدِّهِ أَنَّهُ تَبَجَّحَ بِرُؤْيَةِ جِدَارِهَا حِينَ جُرِّدَتْ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ وَمِائَتَيْنِ، وَأَنَّهُ رَأَى جِدَارَ الْبَابِ الْمَسْدُودِ الَّذِي كَانَ عَمَلُهُ ابْنُ الزُّبَيْرِ فِي ظَهَرِهَا وَسَدَّهُ الْحَجَّاجُ، وَشَبَّهَ لَوْنَ جِدَارِهَا بِالْعَبْرِ الْأَشْهَبِ .

الجملة الثانية

(فَمَا هُوَ خَارِجٌ عَنْ حَاضِرَتِهَا)

أَكْثَرُ مَنْ هُوَ بِبَادِيَتِهَا وَأَوْدِيَتِهَا الْقَرْيَةُ مِنْهَا بَنُو الْحَسَنِ الْأَشْرَافِ . وَقَدْ ذَكَرَ فِي "التَّعْرِيفِ" مِنْ عَرَبِ الْحِجَازِ لَامٌ، وَخَالِدٌ، وَالْمُتَفَقُّ، وَالْعَالِدُ، وَزَادَ فِي "مَسَالِكِ الْأَبْصَارِ": ذَكَرُ زَيْدٌ، وَبَنُو عَمْرٍو، وَالْمَضَارِجَةُ، وَالْمَسَاعِيدُ، وَالزَّرَاقُ، وَآلُ عَيْسَى، وَآلُ دَعَمٍ، وَآلُ جَنَاحٍ، وَالْحَبُورُ . ثُمَّ قَالَ : وَدِيَارُهُمْ يَتَلَوُّ بَعْضُهَا بَعْضًا . قَالَ الْحَمْدَانِيُّ : وَشَرْقَى مَكَّةَ حَلِيجَةٌ، وَبَنُو هَزْرٍ وَمَنَازِلُهُمْ يَبِشَّةٌ .

وَمِنْهُمْ مَنْ خَنَعُوا بَنُو مُنْبَهٍ، وَبَنُو فَصِيلَةَ، وَمَعَاوِيَةَ، وَآلُ مَهْدِيٍّ، وَبَنُو نَصْرٍ، وَبَنُو حَاتِمٍ، وَالْمَوْرَكَةُ، وَآلُ زِيَادٍ، وَآلُ الصَّعَافِيرِ، وَالشَّامَاوِيلُ . ثُمَّ قَالَ : وَمَنَازِلُهُمْ غَيْرُ مُتَبَاعِدَةٍ .

أَمَّا الْعُرْبَانُ بِالْدَرْبِ الْمَصْرِيِّ إِلَى مَكَّةَ، فَمِنْ بَرَكَةِ الْحَجَّاجِ إِلَى عَقَبَةِ أَيْلَةٍ لِلْعَائِدِ مِنْ عَرَبِ الشَّرْقِيَّةِ، وَمِنْ الْعَقَبَةِ إِلَى الدَّامَاءِ دُونَ عُيُونِ الْقَصَبِ لِبَنِي عُقْبَةَ، وَمِنْ الدَّامَاءِ إِلَى أَكْدَى لَيْلٍ، وَمِنْ أَكْدَى إِلَى آخِرِ الْوَعَرَاتِ لِحُيَّيَّةَ، وَمِنْ آخِرِ الْوَعَرَاتِ إِلَى نَهَايَةِ بَدْرِ إِلَى نَهَايَةِ الصَّفَرَاءِ، وَتَقَبَّ عَلَى لَبْنِي حَسَنِ أَصْحَابِ الْيَنْبُغِ، وَيَلِيهِمْ مِنْ أَقَارِبِهِمْ مِنْ بَنِي حَسَنِ أَصْحَابِ بَدْرِ إِلَى رَمْلَةِ عَالِجٍ فِي طَرَفِ قَاعِ الْبَزْوَةِ، وَمِنْ

الصفراء إلى المحفة ورابع لزبيد، ومن المحفة على قديد وما حولها إلى الثنية المعروفة بعقبة السويق لسليم، ومن الثنية على خليص إلى الثنية المشرفة على عسفان إلى الفج المسما بالمحاطب لبنى جابر، وهم في طاعة صاحب مكة، ومن المحاطب إلى مكة المعظمة لصاحب مكة وبنى الحسن .

القاعدة الثانية

(المدينة الشريفة النبوية، على ساكنها أشرف الخلق محمد أفضل الصلاة والسلام والتحية والإكرام، وفيها ثلاث جبل)

الجملة الأولى

(في حاضرتها)

المدينة ضبطها معروف، وهو اسم غلب عليها، وبه نطق القراءان الكريم في قوله تعالى : ﴿ يَقُولُونَ لَنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ ﴾ . وقوله : ﴿ وَمَنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ﴾ . واسمها القديم يثرب وبه نطق القراءان في قوله تعالى : ﴿ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ ﴾ .

قال الزجاجي : وهو يثرب، بن قانية، بن مهلائيل، بن إرم، بن عييل، بن عوص، ابن إرم، بن سام، بن نوح، هو الذي بناها، وورد ذكره في الحديث أيضا . قال الشيخ عماد الدين بن كثير في " تفسيره " وحديث النبی عن تسميتها بذلك ضعيف، وسماها الله تعالى الدار بقوله : ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ . وسماها النبي صلى الله عليه وسلم طيبة (فتحت الطاء المهملة وسكون الياء وفتح الباء الموحدة بعدها هاء) وطابة بإبدال الياء بعد الطاء بألف . قال النووي : وهما من الطيب وهو الرائحة الحسنة، وقيل من الطيب خلاف الرديء، وقيل من الطيب بمعنى

الطاهير ، وقيل من طيب العيش . وزاد السهلي في أسمائها الحائرة بالجم والباء
الموحدة ، والمحبّة ، والمحبوّة ، والقاصّة ، والمحبورة ، والعذراء ، والمرحومة ؛ وكانت
تدعى في الجاهلية غلبة لأن اليهود غلبوا عليها العالقي ، والأوس والخزرج غلبوا عليها
اليهود . قال صاحب حماة : وهى من الحجاز ، وقيل من نجد ، وموقعها قريب من
وسط الإقليم الثانى من الأقاليم السبعة . قال فى كتاب "الأطوال" : وطولها خمس
وستون درجة وثلاث ، وعرضها إحدى وعشرون درجة . وقال فى " القانون " :
طولها سبع وستون درجة ونصف ، وعرضها إحدى وعشرون درجة وثلاث .
وقال ابن سعيد : طولها خمس وستون درجة وثلاث ، وعرضها خمس وعشرون
درجة وإحدى وثلاثون دقيقة . وقال فى "رسم المعمور" : طولها خمس وستون
درجة وعشرون دقيقة ، وعرضها خمس وعشرون درجة .

وقد ذكر صاحب "الهتاء الدائم ، بولد أبى القاسم" أن أول من بناها تبع^ه
الأول ، وذكر أنه مّر بمكانها وهى يومئذ منزلة بها أدين ماء ، فأخبره أربعائة عالم من
علماء أهل الكتاب لهم عالم يرجعون إليه أن هذا موضع مهاجر نبي يخرج فى آخر
الزمان من مكة اسمه محمد ! وهو إمام الحق ، فأمن بالنبي صلى الله عليه وسلم !
وبنى المدينة ، وأتزلهم بها وأعطى كلا منهم مالا يكفيه وكتب كتابا فيه :

"أما بعد يا محمد فإني آمنت بك وبربك ، وبكل ما جاء من ربك"
"من شرائع الإسلام والإيمان ، وإني قلت ذلك فإن أدركك فيها"
"ونعمت ، وإن لم أدركك فاشفع لى يوم القيامة ، ولا تنسني فإني من"
"أمتك الأولين ، وتابعتك قبل مجيئك ، وقبل أن يرسلك الله ، وأنا على"
"ملة أبيك إبراهيم !"

وختم الكتاب ونقش عليه : ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ ، وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ
الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ﴾ .

وكتب عنوانه .

”إلى محمد بن عبد الله خاتم المرسلين ، ورسول رب العالمين ، صلى الله
عليه وسلم ! من تبع الأول حمير ، أمانة الله في يد من وقع إليه أن يدفعه“
”إلى صاحبه“

ودفع الكتاب إلى رئيس العلماء المذكورين ، وتداوله بنوه بعده إلى أن هاجر
النبي صلى الله عليه وسلم ! إلى المدينة فلقاه به بعض أولاد ذلك العالم بين مكة
والمدينة ، وتاريخ الكتاب يومئذ ألف سنة بغير زيادة ولا نقص . وقيل في بنائها غير
ذلك ، وهي مدينة متوسطة في مستو من الأرض ، والغالب على أرضها السباخ ،
وفي شمالها جبل أحد ، وفي جنوبها جبل عير ، وكان عليها سور قديم وبخارجها
خندق محفور ، وهو الذي حفره النبي صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب .

وفي سنة ست وثلاثين ومائتين بنى عليها إسحاق بن محمد الجعدي سورا منيعا ،
وجدده عضد الدولة بن بويه الديلمي في سنة اثنتين وسبعين وثلثمائة ، وهو باق عليها
إلى الآن ، ولها أربعة أبواب : باب في الشرق يُخرج منه إلى البقيع ، وباب في الغرب
يُخرج منه إلى العقيق وقبائ ، وبين يدي هذا الباب جداول ماء جارية ، وبوسطها
مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ! وهو مسجد متسع إلا أنه لم يبلغ في القدر مبلغ
مسجد مكة .

قال ابن قتيبة في ”كتاب المعارف“ : وكان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم !
حبشيا باللبن وسقفه الجريد وعمده النخل ، ولم يزد فيه أبو بكر شيئا ، وزاد فيه عمر ،

ثم غيّر عثمان وزاد فيه عثمان زيادة كبيرة، وبنى جداره بالحجارة المنقوشة وبالقصّة، وجعل عمّده من حجارة منقوشة، ووسعه المهدي سنة ستين ومائة؛ وزاد فيه المأمون زيادة كبيرة في سنة اثنتين ومائتين؛ ولم تزل الملوك تتداوله بالعِمارة إلى زماننا .

وبه الحجرة الشريفة التي بها قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ! وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما . بحجرتيه الشريفة دائرٌ عليه مقصورةٌ مرتفعة إلى نحو السقف، عليه ستر من حرير أسود؛ وخارج المقصورة بين القبر والمنبر الروضة التي أخبر صلى الله عليه وسلم ! أنها روضة من رياض الجنة .

وقد ذكر أهل الأثر : أن المنبر كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ! ثلاث درجات بالمقعد، وارتفاعه ذراعان وثلاث أصابع، وعرضه ذراع راجح، وارتفاع صدره وهو الذي يستند إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ! ذراع، وارتفاع رُمانتيه اللتين كان يمسكهما صلى الله عليه وسلم ! بيديه الكريمتين إذا جلس شبراً وأصبعان، وفيه خمسة أعواد من جوانبه الثلاثة؛ وبقى على ذلك إلى أيام معاوية فكتب إلى مروان : عامله على المدينة أن أرفعه عن الأرض فزاد من أسفله ست درجات ورفعها عليها فصار له تسع درجات بالمجلس . قيل : وصار طوله أربعة أذرع وشبرا .

ولما حج المهدي بن المنصور العباسي سنة إحدى وستين ومائة، أراد أن يعيده إلى ما كان عليه فأشار عليه الإمام مالك بتركه خشية التهاق فتركه ؛ ويقال : إن المنبر الذي صنعه معاوية ورفّع منبر النبي صلى الله عليه وسلم عليه، تهاقت على طول الزمان، وجدّده بعض خلفاء بني العباس وأتخذ من بقايا أعواد منبر النبي صلى الله عليه وسلم أمشاطاً للتبرك، ثم احترق هذا المنبر لما احترق المسجد في مستهل رمضان سنة أربع وخمسين وستمائة أيام المستعصم بالله، وشغل المستعصم عن عمارته بقتال

التار، فعمل المظفر صاحب اليمن المنبر، وبعث به إلى المدينة سنة ست وخمسين وستمائة، فنصب في موضع منبر النبي صلى الله عليه وسلم! فبقى إلى سنة ست وستين وستمائة، فأرسل الملك الظاهر بيبرس صاحب مصر المنبر الموجود الآن فأزيل ذلك ووضع هذا وطوله أربعة أذرع، ومن رأسه إلى عتبته سبعة أذرع تزيد قليلا، ودرجاته سبع بالمقعد والأمر على ذلك إلى الآن.

الجملة الثانية

(في نواحيها وأعمالها، وهي على ضريين)

الضرب الأول

(جهاها ومرافقها)

وأعلم أن المدينة الشريفة حرمي، حماه النبي صلى الله عليه وسلم وحرمه كما حرم إبراهيم عليه السلام مكة. قال في "الروض المطار": جهاها اثنا عشر ميلا؛ وخارج بابها الشرق البقيع المتقدم ذكره، وهو مدفن أكثر أمواتها، وهو بالباء الموحدة في أوله، ويسمى بقيع الغرقيد بفتح الغين المعجمة وسكون الراء المهملة وفتح القاف ودال مهملة في الآخر. قال "الأصمعي": سمي بذلك لأنه قُطع مابه من شجر الغرقيد يوم مات عثمان رضي الله عنه. وبه قبر إبراهيم بن النبي صلى الله عليه وسلم! من مارية القبطية، وقبر الحسن بن علي بن أبي طالب؛ وإلى جانبه قبر العباس: عم رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ وقبر عثمان بن عفان رضي الله عنه في قبة دونهما، وقبر مالك بن أنس إمام المذهب المعروف؛ وحول المدينة حدائق النخل الأنيقة؛ وثمرها من أطيب الثمر وأحسنه، وغالب قوت أهلها منه.

الضرب الثاني

(في مخالفتها وقراها ، والمشهور منها ثمانية أما كن)

الأول - (قُبَاء) - بضم القاف وفتح الباء الموحدة وألف في الآخر - ويروى بالمد والقصر والمد أشهر . قال في "الروض المعطار" : ومن العرب من يذكره فيصرفه ، ومنهم من يؤنثه فلا يصرفه . قال : وسميت قُبَاءً بيئر كانت بدار توبة بن الحسن ابن السائب بن أبي لبابة يقال لها قُبَاء ، وهي قرية غربي المدينة على ميلين منها ، وبها مسجد التقوى الذي أخبر الله تعالى عنه بقوله : ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ﴾ . وقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأتي قُبَاء كل يوم سبت راكباً وماشيئاً ، ومُصَلِّاً بها مشهور .

الثاني - (خير) - بفتح الخاء المعجمة وسكون الياء المثناة تحت وفتح الباء الموحدة وراء مهملة في الآخر - قال الزجاجي : سميت بخَيْرٍ بن قانية وهو أول من نزلها ، وهي بلدة بالقرب من المدينة الشريفة . قال ابن سعيد : طولها أربع وستون درجة وست وخمسون دقيقة ، وعرضها سبع وعشرون درجة وعشرون دقيقة . وهي بلدة عامرة أهلة ذات نخيل وحدائق ومياه تجري . قال في "تقويم البلدان" : وهي بلدة بنى عنزة من اليهود ، والخَيْرُ في لغة اليهود الحصن ، وهي في جهة الشمال والشرق عن المدينة على نحو ست مراحل وقيل أربع مراحل . قال الإدريسي : وهي ذات نخيل وزرع ، وكانت في صدر الإسلام داراً لبني قُرَيْظَةَ والنَّضِيرِ ، وبها كان السَّمُوعِلُ بن عاديّ الشاعر المشهور .

الثالث - (قَدَك) - بفتح الفاء والdal المهملة وكاف في الآخر - قال الزجاجي : سميت بقَدَك بن حام ، وقيل : سميت بَقِيد بن حام ، وهو أول من نزلها . قال

في "الروض المطار": وبينها وبين المدينة يومان، وحِصْنُهَا يقال له الشمرُوخ على القرب من خير، وكان أهلها قد صالحوا النبي صلى الله عليه وسلم! على النصف من ثمارها في سنة أربع من الهجرة، ولم يُوجِف عليها المسلمون بخيل ولا رِكَّاب فكانت له صلى الله عليه وسلم خالصةً، وكان معاوية بن أبي سفيان قد وهبها لمروان بن الحكم، ثم آرتجعها منه لمَوجِدة وجدها عليه. فلما ولي عمرُ بن عبد العزيز الخلافة، ردّها إلى ما كانت عليه في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانت تُغلّ في أيام إمرته عشرة آلاف دينار، يتجافى عنها.

الرابع - (الصفراء) - مؤنث أصفر - وهو واد على ستّ مراحل من المدينة كثير المزارع والمياه والحدائق. أخبرني بعض أهل الحجاز أن به أربعة وعشرين نهراً على كل نهر قرية، ووعيوته تصب فضلها إلى ينبع، وهو بيد بن حسن الشرفاء.

الخامس - (ودّان) - بفتح الواو وتشديد الدال المفتوحة وألف ثم نون - وهو واد به قرى خراب لا تحصى كثرة.

السادس - (القرع) - بضم الفاء وسكون الراء المهملة وبالعين المهملة - وهو واد في جنوبى المدينة على أربعة أيام منها يشتمل على عدة قرى أهلة، أخبرني بعض أهل الحجاز أن به أربعة عشر نهراً على كل نهر قرية، وماؤها يصب في رابغ حيث يُحرم مُحجَّاج مصر، وعليها طريق المُشاة من مكة إلى المدينة. قال في "الروض المطار": ويقال إنها أول قرية مارّت إسماعيل عليه السلام التمر بمكة، وهى الآن بيد بن حرب.

السابع - (الجار) - قال في "اللباب": بفتح الجيم وألف وراء مهملة - وهى قُرُضة المدينة الشريفة على ثلاث مراحل منها. قال ابن حوقل: وبينها وبين ساحل الجُحفة نحو ثلاث مراحل، منه عن أيلة على نحو عشرين مرحلة.

الثامن - (وَادَى الْقُرَى) - بضم القاف وفتح الراء المهملة وألف في الآخر جمع قرية . قال في "الروض المعطار" : وهي مدينة كثيرة النخيل والبساتين والعيون ، وبها ناس من وَلَدِ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وهم الغالبون عليها ، وتُعرف بالوَادِيَيْنِ ؛ والذي أخبرني به بعض أهل الحجاز أنه كان بها عيون كثيرة عليها عدّة قُرَى فخربت لاختلاف العرب ، وهي الآن خراب لا عامر بها ولو عمرت أغنت أهل الحجاز عن الميرة من غيرها .

قلت : وبالحق الإدريسي في "نزهة المشتاق" فعّد من مخاليفها تيماء ودومة الجندل ، ومدّين ، والتحقيق خلاف ذلك .

فأما تيماء - بفتح التاء المثناة من فوق وسكون الياء المثناة من تحت وميم ثم ألف في الآخر - فقد عدها في "تقويم البلدان" : من بادية الشام تقريبا . قال في "العزيزي" : وهي حاضرة طيء وبها الحصن المعروف بالأبلق المنسوب إلى السّمّوعِل بن عَاديَا . قال في "تقويم البلدان" : وهي الآن أعمر من تبوك ، وبها نخيل قائمة .

وأما دومة الجندل فقال في "تقويم البلدان" : هو موضع فاصل بين الشام والعراق على سبع مراحل من دِمَشْق ، وبينه وبين المدينة الشريفة ثلاث عشرة مرحلة . وأما مدّين فقد تقدّم ذكرها في الكلام على كُورِ مصر القديمة ، ووقع الكلام عليها هناك وإن كان الحق أنها من ساحل الحجاز .

الجملة الثالثة

(في ذكر ملوك المدينة وأمرائها، وهم على ضربين)

الضرب الأول

(من قبل الإسلام، وهم ثلاث طبقات)

الطبقة الأولى

(التبابعة)

قد تقدم في الكلام على بنائها نقلا عن صاحب "الهناء الدائم" : أن تبعاً الأول هو الذي بناها وأسكنها جماعة من علماء أهل الكتاب، وكتب كتاباً وأودعه عندهم^(١) ليوصله من أدركه من أبنائهم إليه، وبقى الكتاب عندهم يتوارثونه حتى هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة فتلقيه من صار إليه الكتاب منهم وأوصل الكتاب إليه . وحينئذ فيكون أول من ملكها التبابعة .

الطبقة الثانية

(العائلة من ملوك الشام)

قال السهيلي : وأول من نزلها منهم يثرب، بن عييل، بن مهلائيل، بن عوص، ابن عملاق، بن لاوذ، بن إرم، بن سام، بن نوح عليه السلام فسميت به . قال في "الروض المعطار" : وكانت هذه الأمة من العالقي يقال لها جاسم، وكانوا قد استولوا على مكة وسائر الحجاز، وكانت قاعدة ملكهم تيماء، وكان آخر ملوكهم الأرقم بن أبي الأرقم .

(١) أى إلى النبي صلى الله عليه وسلم كما تقدم قريباً .

الطبقة الثالثة

(ملوكها من بنى إسرائيل وَمَنْ أَنْضَمَ إِلَيْهِمْ مِنَ الْأَوْسِ وَالخَزْرَجِ)

قال في "الروض المعطار": لما ظهر موسى عليه السلام على فِرْعَوْنَ، بعث بعثاً من بنى إسرائيل إلى الحجاز وأمرهم أن لا يَسْتَبِقُوا^(١) منها أحداً بلغ الحُلُمُ، فقتلوه^(٢)م حتى آتَهِمُ إلى ملكهم الأرقم بَنِيَاءَ فقتلوه وأبقوا له أبناً صغيراً ليرى موسى عليه السلام فيه رأيه . فلما رجعوا به إلى الشام وجدوا موسى عليه السلام قد تَوُفَّى ، فقال لهم الناس : عَصَيْتُمْ وخالفتم أمر نبيكم، وحالوا بينهم وبين الشام ، فقال بعضهم لبعض : خَيْرٌ مِنْ بَلَدِكُمُ الْبَلَدُ الَّذِي خَرِجْتُمْ مِنْهُ ، فعادوا إلى الحجاز فقتلوه ، فكان ذلك أَوَّلَ سُكْنَى اليهود الحجاز ، فقتل جمهورهم بمكان يقال له يَثْرِبُ يجتمع السيول وتآخذوا الآطام والمنازل ، ونزل معهم جماعةٌ من أحياء العرب من بَلَى وجُهَيْنَةَ .

وكانت يثرب أمَّ قرى المدينة وهى ما بين طرف قُبَاءَ إلى الجُرْفِ ؛ ثم لما كان من سِيلِ الْعَرَمِ باليمن ما كان ، تفرَّقَ أهل مَآرِبَ ، فَأَتَى الْأَوْسُ وَالخَزْرَجُ يثرب لليهود فحاربوهم ، وكان آخر الأمر أن عقدوا بينهم وبينهم جَوَاراً وَأَشْتَرَكُوا وتحالفوا ، فلم يزلوا على ذلك زماناً طويلاً ، فصارت للأوس والخزرج ثروة ومال وعز جانبهم تخافهم اليهود ، فقطعوا الحِلْفَ ، وخافهم الأوس والخزرج فبعثوا إلى مَنْ لَهُمْ بِالشَّامِ فَأَعَانُوهُمْ حَتَّى أَذَلُّوا الْيَهُودَ وغلَّبوهم عليها ، وبقيت بأيديهم حتى جاء الإسلام وهاجر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إليها وهم رؤسائها وحُكَّامُهَا .

(١) أى من العالقي والأوضح منهم .

(٢) فى المعجم "أبنا شابا جيلا" وهو الأنسب .

الضرب الثاني

(من في زمن الإسلام، وهم أربع طبقات)

الطبقة الأولى

(من كان بها في صدر الإسلام)

كان بها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن توفى في سنة إحدى عشرة من الهجرة . ثم أبو بكر الصديق رضي الله عنه إلى أن توفى سنة اثنتي عشرة من الهجرة . ثم عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أن قتل في سنة ثلاث وعشرين . ثم عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى أن قتل في سنة خمس وثلاثين . ثم علي بن أبي طالب كرم الله وجهه إلى أن قتل سنة أربعين . ثم الحسن بن علي بن أبي طالب إلى أن سلم الأمر لمعاوية سنة إحدى وأربعين من الهجرة النبوية .

الطبقة الثانية

(عمال الخلفاء من بنى أمية)

وُلِّيَ عليها معاوية سنة اثنتين وأربعين من الهجرة (مروان بن الحكم) . ثم عزله سنة تسع وأربعين وولَّى مكانه (سعيد بن العاص) . ثم عزله سنة أربع وخمسين وردَّ إليها (مروان بن الحكم) . ثم عزله سنة تسع وخمسين وولَّى مكانه (الوليد بن عتبة ابن أبي سفيان) .

ثم عزله يزيد بن معاوية عن المدينة والحجاز وولَّى مكانه (عمرو بن سعيد الأشدق) ثم عزله سنة إحدى وستين وأعاد (الوليد بن عتبة) .

ثم استعمل ابن الزبير عند غلبته على المدينة أخاه (مُضْعَبًا) سنة خمس وستين؛ ثم نقله إلى البصرة وولّى مكانه (جابر بن الأسود) بن عوف الزهري؛ ثم ولّى مكانه (طلحة بن عبد الله) بن عوف .

ثم غلب عبد الملك بن مروان على الخلافة فبعث على المدينة (طارق بن عمرو) فغلب عليها طلحة بن عبد الله وأتبعها منه . ثم أنفرد عبد الملك بالخلافة وولّى على المدينة والحجاز واليمن واليمامة (الحجاج بن يوسف) وعزل طارقا عن المدينة وجعله من جُنْدِه . ثم ولّى عليها سنة سبع وسبعين (أبان بن عثمان) . ثم عزله في سنة اثنتين وثمانين وولّى مكانه (هشام بن إسماعيل المخزومي) .

ثم كانت خلافة الوليد بن عبد الملك فعزل هشام بن إسماعيل وولّى مكانه (عثمان ابن حيان) .

ثم تولى عليها (أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم) أيام سليمان بن عبد الملك . ثم استعمل عليها عمر بن عبد العزيز في خلافته (عبد العزيز بن أرطاة) . ثم عزله يزيد بن عبد الملك سنة ثلاث ومائة وولّى مكانه (عبد الرحمن بن الضحاك) وأضاف إليه مكة؛ ثم عزله ثلاث سنين من ولايته وولّى مكانه على مكة والمدينة (عبد الواحد النضري) .

ثم عزله هشام بن عبد الملك وولّى عليها وعلى مكة (إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومي) . ثم عزله هشام سنة أربع عشرة ومائة وولّى مكانه بالمدينة خاصية (خالد ابن عبد الملك بن الحرث بن الحكم) . ثم عزله سنة ثمان عشرة ومائة وولّى مكانه (محمد بن هشام بن إسماعيل) .

ثم ولّى الوليد بن يزيد في خلافته خاله (يوسف بن محمد بن يوسف الثقفي) على المدينة وسائر الحجاز في سنة أربع وعشرين ومائة . ثم عزله يزيد في خلافته في سنة

ست وعشرين ومائة وولّى مكانه (عبد العزيز بن عمرو بن عثمان) . ثم ولى مروان^(١) على المدينة وسائر الحجاز . ثم عزله في سنة سبع وعشرين ومائة وولّى مكانه (عبد العزيز ابن عمر بن عبد العزيز) . ثم عزله في سنة تسع وعشرين ومائة وولّى مكانه على المدينة وسائر الحجاز (عبد الواحد) .

الطبقة الثالثة

(عُمّالها في زمن خلفاء بني العباس)

لما ولى السفّاح الخلافة ولى على المدينة والحجاز واليمن واليمامة عمّه (داود) . ثم توفى داود سنة ثلاث وثلاثين ومائة فولّى مكانه في جميع ذلك (زياد بن عبد الله ابن عبد المّدان الحارثي) . ثم ولى سنة ثلاث وأربعين ومائة على المدينة (محمد بن خالد ابن عبد الله القسري) . ثم أتهمه في أمر فعزله وولّى مكانه (رياح بن عثمان المزي) فقتله أصحاب محمد المهديّ؛ فولّى مكانه (عبيد الله بن الربيع الحارثي) . ثم عزله المنصور سنة ست وأربعين ومائة وولّى مكانه على المدينة (جعفر بن سليمان) . ثم عزله في سنة خمسين ومائة وولّى مكانه (الحسن بن زيد بن الحسن) . ثم عزله المنصور في سنة خمس وخمسين ومائة وولّى مكانه عمّه (عبد الصمد بن علي) . ثم عزله المهديّ في خلافته سنة تسع وخمسين ومائة وولّى مكانه (محمد بن عبد الله الكثيري) . ثم عزله وولّى مكانه (عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن صفوان) . ثم عزله وولّى مكانه (زفر بن عاصم) . ثم تولّى على المدينة والحجاز (جعفر ابن سليمان) . ثم كان بها (محمد بن عيسى) بعد مدّة ،

(١) لم يذكر من ولاة ولعل الصواب ثم ولاة مروان [أي أقره] على المدينة الخ وأنظر الكلام على مكة

فيما سبق . (٢) في الكامل "محمد بن عبيد الله الخ" .

وعزله المتوكل وولّى مكانه (المستنصر بن المتوكل) . وتوالى عليها عمّال بنى العباس إلى عشر السنين والمائة .

الطبقة الرابعة

(أمراء الأشراف من بنى حُسين الذين منهم الأمراء المستقرون في إمارتها إلى الآن)

كانت الرياسة بالمدينة آخرا لبنى الحسن بن عليّ .

وكان منهم أبو جعفر عبد الله ، بن الحسين الأصغر ، بن عليّ زين العابدين ، ابن الحسين السبط ، بن عليّ ، بن أبي طالب رضى الله عنه .

وكان من جملة ولده جعفر حجة الله ، ومن ولده الحسن ، ومن ولد الحسن يحيى الفقيه النّسابة ، كانت له وجّاهة عظيمة ونفّر ظاهر ، وتوفى سنة ست وسبعين ومائتين ، ومن ولده أبو القاسم طاهر بن يحيى ، ساد أهل عصره وبنى دارا بالعقيق ونزلها ، وتوفى سنة ثلاث عشرة وثلثمائة .

وكان من ولده الحسن بن طاهر رحل إلى الأخشيدي بمصر ، وهو يومئذ ملكها ، فأقام عنده وأقطعه الأخشيدي ما يُغَلُّ في كل سنة مائة ألف دينار وأسقط بمصر ، وكان له من الولد طاهر بن الحسن ، وتوفى سنة تسع وعشرين وثلثمائة ، وخلف أبنه محمدا الملقب بمسلم ، وكان صديقا لكافور الأخشيدي صاحب مصر ، ولم يكن في زمنه بمصر أوجه منه . ولما آختل أمر الأخشيدي دعا مسلم هذا للعز صاحب إفريقية يومئذ . ولما قدم المعز إلى الديار المصرية بعد فتح جوهر القائد لها ، تلقاه مسلم بالجمال بأطراف برقة من جهة الديار المصرية ، فأكرمه وأركبه معدلا له وأختص به ، ثم توفى سنة ست وستين وثلثمائة فصلى عليه المعز ، وكانت له جنازة عظيمة .

وكان من ولد مسلم هذا طاهر أبو الحسين فلحق طاهر بالمدينة الشريفة
فقدمه بنو الحسين على أنفسهم وأستقل بإمارتها سنين، وكان يلقب بالمليح، وتوفي
سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة، وولى بعده أبوه (الحسين بن طاهر) وكنيته أبو محمد.
قال العتبي: وكان موجودا في سنة سبع وتسعين وثلاثمائة وغلبه على إمارتها بنوعم أبيه
أبي أحمد القاسم بن عبيد الله بن طاهر بن يحيى بن الحسن بن جعفر حجة الله وأستقلوا بها.
وكان لأبي أحمد القاسم من الولد داود ويكنى أبا هاشم. وقال العتبي: الذي
ولى بعد طاهر بن مسلم صهره وأبن عمه داود بن القاسم بن عبيد الله بن طاهر،
وكناه أبا علي.

وقال ابن سعيد: ملك أبو الفتوح الحسن بن جعفر من بنى سليمان إمرة مكة
والمدينة سنة تسعين وثلاثمائة بأمر الحاكم العبيدي وأزال إمرة بنى الحسين منها،
وحاول الحاكم نقل الجسد الشريف النبوي إلى مصر ليلا فهاجت بهم ريح عظيمة
أظلم منها الجو، وكادت تقتلع المباني من أصلها، فردهم أبو الفتوح عن ذلك وعاد
إلى مكة ورجع أمراء المدينة إليها.

وكان لداود بن القاسم من الولد مهنا وهاني والحسن. قال العتبي: ولى هاني
ومنها وكان الحسن زاهدا.

وذكر الشريف الحزاني النسابة هنا أميرا آخر منهم وهو أبو عمارة مدّة كان
بالمدينة سنة ثمان وأربعمائة. قال: وخلف الحسن بن داود أبوه هاشم وولى المدينة
سنة ثمان وعشرين وأربعمائة من قبل المستنصر.

قال: وخلف مهنا بن داود عبيد الله والحسين وعمارة فولى بعده أبوه عبيد الله
وكان بالمدينة سنة ثمان وأربعمائة وقتله موالى الهاشميين بالبصرة، ثم ولى الحسين وبه
أبوه مهنا بن الحسين.

قال الشريف الخزاني : وكان لمهنا بن الحسين من الولد الحسين وعبد الله وقاسم فولى الحسين المدينة وقتل عبد الله في وقعة نخلة . وذكر صاحب حجة من أمرائها منصور بن عمار الجسني وأنه مات في سنة خمس وتسعين وأربعمائة وقام ولده مقامه ولم يسمه ؛ ثم قال وهم من ولد مهنا . [وذكر منهم أيضا القاسم بن مهنا ^(١)] حضر مع صلاح الدين بن أيوب فتح أنطاكية سنة أربع وثمانين وخمسمائة .

وذكر ابن سعيد عن بعض مؤرخي الحجاز أنه عد من جملة ملوكها قاسم بن مهنا وأنه ولده المستغني فأقام خمسا وعشرين سنة ومات سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة وولى ابنه سالم بن قاسم .

قال السلطان عماد الدين صاحب حجة في " تاريخه " : وكان مع السلطان ^(٢) صلاح الدين يوسف بن أيوب في فتوحاته يتبرك به ويتمن بصحبته ويرجع إلى قوله . وبقى إلى أن حضر إلى مصر للشكوى من قتادة فمات في الطريق قبل وصوله إلى المدينة . وولى بعده ابنه شيعة وقتل سنة سبع وأربعين وستمائة ، وولى ابنه عيسى مكانه . ثم قبض عليه أخوه جحّاز سنة تسع وأربعين وستمائة وملك مكانه ، وهو الذي ذكر المقر الشهابي بن فضل الله في " التعريف " : أن الإمرة في بيته إلى زمانه . قال ابن سعيد : وفي سنة إحدى وخمسين وستمائة ، كان بالمدينة أبو الحسين بن شيعة بن سالم . وقال : غيره كان بالمدينة سنة ثلاث وخمسين وستمائة .

وولى أخوه جحّاز فطال عمره وعمى ومات سنة أربع أو خمس بعد السبعائة .

وولى بعده ابنه منصور بن جحّاز ، ثم وفد أخوه مقبل بن جحّاز على الظاهر بيبرس بمصر ، فأشرك بينهما في الإمرة والإقطاع ، ثم غاب منصور عن المدينة وأستخلف ابنه

(١) أى المكنى بأبي فليته ، والزيادة عن ابن خلدون ليستقيم الكلام . (٢) أى قاسم المكنى أبا فليته .

(٣) أى سالم بن قاسم .

كبيشة فهجم عليه مقبل وملكها من يده ولحق كُبَيْشَةُ بأحياء العرب فاستجاشهم وهجم المدينة على عمه مقبل فقتله سنة تسع وسبعائة، ورجع منصور إلى إمارته، وبقي ماجدُ ابن مقبل يستجيشُ العرب على عمه منصور بالمدينة ويخالفه إلى المدينة كلما خرج منها، ثم زحف ماجدُ سنة سبع عشرة وسبعائة، وملكها من يد عمه منصور، فاستصرخ منصور بالملك الناصر محمد بن قلاوون صاحب مصر، فأنجده بالعساكر وحاصروا ماجدا بالمدينة ففر عنها وملكها منصور، ثم سخط عليه السلطان الملك الناصر فعزله، وولّى أخاه وديّ بن جَمَّاز أياما، ثم أعاد منصورا إلى ولايته، ثم هلك منصور سنة خمس وعشرين وسبعائة؛ فولّى ابنه كبيشة مكانه فقتله عسكر ابن عمه وديّ وعاد وديّ إلى الإمارة، ثم توفي وديّ؛ فولّى طُفَيْل بن منصور بن جَمَّاز وأتفرّد بإمرتها، وهو الذي ذكر المقر الشهابيّ في "التعريف": أنه كان أميرها في زمانه، وبقي إلى سنة إحدى وخمسين وسبعائة فوقع النهب في الركب، فقبض عليه الأمير طاز أمير الركب؛ وولّى مكانه سيفاً من عقب جَمَّاز، ثم ولي بعده فضل من عقب جَمَّاز أيضاً، ثم ولي بعد فضل مائع من عقب جَمَّاز، ثم ولي جَمَّاز بن منصور، ثم قتل بنيد الغداوية أيام الملك الناصر حسن بن الناصر محمد بن قلاوون، وأتفق أمراء الركب على تولية ابنه هبة إلى حين يرد عليهم من السلطان ما يعتمدونه، ثم ورد أمر السلطان بتولية هبة من عقب وديّ فعزل وديّ وولى مكانه، ثم ولي بعده عطية بن منصور بن جَمَّاز، فأقام سنين، ثم عزل وولى هبة بن جَمَّاز، ثم عزل وأعيد عطية، ثم توفي عطية وهبة وولى جَمَّاز بن هبة بن جَمَّاز، ثم عزل وولى نُعَيْر بن منصور بن جَمَّاز، ثم قتل، فوثب جَمَّاز بن هبة على إمارة المدينة وأستولى عليها، فعزله السلطان؛ وولّى ثابت بن نُعَيْر، وهو بها إلى الآن في سنة تسع وتسعين وسبعائة. وهو ثابت،

أَبْنِ جَمَاز، بَنِ هَبَةَ، بَنِ جَمَاز، بَنِ مَنْصُور، بَنِ جَمَاز، بَنِ شَيْخَةَ، بَنِ سَالِم، بَنِ قَاسِم،
 أَبْنِ جَمَاز، بَنِ قَاسِم، بَنِ مَهْنَأ، بَنِ الْحُسَيْن، بَنِ مَهْنَأ، بَنِ دَاوُد، بَنِ الْقَاسِم،
 أَبْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ، بَنِ طَاهِر، بَنِ يَحْيَى، بَنِ الْحُسَيْن، بَنِ جَعْفَرِ حُجَّةِ اللَّهِ، بَنِ عَبْدِ اللَّهِ،
 أَبْنِ الْحُسَيْنِ الْأَصْغَر، بَنِ عَلِيٍّ زَيْنِ الْعَابِدِينَ، بَنِ الْحُسَيْنِ السَّبْط، بَنِ عَلِيٍّ بَنِ أَبِي
 طَالِبٍ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ .

وإمرتها الآن متداولة بين بنى عطية وبين بنى جَمَاز، وهم جميعا على مذهب
 الإمامية الرافضة يقولون بإمامة الأئمة عشر إماما وغير ذلك من معتقدات الإمامية،
 وأمرء مكة الزيدية أخف في هذا الباب شأنا منهم .

الجملة الثالثة

(في ترتيب المدينة النبوية)

أما معاملاتها فعلى ما تقدم في الديار المصرية من المعاملة بالدنانير والدرهم، والأمر
 في الفلوس على ما تقدم في مكة؛ ويعتبر وزنها في المبيعات بالمنّ وهو مائتان وستون درهما
 على ما تقدم في مكة؛ ويعتبر كيلها بالمد، وقياس قماشها بالذراع الشامي؛ وأسعارها
 نحو أسعار مكة، بل ربما كانت مكة أرخص سعرا منها لقربها من ساحل البحر بمجدة .
 وأما إمارتها فإمارة أعرابية كما في مكة من غير فرق .

وأما وفود الحجج عليها، فقد جرت العادة أن كل من قصد السبق في العود إلى
 الديار المصرية من الجند وغيرهم يزور النبي صلى الله عليه وسلم ! عند ذهاب الركب
 إلى مكة ثم يعود بعد الحج إلى مصر من غير تعريض على المدينة، وبقي الحجج وأمير
 الركب لا يأتونها للزيارة إلا بعد انقضاء الحج .

وأعلم أن كسوة الحجرة الشريفة ليست مما يحدّد في كل سنة كفاي كسوة الكعبة، بل كلّما بليت كسوة جدّدت أخرى، ويقع ذلك في كل نحو سبع سنين أو ما قاربها، وذلك أنها مصّونة عن الشمس، بخلاف كسوة الكعبة فإنها بارزة للشمس فيسرع بلاءها .

وقد حكى ابن النجار في " تاريخ المدينة " أن أول من كسا الحجرة الشريفة الثياب الحسين بن أبي الهيجاء صهر الصالح طلائع بن رزيك وزير العاضد، والعاضد آخر الخلفاء الفاطميين، عمل لها ستارة من الديبقي الأبيض عليها الطرز والجلمات المرقومة بالإبريسم الأصفر والأحمر، مكتوب عليها سورة يس بأسرها، والخليفة العباسي يومئذ المستضيء بأمر الله .

ولما جهزها إلى المدينة، أمتنع قاسم بن مهنا أمير المدينة يومئذ من تعليقها حتى يأذن فيه المستضيء فنقذ الحسين بن أبي الهيجاء قاصدا إلى بغداد في استئذانه في ذلك فأذن فيه، فعلمت الستارة على الحجرة الشريفة نحو سنتين . ثم بعث المستضيء ستارة من الإبريسم البفسجي عليها الطرز والجلمات البيض المرقومة، وعلى دوائر جاماتها مرقوم " أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي " وعلى طرازها اسم الإمام المستضيء بالله، فقلعت الأولى ونقذت إلى مشهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه بالكوفة، وعلمت ستارة المستضيء مكانها . ثم عمل الناصر لدين الله في خلافته ستارة أخرى من الإبريسم الأسود فعلمت فوق تلك . ثم عملت أم الخليفة الناصر بعد حجها ستارة على شكل ستارة ابنها المتقدمة الذكر فعلمت فوق الستارتين السابق ذكرهما .

قال ابن النجار : ولم يزل الخلفاء في كل سنة يُرسِلون ثوبا من الحرير الأسود عليه علم ذهب يكسّى به المنبر . قال : ولما كثرت الكسوة عندهم أخذوها فجعلوها ستورا

على أبواب الحرم ، ولم يزل الأمر على ذلك إلى حين انقراض الخلافة من بغداد ، فتولى ملوك الديار المصرية ذلك كما تولوا كسوة الكعبة على ما تقدم ذكره .

قلت : والستارة الآن من حرير أسود عليها طرز من قوم بحرير أبيض ، وآخر من عملها في العشر الأول من الثمانمائة السلطان الملك الظاهر برفوق .

وقد ذكر ابن النجار في " تاريخ المدينة " أيضا أن الناصر لدين الله العباسي كان يرسل في كل سنة أربعة آلاف دينار للصدقة وألفا ونحوها ذراع قطن لتكفين من يموت من الفقراء ، خارجا عما يجهزه للعمارة ، وما يُعده من القناديل والشيرج والشمع والنّد والغالية المرّبة والعود : لأجل تبخير المسجد .

وذكر عن يوسف بن مسلم أن زيت قناديل مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ! كان يُحمل من الشام حتى آتقطع في ولاية جعفر بن سليمان الأخيرة على المدينة فجعله على سوق المدينة . ثم لما ولي داود بن عيسى في سنة ثمان وسبعين ومائة ، أخرجه من بيت المال ، ثم ذكر أنه كان في زمانه في خلافة الناصر لدين الله يصل الزيت من مصر من أوقاف بها سبعة وعشرين قنطارا ، كل قنطار مائة وثلاثون رطلا بالمصري ، ومائة وستون شعبة ما بين كبيرة وصغيرة ، وعُلبت فيها مائة مثقال نَد .

الباب الرابع

من المقالة الثانية

(في الممالك والبلدان المحيطة بمملكة الديار المصرية ؛ وفيه أربعة فصول)

الفصل الأول

(في الممالك والبلدان الشرقية عنها ، وما يخروط في سلكها من شمال
أو جنوب ؛ وفيه أربعة مقاصد)

المقصد الأول

(في الممالك الصائرة إلى بيت جنكرخان ؛ وفيه جملتان)

الجملة الأولى

(في التعريف باسم جنكرخان ومصير الملك إليه ، وما كان له

من الأولاد ، وتقسيمه الملك فيهم)

أما اسمه فقد ذكر في "مسالك الأبصار" : عن الشيخ شمس الدين الأصفهاني
أن اسمه في الأصل تبرجين ، وأنه لما عظم شأنه سمي جنكرخان . وقد ذكر
في "مسالك الأبصار" عن بعضهم : أن الصواب في النطق به جنكص خان . بالصاد
بدل الزاي .

وأما نسبه فقد ذكر في "مسالك الأبصار" أيضا أنه جنكرخان ، بن بيسوكي ، بن
بهادر ، بن تومان ، بن برتيل خان ، بن تومنيه ، بن بادستقر ، بن تيدوان ديوم ، بن بغا ،
أبن بودنجه ، بن ألانقوا ، وألانقوا هذه امرأة من قبيلة من التتر تسمى قبات من
أعظم قبائلهم شمرة ، كانت متروجة بزواج أولدها ولدين اسم أحدهما بكتوت ، والآخر

بلكتوت ، ومن عقبهما الطائفة المعروفة في قبائل التتر بالدلوكة إلى الآن ؛ ثم مات زوج ألانقوا أبو هذين الاثنين وبقيت ألانقوا أيمًا فحملت فأُنكر عليها الحمل ، وحملت إلى ولي أمرهم حينئذ فسألها من حملت ؟ فقالت : إنى كنت جالسة وفرجى مكشوف ، فترل نور ودخل في فرجى ثلاث مرات فحملت منه هذا الحمل ، وأنا حامل بثلاثة ذكور ، كل مرة من دخول ذلك النور بذكر ، فأمهلوني حتى أضع . فإن وضعت ثلاثة ذكور فأعلموا صدق ، وإلا فدونكم وما ترون ؛ فأمهلوها حتى ولدت فأتت بثلاثة ذكور ، فسَمَّتْ أحدهم يوقن قوتاغى ، والثانى بوسن ساغى ، والثالث بودنجر ، وهو جد جنكرخان . وأولاد هذه الثلاثة يعرفون بين التتر بالنورانين نسبة إلى النور الذى زعمت أنه دخل فرجها فحملت منه . قال في "مسالك الأبصار" : "وهذه أكذوبة قبيحة ، وأحدوثه غير صحيحة ؛ وإن صحت عن المرأة فلعلها كانت قد سمعت بقصة مريم البتول عليها السلام ، فأحتالت لسلامة نفسها بالتشبه بشأنها" .

وأما مصير الملك إليه فقد اختلف فيه على مذهبين .

أحدهما - ما حكاه في "مسالك الأبصار" عن الصاحب علاء الدين بن عطاء ملك الجوينى : أنه كان يملك الترك ملك من عطاء الملوك يدعى أربك خان ، فتردد إليه جنكرخان في حال صغره وخدمه ، فتوسم فيه النجابة فقرّبه وأدناه وزاده في الارتقاء على أقاربه ، فحسدوه فوشوا به إلى الملك حتى غيروه عليه فأضمر له المكاييد ؛ وكان بالقرب من أربك خان ملكهم صغيران يخدمانه فأطلعا على ما أضمره الملك لجنكرخان وعرفاه ما أضمره الملك له وحذرَاه ؛ وكان جنكرخان قد لَفَّ لفيفا عظيمًا فجمع لفيفه من قبائل التتر وقصد ذلك الملك في جيوشه ، وكان من أعظم القبائل المحيية لدعوته قبيلتان : إحداهما تدعى إديرات والأخرى فيقورات . مع قبيلته قبات المقدم ذكرها ،

(١) وجد في العبر (ج ٥ ص ٥٢٥) فرق في الأسماء ولم نعلم الصواب لجمعها فليتنبه .

بفرد العساكر لأزبك خان وجرت الحرب بينهما فقتل أزبك خان وملك جنكرخان وقرب كلاً من الصغيرين وجعل كلاً منهما ترخانا، وكتب لهما بفراغهما من جميع المؤن والكلف إلى سبعة أبطن من أولادهما .

والثاني - ماحكاه السلطان عماد الدين صاحب حماة في "تاريخه" : عن محمد بن أحمد بن علي المنشي : كاتب إنشاء السلطان جلال الدين محمد بن خوارزم شاه : أن مملكة الصين كانت منقسمة من قديم الزمان إلى ستة أجزاء كل جزء منها مسيرة شهر، يتولى أمر كل جزء منها خان نيابة عن خاتهم الأعظم بطمغاج قاعدة الصين .^(١) إلى أن كان خاتهم الأكبر في زمان السلطان خوارزم شاه يسمى الطرخان، وكان من جملة الخانات الستة الذين ينوبون عنه شخص يسمى دوشي خان ، وكان متزوجاً بعمة جنكرخان فمات دوشي خان زوج عمة جنكرخان ، فحضر جنكرخان إلى عمته معزياً ، وكان يجاور دوشي خان من الخانات الستة يسمى أحدهما كشلوخان والآخر قلان ، فأرسلت زوجة دوشي خان إليهما بنعى زوجها إليهما وتلاطفانهما في استقرار جنكرخان ابن أخيها مكانه في الخانية على أن يكونا معاضدين له ، فأجابها إلى ذلك . فاستقر جنكرخان في الخانية مكان دوشي خان زوج عمته ، فبلغ ذلك الخات الأعظم الطرخان فأنكر ذلك على كشلوخان وقلان المذكورين ، فاتصل ذلك بهما فاجتمعا هما وجنكرخان وخلعوا طاعة الطرخان ، ثم مات أحد الخاتين وخلف أبنا اسمه كشلوخان فغلب جنكرخان على ملكه ، ثم مات الخات الآخر وأستقل جنكرخان بالملك ، ثم غلب على خوارزم شاه ، ثم على ابنه جلال الدين وأستقل بما وراء النهر .

(١) في تاريخ أبي الفدا "بطوغاغ وهي واسطة الصين" .

وأما أولاد جنكرخان فقد ذكر في "مسالك الأبصار" : عن الصاحب علاء الدين الجويني المتقدم ذكره أنه كان له عدة أولاد ذكور وإناث من الخواتين والسراري ، وكان أعظم نسائه أوبولى ، من تيكى ، ومن رسم المغل تعظيم الولد بنسب والدته ، وكان له من هذه أربعة أولاد معدين للأولاد^(١) الخطيرة ، هم لتخت ملكه بمنزلة أربع قوائم ؛ وهم توشى وجفطاي ، وهو أصغرهم ، وأوكداى ، وأوتكين نويان ، وأنه جعل موضعه نقطة دائرة ملكه وبنيه حوله كمحيط الدائرة ، بفعل ابنه أوكداى ولى عهده ورتبه لما يتعلق بالعقل والرأى والتدبير والولاية والعزل واختيار الرجال والأعمال وعرض الجيوش وتجهيزها ، وكان موضعه فى حياة أبيه حدود ايمك وقراباق . فلما جلس بعد أبيه على تخت الملك ، أنتقل إلى الموضع الأصلي بين الخطا وبلاد الايغور ، وأعطى ذلك الموضع لولده كيوك . وجعل لابنه أوتكين حدود بلاد الخطا ؛ وعين لابنه الكبير توشى حدود قيالق (؟) إلى أقصى سفسفين (؟) وبلغار ، ورتبه على الصيد والقنص ؛ وجعل لابنه جفطاي حدود بلاد الأيغور إلى سمرقند ونبخارا ، ورتبه لتنفيذ النابات والأمور والمقابلات وما أشبه ذلك . قال ابن عطاء ملك : وكانت أولاده وأحفاده تزيد على عشرة آلاف .

وذكر عن الشيخ شمس الدين الأصفهاني أن جنكرخان أولد أربعة أولاد ، وهم جوجى : وهو أكبرهم ، وكداى ، وطولى ، وأوكداى ، فقتل جوجى فى حياة أبيه وخلف أولادا . قال ابن الحكيم الطيارى : وهم باتو ويقال : باطو ، وأورده ، وبركه ، وتولى ، وحتى . قال الشيخ شمس الدين المذكور : والمشهور باتو وبركه ، وأوصى بأن يكون تحتة لولده الصغير أوكداى وأن تكون مملكة ما وراء النهر وما معه لولده الآخر كداى ؛ وجعل لابنه جوجى دشت القبيحاق وما معه وأضاف إليه إيران وتبريز وهمدان

(١) لعله معدون للأحوال .

ومراغة، ولم يحصل لطولى شيء . فلما مات جنكرخان أستقل أوكداى بتخت أبيه ،
وأستقل جوجى بدشت القبجاق وما معه ، وأستقل باتو بن جوجى فيما جعله جدّه
جنكرخان لأبيه جوجى من إيران وتبريز وما مع ذلك ، ولم يتمكن كداى من مملكة
ماوراء النهر، ثم مات أوكداى مالك التخت وملك بعده ولده كيوك، وكان جبارا
قوى النفس فحكم على بنى أبيه فقهرهم وأنزع ما بيد باتو بن جوجى من إيران
وسائر مامعها، وأقام بها أميرا اسمه الجكرأى . ثم جرى بينهم اختلاف كان آخر
الأمر فيه أن أُمسك الجكرأى وقتل وحمل إلى باتو بن جوجى وطبخه وأكله، فبلغ
ذلك كيوك صاحب التخت فشق عليه وجمع ستمائة ألف فارس، وجمع باتو للقاءه
وسار كل منهما لمحاربة الآخر حتى كان بينهما عشرة أيام مات كيوك فكتب
خواتينه إلى باتو يعلمونه بموته ويسألونه فى أن يكون عوضه على تخت جنكرخان،
فلم يرض ذلك وميزله منكوتان بن تولى بن جوجى بن جنكرخان، وجهاز معه إخوته
قبلاى خان وهولاكو : ولدا تولى، ووجه معهم باتو أخاه بركة بن جوجى فى مائة ألف
فارس للجلسة على التخت ثم يعود ، فتوجه بركة بمنكوتان فأجلسه على التخت ،
ثم عاد فمز فى طريقه ببخارا، فأجتمع فيها بالشيخ شمس الدين الباخرزى من أصحاب
شيخ الطريقة نجم الدين كيزى وحادثه فحسّن موقع كلامه منه فأسلم على يده ، وهو
أول من أسلم من بيت جنكرخان، وأشار الباخرزى على بركة بموالة المستعصم خليفة
بنى العباس ببغداد يومئذ، فكتبه وهاداه وتردّدت الرسل والمكاتبات بينهما . ثم إن
منكوتان بعد أستقلاله بتخت جدّه جنكرخان ملك أولاد جفطاي مملكة ماوراء النهر
تنفيذا لما كان جنكرخان أوصى به لأبيهم جفطاي كما تقدّم ومات دونه، وعلت كلمة
منكوتان صاحب التخت ووصلت إليه كتب أهل قزوین وبلاد الجبال يشكون
من سوء مجاورة الملاحدة : وهم الإسماعيلية فجهاز إليهم منكوتان أخاه مكوقان^(١) لقتال

(١) لعله هولاكو كما يؤخذ من بقية الكلام .

الملاحدة وأخذ قلاعهم ، وأن يضم إلى ذلك بلاد الخليفة المستعصم فبلغ ذلك بركة
 ابن جوجى فشق عليه لصداقته مع الخليفة ، وكلم أخاه باتو فى ذلك فكتب باتو
 إلى هولاكو بمنعه من التعرض لممالك الخليفة ، فوافاه الكتاب قبل أن يعبر نهر
 جيحون ، فأقام هناك سنتين حتى مات باتو وتسلطن أخوه بركة بعده فكتب هولاكو
 إلى أخيه منكوتان يستأذنه فى إنفاذ ما كان عزم عليه من أخذ ممالك الخليفة
 وحسن له ذلك فلم يأذن له فيه فأصر هولاكو على عزمه فأوقع بالملاحدة وقتل جماعة
 آتهمهم بمالأة بركة ، وأشتد فى البلاد وقصد دشت القبيجاى بلاد بركة فدهمه بركة
 بعساكره فكانت الدائرة على هولاكو فكر راجعا ودخل بلاد الخليفة وقبض عليه
 وقتله وملك بلاده . وكان أمر الله قدرا مقدورا !

الجملة الثانية

(فى عقيدة جنكرخان وأتباعه فى الديانة إلى أن أسلم من أسلم منهم وما جرت

عليه عادتهم فى الآداب وحالهم فى طاعة ملوكهم)

أما عقيدتهم فقد قال الصاحب علاء الدين بن عطاء ملك الجوينى : إن الظاهر
 من عموم مذاهبهم الإدانة بوحدانية الله تعالى ، وأنه خلق السموات والأرض ،
 وأنه يحيى ويميت ، ويعنى ويفقر ، ويعطى ويمنع ، وأنه على كل شىء قدير ، وأن منهم
 من دان باليهودية ، ومنهم من دان بالنصرانية ، ومنهم من أطرح الجميع ، ومنهم من
 تقرب بالأصنام . قال : ومن عادة بنى جنكرخان أن كل من آتبع منهم مذهباً لم ينكره
 الآخر عليه ، ثم الذى كان عليه جنكرخان فى التدبىر وجرى عليه أعقابُه بعده الجرى
 على منهاج ياسة التى قررها ، وهى قوانين نمنها من عقله وقزرها من ذهنه ، رتب فيها
 أحكاما وحدد فيها حدودا ربما وافق القليل منها الشريعة المحمدية ، وأكثرها مخالف

لذلك سماها الياسة الكبرى، وقد آكتبها وأمر أن تجعل في خزانته تُتوارث عنه في أعقابه وأن يتعلمها صغار أهل بيته .

منها أن من زنى قتل ، ومن أعان أحد خصمين على الآخر قتل ، ومن بال في الماء قتل ، ومن أعطى بضاعة نخسر ثم أعطى ثانيا نخسر ثم أعطى ثالثا نخسر قتل ، ومن وقع حملهُ أو قوسه فمتر عليه غيره ولم ينزل لمساعدته قتل ، ومن وجد أسيرا أو هاربا أو عبدا ولم يرده قتل ، ومن أطعم أسير قوم أو سقاه أو كساه بغير إذنه قتل ، إلى غير ذلك من الأمور التي رتبها ممامم داثون به إلى الآن ، وربما دان به من تحلّى بحلية الإسلام من ملوكهم . ومن معتقدهم في ذبح الحيوان أن تُلفّ قوائمه ويشق جوفه ويدخل أحدهم يده إلى قلبه فيمرسه بيده حتى يموت أو يخرج قلبه . ومن ذبح ذبحة المسلمين ذبح .

وأما عاداتهم في الأدب فكان من طريق جنكركخان أن يعظم رؤساء كل ملة ويتخذ تعظيمهم وسيلة إلى الله تعالى ، ومن حال التتر في الجملة إسقاط المؤن والكلف عن العلّوين وعن الفقهاء والفقراء والزهاد والمؤذنين والأطباء وأرباب العلوم على اختلافهم ومن جرى هذا المجرى .

ومن آدابهم المستعملة أن لا يأكل أحد من يد أحد طعاما حتى يأ كل المُطعم منه ولو كان المُطعم أميرا ولا يأكل أسيرا ، ولا يختص أحد بالأكل وحده بل يطعم كل من وقع بصره عليه ، ولا يمتاز أمير بالشّيع من الزاد دون أصحابه بل يقسمونه بالسّوية ، ولا يخطو أحد موقد نار ولا طبقا رآه ، ومن آجّاز بقوم يأكلون فله أن يجلس إليهم ويأكل معهم من غير إذن ، وأن لا يدخل أحد يده في الماء بل يأخذ منه ملء فيه

(١) في الخطط للقرى (ص ٢٢٠ ج ٢) ما نصه "ولا يخطى أحد نارا ولا مائدة ولا طبق الذي يؤكل عليه" .

(١) ويغسل يديه ووجهه، ولا يبول أحدٌ على الرماد . ويقال إنهم كانوا لا يرون غسل ثيابهم البتة، ولا يميزون بين طاهر ونجس .

ومن طرائفهم أنهم لا يتعصبون لمذهب ، وأن لا يتعترضوا لمال ميت أصلا، ولو ترك ملء الأرض، ولا يدخلونه خزائن السلطان .

ومن عاداتهم أنهم لا يُفخِّمون الألقاظ، ولا يعظمون في الألقاب حتى يقال في مراسيم السلطان ”القان بكذا“ من غير مزيد ألقاب .

وأما حالهم في طاعة ملكهم فإنهم من أعظم الأمم طاعة لسلطانهم، لا مال ولا لجأ بل ذلك دأب لهم حتى إنه إذا كان أمير في غاية من القوة والعظمة وبينه وبين السلطان كما بين المشرق والمغرب متى أذنب ذنبا يوجب عقوبة وبعث السلطان إليه من أخس أصحابه مَنْ يأخذه بما يجب عليه ألقي نفسه بين يدي الرسول ذليلا ليأخذه بموجب ذنبه، ولو كان فيه القتل .

ومن طريق أمرائهم أنه لا يتردد أمير إلى باب أمير آخر، ولا يتغير عن موضعه المعين له . فإن فعل ذلك عوقب أو قتل، وإذا عرضوا آلات الحرب على أمرائهم وقوا في العرض حتى بالخيط والإبرة، ورعاياهم قائمون بما يُلزمون به من جهة السلطان طيبةً به نفوسهم، وإن غاب أحد من الرجال قام النساء بما عليهم .

(١) عبارة الخطط ”وألزمهم أن لا يدخل أحد منهم يده في الماء ولكنه يتناول الماء بشيء يفرقه به“ .

المهـمـيـع الثاني^(١)

(في ذكر ممالك بني جنكرخان على التفصيل، وهي مملكتان)

المملكة الأولى

(مملكة إيران)

^(٢) بفتح الهمزة وسكون الياء المشناة تحت والراء المهملة وألف ثم نون . وهي مملكة الفرس، وتعرف بإيران بن آشور بن سام بن نوح عليه السلام، وهو أول من ملكها وأضيفت إليه وعرفت به . قال في "التعريف" : وهي مملكة الأكاسرة . ثم قال : وهي من الفرات إلى نهر جيحون حيث بلغ، ومن البحر الفارسي وما صاقبه من البحر الهندي إلى البحر المسمى بالفلزم بحر طبرستان، وهي المملكة الصائرة إلى بيت هولوكو . قال : وقد دخل فيها مملكة الهياطلة، وهي مملكة مازندران وما يليها إلى آخر كيلان، وطبرستان واقعة بين مازندران وكيلان، ومازندران الآخذة شرقا، وكيلان الآخذة غربا .

وقال في "مسالك الأبصار" : هذه المملكة طولاً من نهر جيحون المحيط بآخر خراسان إلى الفرات القاطع بينها وبين الشام، وعرضها من كرمان المتصل بالبحر الفارسي المنقسم من البحر الهندي، إلى نهاية ما كان يبدقياً الملوك السلجوقية بالروم على نهاية حدود العلّايا وأنطاليا من البحر الرومي . قال : ويفصل في الجانب الشمالي بين هذه المملكة وبين بلاد القبحاق النهر المجاور لباب الحديد المسمى باللغة التركية دقربو، وبحر طبرستان المسمى بحر الخزر . ثم قال : وأخبرني الفاضل نظام الدين أبو الفضل يحيى بن الحكيم الطياري أن هذه المملكة تكاد تكون مربعة، فيكون

(١) لعله المقصد الثاني فإن التقسيم كان بالمقاصد .

(٢) ضبطه ياقوت بالكسر .

طولها بالسير المعتاد أربعة أشهر ، وعرضها أربعة أشهر . وهي من أجل ممالك الأرض ، وأوسطها في الطول والعرض ، متوسطة في الطول والعرض . وإذا أنصفت كانت هي قلب الدنيا على الحقيقة ، ذات أقاليم كثيرة ومدن كبيرة ، مشتملة على رساتيق وأعمال وخطط وجهات ، وهي ممتدة من بلاد الشام وما على سمتها إلى بلاد السند والهند وما والاها .

ولها جانبان : جنوبي وشمالي .

الجانب الأول

(الجنوبي)

ويشتمل على ستة أقاليم :

الإقليم الأول

(الجزيرة الفراتية)

وهي أقرب أقطار هذه المملكة لمملكة الديار المصرية والشامية لمجاورتها بلاد الشام . قال في "تقويم البلدان" : ويحيط بها الفرات من حدود بلاد الروم ، وهو طرف الحد الغربي الجنوبي للجزيرة . فيمتد الحد الجنوبي الغربي مع الفرات إلى مَلْطِيَّة ، إلى شِمَاط ، إلى قلعة الروم ، إلى البيرة ، إلى قبالة منبج ، إلى السن ، إلى الرقة ، إلى قرقيسيا ، إلى الرحبة ، إلى هيت ، إلى الأنبار . ثم يخرج الفرات عن تحديد الجزيرة ويعطف الحد من الأنبار إلى تكريت ، وهي على نهر دجلة ، إلى بلس ، إلى الحديثة على دجلة إلى الموصل . ثم يعطف من الموصل إلى جزيرة ابن عمر ، إلى آمد . ثم يصير الحد غربيا ممتدا بعد أن يتجاوز آمد على حدود إرمينية ، إلى حدود بلاد الروم ، إلى الفرات عند مَلْطِيَّة من حيث وقع الابتداء . قال : فعلى هذا يكون بعض إرمينية وبعض الروم غربي الجزيرة ، وبعض الشام وبعض البادية جنوبيها ، والعراق شرقيها ، وبعض

إرْمِينِيَّةَ شمالِها . قال في "تقويم البلدان" : وتشتمل الجزيرة على ديار ربعة وديار مَضَر (يعنى بالضاد المعجمة) وبعض ديار بكر ، وهم القبائل الذين كانوا يزلونها في القديم على ما تقدم ذكره في الكلام على أحوال العرب في المقالة الأولى .

قال في "مسالك الأبصار" : وقد كانت هذه الجزيرة مجموعها مملكة جليلة باقية بذاتها في الدولة الأتابكية يعنى دولة الأتابك زنكى صاحب المَوْصِل والد نور الدين الشهيد صاحب دِمَشق ، وقاعدتها (المَوْصِل) . قال في "اللباب" : بفتح الميم وسكون الواو وكسر الصاد المهملة ولام في الآخر - وهى مدينة من الجزيرة من الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" : حيث الطول سبعٌ وثلاثون درجة ، والعرض ست وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . وهى على دِجَلَة من الجانب الغربى ، ويقابلها من الجانب الشرقى مدينة تَنْوَى التى بُعث يونس عليه السلام إلى أهلها . وهى الآن خراب . وفى جنوبى الموصل مَصَبُّ الزَّابِ الأصغر فى دِجَلَة ، وهى فى مستوٍ من الأرض ؛ ولها سوران قد خرب بعضهما ، وسورها أكبر من سور دِمَشق . قال المؤيد صاحب حماة : والعامر منها فى زماننا نحو ثلاثيها ، ولها قلعة قد صارت فى جملة الخراب . قال قاضى القضاة ولّى الدين بن خلدون : وهى قاعدة ملك قديم يُعرف قديما بمملكة الجَرَامِقة ، وكانت قد صارت إلى عماد الدين زنكى : والد نور الدين الشهيد ، ثم آتفق بها الحال إلى أن دخلت فى مملكة التتر من بنى هُولاكو . قال ابن خرداذبة فى كتابه فى المسالك والممالك : ومن أقام بها سنة (١) ثم ... عقله وجده قد نقص ، وبها حاكم يكتبُ عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية . وذكرها فى "التثقيف" وذكر أنه كان بها الأمير أردبغا قبل أن يحصل عليها من بيرم خواجا ثم أبو القان أويس .

(١) بياض فى الأصل . وأنظر معجم البلدان فانه يؤخذ منه أن من أقام بها سنة تبين فى بدنه فضل قوة .

ثم بها عدة مُدُن وقلاع مشهورة .

(منها) مَارْدِين . قال في "اللباب" : بفتح الميم وسكون الألف وكسر الراء والذال المهملتين ثم ياء مثناة من تحتها ونون - وهي قلعة بديار ربيعة من هذه الجزيرة المذكورة من الإقليم الرابع . قال في "الأطوال" : حيث الطول أربع وستون درجة ، والعرض سبع وثلاثون درجة وخمس وخمسون دقيقة . قال في "تقويم البلدان" : وهي على جبل عال ، من الأرض إلى ذُرْوَتِهِ نحو فرسخين . قال ابن حوقل : وهي قلعة منيعة لا يستطاع فتحها عنوة ، ويجلبها جواهر الزجاج ، وبه حَيَات تفوق غيرها بسرعة القتل .

وأعلم أن ماردين هذه بيد ملوكها من بني أُرْتُق ، لها بيدهم الأمد الطويل ، لم تزل أيديهم عنها مذ ملكوها . قال القاضي ولي الدين بن خلدون في "تاريخه" : وأول من ملكها منهم ياقوق بن أُرْتُق بعد السبع والأربعائة ، تملكها من يد مغن كان ملكشاه ابن ألب أرسلان السلجوقي أقطعها له ، ثم ملكها بعد ياقوق المذكور أخوه علي ، ثم عمه سَقْمَان ، ثم أخوه إيلغازي ، ثم ابنه حُسَام الدين تمر تاش ، ثم ابنه قطب الدين الي ، ثم ابنه نظام الدين إيلغازي ، ثم ابنه حسام الدين بولق أرسلان ، ثم أخوه ناصر الدين أُرْتُق أرسلان بن إيلغازي ، ثم ابنه نجم الدين غازي ، ثم أخوه قرا أرسلان ، ثم ابنه شمس الدين داود ، ثم أخوه نجم الدين غازي ، وتلقب بالمنصور . وهو أول من تلقب بالقباب السلطنة منهم ، ثم ابنه شمس الدين صالح وتلقب بالصالح ، ثم ابنه أحمد وتلقب بالمنصور ، ثم ابنه محمود وتلقب بالصالح ، ثم ابنه نحر الدين داود ، وتلقب بالمظفر ، ثم ابنه نور الدين عيسى ، وتلقب بالظاهر ، وهو القائم بملكها إلى الآن ، وهو الظاهر عيسى ، بن المظفر داود ، بن الصالح [محمود ، بن المنصور أحمد ، بن الصالح^(١)] صالح ، بن المنصور غازي ، بن المظفر قرا أرسلان ، بن المنصور أُرْتُق أرسلان [ابن بولق أرسلان^(١)] بن إيلغازي ، بن ألي ، بن تمر تاش ، بن إيلغازي ، بن أُرْتُق .

(١) الزيادة عن تاريخ ابن خلدون (ص ٢٢٠ ج ٥) .

ولما ملك هولاء كوف بغداد وأعمالها كان القائم بملك ماردين يومئذ المظفر قرا أرسلان فأعطاه الطاعة وخطب له في جميع أعماله ، وتبعه على ذلك من بعده من ملوكها إلى حين موت القان أبي سعيد من بقايا الملوك الهولاء كوفية ، فقطع الخطبة لصاحب بغداد وما معها وخطب لنفسه ، والأمر على ذلك إلى الآن ، وملوكها مؤادون للملوك الديار المصرية والمكاتبات بينهم متواصلة .

(ومنها) حصن كيفا . قال في "تقويم البلدان" : بحاء وصاد مهملتين ثم نون ثم كاف وياء مشاة من تحت وفاء وألف - وهي مدينة من الجزيرة المذكورة من الإقليم الرابع . قال في "الأطوال" : حيث الطول أربع وستون درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض سبع وثلاثون درجة وخمس وثلاثون دقيقة . قال في "اللباب" : وهي من ديار بكر . قال في "المشترك" : وهي على دجلة بين جزيرة ابن عمر وبين ميا فارقين . قال في "اللباب" : والنسبة إليها حصكفي - بفتح الحاء وسكون الصاد وفتح الكاف وفاء ثم ياء النسب . قال في "التعريف" : وملوكها من بقايا الملوك الأيوبية ومن ينظر إليه ملوك مصر بعين الإجلال ، لمكان ولائهم القديم لهم ، وأستقرار الوداد الآن . قال في "التثقيف" : وأخبرني المقر السيقي منجك كافل الممالك الشريفة أن الملك الناصر محمد بن قلاوون كان يعظم سلفه فإنه كان أستاذ قلاوون والده . قال في "التعريف" : وكان آخروقت منهم الملك الصالح قصد الأبواب السلطانية . فلما أتى دمشق عقبته الأخبار بأن أخاه قد ساور سريه ، وقصد بسلطته سلطانه . ففكر راجعا ولم يعقب ، فما لبثت الأخبار أن جاءت بأنه حين صعد قلعته ، وكر نحو سريه رجعت ، وثب عليه أخوه المتوثب فقتله وسفك دمه ، ثم أظهر عليه ندمه . وكتب إلى السلطان فأجيب بأجوبة دالة على عدم القبول لأعذاره والسرائر مكذره ، والخواطر بعضها من بعض منقره . وذكر في "التثقيف" أن الذي أتضح له

آخرًا في رمضان سنة ست وسبعين وسبعائة أن صاحبها الملك الصالح سيف الدين أبو بكر، ابن الملك العادل شهاب الدين غازي، ابن الملك العادل مجد الدين محمد، ابن الملك الكامل سيف الدين أبي بكر، ابن الملك الموحد تقي الدين عبد الله، ابن الملك المعظم سيف الدين توران شاه، ابن الملك الصالح نجم الدين أيوب، ابن الملك الكامل ناصر الدين محمد، بن العادل أبي بكر بن أيوب . ثم قال : وما يبعد أن الصالح المذكور هو ابن عم العادل مجد الدين محمد، وأن العادل غازي لاحققة له . ثم قال : وهو غلط لأن المستقر إلى آخر سنة ثنتين وستين وسبعائة وما بعدها بمدة هو العادل مجد الدين، وكتبت إليه في هذه المدة بهذا الاسم واللقب، ولم يبلغنا أنه استقر بعده سوى ولده، ثم نقل أنه الصالح ونقل الناقل أنه ابن العادل وهو صحيح لكنه قال : إن اسمه شهاب الدين غازي بن العادل مجد الدين وفيه بعد : كون الولد يلقب بلقب والده الملوكي . انتهى كلامه .

قلت : والذي أخبرني به بعض قُصّاد صاحبها في سنة تسع وتسعين وسبعائة أن الملك القائم بها يومئذ اسمه سليمان بن داود، وذكر لي لقبه الملوكي فنسبته، وذكر أنه يقول الشعر، وأحضر معه بيتًا مفردًا من نظمه وهو :

وَجَارِيَةٌ تُعِيرُ الْبَدْرَ نُورًا * وَلَوْلَا نُورُهَا عَادَ الظَّلَامُ !

فنظمت له أبياتا وبعثت بها إليه صحبة قاصده أولها :

سُلَيْمَانُ الزَّمَانِ يَحْضِنُ كَيْفَا * لَهُ فِي الْمُلْكِ آثَارُ كِرَامٍ
زَكَ أَصْلًا فَطَابَ الْفَرْعُ مِنْهُ * وَطَابَ الْغُصْنُ إِذْ طَابَ الْكِوَامُ
بَنُو أَيُّوبَ أَبْقَوْا مِنْهُ ذُخْرًا * وَنِعَمَ الذُّخْرُ وَالْقَيْلُ الْهَمَامُ

وأثبت البيت الذي قاله في آخر هذه .

(ومنها) حَرَّانُ . قال في "المشترك" : بفتح الحاء وتشديد الراء المهملتين وفي آخرها نون بعد الألف - وهي مدينة من ديار مُضَرَ من الجزيرة المذكورة من الإقليم الرابع . قال في "تقويم البلدان" : والقياس أنها حيث الطول ثلاث وستون درجة ، والعرض سبع وثلاثون درجة وخمسون دقيقة . وكانت حَرَّانُ مدينةً عظيمةً أما اليوم نخراب . قال ابن حوقل : وهي مدينة الصابئين ، وبها سَدَتْهُمُ السبعة عشر ، وبها تَلَّ عليه مصليٌ للصابئين يعظّمونه وينسبونه إلى إبراهيم عليه السلام ، وهي قليلة الماء والشجر . قال في "العزيزي" : والجبل منها في سمت الجنوب والشرق على فرسخين ، وترتبتها حمراء ، وشرب أهلها من قناة تجرى من العيون خارج المدينة ومن الآبار ، وحاكمها يكتأب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية على ما سيأتى في المكاتبات إن شاء الله تعالى .

(ومنها) شِمَشَاط . قال في "اللباب" : بكسر الشين المعجمة وسكون الميم وفتح الشين الثانية ثم ألف فطاء مهملة - وهي بلدة من ديار مُضَرَ ، وقيل من ديار بكر من بلاد الجزيرة من الإقليم الرابع . قال في "رسم المعمور" حيث الطول اثنتان وستون درجة وأربعون دقيقة ، والعرض ثمان وثلاثون درجة وخمس وأربعون دقيقة . قال في "اللباب" : وهي بلدة الثغور الجزيرية بين آمد وبين نَحْرَتِ يَرْت . وقال ابن حوقل : هي بنجر الجزيرة^(١) ، وبها حاكمٌ يكتأب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

(ومنها) حَيْرَانُ . قال في "اللباب" : بكسر الحاء المهملة وسكون المثناة من تحتها وفتح الزاي المعجمة وألف ونون - وهي مدينة من ديار بكر من الجزيرة من الإقليم الرابع . قال في "تقويم البلدان" : والقياس أن طولها خمس وستون درجة ، وعرضها سبع وثلاثون درجة وعشرون دقيقة . قال في "اللباب" : وهي كثيرة

(١) في التقويم . هي نجر .

الأشجار خصوصا شجر البُنْدُق . قال : وهى بين جبال ، ولها مياه سارحة ، وبها حاكم يكاتب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية . وذكر فى "التثقيف" أنه كان اسمه فى زمانه عز الدين ، ثم استقر بعده أبنه أسد الدين .

(ومنها) رَأْس عَيْن . قال فى "تقويم البلدان" : بفتح الراء المهملة ثم سين وعين مفتوحة مهملتان ومثناة تحت ونون فى الآخر - وتسمى عين ورْدَة أيضا ، وهى مدينة من ديار ربيعة من الجزيرة من الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة فى مستو من الأرض . قال ابن حوقل : يخرج منها فوق ثلثائة عين كلها صافية ، ويصير من هذه العين نهر الخابور ، وهم السمعاني بفتحها منبع دجلة . قال فى "العزيزى" : وهى أول مُدُن ديار ربيعة من جهة ديار مُضَرَ ، وذكر السمعاني أنها من ديار بكر ، وأنكره ابن الأثير وقال : ليست من ديار بكر [بل هى] من الجزيرة . قال فى "اللباب" : وهى على يومين من حَرَّان والنسبة إليها رَسَعْنِي ، وإليها ينسب الرَّسَعْنِيُّ المُفَسِّر .

(ومنها) مِيَّافَرِّقِينَ . قال فى "اللباب" : بفتح الميم وتشديد المثناة من تحتها وسكون الألفين بينهما فاء مفتوحة وبعدهما راء مهملة ثم قاف وياء آخر الحروف ونون . وهى مدينة من الجزيرة من الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال فى "رسم المعمور" : حيث الطول خمس وستون درجة وأربعون دقيقة ، والعرض ثمان وثلاثون درجة وخمس وخمسون دقيقة . قال ابن سعيد : وهى قاعدة ديار بكر . وقال ابن حوقل : هى بين الجزيرة وبين إرمينية . قال فى "اللباب" : وعليها سورٌ حَجَرٌ دائرٌ ، وهى دون حماة فى القدر ، وهى فى ذيل جبل ، فى شمالها وهى فى ذيله . قال فى "اللباب" : والمياه والبساتين محدقة بها ، ولها نهر صغير على شوط فرس منها ، من عين تسمى عين حَنْبُوصَ بين الغرب والشمال ، تنحرق دُورَهَا

وتسقى بساتينها ، وبينها وبين الموصِلِ على حِصْنٍ كَيْفَا نحو ستة أيام وعلى مَارِدِينَ نحو ثمانية أيام ، والنسبة إليها فَارِقٌ . قال في ” اللباب “ : أسقطوا بعضها لكثرة حروفها ، وبها حاكم يكتب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

(ومنها) قَرْقِيسِيَا . قال في ” تقويم البلدان “ : المشهور بفتح القاف الأولى وكسر الثانية وبينهما راء مهملة ساكنة ثم ياء آخر الحروف ساكنة ثم سين مهملة ثم ياء ثانية وألف - وهى مدينة من ديار مُضَرَ من الجزيرة من الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في ” تقويم البلدان “ : والقياس أنها حيث الطول أربع وستون درجة وأربعون دقيقة ، والعرض ست وثلاثون درجة . قال في ” اللباب “ : وهى على الفُرات والخابور ، على القرب من الرِّقَّة . قال في ” العزيزى “ : وهى شرق الفرات والخابور الخارج من رأس عين فيصب فى الفرات على القرب منها . قال : وهى مدينة الرِّبَاء صاحبة جَذِيعَةِ الأبرش ، يعنى التى قتلتها . قال في ” اللباب “ : وبها مات جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيُّ الصَّحَابِيُّ رضى الله عنه . قال : والنسبة إليها قَرْقِيسِيَانِي وقد تحذف النون وتجعل الياء عوضها .

(ومنها) مَاكِسِينُ . قال في ” اللباب “ : بفتح الميم وسكون الألف وكسر الكاف والسين المهملة وسكون المثناة من تحت ونون فى الآخر - وهى مدينة من الجزيرة من الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في ” اللباب “ : وهى على الخابور . قال في ” العزيزى “ : وبينها وبين قَرْقِيسِيَا سبعة فراسخ ، وبينها وبين سِنْجَارِ أَثْنَانٍ وعشرون فرسخا .

(ومنها) نَصِييْنُ . قال في ” اللباب “ : بفتح النون وكسر الصاد المهملة وسكون المثناة من تحتها ثم باء موحدة وياء ثانية ونون - وهى مدينة من ديار ربيعة من الجزيرة من الإقليم الرابع . قال ابن سعيد : وهى قاعدة ديار ربيعة . قال :

وهي مخصوصة بالوَرْد الأبيض لا يوجد فيها وردة حمراء ، وفي شمالها جبل عظيم يقال إنه الجُودِيّ الذي آسَقرت عليه سفينة نوح عليه السلام ، منه ينزل نهرها حتى يَمر على سُورها وعليه بساتينها ، ونهرها يسمى الهرماس ، وبها عقارب قتالة .

(ومنها) جزيرة ابن عُمر - وضبطها معروف - وهي مدينة من الجزيرة من الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في " القانون " : حيث الطول ست وستون درجة وعشر دقائق ، والعرض سبع وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . قال في " تقويم البلدان " : وهي مدينة صغيرة على دجلة من غربها ذات بساتين كثيرة . وقال في " المشترك " : هي في شمالي الموصل ودجلة محيطة بها مثل الهلال ، وبها حاكم يكتب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

(ومنها) سِنَجَار . قال في " اللباب " : بكسر السين المهملة وسكون النون وفتح الجيم وألف وراء مهملة - وهي مدينة من ديار ربعة من الجزيرة ، من الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في " تقويم البلدان " : والقياس أنها حيث الطول ست وستون درجة ، والعرض ست وثلاثون درجة وعشرون دقيقة . قال ابن سعيد : وهي في جنوبي نصيبين - وهي من أحسن المَدُن وجبلها من أخصب الجبال . قال ابن حوقل : وهي في وسط برية ديار ربعة بالقرب من الجبل والجبل في عاليها ، وليس بالجزيرة بلد فيه نخيل سواها . وهي في جهة الغرب عن المَوْصِل على ثلاث مراحل عنها ؛ وهي على قدر المَعَرَّة من البلاد الشامية ؛ ولها قلعة وبساتين كثيرة ؛ وشربها من القني ؛ وبها حاكم يكتب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

(ومنها) تَلْ أَعْفَر - وضبط التل معروف ، وأَعْفَرُ بفتح الهمزة وسكون العين المهملة وفتح الفاء وراء مهملة في الآخر - وهي من الجزيرة من الإقليم الرابع من

الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" حيث الطول ست وستون درجة ، والعرض سبع وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . قال في "المشترك" : وتَلْ أَعْفَرَقْلَعَةُ بَيْنَ سِنْجَارَ وَيْنِ الْمَوْصِلِ . وذكر في "تقويم البلدان" عن بعض أهلها أنها غربي المَوْصِلِ فيما بينها وبين سِنْجَارَ ، وربما تكون إلى سِنْجَارَ أَقْرَبَ . وذكر في "العزيزي" أن بينها وبين سِنْجَارَ خمسة فراسخ ، ولها أشجار كثيرة ، وبها حاكم يكتب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

(ومنها) الحَدِيثَةُ . قال في "تقويم البلدان" : بفتح الحاء وكسر الدال المهملتين ثم مشاة من تحت وئاء مثلثة وهاء في الآخر وهي مدينة من الجزيرة من الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" حيث الطول سبع وستون درجة وعشرون دقيقة ، والعرض ثلاث وثلاثون درجة وخمس وثلاثون دقيقة . قال في "المشترك" : وهي في وَسَطِ الْفُرَاتِ والماء محيطٌ بها ، وتعرف بحديثه النُّورَة . وهي غير حديثة المَوْصِلِ : بليدة صغيرة إلا أن لها ذكرا في القديم . قال في "المشترك" : وهي على فراسخ من الأنبار ، وبها حاكم يكتب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

(ومنها) عَانَة . قال في "اللباب" : بفتح العين المهملة وألف ونون وهاء في الآخر . وهي بلدة من بلاد الجزيرة من الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" حيث الطول ست وستون درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض أربع وثلاثون درجة . وهي بلدة صغيرة على جزيرة في وَسَطِ الْفُرَاتِ . قال في "اللباب" : وهي تقارب الحَدِيثَةَ . وقال ابن حوقل : يطوف بها خليج من الفرات . قال ابن سعيد : وتحررها مذكور في الأشعار ، وأستشهد بقول بعض الشعراء :

* وَمِنْ عَانَةٍ أَمْ مِنْ مَرَّاشِفِكَ الْخُمْرُ ؟ *

وكثيرا ما تُقرن في الذكر مع الحديثة لقربها فيقال عانةٌ والحديثة ، وبها حاكم يكاتب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

(ومنها) آمِدُ . قال في ”اللباب“ : بمد الألف وكسر الميم وفي آخرها دال مهملة . وهي مدينة من ديار بكر ، من الجزيرة ، من الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في ”الأطوال“ : حيث الطول سبع وستون درجة وعشرون دقيقة ، والعرض سبع وثلاثون درجة . قال في ”تقويم البلدان“ : وهي مدينة أزيلية على الدجلة . قال ابن حوقل : وعليها سورٌ في غاية الحصانة . قال في ”الغريزي“ : وسورها من الحجارة السود التي لا يعمل فيها الحديد ، ولا تضرُّها النار ، وهو مشتمل عليها وعلى عيون ماء ، ولها بساتين ومزارع كثيرة . قال ابن حوقل : وهي كثيرة الخصب . (ومنها) سِعْرَتُ . قال في ”تقويم البلدان“ : نقلا عن صالح : بكسر السين والعين وسكون الراء المهملات وفي آخرها مثناة من فوق ، وقيل إسْعَرْد بكسر الهمزة وسكون السين وكسر العين وسكون الراء المهملات ودال مهملة في الآخر . وهي مدينة من ديار ربعة ، من الجزيرة ، من الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في ”تقويم البلدان“ : وهي مبنية على جبل تحيط بها الوطاة ، على القرب من شطّ دجلة من جهة الشمال والشرق ، وهي في المقدار أكبر من المعرة ، وبها الأشجار الكثيرة من التين والرمان والكروم ، جميع ذلك عذّي لا يُسقى ، وشرب أهلها من بئار قرية من وجه الأرض ، وهي عن مَيَّافَارِقِينَ على مسيرة يوم ونصف في جهة الجنوب ، وعن آمِد على مسيرة أربعة أيام في جهة الشمال منها ، وعن الموصل على خمسة أيام في جهة الشرق والشمال عنها .

(ومنها) تِكْرِيتُ . قال في ”اللباب“ : بكسر المثناة من فوق وسكون الكاف وكسر الراء المهملة ثم ياء مثناة من تحت في آخرها تاء مثناة من فوق . وهي مدينة

(١) ضبطها المجد بالفتح وكذا ياقوت وقال : وكسرها العامة .

من الجزيرة من الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" : حيث الطول تسع وستون درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض خمس وثلاثون درجة وأثنى عشرة دقيقة . قال في "تقويم البلدان" : وهي آخر مدُن الجزيرة مما يلي العراق على غربي دجلة في بر الموصِل . قال في "اللباب" : وسميت تِكْرِيتُ تِكْرِيتُ بنت وائل أخت بكر بن وائل .

أما قلعتها فبناها سابور بن أردشير بن بابك ، وهي الآن خراب . قال ابن سعيد : وفي جنوبها وشرقيها النهر الإِسْحَاقُ ، حفره إسحاق بن إبراهيم صاحب شُرطة المتوكل ، وهو أول حدود سواد العراق ، وبها حاكم يكاتب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

(ومنها) بَرَقِيدُ - بفتح الموحدة وسكون الراء المهملة وفتح القاف وكسر العين المهملة وسكون المثناة من تحتها ودال مهملة في الآخر . قال في "العزيرى" : وهي [مدينة] لها سور وأسواق كثيرة .

(ومنها) العِمَادِيَّة - بكسر العين المهملة وفتح الميم وبعدها ألف ثم دال مهملة مكسورة وياء مثناة تحت مشددة مفتوحة وهاء في الآخر . قال في "تقويم البلدان" : وهي قلعة عامرة على ثلاث مراحل من الموصِل في الشرق والشمال ، وهي على جبل من الصخر ، وتحتها مياه جارية وبساتين ، وهي في جهة الشمال عن إربل ، بناها عماد الدين زنكي صاحب الموصِل فنسبت إليه ، وبها حاكم يكاتب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

(ومنها) قلعة كُشَاف . قال في "تقويم البلدان" : بضم الكاف وبالشين المعجمة ثم ألف وفاء في الآخر . وهي قلعة عامرة بين الزَّابِ والشَّطِّ ، قريبة من مصبه في الشط [وهي في الشرق] والجنوب عن الموصل . قلت : وقد ذكرها في "تقويم البلدان" أولاً

في جملة بلاد الجزيرة ووصفها بهذا الوصف ولم يضبطها ، ثم ذكرها في بلاد الجبل .
المعروفة بعراق العجم بهذا الوصف أيضا وضبطها على ما تقدم ، والظاهر أنها من
بلاد الجزيرة ؛ وبها حاكم يكتب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

(ومنها) قلعة فنك . قال في "تقويم البلدان" : نقلا عن أبي المجد في "كتاب
التمييز" : بفتح الفاء والنون - وهي قلعة حصينة فوق جزيرة ابن عمر .

(ومنها) الشوش . قال في "المشترك" : بضم الشين المعجمة وسكون الواو
ثم شين ثانية . قال : وهي قلعة مشهورة من أعمال الموصل في الجبال شرق
دجلة ، وإليها ينسب حب الرمان الشوشي .

(ومنها) عقر الحميدية . قال في "المشترك" : بفتح العين المهملة وسكون
القاف ثم راء مهملة - وهي قلعة حصينة مشهورة ، والحميدية قبيلة من الأكراد
بتلك البلاد .

(ومنها) الهتاخ . قال في "مزيل الارتباب" : بفتح الهاء وتشديد التاء المثناة
من فوقها وفتحها وبعد الألف خاء معجمة . قال في "تقويم البلدان" : وهي
قلعة حصينة .

(ومنها) حاني . قال في "اللباب" : على وزن داعي ، يعني بفتح الحاء المهملة
وبعدها ألف ثم نون مكسورة وياء مثناة تحت في الآخر . قال : هذا ما تعرف به
الآن ، ولكن السمعاني قد قال فيها حنا ، بفتح الحاء المهملة والنون ؛ وهي مدينة
من ديار بكر من الجزيرة [من الإقليم الرابع] من الأقاليم السبعة ، وبها حاكم يكتب
عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية معدود في الأكراد .

وَأَعْلَمُ أَنَّ هَذِهِ الْجَزِيرَةَ مُجَاوِرَةٌ لِمَمْلَكَةِ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ مِنْ حَيْثُ اتَّصَلَتْهَا بِالْبِلَادِ
الشَّامِيَةِ مِنَ الْجِهَةِ الشَّرْقِيَّةِ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ بَعْضَ بِلَادِهَا دَاخِلَةٌ فِي أَعْمَالِ حَلَبَ

من ممالك الديار المصرية كالرَّهَّا وقلعة جَعْبَر وما والاها، والمسافة ما بين حلب والرَّهَّا معلومة ؛ ومن الرَّهَّا إلى حَرَّان يوم واحد ؛ ومن حَرَّان إلى رأس عين ثلاثة أيام ، ومن رأس عين إلى نَصِيبين ثلاث مراحل ؛ ومن نَصِيبين إلى المَوْصِل أربع مراحل . وقد تقدّم أن المَوْصِل هي قاعدة الجزيرة في القديم، ومن الموصل إلى تِكْرِيت سبعة أيام، وقد تقدّم أن تكريت هي آخر مُدُن الجزيرة مما يلي العراق ، ومن الموصل أيضا إلى آمِد أربعة أيام ؛ ومن آمِد إلى شِمَشَاط ثلاثة أيام .

الإقليم الثاني (العراق)

قال في "الباب" : بكسر العين وفتح الراء المهملتين ثم ألف وقاف . قال الجوهري : وهو يذكَر ويؤنَّث . قال أبو المجد إسماعيل الموصلي في كتابه المسمّى "بالتّمييز والفصل" : وإنما سمي عراقا لأنه سفل عن نَجْد ودَنَا من البحر، أخذنا من عراق القرْبَة، وهو الخُرْزُ الذي في أسفلها ؛ ويعرف بعراق العرب لأن العرب كانت تنزله لقربه من بلادهم . قال في "تقويم البلدان" : ويحيط به من جهة الغرب الجزيرة والبادية ؛ ومن الجنوب البادية وبحر فارس وحدود خوزستان ؛ ومن الشرق حدود بلاد الجبال إلى حُلوان ؛ ومن الشَّمال من حلوان إلى الجزيرة من حيث وقع الابداء .

قال : والعراق على ضَفْتَي دجلة مثل ما بلاد مصر على ضَفْتَي النيل، ويجرى دجلة من الشمال بميلة إلى الغرب، إلى الجنوب بميلة إلى الشرق، وأمتداد العراق طولا وشمالا وجنوبا من الحَدِيثَةِ على دجلة إلى عَبَّادَانَ على مصبّ دجلة في بحر فارس، وأمتداده غربا وشرقا من القادِسيَّة إلى حُلوان . فالحدّية في وسط الحدّ الشمالي

بِمَيْلَةٍ إِلَى الْغَرْبِ، وَالْقَادِسيَّةُ فِي وَسْطِ الْحَدِّ الْغَرْبِيِّ بِمَيْلَةٍ إِلَى الْجَنُوبِ، وَعَبَّادَانُ فِي وَسْطِ الْحَدِّ الْجَنُوبِيِّ بِمَيْلَةٍ إِلَى الشَّرْقِ، وَحُلُوانُ فِي وَسْطِ الْحَدِّ الشَّرْقِيِّ بِمَيْلَةٍ إِلَى الشَّامِ، وَوَسْطُ الْعِرَاقِ الَّذِي مِنَ الْقَادِسيَّةِ إِلَى حُلُوانٍ هُوَ أَعْرَضُ مَا فِي الْعِرَاقِ .
وَأَمَّا رَأْسُ الْعِرَاقِ الَّذِي عِنْدَ عَبَّادَانَ، فَيَدِقُّ عَنْ ذَلِكَ . ثُمَّ قَالَ : وَالَّذِي يَسْتَدِيرُ عَلَى الْعِرَاقِ - يَعْنِي وَالْعِرَاقُ عَلَى شِمَالِهِ - إِذَا أَبْتَدَأَ مِنْ تَكْرِيتٍ مِنْ بِلَادِ الْجَزِيرَةِ الْمُتَقَدِّمَةِ، يَمُرُّ مِنْهَا إِلَى حُدُودِ شَهْرَزُورَ، وَهِيَ بَيْنَ الشَّرْقِ وَالشَّامِ عَنِ الْعِرَاقِ، ثُمَّ إِلَى السَّيْرَوَانِ، وَهِيَ فِي الشَّرْقِ، إِلَى حُدُودِ جُبَّاءَ، وَهِيَ فِي الشَّرْقِ وَالْجَنُوبِ، ثُمَّ إِلَى الْبَحْرِ يَعْنِي بِحَرَ فَارَسَ، وَهُوَ فِي الْجَنُوبِ عَنِ الْعِرَاقِ . وَفِي هَذَا الْحَدِّ مِنْ تَكْرِيتٍ إِلَى الْبَحْرِ تَقْوَيْسٌ، ثُمَّ مِنَ الْبَحْرِ إِلَى الْبَصْرَةِ، وَهِيَ فِي الْجَنُوبِ عَنِ الْعِرَاقِ، ثُمَّ مِنَ الْبَصْرَةِ إِلَى الْبَسَادِيَّةِ عَلَى سَوَادِ الْبَصْرَةِ، ثُمَّ إِلَى بَطَائِحِ الْبَصْرَةِ، ثُمَّ إِلَى وَاسِطٍ، ثُمَّ إِلَى سَوَادِ الْكُوفَةِ وَبَطَائِحِهَا، ثُمَّ عَلَى ظَهْرِ الْفَرَاتِ إِلَى الْأَنْبَارِ، ثُمَّ مِنَ الْأَنْبَارِ إِلَى تَكْرِيتٍ حَيْثُ وَقَعَ الْإِبْتِدَاءُ .

(١)
ثم للندن قواعد ومدن .

القاعدة الأولى

(بَابِل)

بِفَتْحِ الْبَاءِ الْمَوْحُودَةِ ثُمَّ أَلْفَ وَبَاءٍ مُوَحَّدَةٍ ثَانِيَةِ مَكْسُورَةٍ وَلامٍ فِي الْآخِرِ - وَهِيَ مَدِينَةٌ وَاقِعَةٌ فِي الْإِقْلِيمِ الثَّلَاثِ . قَالَ فِي " الْأَطْوَالِ " حَيْثُ الطُّولُ سَبْعُونَ دَرَجَةً، وَالْعَرْضُ اثْنَتَانِ وَثَلَاثُونَ دَرَجَةً وَخَمْسٌ وَخَمْسُونَ دَقِيقَةً . قَالَ أَبُو حَوْقَلٍ : وَهِيَ أَقْدَمُ أَسْنَانِ الْعِرَاقِ، وَإِلَيْهَا يَنْسَبُ إِقْلِيمُ بَابِلَ لِقِدَمِهَا، وَكَانَتْ مَلُوكُ الْكَنْعَانِيِّينَ

(١) لعل الصواب "ثم للعراق قواعد ومدن" .

وغيرهم يقيمون بها . قال في "تقويم البلدان" : وبها آثار أبنية أحسبها أن تكون في قديم الأيام مصرا عظيما، ويقال إنها من بناء الضحَّاك : أحد ملوك الفرس الذي ملك الأقاليم السبعة . قال : وفيها ألقي إبراهيم الخليل عليه السلام في النار؛ وقد أخبر الله تعالى في كتابه العزيز أن بها هَارُوتَ وَمَارُوتَ الْمَلَكَيْنِ اللذين يعلمان الناس السَّحرَ، ويقال إنهما بها في يَثْرَ وإن البئر ظاهرة بها إلى الآن . قال صاحب حِجَاة : وهي اليوم مدينة خراب، وقد صار في موضعها قرية صغيرة .

القاعدة الثانية

(المدائن)

جمع مدينة وضبطها معروف . قال في "تقويم البلدان" : وأسماها بالفارسية طَيْسَفُونُ - بفتح الطاء المهملة وسكون المثناة التحتية وفتح السين المهملة وضم الفاء وبعدها واو وزون - ثم قال : وكل ذلك سمعا وقد تبدل الفاء باء . وهي واقعة في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" : حيث الطول سبعون درجة، والعرض ثلاث وثلاثون درجة وعشر دقائق . قال في "تقويم البلدان" : وهي على دجلة من شرقها تحت بغداد على مرحلة منها . قال في "العزيزي" : والمدائن في جنوبي بغداد، وكان بالمدينة الكبرى منها إيوان كسرى في شرقي دجلة ارتفاعه ثمانون ذراعا . ونقل في "تقويم البلدان" عن بعض الثقات في سَعَتِهِ من ركنه إلى ركنه خمسة وتسعون ذراعا . وكانت هي قاعدة ملوك الفرس ، فلما وُلِدَ النبي صلى الله عليه وسلم ، أنشَقَ هذا الإيوان ثم خرب هو وسائر المدائن في الإسلام .

القاعدة الثالثة

(بَغْدَادُ)

قال في "اللباب" : بفتح الباء الموحدة وسكون الغين المعجمة وفتح الدال المهملة وفي آخرها ذال معجمة . وموقعها في آخر الإقليم الثالث . قال في "القانون" : حيث الطول سبعون درجة ، والعرض ثلاث وثلاثون درجة وخمس وعشرون دقيقة . قال في "تقويم البلدان" : وسميت بغداد بهذا الاسم لأن كسرى أهدى إليه خصى من المشرق فأقطعه بغداد ، وكان له صنم يعبد به المشرق يقال له البغ فقال ذلك الخصى بغ داد يعني أعطاني الصنم ، وكان عبد الله بن المبارك يكره أن يقال لها بغداد بالذال المعجمة في آخرها ، فإن بغ شيطان وداد عطية فعناه عطية الشيطان وهو شرك . قال : وإنما يقال بغداد بالداين المهملتين . وقد قال بعضهم : إن بغ بالفارسية البستان وداد بإهمال الأولى وإعجام الثانية اسم رجل ومعناه بستان داد ؛ ويقال فيها أيضا بَغْدَان بإبدال الدال الأخيرة نونا ، ومَغْدَان بإبدال الباء الأولى ميما . وكان المنصور يسميها مدينة السلام لأن دجلة كان يقال لها وادي السلام . وبغداد على جانبي دجلة من الشرق والغرب ، والجانب الغربي منها يسمى الكرخ ، وبه كان سكنى أبي جعفر المنصور ثاني خلفاء بني العباس ، والجانب الشرقي منها بناه المهدي بن المنصور المقدم ذكره وسكنه بعسكره فسمى عسكر المهدي ، ثم بنى فيه الرشيد بن المهدي قصرا سماه الرصافة فأطلق على الجانب كله الرصافة ، ويسمى جانب الطاق أيضا نسبة إلى رأس الطاق ، وهو موضع السوق الأعظم منها . وبهذا الجانب محلة تسمى (الحريم) يعني حريم دار الخلافة . قال في "المشرك" : بفتح الحاء وكسر الراء المهملتين ثم مثناة من تحتها ساكنة وفي آخره ميم . قال : وهي قريب من ثلث الجانب الشرقي ، وعليه سور ابتدأه من دجلة وآتاهاء إليها أيضا

كهيسة الهلال أو كنصف دائرة؛ وله أبواب أوطأ باب الغربية، وهو على دجلة، ثم يليه باب سوق التمر، وهو باب شاهق ولكنه أغلق في خلافة الناصر لدين الله، ثم استمر غلقه، ثم باب البدرية، ثم باب النوبى . وفيه العتبة التي كانت تقبلها الملوك والرسل، ثم باب العاقمة، ويقال له أيضا باب عمورية . ثم يمتد السور نحو ميل لا باب فيه إلا باب بستان تحت المنطرة التي تنحدر تحتها الضحايا، ثم باب المراتب بينه وبين دجلة نحو رميتى سهم .

وبهذا الحريم محال وأسواق ودور كثيرة للرعية وهو كأكبر مدينة تكون . قال :
وبين دور الرعية التي داخل هذا السور وبين دجلة سور آخر، وداخل السور الثاني دور الخلافة لا يدخلها شيء من دور العاقمة . قال في "مسالك الأبصار" : وبين الحائنين جسران منصوبان على دجلة شرقا وغربا على سفن وزوارق أوقفت في الماء ومدت بينها السلاسل الحديد المكعبة بالمكعبات الثقال، وفوقها الخشب الممدود، وعليها التراب يمر عليها أهل كل جانب إلى الآخر بالجر والجمال والجمال، وعلى ضفتي دجلة قصور الخلافة والمدارس والأبنية العلية بالشبابيك والطاقات المطلة على دجلة، وبنائها بالآجر .

ومن بيوتها ما هو مفروش بالآجر أيضا ملصق بالفير وهو الزفت، ولهم الصنائع العجيبة في الترويق بالآجر، وبها وجوه الخير من الجوامع والمساجد والمدارس والخانات والرط والبيارسنات والصدقات الجارية ووجوه المونة، وناهيك أنها كانت دار الخلافة ومقر ملوك الأرض . ومنها قلائد الأعناق، ورايها إلى القبل وإمدا الأحداق .

قال في "مسالك الأبصار" : قال الحكيم نظام الدين بن الطياري : وأوقفها جارية في مجاريها، لم تعترضها أيدي العدوان في دولة هولاكو ولا فيما بعدها، بل

كل وقف مستمرٌ بيد متوليهِ، ومن له الولاية عليه، وإنما نقصت الأوقاف من سوء ولاة أمورِها لا من سواها . وبها البساتين الموقَّعة، والحدائق المحذَّقة، وبها ثمر النخل المفضلة على ما سواها من الرطب والتمر، وبها أنواع الرياحين والخضراوات والغلال، وسعرها متوسط في الغالب لا يكاد يَرُخَّص . قال المقر الشهابي بن فضل الله : سألت الصدر مجد الدين بن الدوري عن السبب في قلة الغلال ببلاد العراق مع امتداد سَوَادِها، فقال : قلة الزرع مع ما آستهلكه القتل زمن هولاء كو وحيزه (١) للعراق وما جاوره من البلاد .

قلت : وبغداد وإن كانت أم الممالك ودار الخلافة، فقد أغفل ملوك التتر الالتفات إليها ، وصرفوا عنايتهم إلى تيريز والسُّلطانية وصيروهما قاعدتين لهذه المملكة على ما سيأتي ذكره في الكلام على إقليم أذربيجان فيما بعد إن شاء الله تعالى

القاعدة الرابعة

(سُرَّ مَنْ رَأَى)

من السرور والرؤية، ثم خففها الناس فقالوا سَامَرًا . قال في "اللباب" : بفتح السين المهملة وسكون الألف وفتح الميم وفي آخرها راء مهملة مشددة - وهي مدينة واقعة في الإقليم الرابع . قال في "القانون" حيث الطول ثمان وستون درجة ونخمس وأربعون دقيقة ، والعرض أربع وثلاثون درجة . قال في "العزیزی" : وهي على شاطئ الدجلة من الشرق . قال ابن سعيد : بناها المَعْتَصِمُ، وأضاف إليها الواثقُ المدينة المارونية، والمتوكلُ المدينة الجعفرية فعظم قدرها . قال في "اللباب" : ثم خربت عن قريب من عمارتها . قال في "العزیزی" : ولم يبق فيها عامر سوى مقدار يسير كالقرية .

(١) بمعنى حوزة وامتلاكه ، لغة نقلها الفيومي في مصباحه .

وأما المَدُن التي بالعراق :

(فمنها) هَيْتُ . قال في "المشترك" : بكسر الهماء وسكون المثناة تحت وتاء مثناة من فوق في الآخر - وهي مدينة واقعة في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" : حيث الطول ثمان وستون درجة وعشرون دقيقة ، والعرض ثلاث وثلاثون درجة وخمس وخمسون دقيقة . قال في "العزيزي" : وهي من حدود العراق . قال ابن سعيد : وإليها ينتهي حدّ الجزيرة . قال في "تقويم البلدان" : وهي على شماليّ الفرات ، ووهي في "العزيزي" : فجعلها غربيّ الفرات . قال في "المشترك" : وهي من أعمال بغداد . قال في "اللباب" : وهي فوق الأنبار . قال صاحب "التهذيب" : وسمّيت هيت لكونها في هوة من الأرض . قال في "اللباب" : وبها قبر عبد الله بن المبارك رحمه الله ؛ وبها حاكم يكتب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

(ومنها) حِيرة . قال في "اللباب" : بكسر الحاء المهملة وسكون المثناة من تحت وراء مهملة وهاء في الآخر - وهي مدينة واقعة في الإقليم الثالث . قال في "القانون" : حيث الطول ثمان وستون درجة وخمس وعشرون دقيقة ، والعرض اثنتان وثلاثون درجة وخمس وخمسون دقيقة . [والحيرة مدينة جاهلية كثيرة الأنهار ، وهي عن الكوفة على نحو فرسخ . وقال في "العزيزي" : مدينة قديمة على ثلاثة أميال من الكوفة ؛ وكانت منازل آل النعمان بن المنذر ، وبها تنصر المنذر بن أمرئ القيس وبني بها الكنائس العظيمة . والحيرة على موضع يقال له النَّجْفُ ، زعم الأوائل أن بحر فارس كان يتصل به ؛ وبينهما اليوم مسافة بعيدة . قال في "اللباب" : والحيرة مدينة قديمة عند الكوفة ، وبها الخورنق . قال في "الترتيب" : إن تبعاً لما سار من اليمن إلى خراسان وأتته إلى موضعها ليلاً فتحير ونزل وأمر ببنائها فسميت الحيرة .

(ومنها) الأنبار . قال في "المشترك" : بفتح الهمزة وسكون النون ثم باء موحدة مفتوحة وراء مهملة بعد الألف - وهي من آخر الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . طولها تسع وستون درجة وثلاثون دقيقة ، وعرضها ثمان وثلاثون درجة وخمس عشرة دقيقة . قال في "المشترك" : والأنبار عن بغداد^(١) على عشر فراسخ منها . قال في "المشترك" : وهي من نواحي بغداد على شاطئ الفرات . قال ابن حوقل : وهي أول بلاد العراق ، وبها كان مقام السفّاح : أول خلفاء بني العباس حتى مات ، ويقال إن أول ما نقلت الكتابة العربية إلى مكة من الأنبار على ما تقدّم في المقالة الأولى في الكلام على الخط .

(ومنها) الكوفة . قال في "اللباب" : بضم الكاف وسكون الواو ثم فاء وهاء - وهي مدينة إسلامية بنيت في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، واقعة في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال في "رسم المعمور" حيث الطول ثمان وستون درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض إحدى وثلاثون درجة وخمسون دقيقة ، وهي على ذراع^(٢) من الفرات خارج منه جهة الجنوب والمغرب . قال في "الترتيب" : وسميت كوفة لاستدارتها ، أخذاً من قول العرب رأيت كوفانا إذا رأوا رملة مستديرة ، وقيل لأجتماع الناس ، أخذاً من قولهم تكّوف الرمل إذا ركب بعضه بعضاً . وهي واقعة في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال في "رسم المعمور" حيث الطول ثمان وستون درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض إحدى وثلاثون درجة وخمسون دقيقة . قال في "العريزي" : وهي قدر نصف بغداد ، وعلى القرب منها مشهد أمير المؤمنين على كرم الله وجهه حيث دفن ، يقصده الناس من أقطار الأرض .

(١) وقع في الأصل سقط من النسخ في إنشاء الكلام على الحيرة والأنبار . وقد استوفينا من كتاب تهويم البلدان ، وأثبتناه بين دائرتين مريعتين هكذا [] .

(٢) في معجم البلدان "شعبة" وهي المراد بالذراع .

(ومنها) البَصْرَةُ . قال في "اللباب" : بفتح الباء الموحدة وسكون الصاد وفتح الراء المهملتين - وهى مدينة إسلامية بنيت فى خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه أيضا ، واقعة فى الإقليم الثالث . قال فى "القانون" حيث الطول أربع وستون درجة ، والعرض إحدى وثلاثون درجة ، وسميت بالبَصْرَةِ أخذًا من البَصْرَةِ ، وهى الحجارة السود ، وفى جنوبيّها وغربيّها البريةُ ، وليس فى برّيّتها ماء ، يزرع على المطر . قال فى "المشترك" : وبالبصرة محلةٌ يقال لها المِرْبَدُ - بكسر الميم وسكون الراء المهملة وفتح الباء الموحدة ثم دال مهملة - وهى محلة عظيمة من جهة البرية كانت العرب تجتمع فيها من الأقطار ويتناشدون الأشعار ويبيعون ويشترون .

(ومنها) واسِطُ . قال السمعانيّ فى "الأنساب" : بفتح الواو وسكون الألف وكسر السين المهملة وطاء فى الآخر - وهى مدينة واقعة فى الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال فى "القانون" حيث الطول إحدى وسبعون درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض اثنتان وثلاثون درجة وخمس وعشرون دقيقة . قال فى "تقويم البلدان" : سميت واسط لتوسطها بين مُدُن العراق إذ منها إلى البَصْرَةِ خمسون فرسخًا ، ومنها إلى الكوفة خمسون فرسخًا ، ومنها إلى الأهواز خمسون فرسخًا ، ومنها إلى بغداد خمسون فرسخًا . وهى نصفان على جانبى دجلة بينهما جسرٌ من السفن كما تقدّم فى بغداد . قال فى "المشترك" : وهى من بناء الحجاج آخَظها بين الكوفة والبصرة فى سنة أربع وسبعين من الهجرة ، وفرغ منها فى سنة ست وسبعين .

(ومنها) حُلَوَانٌ . قال فى "المشترك" : بضم الحاء المهملة وسكون اللام . قال فى "اللباب" : ثم ألف وواو ونون - وهى مدينة من أول الإقليم الرابع . قال فى "القانون" حيث الطول إحدى وسبعون درجة ، والعرض أربع وثلاثون

(١) فى تقويم البلدان ومعجم البلدان : أربع وسبعون .

درجة . قال في "تقويم البلدان" : وهي آخر مدُن العراق، ومنها يُصعد إلى الجبال، وقيل هي من الجبال ، وليس بالعراق مدينة بالقرب من الجبل غيرها . قال ابن حوقل : وبها شجر النخل والتين الموصوف، وأكثر ثمارها التين، والثلج يسقط على جبلها دائماً، وهو منها على مرحلة، وبينها وبين بغداد خمس مراحل .

(ومنها) الحِلَّة . قال في "المشترك" : بكسر الحاء المهملة وتشديد اللام - وهي واقعة في الإقليم الثالث . قال في "تقويم البلدان" حيث الطول ثمان وستون درجة ، والعرض آثنتان وثلاثون درجة وخمس وخمسون دقيقة . قال ياقوت الحموي : وتعرف بحِلَّة بنى مَزَيْد . وأول من آخط بها المنازل وعمرها سيف الدولة صدقة بن دُبَيْس بن علي بن مَزَيْد الأسدي في سنة خمس وتسعين وأربعمائة، وكان موضعها قبل ذلك يسمى بالجامعين .

(ومنها) النَّهْرَوَانُ . قال في "اللباب" : بفتح النون وسكون الهاء وضم الراء المهملة وفتح الواو وبعد الألف نون . وهي مدينة في آخر الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة على ضفَى نهر . قال في "الأطوال" حيث الطول سبعون درجة وعشرون دقيقة، والعرض ثلاث وثلاثون درجة وخمس وعشرون دقيقة . قال ابن حوقل : النَّهْرَوَانُ اسم للمدينة والنهر الذي يشقها، وهي مدينة صغيرة على أربعة فراسخ من بغداد. قال في "اللباب" : ولها عدَّة [نَوَاجِ] خرب أكثرها . وقال السمعاني في "الأنساب" : هي على أربعة فراسخ من دجلة، والنَّهْرَوَانُ هذه هي التي أنحاز إليها الخوارج عند فراقهم لعلّي بعد وقعة صفين على ما تقدم ذكره في الكلام على النحل والمِلل في المقالة الأولى .

(ومنها) الأُبُلَّة . قال في "تقويم البلدان" : بضم الهمزة والباء الموحدة وتشديد اللام وهاء في الآخر - وهي مدينة في فُرْدَتْهَا نهر طوله أربعة فراسخ بينها وبين البصرة

على جانبيه قصور وبساتين ومُدُن على خط واحد كأنها بستان واحد ، وهو أحد متزهات الدنيا .

(ومنها) القادسية - بفتح القاف ثم ألف ودال مهملة مكسورة وياء مثناة من تحت ثم هاء . وهى مدينة واقعة فى الإقليم الثالث . قال فى " الأطوال " حيث الطول ثمان وستون درجة وخمس وعشرون دقيقة ، والعرض إحدى وثلاثون درجة وخمس وأربعون دقيقة . وهى مدينة صغيرة ذات نخيل ومياه ، وهى على حافة البادية وحافة سواد العراق ، البادية من جهة الغرب والسواد من جهة الشرق . قال فى " المشترك " : وبينها وبين الكوفة خمسة عشر فرسخا فى طريق الحاج . قال فى " تقويم البلدان " : وسميت القادسية لتزول أهل قادس بها ، وقادس قرية بمرور الرود ، وعليها كانت الوقعة المعروفة بوقعة القادسية .

(ومنها) عبّادان - بفتح العين المهملة وتشديد الباء الموحدة ثم دال مهملة بين ألفين وفى آخرها نون - وهى بلدة من آخر العراق من الإقليم الثالث . قال فى " الزيج " : حيث الطول خمس وسبعون درجة وخمس وخمسون دقيقة ، والعرض إحدى وثلاثون درجة . قال ابن سعيد : وعبّادان على بحر فارس ، وهو محيط بها لا يبقى منها فى البر إلا القليل ، وعندها مَصْبٌ دجلة فى جنوبى عبّادان وشرقيها ، وهى عن البصرة على مرحلة ونصف ، وفى جنوبها وشرقيها علامات للراكب يجر فارس لا تتجاوزها المراكب ، وهى حُشْبٌ منصوبة حيث يكون البحر عند الجزر فى بعض البحر . قال فى " العزى " : فى طريق العراق من الغرب القادسية وهيت ، ومن الشرق حلوان ، ومن الشمال سُرْمَن رَأَى ، ومن الجنوب الأبله .

الإقليم الثالث (خُوزِسْتَانُ والأَهْوَاَزُ)

بضم الخاء وسكون الواو وضم الزاي المعجمة وسكون السين المهملة وفتح التاء المثناة فوق وألف ثم نون . قال في "المشترك" : ويقال لها أيضا الخُوزُ بضم الخاء المعجمة ثم واو وزاي معجمة . قال : وخُوزِسْتَانُ إقليم واسع بين البصرة وفارس يشتمل على مُدن كثيرة . قال في "تقويم البلدان" : والذي يُحيط به من الغرب رُسْتاقُ واسطَ ودُورِ الراسيِّ ، ومن جهة الجنوب من عبادان على البحر إلى مَهْرُوبَانَ ، إلى الدَّورَقِ ، إلى حدود فارس ؛ ومن الجهة الشرقية التي إلى جهة الجنوب حدودُ فارس ؛ ومن الجهة الشرقية التي إلى جهة الشمال حدودُ أَصْفَهَانَ وبلاد الجبل ؛ ومن جهة الشمال حدودُ الصَّيْمَرِ ، والكِرْجَةِ ، وجبال اللُّورِ ، وبلاد الجَبَلِ إلى أَصْفَهَانَ . قال : وخُوزِسْتَانُ في مستوٍ من الأرض ليس بها جبال ، وهي كثيرة المياه الجارية ، وتجتمع مياهه وتعرض وتصل ببحر فارس عند حصن مَهْدِيٍّ .

وقاعدتها على ما ذكره صاحب حماة في "تاريخه" (تُسْتَرُ) . قال في "اللباب" : يضم المثناة من فوق وسكون السين المهملة وفتح التاء الثانية وفي آخرها راء مهملة ، والعامية تسميها تُسْتَرُ بإبدال التاء الأولى شينا - وهي مدينة واقعة في الإقليم الثالث . قال في "القانون" : حيث الطولُ خمس وسبعون درجة وعشرون دقيقة ، والعرضُ إحدى وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة ، وجعلها في "تقويم البلدان" من الأهواز ، ولها نهر معروف بها ؛ بنى فيه سابور : أحد ملوك الفرس بناء عظيمًا حتى ارتفع الماء إلى المدينة ، على مرتفع من الأرض ؛ ويقال إنه ليس على وجه الأرض مدينة أقدم منها . قال في "اللباب" : وبها قبر البراء بن مالك الصحابي رضي الله عنه .

وقد ذكر في "تقويم البلدان" : بخوزستان عدة مدُن .

(منها) السُّوس . قال في "المشترك" : يضم السين المهملة وسكون الواو ثم سين ثانية . قال أبو الرِّيحان : وهي بالفارسية معجمة . وهي مدينة واقعة في الإقليم الثالث . قال في "الأطوال" : حيث الطول ثلاث وسبعون درجة وخمس وأربعون دقيقة ، والعرض اثنتان وثلاثون درجة وخمس وخمسون دقيقة . قال في "المشترك" : وهي بلدة قديمة ، قال : وبها قبر دانيال النبي عليه السلام . قال في "تقويم البلدان" : ولها بساتين وفيها تَرْبُجٌ كالأصابع .

(ومنها) الطَّيْبُ . قال في "المشترك" : بكسر الطاء المهملة وسكون المشاة من تحتها وفي آخرها باء موحدة ، وموقعها في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" : حيث الطول ثلاث وسبعون درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض ثلاث وثلاثون درجة وخمس وأربعون دقيقة . قال في "المشترك" : وهي بلدة بين واسط وبين الأهواز . ثم قال : وفيها عجائب ولم يذكر ما هي ؛ وإلى الطَّيْبِ هذه ينسب الطَّيْبِيُّ صاحب الحواشي على "كشاف الزمخشري" .

(ومنها) جُبِّي . قال في "المشترك" : يضم الجيم وتشديد الباء الموحدة وياء آخر الحروف في الآخر - وهي مدينة واقعة في الإقليم الثالث من الأقاليم العُرفِيَّة . قال في "الأطوال" : حيث الطول أربع وسبعون درجة وخمس وثلاثون دقيقة ، والعرض ثلاثون درجة وخمسون دقيقة . قال في "تقويم البلدان" : وهي كثيرة النخل . قال : وإليها ينسب أبو علي الجُبَّائِيُّ المعتزلي^(٢) .

(ومنها) مَهْرُوبَانُ . قال في "تقويم البلدان" : بفتح الميم وسكون الهاء وضم الراء المهملة وسكون الواو ثم باء موحدة وألف ونون . وعدّها ابن حوقل وآبن

(١) في معجم البلدان "بالضم ثم التشديد والقصر" .

(٢) أى على غير قياس والقياس جُبِّيٌّ .

سعيد من فارس ؛ وهي مدينة من فَارِس صغيرة واقعة في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال في ” القانون “ حيث الطول ست وسبعون درجة وعشرون دقيقة ، والعرض ثلاثون درجة . وهي فرضة أَرْجَان وما والاها . قال في ” العريزي “ :
وهي على البحر .

(ومنها) أَرْجَان . قال في ” الباب “ : بفتح الألف وسكون الراء المهملة وفتح الجيم وفي آخرها نون بعد الألف . وقال ابن الجوالقي في المعرّب من العجمية للعربية : إنها بتشديد الراء . وقال ابن حوقل : هي من آخر فارس من جهة خُوزُستان . وقال في ” العريزي “ : هي أول مُدُن فارس - وهي مدينة كبيرة كثيرة الخير ، وبها النخل والزيتون بكثرة ، بَرِيَّةٌ بحرية ، سَهْلِيَّةٌ جَبَلِيَّةٌ ، على مرحلة من البحر . قال في ” العريزي “ : وهي مدينة جليلة لها كورة وأعمال نفيسة ؛ وإليها ينسب القاضي الأَرْجَانِي الأديب الشاعر .



وأما الأهواز . فقال في ” الباب “ : هي بفتح الألف وسكون الهاء وفي آخرها زاي معجمة . وهي كورة من كُور خُوزُستان المقدم ذكرها كما ذكره في ” تقويم البلدان “ وإن كان قد ذكر في أول الكلام على إقليم فارس أن خُوزُستان هي الأهواز إلا أنها غلب ذكرها فصارت كالإقليم المنفرد بذاته .
ولها عدة مُدُن تعرف بها .

(منها) سُوق الأهواز - وهي مدينتها ، فقد قال في ” المشترك “ : وسوق الأهواز هي مدينة الأهواز ، وذكر مثله في ” العريزي “ . قال في ” المشترك “ : وقد حَرِبَ أكثرها . قال في ” العريزي “ : ومنها إلى أَصْفَهَان ثمانون فرسخا .

(ومنها) قَرْقُوبٌ . قال في "اللباب" : بضم القافين وبينهما راء مهملة ثم واو وفي الآخرباء - وهى مدينة واقعة فى الإقليم الثالث ، قال فى "القانون" حيث الطول أربع وسبعون درجة ، والعرض ثلاث وثلاثون درجة . وهى مدينة مشهورة . قال فى "اللباب" قرية من الطَّيِّبِ قال فى "العزيزى" : وبينهما سبعة فرائخ ومنها إلى مدينة السُّوس عشرة فرائخ .

(ومنها) جُنْدَى سَابُورَ . قال فى "اللباب" : بضم الجيم وسكون النون وفتح الدال المهملة بعدها مثناة من تحتها وفتح السين المهملة وألف وباء موحدة وواو وراء مهملة . وموقعها فى الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال فى "الأطوال" حيث الطول أربع وسبعون درجة وخمس دقائق ، والعرض إحدى وثلاثون درجة وخمس وخمسون دقيقة . قال فى "تقويم البلدان" : وهى مدينة خُصْبَةٌ كثيرة الخير . قال ابن حوقل : وبها نخيل وزروع كثيرة ومياه . قال فى "العزيزى" : منها إلى تُسْتَرِ ثمانية فرائخ ، ومنها إلى السُّوس ستة فرائخ .

(ومنها) عَسْكَرٌ مُكْرَمٌ . قال فى "اللباب" : بفتح العين وسكون السين المهملتين وفتح الكاف وفى آخرها راء مهملة . قال فى "تقويم البلدان" : عن الثقات أن مكرم بضم الميم وسكون الكاف وفتح الراء المهملة ثم ميم - وموقعها فى الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال فى "القانون" حيث الطول ست وسبعون درجة وثمان دقائق ، والعرض إحدى وثلاثون درجة وخمس وعشرون دقيقة . قال فى "العزيزى" : وهى مدينة مُحَدَّثَةٌ ، وكانت قرية ينزلها مكرم بن الفُزَرِ أحد بنى جَعُونَةَ بعسكر كان قد أنفذه به الحجاج لمحاربة خُذَّادِ بْنِ بَارِسَ ، فأقام بها مدةً وأبَتى بها البناءات فسميت عَسْكَرٌ مُكْرَمٌ . قال : وليس بالأهواز مدينة محدثة سواها ، وبها عقارب صغار مشهورة بالقتل .

(ومنها) رَامَهْرُمُز . قال في ”اللباب“ : بفتح الراء المهملة والميم وضم الهاء وسكون الراء المهملة وضم الميم الثانية وفي آخرها زاي معجمة - وموقعها في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال في ”الأطوال“ حيث الطول ست وسبعون درجة والعرض ثلاثون درجة وخمس وأربعون دقيقة . قال في ”اللباب“ : وهي كُورَة من كُور الأهواز . قال ويقال إن سَلْمَان الفارسي رضي الله عنه منها . قال المهلبّي : وبينها وبين سُوق الأهواز تسعة عشر فرسخا .

(ومنها) الدَّورُق . قال في ”المشترك“ : بفتح الدال المهملة وسكون الواو وفتح الراء المهملة وفي آخرها قاف - وموقعها في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال في ”القانون“ حيث الطول خمس وسبعون درجة وخمس وخمسون دقيقة ، والعرض اثنتان وثلاثون درجة وعشرون دقيقة . قال ابن حوقل : وهي مدينة كبيرة . قال في ”العزيزي“ : ومنها إلى أَرْجَان ثمانية عشر فرسخا .

(ومنها) حِصْنُ مَهْدِيٍّ . وضبطه معروف ، وموقعه في الإقليم الثالث . قال في ”الأطوال“ حيث الطول أربع وسبعون درجة وخمس وأربعون دقيقة ، والعرض ثلاثون درجة وخمس وأربعون دقيقة . وهو حِصْنٌ تجتمع فيه مياه خُوزُستان ثم تصير نهرا وتصب في بحر فارس ، وبينه وبين البصرة خمسة عشر فرسخا .

(ومنها) جُرْحَانُ . قال في ”اللباب“ : بضم الجيم وسكون الراء المهملة وحاء معجمة ثم ألف ونون . قال : وهي بلدة بقرب السُّوس .

(ومنها) جِبَالُ اللُّور . قال في ”اللباب“ : بضم اللام وسكون الواو وفي آخرها راء مهملة . قال : وبها جبال يقال لها لُورُستان من بلاد خُوزُستان . وقال ابن حوقل : غالبُ بلاد اللُّور جبال وكانت قديما من خُوزُستان . قال في ”تقويم البلدان“ : وهي بلاد خِصْبَةٌ والغالب عليها الجبال ، وهي متصلة بخوزستان ولكن

أُفردت عنها . قال في "الأطوال" : وهى بين تُسْتَرُ وأُصْبَهَان ، وأمتدادها طولاً نحو ستة أيام ، وفيها خَلْقٌ عظيم من الأكراد . قال : وهى حيث الطول أربع وسبعون درجة ، والعرض اثنتان وثلاثون درجة . قال في "مسالك الأبصار" : وهم طائفة كثيرة العدد ومنهم فِرَقٌ مفرقة فى البلاد ، وفيهم مُلُكٌ وإمارة ، ولهم خِفَّةٌ فى الحركات يقف الرجل منهم إلى جانب البناء المرتفع ويُلصق بطنه باحدى زواياه القائمة ثم يصعد فيه إلى أن يرتقى صهوة العُليا .

ومما يحكى أن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب حضره رجل منهم وصعد فى جدار كذلك ، فأنعم عليه الإنعام الجزيل وأمره أن يُحضر كل من قدر عليه من أصحابه فأحضر منهم جماعة ، وهو يُحسِن إليهم إلى أن لم يبقَ منهم أحدٌ قتلهم عن آخرهم خشيةً مما لهم من قوة التسور ؛ ومن هؤلاء طوائف بمصر والشام يُعرفون بالنورة ، يجالس أحدهم الرجل فيسرق ماله وهو لا يدري ، ويمشون على الجبال المرتفعة ولنسائهم فى ركوب الخيل القروسية العظيمة .

الإقليم الرابع

(فارس)

بقاء مفتوحة بعدها ألف ثم راء مهملة مكسورة وسين مهملة فى الآخر . قال فى "تقويم البلدان" : ويحيط ببلاد فارس من جهة الغرب حدودُ خُوزِستانَ ، وتنام الحد الغربى إلى جهة الشمال حدودُ أَصْفَهَانِ والجبال ؛ ويحيط بها من جهة الجنوب بحر فارس ، ومن جهة الشرق حدودُ كَرْمَانَ ، ومن جهة الشمال المفازة التى بين فارس وخراسان ، وتنام الحد الشمالى حدودُ أَصْفَهَانِ وبلاد الجبال ؛ قال فى "العزى" : وعلى نهاية فارس الشرقية ناحية يَزْدَ ، وعلى نهايتها من الجنوب سِيرَافُ والبحر ؛ وحدها

من الشمال الرّى . قال ابن حوقل : وقاعدتها فيما ذكره صاحب حماة فى تاريخه : (شيراز) . قال فى "اللباب" : بكسر الشين المعجمة وسكون المثناة من تحت وفتح الراء المهملة وفى آخرها زاي معجمة بعد الألف - وموقعها فى الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال فى "الأطوال" حيث الطول ثمان وسبعون درجة، والعرض ثمان وعشرون درجة وست وثلاثون دقيقة . قال ابن حوقل : وهى مدينة إسلامية مُحَدَّثَةٌ، بناها محمد بن القاسم بن أبى عقيل الثَّقَفِيّ^(١)، وهو ابن عم الحجاج بن يوسف . قال : وسميت بشيراز تشبهاً بجوف الأسد لأنّ عامّة الميرة بتلك النواحي تُحْمَلُ إلى شيراز ولا يحمل منها شيء إلى غيرها . قال المهلبى : وهى مدينة واسعة سرية كثيرة المياه؛ وشربهم من عيون تتخرق البلد وتجرى فى دُورهم، وليس تكاد تخلو دار بها من بُستان حسن ومياه تجرى، وأسواقها عامرة جليّة؛ وإليها ينسب الشيخ أبو إسحاق الشيرازى صاحب "التنبيه" رحمه الله؛ وبها قبر سيديوه النحوى، وبينها وبين أصبهان اثنتان وسبعون فرسخاً؛ وبها حاكم يكاتب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

(ومنها) جُورُ . قال فى "اللباب" : بضم الجيم ثم واو وراء مهملة - وموقعها فى الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال ابن سعيد حيث الطول ثمان وسبعون درجة، والعرض إحدى وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . قال فى "تقويم البلدان" : وهى من قواعد فارس . قال ابن حوقل : وعليها سور من طين وخندق؛ ولها أربعة أبواب وفيها المياه جارية - وهى مدينة زَرْهَةٌ كثيرة البساتين جدّاً ويرتفع منها ماء ورد يُعمُّ البلاد، وهى فى ذلك كدمشق . قال "العزيزى" : ومنها إلى شيراز أربعة وعشرون فرسخاً، وقال فى موضع آخر عشرون فرسخاً .

(١) كذا فى التقويم أيضاً وفى معجم البلدان ابن عقيل .

(ومنها) كَازَرُونُ . قال في "اللباب" : بفتح الكاف وسكون الألف وفتح الزاى المعجمة وضم الراء المهملة وواو ساكنة وفي آخرها نون - وهى مدينة من كُورة سابور واقعة فى الإقليم الثالث . قال فى "القانون" حيث الطول سبع وسبعون درجة ، والعرض ثمان وثلاثون درجة وخمسون دقيقة . قال ابن حوقل : وهى أعظم مدينة فى كُورة سابور . وقال المهلبى : هى مدينة لطيفة صالحة العمارة . قال ابن حوقل : وهى صحيحة التربة والهواء وماؤها من الآبار . قال فى "اللباب" : وخرج منها جماعة من العلماء .

(ومنها) فَيْرُوزَابَاذ . قال فى "المشترك" : بفتح الفاء وكسرهما وسكون المثناة من تحت وضم الراء المهملة ثم واو ساكنة وزاى معجمة ثم ألف وباء موحدة وألف ثانية وذال - وموقعها فى الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال فى "الأطوال" : حيث الطول سبع وسبعون درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض ثمان وعشرون درجة وعشر دقائق . قال فى "المشترك" : وكانت تسمى فى القديم جُور ثم غيرَ اسمها ، وهى بلدة مشهورة على القرب من شيراز ، وهى أصل بلد الشيخ أبى إسحاق الشيرازى - المقدم ذكره فى شيراز .

(ومنها) سِيرَاف . قال فى "اللباب" : بكسر السين المهملة وسكون المثناة من تحت وفتح الراء المهملة وفاء فى الآخر - وهى بلدة على البحر واقعة فى الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال فى "الأطوال" : حيث الطول ثمان وسبعون درجة ، والعرض ست وعشرون درجة . قال فى "تقويم البلدان" : وهى أعظم فُرْصَةٍ لفارس ، وليس لها زرع ولا ضرع بل هى مدينة حَطٌّ وإقلاع للراكب ، وهى مدينة أهلة ، ولهم عناية بالبُنْيَانِ حتّى إن الرجل من التجار ينفق فى عمارة داره ثلاثين ألف

دينار؛ وليس حولها بساتين ولا أشجار؛ وبنائهم بالساج والخشب، يحمل اليهم من بلاد الزنج؛ وهي شديدة الحر.

(ومنها) البَيْضَاء - بفتح الموحدة وسكون الياء المثناة من تحت وفتح الضاد المعجمة وألف في الآخر. وهي مدينة من عمل إصطخر واقعة في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة. قال في "القانون": حيث الطول ثمان وسبعون درجة وأربعون دقيقة، والعرض ثلاثون درجة. قال ابن حوقل: وهي من أكبر مدُن كورة إصطخر. قال: وسميت البيضاء لأن لها قلعة بيضاء ترى من بُعد، وأسمها بالفارسية نسانك، ويقال إن الحسين الحلاج منها، وإليها ينسب القاضي ناصر الدين البيضاوي صاحب "المنهاج" في أصول الفقه، و"الطوابع" في علم الكلام وغير ذلك. قال المهلب: وبينها وبين شيراز ثمانية فراسخ.

(ومنها) إصطخر. قال في "اللباب": بكسر الألف وسكون الصاد وفتح الطاء المهملتين وفي آخرها راء مهملة قبلها خاء معجمة - وموقعها في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة. قال ابن سعيد حيث الطول تسع وسبعون درجة وثلاثون دقيقة، والعرض ثلاثون درجة وأثنتان وثلاثون دقيقة. قال في "تقويم البلدان": وهي من أقدم مدُن فارس، وبها كان سرير الملك في القديم؛ وبها آثار عظيمة من الأبنية حتى يقال إنها من عمل الجن كما يقال عن تدمر وبعليبك من بلاد الشام. قال في "العزري": وبينها وبين شيراز اثنا عشر فرسخاً. قال [وينسب إليها] أبو سعيد الإصطخرى أحد أصحابنا الشافعية.

(ومنها) بَسَا. قال في "اللباب": بفتح الباء الموحدة والسين المهملة ثم ألف - وهي مدينة من كورة دارا بجرد واقعة في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة. قال

(١) الزائد مأخوذ بالمعنى من "معجم البلدان".

في "الأطوال" حيث الطول ثمان وسبعون درجة وخمس ونحسون دقيقة ،
والعرض تسع وعشرون درجة . قال ابن حوقل : وهي تقارب شيراز في الكبر وأكثر
خشب أبنيتها السرو ، ويجتمع فيها التلج (؟) والرطب والجوز والأترج ، وإليها ينسب
البساسيري الذي خطب لخلفاء مصر في بغداد .

(ومنها) يزيد . قال السمعاني في "الأنساب" : بفتح المثناة التحتية وسكون الزاي
المعجمة وفي آخرها دال مهملة - وهي مدينة من كورة إصطخر . قال في "الأطوال"
حيث الطول ثمان وسبعون درجة ، والعرض اثنتان وثلاثون درجة . خرج منها
جماعة من العلماء وإليها ينسب القماش اليزدي .

ومنها - (داراً بجرد) . قال في "اللباب" : بفتح الدال المهملة وسكون الألفين
بينهما راء ثم باء موحدة وجيم مكسورة وراء مهملة ساكنة وفي آخرها دال مهملة -
وهي مدينة من فارس واقعة في الإقليم الثالث . قال في "القانون" حيث الطول
ثمان وسبعون درجة ، والعرض اثنتان وثلاثون درجة . قال ابن حوقل : ومعنى
دارا مجرد عمل دارا ، وهي مدينة لها سور وخندق تتولد المياه فيه ، وفيه حشيش
يلتف على الساج فيه حتى لا يكاد يسلم من الغرق ، وفي وسط المدينة جبل كالثبة
ليس له اتصال بشيء من الجبال ، وبناحيها جبال من الملح الأبيض والأسود
والأصفر والأحمر والأخضر ، ينحت منه ويحمل منها إلى البلاد . قال في "المشترك" :
وعملها من أجل كور فارس . قال في "العزيزي" : وبأعمالها معدن مؤمياً
ومعدن زئبق .

الإقليم الخامس (كُرمَان)

كما قاله في "مسالك الأبصار" : قال في "المشترك" : بفتح الكاف، ومنهم من يكسرهما . قال : وهو صُقع كبير بين فارس وِسِجِسْتَانَ ومُكْرَانَ من بلاد الهند . ويحيط به من جهة الغرب حدود فارس ؛ ومن جهة الجنوب بحر فارس ؛ ومن جهة الشرق أرض مُكْرَانَ من وراء البَلُوص إلى البحر ؛ ومن الشمال المَفَازة التي هي فيما بين فارس وكُرمَانَ وبين خُرَاسَانَ . قال في "تقويم البُلدان" : وأرض كُرمَانَ داخلة في البحر ، وللبحر ساعدان قد آعتنقا أرض كُرمَانَ ، فالبحر على ساحل كُرمَانَ قطعة قوس من دائرة . وقاعدتها فيما ذكره المؤيد صاحب حماة في "تاريخه" السَّيرجَان . قال في "اللباب" : بكسر السين المهملة وسكون المثناة من تحتها والراء المهملة وفتح الجيم وبعد الألف نون - وموقعها في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال في "رسم المعمور" حيث الطول ثلاث وثمانون درجة ، والعَرْضُ اثنتان وثلاثون درجة . قال ابن حوقل : وهي أكبر مدينة بكُرمَانَ ، وأبنيتها أقباءٌ لقلعة الخشب بها وداخلها قُبَى الماء . قال في "اللباب" : وهي مما يلي فارس .

وتشتمل كُرمَانَ على عِدَّة مَدُن .

(١) جِيْرُقْتُ . قال في "اللباب" : بكسر الجيم وسكون المثناة تحتُ وضم (١) الراء المهملة وسكون الفاء وفي آخرها تاء مثناة من فوق - وموقعها في الإقليم الثالث . قال في "الأطوال" : حيث الطول ثلاث وثمانون درجة ، والعرض اثنتان وثلاثون درجة . قال ابن حوقل : وهي مدينة مجمع للتجار الواصلين من خُرَاسَانَ وِسِجِسْتَانَ ،

وهي حصينة للغاية . قال المهلبى : وهي من أعظم مدينة بكرمان كثيرة النخل والأترج وبينها وبين السيرجان مرحلتان .

(ومنها) زَرَنْدُ . قال في "المشترك" : بفتح الزاى المعجمة والراء المهملة وسكون النون وفي آخرها دال مهملة - وموقعها في الإقليم الثالث . قال في "القانون" : حيث الطول ثلاث وثمانون درجة وأربعون دقيقة ، والعرض ثلاث وثلاثون درجة . قال في "المشترك" : وهي مدينة مشهورة . قال "المهلبى" : وبينها وبين مدينة السيرجان تسعة وعشرون فرسخا .

(ومنها) بَم . قال في "اللباب" : بفتح الباء الموحدة وتشديد الميم - وموقعها في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال في "العزى" : وهي من كبار مدن كَرْمَانَ ، وهي مصر من الأمصار . قال ابن حوقل : وهي أكبر من جِرْفَتَ ، وبها ثلاثة جوامع .

(ومنها) هُرْمَزُ . قال في "المشترك" : بضم الهاء وسكون الراء المهملة وضم الميم وفي آخرها زاي معجمة - وموقعها في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" : حيث الطول خمس وثمانون درجة ، والعرض اثنتان وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . قال في "تقويم البلدان" : وهي فُرْضة كَرْمَانَ . قال في "المشترك" : تدخل إليها المراكب من بحر الهند في خليج . قال صاحب حماة : وهي مدينة كثيرة النخل شديدة الحر . ثم قال : أخبرنى من رآها في زماننا يغنى في الدولة الناصرية محمد بن قلاوون أن هُرْمَزَ العتيقة خربت من غارات التتروا وأن أهلها انتقلوا عنها إلى جزيرة في البحر تسمى زَرُونَ - بفتح الزاى المعجمة وضم الراء المهملة ثم واو وفي الآخرون - وهي جزيرة قريبة من البرغوى هُرْمَزَ العتيقة ،

ولم يبق بهرمز العتيقة إلا قليل من أطراف الناس ؛ ومنها إلى أول حدود فارس نحو سبع مراحل .

قلت : وفي سنة ثلاث عشرة وثمانمائة كُتِبَ إلى صاحبها عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية في الدولة الناصرية أبي السعادات فرج بن السلطان الشهيد الظاهر برقوق ، وسيأتى الكلام على صورة المكتبة إليه في المكتبات في المقالة الرابعة إن شاء الله تعالى .

الإقليم السادس (سجستان والرخج)

أما سَجِسْتَانُ فقال في ” المشترك “ : بكسر السين المهملة وكسر الجيم وسكون السين الثانية ثم مشناة من فوقها وألف ونون . قال : وسَجِسْتَانُ إقليم عظيم بين نُرَّاسَانَ وبين مَكْرَانَ والسند وبين كَرْمَانَ . قال ابن حوقل : ويحيط بسَجِسْتَانَ من جهة الغرب نُرَّاسَانُ ، ومن جهة الجنوب المفازة التي بين سجستان وفارس وكَرْمَانَ ، ومن جهة الشرق مَفَازَةٌ بين سجستان وبين مَكْرَانَ ، وهي المفازة الواصلة بين مَكْرَانَ والهند ^(١) ، وتنام الحدّ الشرقى في شيء من عمل المُلتان من الهند ، ومن جهة الشمال أرض الهند ، وفيما يلي نخراسان والغور والهند تقويس . وقال في ” العزيزى “ : سجستان شرقى كَرْمَانَ إلى الشمال . قال ابن حوقل : وأراضى سَجِسْتَانَ بها الرمال والتخيل ، وهي أرض سهّلة لا يرى فيها جبل ، وتشتدّ بها الريح وتدوم ، وبها أرجية تطحن بالريح ، والرياح تنقل رمالهم من مكان إلى مكان ، وإذا أرادوا نقل الرمل عن مكان ، عملوا هناك حائطا من خشب أو غيره وجعلوا في أسفله طوقا وأبوابا

(١) في ” تقويم البلدان “ والسند وهو الصواب بدليل ماسيأتى .

فتدخل فيها الريح من تلك الأبواب وتطير الرمل وترميه بعيداً، وسجستان خصبة كثيرة الطعام والتمر والأعنان وأهلها ظاهر اليسار . وقال في "اللباب" : والنسبة إلى سجستان سَجَرِيٌّ بكسر السين المهملة وسكون الجيم ثم زاي معجمة على غير قياس . قال : وينسب إليها سَجِسْتَانِيٌّ أيضاً يعني على الأصل .

وقاعدتها (زَرْجُجٌ) . قال في "اللباب" : بفتح الزاي المعجمة والراء المهملة وسكون النون وجيم في الآخر - وهي مدينة كبيرة واقعة في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" : حيث الطول سبع وثمانون درجة، والعرض اثنتان وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . قال ابن حوقل : وقد يطلق على زَرْجُجٍ نفسها سَجِسْتَانُ . قال في "المشترك" : بل أنبئني اسم زرنج وأطلق اسم الإقليم وهو سجستان على المدينة . وجعل في "اللباب" : زَرْجُجٍ ناحية بسجستان . قال ابن حوقل : ولها سورٌ وَخَنْدَقٌ يَنْبُعُ فيه الماء، وأبنيتها عقود لأن الخشب فيها يسوس ولا يثبت . وفيها مياه تجري في البيوت والأزقة وأرضها سبخة . قال في "اللباب" : وخرج منها جماعة من العلماء منهم محمد بن كَرَّام الزَّرْجِيّ صاحب المذهب المشهور . ولها مدُن .

(منها) حِصْنُ الطاق - وضبطه معروف . قال ابن سعيد : وهو حصن واقع في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" : حيث الطول ثمان وثمانون درجة وثلاثون دقيقة، والعرض أربع وثلاثون درجة وأربعون دقيقة، على جبل عند آلتواء النهر في غاية المنعة لا يرام يحصار . قال وبه يعتصم ملوك هذه البلاد ويجعلون فيه خزائنهم . أما الطاق المضاف إليها فمدينة صغيرة لها رُستاق، وبها أعنان كثيرة يتسع بها أهل سجستان .

(ومنها) سَرَوَانُ . قال في ”تقويم البلدان“ : قال بعض الثَّقَاتِ - بفتح السين وسكون الراء المهملتين وفتح الواو ثم ألف ونون - وهي مدينة من آخر الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال في ”الأطوال“ حيث الطول تسعون درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض ثمان وعشرون درجة وخمس وعشرون دقيقة . قال ابن حوقل : وهي مدينة صغيرة بها فواكه كثيرة ونخيل وأعناب .

(ومنها) بُسْتُ . قال في ”اللباب“ : بضم الباء الموحدة وسكون السين المهملة وفي آخرها تاء مثناة من فوقها - وهي مدينة على شط نهر الهندمند . قال في ”القانون“ حيث الطول إحدى وتسعون درجة وثمان وثلاثون دقيقة ، والعرض اثنتان وثلاثون درجة وخمس وخمسون دقيقة . قال ابن حوقل : وهي مدينة كبيرة خصبة كثيرة النخل والأعناب . وقال في ”اللباب“ : هي مدينة حسنة كثيرة المياه والخضرة . وقال في ”العزيزي“ : مدينة جليلة بها عدة منابر ورباطات كثيرة عظيمة . وذكر في ”اللباب“ : أنها من بلاد كابل بين هراة وغزنة . قال ابن حوقل : وبينها وبين غزنة نحو أربع عشرة مرحلة .

وأما (الرُّخْج) فقال في ”اللباب“ : بضم الراء المهملة وفتح الخاء المعجمة المشددة وفي آخرها جيم . قال ابن حوقل : وهو إقليم عظيم متصل بسجستان فيه عدة مدُن وهي على غاية الخصب والسعة . قال : ومن مدنها بنجوان (؟) ولم يزد على ذلك .

الجانب الثاني

(من مملكة إيران الشماليّ)

ويشتمل على عدة أقاليم من الأقاليم العرفية .

الإقليم الأول (إرمينية)

قال ياقوت : بكسر الهمزة وسكون الراء المهملة وكسر الميم وسكون الياء آخر الحروف وكسر النون ثم ياء ثانية مخففة وقد تشدد - وضبطها في "الباب" :
بفتح الهمزة . قال في "تقويم البلدان" : وقد جمع أرباب المسالك والممالك إرمينية وأزان وأذر بيجان لعُسر أفراد إحداها عن الأخرى . قال : ويحيط بها على سيل الإجمال من الغرب حدودُ بلاد الروم وشيء من حدود الجزيرة ؛ ومن جهة الجنوب بعض حدود الجزيرة وحدود العراق ؛ ومن جهة الشرق بلاد الحيل والدليم ، إلى بحر الخزر ؛ ومن جهة الشمال بلاد القتيق ؛ ثم أفرد أذر بيجان بحدود تخصها فقال : يحدها من جهة الشرق بلاد الحيل وتام الحد الشرق بلاد الدليم ؛ ويحدها من جهة الجنوب العراق عند ظهر حلوان وشيء من حدود الجزيرة . وذكر في "مسالك الأبصار" نحوه إلا أنه ذكر أن حدّها الغربيّ إلى بلاد الأرمن . قال ابن حوقل : والغالب على إرمينية الجبال .

وقاعدتها (الدَّيْل) فيما ذكره ابن حوقل والمهلبى . قال في "المشارك" : وهى بفتح الدال المهملة وكسر الباء الموحدة ثم مشنة من تحتها ساكنة وفي آخرها لام - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" حيث الطول اثنتان وسبعون درجة وأربعون دقيقة ، والعرض ثمان وثلاثون درجة . قال ابن حوقل : وهى مدينة كبيرة والنصارى فيها كثيرة ، وبها جامع للمسلمين إلى جانب كنيسة النصارى . قال في "العزى" : وهى من أجَلّ البلاد وأنفسها وهى مستقرُّ سلطانها . وبها عدّة مدن .

(منها) أَرْزَنْجَانٌ . قال في "تقويم البلدان" : بفتح الهمزة وسكون الراء المهملة وفتح الزاى المعجمة وسكون النون وفتح الجيم ثم ألف ونون، ويقال بالكاف أيضا عوضا عن الجيم - وموقعها في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" : حيث الطول ثلاث وستون درجة، والعرض تسع وثلاثون درجة وخمسون دقيقة . قال ابن سعيد : وهى بين سيواس وبين أَرْزَنْ الروم، وبينها وبين كل واحدة منهما أربعون فرسخا ، وما بينها وبين أَرْزَنْ كُلُّه مروج ومرعى، وبها حاكم يكاتب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

(ومنها) أَرْزَنْ . قال في "المشترك" : بفتح الهمزة وسكون الراء المهملة وفتح الزاى المعجمة ثم نون في الآخر . قال في "تقويم البلدان" : وهى من أطراف إرمينية - وموقعها في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" : حيث الطول خمس وستون درجة ، والعرض ثمان وثلاثون درجة وخمس وخمسون دقيقة . قال في "تقويم البلدان" : وهى غير أَرْزَنْ الروم، وهى عن خِلَاطٍ على ثلاثة أيام . قال : ووهى في "اللباب" بجعلها من ديار بكر من الجزيرة ، والصحيح ما تقدم . وصاحبها يكاتب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية، على ما سياتى ذكره في الكلام على المكاتبات في المقالة الثانية فيما بعد إن شاء الله تعالى .

(ومنها) بِذَلِيسُ . قال في "تقويم البلدان" : بكسر الباء الموحدة ثم دال مهملة ساكنة ولام وياء مثناة من تحت ساكنة وسين مهملة . قال : وعن بعضهم أنها بفتح الباء الموحدة - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" : حيث الطول خمس وستون درجة وثلاثون دقيقة، والعرض ثمان وثلاثون درجة

ونحس وأربعون دقيقة . قال في "تقويم البلدان" : وعن بعض أهل تلك البلاد أنها بين ميا فارقين وبين خلّاط . قال : وهي مدينة مسورة ، وقد خرب نصف سورها ، والمياه تخرق المدينة من عيون في ظاهرها ، ولها بساتين في وادٍ وهي بين جبال تحفُّ بها . قال وهي دون حماة في القدر . وقال ابن حوقل : بلد صغير عامر خصب كثير الخير ، وهي شديدة البرد كثيرة الثلوج ، وصاحبها يكتب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية على ما سيأتى ذكره في الكلام على المكاتبات في المقالة الرابعة إن شاء الله تعالى .

(ومنها) أخلاط . قال في "تقويم البلدان" : بفتح الهمزة وسكون الخاء المعجمة وفتح اللام ثم ألف وطاء مهملة ، ويقال فيها خلّاط بفتح الخاء من غير همز - وموقعها في الإقليم الخامس . قال في "الأطوال" : حيث الطول نحس وستون درجة ونحسون دقيقة ، والعرض تسع وثلاثون درجة وعشرون دقيقة . قال في "تقويم البلدان" : عن بعض أهلها إنها في مستو من الأرض ، ولها بساتين كثيرة ، وبها عدة أنهار على شبه أنهار دِمَشَق ، وليس يدخل المدينة منها إلا الشيء اليسير ، ولها سور خراب ، وهي قدر دِمَشَق ، والجبال عنها على أكثر من مسيرة يوم ، وبردها شديد . قال ابن سعيد : وهي أجل مدينة بإرمينية ، وذكرها جليل الشهرة . وقال ابن حوقل : وهي بلدة صغيرة عامرة كثيرة الخير . قال في "الغريزي" : وبينها وبين بَدْلِس سبعة فراسخ .

(ومنها) خَرْت بَرْت - بكسر الخاء المعجمة وسكون الراء وتاء مثناة فوق ثم باء موحدة مكسورة بعدها راء مهملة ساكنة وتاء مثناة فوق في الآخر ، وتعرف

بِحُصْنِ زِيَاد . قال في "تقويم البلدان" : وهي بلدة بإرمينية على القرب من خَلَّاط ، وحاكمها يكاتب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

الإقليم الثاني (أذربيجان)

قال ابن الجوالقي في "المعرب من العجمة إلى العربية" بقصر الألف وإسكان الدال المعجمة . قال ابن حوقل : الغالب عليها الجبال أيضا . قال في "مسالك الأبصار" : وهي أجمل الأقاليم الثلاثة ، وهي كانت قَرَارَ ملوك بني جنكروخان . وبها ثلاث قواعد .

القاعدة الأولى (أردبيل)

قال في "اللباب" : بفتح الهمزة وسكون الراء وضم الدال المهملتين وكسر الباء الموحدة وسكون الباء المثناة من تحت ولام في الآخر - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" حيث الطول ثلاث وسبعون درجة وخمسون دقيقة ، والعرض ثمان وثلاثون درجة . قال في "اللباب" : لعله بناها أردبيل بن أردميني بن لمطى بن يونان فنسبت إليه . قال في "العزى" : وهي في الجهة الشمالية من أذربيجان . قال : وهي مدينة كثيرة الحُصْب ، وعلى فرسخين منها جبل عظيم الارتفاع لا يفارقه الثلج . قال المهلب : وأهلها غليظو الطبع شرسو الأخلاق . قال : وبينها وبين تبريز خمسة وعشرون فرسخا . قال في "مسالك الأبصار" : وأعمالها تكون ثلاثين فرسخا . قال : وبها كانت دار الإمارة في صدر الإسلام .

(١) كذا في التقويم أيضا وضبطه باقوت بفتح الدال وهو المشهور .

القاعدة الثانية

(تَبْرِيزُ)

قال في "اللباب": بكسر المثناة من فوق وسكون الباء الموحدة وكسر الراء المهملة ثم مثناة من تحت وفي آخرها زاي معجمة ، والجاري على السنة العائمة توريز بالواو بدل الموحدة - وموقعها في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" حيث الطول ثلاث وسبعون درجة ، والعرض تسع وثلاثون درجة وخمس وأربعون دقيقة . قال ابن سعيد : وهي قاعدة أذربيجان في عصرنا . قال في "اللباب" : وهي أشهر بلدة بأذربيجان ، وبها كان كرسي بيت هولاكو من التتر ، ثم أنتقل بعد ذلك إلى السلطانية الآتية ذكرها . ومبانيها بالقاشاني والحص والكلس ، وبها مدارس حسنة ولها غوطة رائقة . قال في "مسالك الأبصار" : وهي مدينة أعرق في السعادة أنسابها ، وثبتت في النعمة قواعدها . قال : وهي مدينة غير كبيرة المقدار ، والماء منساق إليها ، وبها أنواع الفواكه لكن ليست بغاية الكثرة ، وأهلها من أكبر الناس حشمة ، وأكثرهم تظاهرا بنعمه ، ولهم الأموال المديدة ، والنعم الوافرة ، والنفوس الأنيبة ، ولهم التجميل في زيهم : من المأكول والمشروب ، والملبوس والمركوب ، وما منهم إلا من يأنف أن يذكر الدرهم في معاملته ، بل لا معاملة بينهم إلا بالدينار . وسيأتي ذكر مقدار دينارهم في الكلام على معاملة هذه المملكة فيما بعد إن شاء الله تعالى - وهي اليوم أم إيران جميعا لتوجه المقاصد من كل جهة إليها ، وبها محط رحال التجار والسفّار ، وبها دور أكثر الأمراء الكبراء المصاحيين لسلطانها لقربها من أركان محلّ مشتهام . قال : ويشتد البرد بتوريز كثيرا ، وتتوالى الثلوج بها حتى إن سرّوات أهلها يحدّون في أدريهم ، ليس فيها فرجة ولا يدخلها ضوء إلا ما يروونه من طاقات حيطانها من وراء الزجاج المركب عليها .

القاعدة الثالثة

(السلطانية)

نسبة إلى السلطان ، وأسمها قُنُزْلان . قال في ”تقويم البلدان“ : بضم القاف وسكون النون وضم الغين المعجمة وسكون الراء المهملة ولام ألف ونون - وموقعها في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال في ”تقويم البلدان“ : والقياس أنها حيث الطول ست وسبعون درجة ، والعرض تسع وثلاثون درجة . قال : وهي عن توريزي سمت المشرق بميلة يسيرة إلى الجنوب على مسيرة ثمانية أيام منها - وهي مدينة مُحَدَّثة ، بناها خربندا بن أرغون بن أبغا بن هولاكو ، على القرب من جبال كيلان ، على مسيرة يوم منها ، وجعلها كرسى مملكته ، وهي في مستو من الأرض ، ومياها قُنًى ، قليلة البساتين والفواكه ، وإنما تجلب إليها الفواكه من البلاد المُصَاقِبَة لها . قال في ”مسالك الأبصار“ : وهي مدينة قد رُفِعَ بناؤها ، وأتسع فَنَائُها ، وأُتْقِنَتْ قسمتها في الخطط والأسواق ، وجَلَبَ إليها الناس من أقطار مملكته ، وأستجلبهم إليها بما بسط لسُكَّانها من العدل والإحسان . قال : وهي الآن عامرة أهلة كأنما مر عليها مئوت سنين لكثرة من آستوطنها وتأهل بها وأولد من الولد فيها ، وقد مضت عليها مدة بنوها مبالغ الرجال ، وفيهم من جاز إلى الأكتحال .

وبها عدة مدُن غير هذه القواعد .

(منها) سَلَمَاسُ . قال في ”اللباب“ : بفتح السين المهملة واللام والميم وفي آخرها سين مهملة - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في ”القانون“ حيث الطول ثلاث وسبعون درجة ، والعرض ثمان وثلاثون درجة ونحس وعشرون دقيقة . قال المهلبي : وهي على آخر حدود أذربيجان من الغرب ، وهي مصر من الأمصار جليل والمتاجر بها وإليها متصلة .

(١) لعله ”حتى بلغ بنوها“ أو نحو ذلك .

(ومنها) حُوى . قال في "اللباب" : بضم الخاء وفتح الواو وتشديد المشنة من تحت - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" حيث الطول تسع وستون درجة وأربعون دقيقة، والعرض ثلاثون درجة وأربعون دقيقة . قال في "اللباب" : وهى آخر مُدُن أذربيجان، وبينها وبين سَلْمَاسَ أحد وعشرون ميلا .

(ومنها) أُرْمِيَّة . قال في "اللباب" : بضم الألف وسكون الراء المهملة والميم في آخرها هاء بعد ياء مثناة من تحتها . قال ابن الجوالقي في "المعرب" : ويجوز في قياس العربية تخفيف الياء منها وتشديدها - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" حيث الطول ثلاث وسبعون درجة وعشرون دقيقة ، والعرض سبع وثلاثون درجة . قال المهلبى : وهى آخر حدود أذربيجان، وهى مدينة جليلة . قال : ويقال إن زرادشت نبى المجوس منها . قال في "تقويم البلدان" : ^(١) وعن بعض أهلها أنها مدينة وَسْطَى عامرة، وهى فى أوّل الجبال وآخر الوطاة، فى الغرب عن سَلْمَاسَ على ستة عشر فرسخا منها، وبينها وبين الموصل قاعدة الجزيرة أربعون فرسخا، والموصل فى سمت الغرب عنها؛ ولأُرْمِيَّة قلعة على جبل تسمى قلعة تلافى غاية الحصانة، كان هولاكو قد جعل أمواله فيها لحصاتها والنسبة إلى أُرْمِيَّة أُرْمَوَى .

(ومنها) مَرَاغَة . قال فى "المشترك" : بفتح الميم والراء المهملة وألف وغين معجمة وهاء - وموقعها فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال فى "القانون" حيث الطول ثلاث وسبعون درجة وعشر دقائق ، والعرض سبع وثلاثون درجة وعشرون دقيقة . قال المهلبى : وهى مدينة مُحَدَّثة كانت قرية، فترل بها مَرَوَان بن محمد وكان

(١) الذى فى "تقويم البلدان" وهى فى آخر الجبال وأوّل الوطاة التى خلف جبال العمم .

هناك سِرْجِينٌ فترغ الناس فيه دوابهم فيها مدينة فسميت مراغة . قال ابن حوقل :
وهي من قواعد أذربيجان ، وهي حصينة ، نزهة كثيرة البساتين والرساتيق .^(١)

(ومنها) مِيَانُج . قال في "المشترك" : بفتح الميم والمثناة من تحتها وسكون الألف
وكسر النون وفي آخرها جيم - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال
في "القانون" : حيث الطول ثلاث وسبعون درجة ، والعرض سبع وثلاثون درجة .
قال في "المشترك" : وهي مدينة كبيرة على مسيرة يومين من مراغة . وسمّاها
في "اللباب" : مِيَانَه بفتح الميم والمثناة من تحتها وألف ونون وهاء . وقال : خرج
منها جماعة من العلماء .

(ومنها) مَرَنْدُ . قال في "اللباب" : بفتح الميم والراء المهملة وسكون النون وفي آخرها
دال مهملة - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" : حيث
الطول ثلاث وسبعون درجة ، والعرض سبع وثلاثون درجة . قال في "اللباب" :
وهي قرية من تِيرِيز في جهة الشرق عنها بميلة يسيرة إلى الشمال . وقال المهلبي :
هي عن تدمر على أربعة عشر فرسخا . قال في "تقويم البلدان" : وذكر من رءاها
أنها بلدة صغيرة ذات أنهار وأشجار .

الإقليم الثالث

(أَرَان)

قال في "المشترك" : بفتح الهمزة وتشديد الراء المهملة ثم ألف ونون .
ولها قاعدتان .

(١) في "تقويم البلدان" عن ابن حوقل "خصبة" .

القاعدة الأولى

(بردعة)

قال في " اللباب " : بفتح الباء الموحدة وسكون الراء وفتح الدال المهملتين ثم عين مهملة وهاء في الآخر - وموقعها في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال في " القانون " حيث الطول ثلاث وسبعون درجة ، والعرض ثلاث وأربعون درجة . قال في " تقويم البلدان " : وهي قاعدة مملكة أتران . وقال في " اللباب " : هي من أقاصي أذربيجان . قال ابن حوقل : وهي مدينة كبيرة كثيرة الحصب ^(١) نزهة . قال : وعلى أقل من فرسخ منها موضع [يسمى الأندراب يكون] مسيرة يوم في يوم بساتين مشتبكة كلها فواكه . قال المؤيد صاحب حماة : هذا ما كانت عليه في زمان ابن حوقل ، أما في زماننا فأخبرني من رآها أنها خربت ولم يبق منها معمور إلا دون المعرة في القدر ، وهي في مستو من الأرض ، ذات بساتين ومياه ، وهي على القرب من نهر الكر .

القاعدة الثانية

(تفليس)

قال في " اللباب " : بفتح المثناة فوق وسكون الفاء وكسر اللام وسكون المثناة التحتية وفي آخرها سين مهملة - وموقعها في آخر الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال في " القانون " : وهي قصبة كرجستان . وقال في " اللباب " : هي آخر بلدة من أذربيجان . قال ابن حوقل : وهي مدينة مسورة عليها سوران ، ولها ثلاثة أبواب ، وبها حمامات مثل حمامات طبرية مأوها ينبع سخنا بغير نار ، وهي كثيرة

(١) الزيادة عن " تقويم البلدان " .

الْخِصْبِ . قال ابن سعيد : وكان المسلمون قد فتحوها وسكنوها مدة طويلة ، وخرج منها جماعة من العلماء ، ثم أسترجمها الكُرْج وهم نصاري ، وهى بأيدى الكُرْج إلى الآن ؛ وملك الكُرْج صاحبها يكتب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية على ما سياتى ذكره فى الكلام على المكاتبات فى المقالة الرابعة فيما بعد إن شاء الله تعالى .
وبها عدة مدن .

(منها) تَشَوَى . قال السمعاني فى " الأنساب " : بفتح النون والشين المعجمة وفى آخرها واو ثم ياء آخر الحروف . وسماها ابن سعيد تَقَجَوَان - بفتح النون وسكون القاف وفتح الجيم والواو وبعد الألف نون - وموقعها فى الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال فى " الأطوال " حيث الطول إحدى وسبعون درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض تسع وثلاثون درجة . قال ابن سعيد : وهى من المدن المذكورة فى شرق أَرَان . " قال السمعاني " : وهى بلدة متصلة بإرمينية وأذربيجان . قال ابن سعيد : وهى فى شمالى نهر الكَرَّ . قال فى " الأنساب " : وبينها وبين تبريز ستة فراسخ . قال ابن سعيد : وقد نحرَّبها التتر وقتلوا جميع أهلها .

(ومنها) مُوقَان . قال فى " اللباب " : بضم الميم وسكون الواو وفتح القاف وسكون الألف وفى آخرها نون ، والعامة تُبدل القاف غينا معجمة فيقولون مُوْغان . قال فى " الأطوال " حيث الطول ثلاث وسبعون درجة ، والعرض ثمان وثلاثون درجة . قال السمعاني : وهى بَدَرَبَنْدَ فيما أظن ، وقال المهلبى : هى من عمل أردبيل . وقال المهلبى : مُوقَانُ فى نهاية بلاد كِلَانَ فى جهة الغرب . قال ابن حوقل : وبينها وبين باب الأبواب يومان . قال فى " تقويم البلدان " : لم يبق لمدينة مُوقَان فى هذا الزمان شهرة بل المشهور أراضى مُوقَان ، وهى أراضٍ كثيرة المياه والأقصاب والمرعى

في ساحل بحر طَبْرِسْتَانَ على القرب من البحر، وهي في سَمْت الشَّمال والغرب، عن تَبْرِيز على نحو عشر مراحل منها، وبها يشقَّى أَرْدو التتر في غالب السنين .

(ومنها) شَمْكُورُ . قال في ”اللباب“ : بفتح الشين المعجمة وسكون الميم وضم الكاف وسكون الواو وفي آخرها راء مهملة - وموقعها في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال في ”الأطوال“ حيث الطول ثلاث وسبعون درجة، والعرض إحدى وأربعون درجة وخمسون دقيقة . قال في ”اللباب“ : وهو حصن من أعمال أَزَانَ . قال في ”تقويم البلدان“ : وشَمْكُورُ بِقُرْب بَرْدَعَة، وبها منارة في غاية الارتفاع والشُّموق .

(ومنها) أَيْلَقَان . قال في ”اللباب“ : بفتح الباء الموحدة وسكون المثناة من تحت وفتح اللام والقاف ثم ألف ونون . قال في ”القانون“ حيث الطول أربع وستون درجة، والعرض تسع وثلاثون درجة وخمسون دقيقة . وهي عند شَرَوَانَ . قال : ولعلها بناها بَيْلَقَان بن أرميني بن لمطى بن يونان فنسبت إليه . قال في ”اللباب“ : وهي مدينة من دَرَبَنْدِ خَرَزَانَ . قال في ”المشترك“ : وهي من مشاهير البلدان . قال ابن حوقل : وهي كثيرة الخير .

(ومنها) كَنْجَة . قال في ”تقويم البلدان“ : بفتح الكاف وسكون النون وفتح الجيم ثم هاء ساكنة - وموقعها في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال : والقياس أنها حيث الطول أربع وسبعون درجة ، والعرض ثلاث وأربعون درجة وعشر دقائق . قال في ”المشترك“ : وهي من مشاهير بلاد أَزَانَ . قال المؤيد صاحب حماة : وأخبرني مَنْ أَقام هناك أنها على مرحلتين من بَرْدَعَة، وبردعة عنها في جهة الغرب بِمَيْلَة يسيرة إلى الشمال، وهي قصبة تلك الناحية، وهي في مستو من الأرض وفيها بسايتن كثيرة، وبها التين الكثير . وقد شهر أن من أكل من ذلك التين حُمَ .

(ومنها) شَرَوَان . قال في ”اللباب“ : بفتح الشين المعجمة وسكون الراء المهمله وفتح الواو ثم ألف ونون في الآخر - وهى واقعة في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال ابن سعيد حيث الطول ثمان وستون درجة وست ونحسون دقيقة ، والعرض إحدى وأربعون درجة وثلاث وأربعون دقيقة . قال في ”اللباب“ : بناها أُوْشَرَوَان فأسقطوا أُنو للتخفيف وبق شَرَوَان . قال ابن سعيد : وهى من أَرَان ، وكانت قاعدةً لبلادها ، ثم صارت مملكتها مضافة إلى أَدْرَبِيَّان . قال : وبَشَرَوَان الدَّرْبَنْد المشهور . قال السلطان عماد الدين صاحب حماة : وهو المعروف فى زماننا بِدَرْبَنْد باب الحديد . قال ابن الأثير : وقد خرج منها جماعة من العلماء .

(ومنها) باب الأبواب . قال فى ”تقويم البلدان“ : بإضافة الباب المفرد الذى يَدْخُلُ منه إلى جمعه . قال فى ”القانون“ : ويعرف باب الأبواب بِدَرْبَنْد خَزْرَان . قال فى ”تقويم البلدان“ : ويعرف هذا المكان فى زماننا بباب الحديد بإضافة الذى يغلق إلى الذى يتطرق . قال ابن حوقل : وهى على بحر طَبْرِسْتَان ، وتكون فى القدر أصغر من أَرْدُبِيل . قال : ولهم الزرع الكثير وثمار قليلة تحمل إليهم من النواحى . قال : وهى فُرْضَة الخَزَر والسَّيرى و سائر بلاد الكفر ، وهى أيضا فُرْضَة جُرْجَان والدَّيْلَم وطَبْرِسْتَان ، ويحلب إليها الرقيق من سائر الأجناس . قال فى ”تقويم البلدان“ : وهذه الصفات التى ذكرها ابن حوقل على ما كانت فى زمانه ؛ أمّا اليوم فعن بعض المسافرين أن باب الحديد بِلَيْدَة هى بالقُرَى أشبه ، على بحر الخَزَر وهى كالحَدَّيْن التتر الشماليين المعروفين ببيت بَرَكَة وبين التتر الجنوبيين المعروفين ببيت هُولَاكُو ؛ وبها حاكم يكتب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية على ما سيأتى ذكره فى الكلام على المكاتبات فى المقالة الرابعة إن شاء الله تعالى .

الإقليم الرابع

(بلاد الجبل)

بفتح الجيم والباء الموحدة ولام في الآخر، وصاحب "مسالك الأبصار" يسميها بلاد الجبال على الجمع، والعاملة تسميها عراق العجم. قال في "تقويم البلدان": ويحيط بها من جهة الغرب أذربيجان، ومن جهة الجنوب شيء من بلاد العراق وخوزستان، ومن جهة الشرق مفازة خراسان وفارس، ومن جهة الشمال بلاد الديلم وقزوین والرّي عند من يخرجهما عن بلاد الجبل ويضمهما إلى الديلم من حيث إن جبال الديلم تحفّ بهما.

وقاعدتها فيما ذكره المؤيد صاحب حماة في "تاريخه" (أصبهان). قال في "اللباب": بكسر الألف وفتحها وسكون الصاد المهملة وفتح الباء الموحدة والهاء وألف ثم نون في الآخر. قال في "تقويم البلدان": وقد تبدل الباء فاء. قال السمعاني: وسمعت من بعضهم أنها تسمى بالعجمية سباهان. قال وسبا العسكر، وهان الجمع. وذلك أن عساكر الأكاسرة كانوا إذا وقع لهم بیکار يجتمعون بها فعبثت فقیل أصفهان - وموقعها في الإقليم الثالث. قال في "القانون" حيث الطول سبع وسبعون درجة ونمسون دقيقة. والعرض ثلاث وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة. قال ابن حوقل: وهي في نهاية الجبال من جهة الجنوب. قال: وهي مدينتان وإحدهما تعرف باليهودية، وهي من أخصب البلاد وأوسعها خطّة، وبها معدن الكحل الذي لا يسمي، مصاقبا لفارس، وإلى أصبهان ينسب الليث بن سعد الإمام الكبير.

قلت: وقد تقدّم في الكلام على أعمال الديار المصرية من أول هذه المقالة عند ذكر الأعمال القليوبية أنه ينسب إلى بلدتنا قلّسندة أيضا وأنه كان له دار بها،

فيحتمل أنه كان أولاً بأصْبَهَانَ، ثم لما رحل عنها إلى مصر نزل قَلْقَشَنَدَةَ فنسب إليها على عادة من ينتقل من بلد إلى آخر .
ولها عدة مدن .

(منها) إِرْبِل . قال في "المشترك" : بكسر الهمزة وسكون الراء المهملة وكسر الباء الموحدة ولام في الآخر . قال في "تقويم البلدان" : وهى قاعدة بلاد شَهْرزُور، وموقعها في الإقليم الرابع . قال ابن سعيد حيث الطول سبعون درجة وعشرون دقيقة، والعرض خمس وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . قال : وهى مدينة مُحَدَّثَة . قال في "المشترك" : بين الرَّاين، فيما بين المشرق والجنوب عن المَوْصِل، على مسيرة يومين خفيفين . قال في "تقويم البلدان" : وعن بعض أهلها أنها مدينة كبيرة قد حَرِبَ غالبها، ولها قلعة على تَلٍّ داخل السور مع جانب المدينة فى مستوٍ من الأرض، والجبال منها على أكثر من مسيرة يوم، ولها قُفًى تدخل منها اثنتان إلى المدينة للجامع ودار السلطان، وبها حاكم يكتب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

(ومنها) شَهْرزُور . قال فى "اللباب" : بفتح الشين المعجمة وسكون الهاء وضَم الراء المهملة والزاي المعجمة وسكون الواو فى الآخراء مهملة - وموقعها فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال فى "رسم المعمور" حيث الطول سبعون درجة وعشرون دقيقة، والعرض سبع وثلاثون درجة وخمس وأربعون دقيقة . قال فى "اللباب" : وهى بلدة بين المَوْصِل وبين هَمْدَانَ بناها زُور بن الضَّحَّاك (١) ف قيل شهرزور، يعنى مدينة شهر . قال ابن حوقل : وهى مدينة صغيرة . قال فى "العزىزى" : وهى خِصْبَة كثيرة المتاجر فى عُرْلَة إلا أن فى أهلها غِلْظَة وجفاء . قال : وبينها وبين المَرَاغَة ست مراحل .

(١) ضبطها ياقوت بفتح الراء وهو المشهور . (٢) فى تقويم البلدان "مدينة زور" وهو الصواب .

(ومنها) الدِّيَّور . قال في "اللباب" : بفتح الدال المهملة وسكون المثناة من تحت وفتح النون والواو ثم راء مهملة في الآخر - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" حيث الطول ست وسبعون درجة ، والعرض خمس وثلاثون درجة . قال ابن حوقل : وهي غربيّ هَمَذَان بِمِيلة إلى الشَّمال ، وهي مدينة كثيرة المياه والمنازله كثيرة الثمار خُصْبة . قال في "العريزي" : وبينها وبين الموصل أربعون فرسخا ، وبينها وبين مراغة كذلك .

(ومنها) مَاسَبَدَان - بفتح الميم وبعد الألف سين مهملة وباء موحدة وذال معجمة بفتح الجميع وبعد الألف نون . وهي مدينة من سِيَرَوَانَ - بكسر السين المهملة وسكون المثناة من تحتها وفتح الراء المهملة وواو وألف ونون . كورة من كُورِ عراق العجم . قال أحمد بن يعقوب الكاتب : وهي مدينة قديمة بين جبال وشِعَاب . قال : وهي في ذلك تشبه مكة شرفها الله تعالى وعظَمَها ، وفيها عيون ماء تجري في وسطها . قال ابن خَلِّكَان : وكان المهديّ العباسيّ يسكنها وبها مات ودفن .

(ومنها) قصر شِيرِينَ - بإضافة قصر إلى شِيرِينَ - بكسر الشين المعجمة ثم ياء آخر الحروف وراء مهملة ثم ياء ثانية بعدها ونون في الآخر - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" حيث الطول إحدى وسبعون درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض ثلاث وثلاثون درجة وأربعون دقيقة . قال في "المشترك" : وهو قصر شِيرِينَ حَظِيَّة كسرى أبرويز . وقال الإدريسيّ : شِيرِينَ امرأة كسرى . قال : وبهذا الموضع آثارُ لملوك الفُرس عجيبة ، ومنه إلى شَهْرُزُور عشرون فرسخا ، ومنه إلى حُلُوان من بلاد العراق خمسة فراسخ .

(ومنها) الصَّيْمَرَةُ . قال في "المشترك" : بفتح الصاد المهملة وسكون المثناة من تحتها وفتح الميم والراء المهملة وهاء في الآخر - وموقعها في الإقليم الرابع . قال في "القانون" :

حيث الطول إحدى وسبعون درجة وخمسون دقيقة، والعرض أربع وثلاثون درجة وعشرون دقيقة . قال ابن حوقل : وهي مدينة صغيرة نزهة ذات زروع وأشجار، والمياه تجري في دورها ومحالها . قال أحمد بن يعقوب : وهي في مَرِيج أفيح، فيه عيون وأنهار .

(ومنها) قَرْمِيسِينُ . قال في " اللباب " : بكسر القاف وسكون الراء المهملة وكسر الميم وسكون المثناة من تحتها وكسر السين المهملة ومثناة تحتية ثانية ونون في الآخر . قال في " تقويم البلدان " : ووجدناها في كثير من الكتب بإبدال الياء الأولى ألفا . قال في " اللباب " : وهي مدينة يجبال العراق - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في " الأطوال " حيث الطول ثلاث وسبعون درجة، والعرض أربع وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . قال في " اللباب " : ويقال لها كَرَمَانِشَاه . قال في " العزري " : وهي من أجل مدُن الجبل وأعظمها خطرا، وهي عامرة غاصّة بالناس . قال : وينبت بها الزعفران .

(ومنها) سَهْرَوَرْدُ . قال في " اللباب " : بضم السين المهملة وسكون الهاء وفتح الواو وسكون الراء الثانية وفي آخرها دال مهملة . قال في " تقويم البلدان " : كذا ضبطها ولم يذكر الراء الأولى - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في " الأطوال " حيث الطول ثلاث وسبعون درجة وعشرون دقيقة، والعرض ست وثلاثون درجة . قال ابن حوقل : وهي مدينة صغيرة، والغالب عليها الأكراد .

(ومنها) زَنْجَانُ . قال في " اللباب " : بفتح الزاي المعجمة وسكون النون وفتح الجيم وألف ونون - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في " الأطوال " حيث الطول ثلاث وسبعون درجة وأربعون دقيقة، والعرض ست وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . قال ابن حوقل : وهي أقصى مدُن الجبال

في الشمال . قال في " الباب " : وهى على حدٍّ أذربيجان من بلاد الجبل ، ينسب إليها جماعةٌ من أهل العلم .

(ومنها) نُهاونْدُ . قال في " الباب " : بضم النون وفتح الهاء وسكون الألف (١) وفتح الواو وسكون النون وبعدها دال مهملة - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في " الأطوال " حيث الطول ثلاث وسبعون درجة وخمس وأربعون دقيقة ، والعرض أربع وثلاثون درجة وعشرون دقيقة . قال ابن حوقل : وهى مدينة على جبل ، ولها أنهار وبساتين ، وهى كثيرة الفواكه ، وفواكهها تحمل إلى العراق لجودتها . قال في " الباب " : ويقال إنها من بناء نوح عليه السلام ، وإنه كان اسمها نوح أو نند ، فأبدوا الحاء هاء .

(ومنها) هَمْدَانُ . قال في " الأنساب " : بفتح الهاء والميم والذال المعجمة وبعد الألف نون - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في " الأطوال " حيث الطول أربع وسبعون درجة ، والعرض خمس وثلاثون درجة . قال ابن حوقل : وهى وسط بلاد الجبال ، ومنها إلى حُلَوَانَ : أول بلاد العراق سبعة وستون فرسخا . قال : وهى مدينة كبيرة ، ولها أربعة أبواب ، ولها مياه وبساتين وزروع كثيرة . قال في " الأنساب " : وهى على طريق الحاج والقوافل .

(ومنها) أَمَّهْرُ . قال في " المشترك " : بفتح الهمزة وسكون الباء الموحدة وفتح الهاء ثم راء مهملة - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في " الأطوال " حيث الطول أربع وسبعون درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض ست وثلاثون درجة وخمس وخمسون دقيقة . قال في " المشترك " : وهى مدينة بين قزوین وزَنْجَان . قال ابن خرداذبه : ومنها إلى زَنْجَان خمسة عشر فرسخا .

(١) قال ياقوت : " بفتح النون الأولى وتكسر " .

(ومنها) سَاوَة . قال في "اللباب" : بفتح السين المهملة وبعدها ألف ثم واو وهاء - وموقعها في الإقليم الرابع . قال في "الأطوال" حيث الطول خمس وسبعون درجة، والعرض خمس وثلاثون درجة . قال "المهلبّي" : وهى مدينة جليلة على جادة حُجَّاج خُرَّاسَانَ ؛ وبها الأسواق الحسنة، وبها المنازل الحسنة .

(ومنها) قَرْوِينُ . قال في "اللباب" : بفتح القاف وسكون الزاى المعجمة وكسر الواو وسكون المثناة من تحت وفي آخرها نون - وموقعها في الإقليم الرابع . قال في "القانون" و "رسم المعمور" حيث الطول خمس وسبعون درجة، والعرض سبع وثلاثون درجة . قال ابن حوقل : وهى مدينة لها حصن ومائها من السماء والآبار، ولها قنّاة صغيرة للشرب فقط . وهى مدينة حصينة، وبها أشجار وكروم كلّها عذوّ لا تسقى، وليس بها ماء جار سوى ما يشرب ويجرى إلى المسجد . قال ابن حوقل : وماء قناتها وبيء .

(ومنها) آبَة . قال في "المشترك" : بفتح الهمزة وسكون الألف ثم باء موحدة وهاء - وموقعها في الإقليم الرابع . قال : والعامة تسميها آوَة . قال في "الأطوال" حيث الطول خمس وسبعون درجة وعشر دقائق، والعرض أربع وثلاثون درجة وأربعون دقيقة . قال المهلبّي : وهى مدينة فى الشرق بانحراف إلى الشمال عن هَمْدَانَ ، وبينهما سبعة وعشرون فرسخا . قال في "المشترك" : وبينها وبين ساوَة خمسة أميال .

(ومنها) قُمْ . قال في "اللباب" : بضم القاف وتشديد الميم - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "رسم المعمور" حيث الطول أربع وسبعون درجة وخمس عشرة دقيقة، والعرض خمس وثلاثون درجة وأربعون دقيقة . قال في "اللباب" : وكان بناؤها فى سنة ثلاث وثمانين للهجرة، بناها عبد الله بن سعد

والأحوص وإسحاق ونعيم وعبد الرحمن بنو سعد بن مالك بن عامر الأشعريّ من أصحاب عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث عند أنهزامهم من الحجاج، وكان مكانها سبع قرى فأهلكوا أهلها وبنوها مدينة، كل قرية محلة من محلات المدينة. قال ابن حوقل: وهي مدينة غير مسورة حصينة البناء، ومائها من الآبار، وبها البساتين على السواني، وبها شجر الفستق والبندق، وأهلها شيعة. قال المهلبى: وهي في مرج تقدير سَعَتِهِ عشرة فراسخ في مثلها ثم تفضى إلى جبالها، وبها من الفستق ما ليس بغيرها.

(ومنها) الطَّالِقَان. قال في "المشترك": بفتح الطاء المهملة واللام والقاف ثم ألف ونون. وقال في "اللباب": بتسكين اللام - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة. قال في "المشترك": وهو مدينة وكورة بين توريز وأبهر. قال ابن حوقل: وهي أقرب إلى الدَّيْلَم من قزوين. وقد أوردتها في "تكملة الأطوال" المنسوب للفرس مع بلاد الدَّيْلَم. قال أحمد الكاتب: وهي بين جبلين عظيمين، وهي تسمى الطالقان بلاد خراسان.

(ومنها) قَاشَان. قال في "اللباب": بفتح القاف وسكون الألف والشين المعجمة وبعد الألف نون. قال: ويقال بالسين المهملة أيضا - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة. قال في "الأطوال": حيث الطول ست وسبعون درجة، والعرض أربع وثلاثون درجة. قال المهلبى: وهي مدينة لطيفة. قال ابن حوقل: هي أصغر من قُم وغالب بنائها بالطين، وهي خَصْبَةٌ، وقد خرج منها جماعة من العلماء. قال في "اللباب": وأهلها شِيعَةٌ.

(١) في تقويم البلدان، بين قزوين وأبهر.

(٢) لذا في الأصل بالاهمال، ولعله وهي غير الطالقان ببلاد الخ.

(ومنها) الرّى . قال فى "اللباب" : بفتح الراء وتشديد الياء آخر الحروف .
قال فى "القانون" حيث الطول ثمانٌ وسبعون درجة ، والعرض خمس وثلاثون
درجة وخمس وثلاثون دقيقة . قال ابن حوقل : وهى مدينة كبيرة ، قدرُ عمارتها
فرسخ ونصف فى مثله ، وفيها نهران يجريان ، وبها قُنيّ تجرى غير ذلك . وعدّها
فى "اللباب" من الدّيلم ، ويخرج منها قُطنٌ كثير للعراق ، وبها قبر محمد بن الحسن
صاحب الإمام أبى حنيفة ، والكسائى أحد القراء السبعة ، والنسبة إليها رازىّ على
غير قياس ، وإليها ينسب الإمام نضر الدين الرازىّ الإمام المشهور .

(ومنها) الكرج . قال فى "المشترك" : بفتح الكاف والراء المهملة وفى آخرها
جيم - وموقعها فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال فى "القانون" حيث الطول
ست وسبعون درجة وأربعون دقيقة ، والعرض أربع وثلاثون درجة . قال ابن
حوقل : وهى مدينة متفرقة البناء ليس لها اجتماع المَدُن ، وتعرف بكرج أبى
دُلف . قال فى "المشترك" : لأن أول من مَصَّرَهَا أبودُلف القاسم بن عيسى العجليّ
وقصده الشعراء . قال ابن حوقل : ولها زروع ومواشٍ ، ولكن ليس لها بساتين
ولا متنزّهات ، والفواكه تجلب إليها .

(ومنها) خوار . قال فى "المشترك" : بضم الخاء المعجمة وتخفيف الواو وسكون
الألف وراء مهملة فى الآخر - وموقعها فى الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة .
قال فى "القانون" حيث الطول ثمانٌ وسبعون درجة وأربعون دقيقة ، والعرض
خمس وثلاثون درجة وأربعون دقيقة . قال فى "المشترك" : وهى مدينة من
نواحي الرّى تخترقها القوافل . قال فى "القانون" : وقَلَمًا يذكر إلا منسوباً إلى الرّى
فيقال خوار الرّى .

(ومنها) جبال الأكراد . قال في "مسالك الأبصار" : والمراد بهذه الجبال الجبال الحاضرة بين ديار العرب وديار العجم ، دون أما كن من توغل من الأكراد في بلاد العجم . قال : وأبتداؤها جبال همذان وشهرزور ، وأتتهاؤها صياصي الكفرة من بلاد التكفور ، وهي مملكة سيس وما هو مضاف إليها مما بأيدي بيت لاون ، ثم ذكر منها عشرين مكانا في كل مكان منها طائفة من الأكراد .

الأول - (دياوشة) . من جبال همذان وشهرزور ، وهو مقام طائفة من الأكراد ولهم أمير يخصهم .

الثاني - (درانتك) . وهو مقام طائفة ثانية من الكورانية أيضا ، ولهم أمير يخصهم . قال في "مسالك الأبصار" : والطائفتان جميعا لا تزيد عدتهن على خمسة آلاف رجل .

الثالث - داترك وناهوند إلى قرب شهرزور . وهي مقام طائفة منهم تعرف بالكلالية ، يعرفون بجماعة سيف ، عدتهن ألف رجل مقاتلة ، ولهم أمير يخصهم ، وهو يحكم على من جاورهم من الأكراد .

الرابع - مكان بجوار ديار الكلالية المقدم ذكرهم بجبال همذان . وهو مقام طائفة من الأكراد يقال لهم زنكية ، وعدتهن نحو ألفين ذوو شجاعة وحيلة ، ولهم أمير يخصهم ، يحكم على بلاد كيكور وما جاورها من البقاع والكور .

الخامس - نواحي شهرزور . قال في "مسالك الأبصار" : كان يسكنها طوائف من الأكراد طائفتان إحداهما يقال لها اللوسة والأخرى يقال لها الباسرية ، رجال حرب ، وأقبال طعن وضرب ، نزحوا عنها بعد واقعة بغداد ، ووفدوا إلى مصر والشام ، وسكن في أماكنهم قوم يقال لهم الخوسة ليسوا من صميم الأكراد .

السادس - مكان بين شهرزور وبين أشنه من أذربيجان؛ به طائفة من الأكراد يقال لهم السولية، يبلغ عددهم نحو ألفى رجل؛ وهم ذوو شجاعة وحمية، وهم طائفتان لكل طائفة منهم أمير يخصهم .

السابع - بلاد بسقاد - وهى مقام طائفة من الأكراد يقال لهم القرياوية . ويدهم من بلاد أربك أماكن أخر، قال : وعددهم يزيد على أربعة آلاف، ولهم أمير يخصهم .

الثامن - بلاد الكركار - وهى مقام طائفة منهم يقال لها الحسانية، وهم على ثلاثة أبطن : أحدها طائفة عيسى بن شهاب الدين، ولهم خفر قلعة برى والحامى، وثانيها طائفة تعرف بالتلية، وثالثها طائفة تعرف بالحاكية . وجميعهم نحو الألف رجل، ولكل طائفة منهم أمير يخصهم .

التاسع - دربند قراير - وهو مقام الطائفة القرياوية، ولهم خفارة الدربند المذكور، وصاحبه يكتب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية . وقد ذكر فى "التقيف" أن صاحبه كان سيف الدين بن سيرا الحسانى .

العاشر - بلاد الكرجين ودقوق الناقة - وبه طائفة منهم عدتهم تزيد على سبعمائة ولهم أمير يخصهم .

الحادى عشر - بين الجبلين، من أعمال إربل . قال فى "مسالك الأبصار" : وبها قوم كانوا يُدَارُون الترو وملوك الديار المصرية . وفى الشتاء يعاملون التتر بالمجاملة، وفى الصيف يعينون سرايا الشام فى المجاملة . قال : وعددهم كعدد الكلالية، ولهم أمير يخصهم . وذكر أنه كان لهم فى الدولة المنصورية قلاوون أمير يُسمى الخضر ابن سليمان، كاتب شجاع، وأنه وفد إلى الديار المصرية فاخترته المنية قبل عودته، وكان معه أربعة أولاد فعادوا بعد موته فى الدولة الزينية كتبغا .

الثاني عشر - مازنجان، ويروه، وسحمة، والبلاد البرانية - وهي مقام طائفة منهم يقال لها المازنجانية لا تزيد عدتهم على خمسمائة، وهم طائفة ينتسبون إلى المحمدية، والمازنجانية هم طائفة المبارز كك الموجود اسمه ورسم المكتبة إليه في دساتير المكتبات القديمة . وقد أضيف إليهم الحميدية، وهم طائفة من الأكراد لا تنقص عدتهم عن ألف مقاتل، لأن أميرهم مبارز الدين كك، كان من أمراء الخلافة في الدولة العباسية، ومن ديوان الخلافة لُقّب بمبارز الدين، وكك اسمه . قال : وكان يدعى الصلاح وتذره النذور، فإذا حلت إليه قبلها وأضاف إليها مثلها من عنده وتصدق بهما معا . وذكر نحوه في "التعريف" . ثم كان له في الدولة الهولاء كويّة المكانة العلية، وأستنابوه في إربل وأعمالها، وأقطعوه عقرشوش بكالها وأضافوا إليه هرة وتل حفتون وقدموه على خمسمائة فارس، وتولّى الإمرة وقوانين (?) نحو عشرين سنة، وبقي حتى جاوز التسعين وهمتة همة الشبان، ثم مات وخلفه ولده عز الدين، فكان من أبيه نعم الخلف، وجرى على نهج أبيه في ترتيب المملكة وعلت رتبته عند ملوك التتروملوك الديار المصرية، ثم خلفه أخوه نجم الدين خضر بجرى على سمّت أبيه وأخيه . ثم قال : وكانت ترد على الأبواب السلطانية بمصر وتواب الشام كتب تهلل بماء الفصاحة كالشعب، وتسرح من أجنابها الأبقار العرب . ثم خلفه ولده بجرى على سنّيه وبقيت الإمارة في بنيه . والأمير القائم منهم هو المعبر عنه في الدساتير بصاحب عقرشوش، وله مكتبة عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

الثالث عشر - بلاد شعلاباد إلى خفتيان، وما بين ذلك من الدشت والدربند الكبير - وهو مقام طائفة منهم تعرف بالشهرية معروفون باللصوصية، وهم قوم لا يبلغ عددهم ألفا وجبالهم عاصية، ودربندهم بين جبلين شاهقين يسقيهما الزاب

الكبير . قال في "مسالك الأبصار" : وعليه ثلاث قناطر : آثنتان منها بالبحر والطين ، والوسطى مضفورة من الخشب كالخصير، علوها عن وجه الماء مائة ذراع في الهواء، وطولها بين الجبلين خمسون ذراعاً في عرض ذراعين ، تمر عليها الدواب بأحمالها، والخليل برجلها . وهي ترتفع وتنخفض ، يخاطر المجتاز عليها بنفسه ، وهم يأخذون الخفارة عندها ، وهم أهل غدر وخديعة لا يستطيع المسافر مدافعهم ، ولهم أمير يخصهم ، ولصاحبها مكتبة عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

الرابع عشر - ما ذكره والروستاق، ومرت، وجبل جنجرين المشرق على أشنه من ذات اليمين - وهو مقام طائفة منهم يقال لهم الزرزارية ، ويقال إنهم ممن تكرر من العجم، ولهم عدد جم، يكاد يبلغ خمسة آلاف مائتين أمراء وأغنياء وفقراء وأكّارين وغيرهم، وجبلهم في غاية العلو والشهو في الهواء، شديد البرد، بأعلاه ثلاثة أحجار طول كل حجر منها عشرة أشبار في عرض دون الثلاثة، متخذة من الحجر الأخضر المائع، وعلى كل منها كتابة قد أضحت لطول السنين، يقال إنها نصبت لمعنى الإنذار والإخبار عن أهل كه التلج والبرد هناك في الصيف ، وهم يأخذون الخفارة تحته . قال في "مسالك الأبصار" : وكان لهم أمير جامع لكلمتهم اسمه نجم الدين باشاك، ثم تولاهم من بعده أبنة جيدة، ثم أبنة عبد الله . قال : وكان لهم أمراء آخرون منهم الحسام شير الصغير، وأبنة باشاك وغيرهم . قال : وينضم إلى الزرزارية شردمة قليلة تسمى باسم قريتها بالكان نحو ثلثمائة رجل منفردين بمكان مشرف على عقبة الحان يأخذون عليها الخفارة، ولصاحب ما ذكره مكتبة عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية . ثم قال في "التتيف" : وهو حنش بن إسماعيل .

الخامس عشر - جولرك - وهو مقام طائفة تسمى الجولركية، وهم قوم نسبوا إلى مكانهم ذلك فعرفوا به، ويقال : إنهم طائفة من العرب من بني أمية اعتصموا

بهذه الجبال عند غلبة بنى العباس عليهم ، وأقاموا بها بين الأكراد فأخربوا في سلكهم . قال في "مسالك الأبصار" : وهم الآن في عدد كثير، يزيدون على ثلاثة آلاف، كان ملكهم في أوائل دولة التتر أسد بن مكلان، ثم خلفه آبنه عماد الدين، ثم آبنه أسد الدين . وبلادهم معدن الزرنيخين : الأحمر والأصفر، ومنها ينقل إلى سائر الأقطار . قال : وكان قد ظهر عنده معدن لا زورد فأخفاه لئلا يسمع به ملوك التتر فيطلبونه، ومعه من أمتع المعاقل ، على جبل مقطوع بذاته، والزاب الكبير مُحْدِق به، لا يحط للجيش عليه، ولا وصول للسهم إليه، وسطحه متسع للزراعة، وفي كل ضلع من أضلاعه كهف مرتفع يأوى إليه من أراد الامتناع، وأعله مغمور بالثلج، والصعود إليه في بعض الطريق يستدعى العبور على أوتاد مضروبة . ومن لا يستطيع التساق جرب الجبال، وكذلك بغال الطواحين . وملكهم معتمد عند الأكراد، وهو يأخذ الحفارة من جميع الطرقات من تبريز إلى خوى ونقجوان، وهذا هو المعبر عنه في "التعريف" وغيره من الدساتير في المكاتبات بصاحب جولرك؛ وهو يكتب من الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

السادس عشر - بلاد مراكوان . على القرب من الجولركية، كثيرة الثلوج والأمطار، بلاد زرع وضرع - وهي متاخمة لأرمية من بلاد أذربيجان، وبها طائفة من الأكراد تبلغ عدتهم ثلاثة آلاف، وهم أحلاف للجولركية .

السابع عشر - بلاد كوردات - وهي بلاد مجاورة لبلاد الجولركية من جهة بلاد الروم، وهي بلاد خصبة، وبها طائفة من الأكراد ينتسبون إليها لا إلى قبيلة، وعدتهم نحو ثلاثة آلاف، ولهم أمير يخصهم .

الثامن عشر - بلاد الدينار - وهي بلاد تلي بلاد الجولركية، وبها طائفة من الأكراد يقال لهم الدينارية نسبة إلى بلدتهم، وعددهم نحو خمسمائة، ولهم سوق وبلد،

وكان لهم أميران ، أحدهما الأمير إبراهيم بن الأمير محمد ، كان له وجه عند الخلفاء ، والثاني الشهاب بن بدر الدين ، توفي أبوه وخلفه كبيرا خلفه في إمرته ، وكان بينهم وبين المازنجانية حروب .

التاسع عشر - بلاد العِمَادِيَّة وقلعة هارون . وهي بالقرب من بلاد الجولندية ، وبها طائفة منهم يقال لهم الهَكَارِيَّة يزيد عددهم على أربعة آلاف مقاتل ، ولهم إمارة تخصهم . قال في "مسالك الأبصار" : وهم يأخذون الخِفَارَةَ في أماكن كثيرة من بخارا إلى بلد الجزيرة . وصاحب هارون يكتأب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

العشرون - القمرانية وكهف داود - وبها طائفة منهم يقال لهم التنبكية . قال في "مسالك الأبصار" : وقليل ما هم لكنهم حَمَاءُ رَمَاءُ وطعامهم مبذول على خَصَاصَةٍ .

وَأَعْلَمُ أَنَّهُ بَعْدَ أَنْ ذَكَرْتُ فِي "مسالك الأبصار" مَا تَقَدَّمَ ذَكَرَهُ عَقَبَ ذَلِكَ بِذِكْرِ جَمَاعَةٍ مِنَ الْأَكْرَادِ تَفَرَّقُوا فِي الْأَفْطَارِ بَعْدَ اجْتِمَاعِ ، مِنْهُمْ التَّحْتِيَّةُ ، وَهُمْ قَوْمٌ كَانُوا يَصَاهُونَ الْجُمُودِيَّةَ كَانُوا لَهُمْ أَعْيَانٌ وَأَمْرَاءُ وَأَكْبَرُ ، فَهَلَكَ أَمْرَأُهُمْ وَنَسِيَتْ كِبَرَاؤُهُمْ ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ إِلَّا شَرْدَمَةٌ قَلِيلَةٌ تَفَرَّقَتْ بَيْنَ الْقِبَائِلِ وَالشُّعُوبِ . ثُمَّ قَالَ : وَشُعَبُهُمْ كَثِيرَةٌ : مِنْهُمْ السَّنْدِيَّةُ وَهُمْ أَكْثَرُ شُعَبِهِمْ عِدْدًا ، وَأَوْفَرُهُمْ مَدَدًا ، كَانُوا يَبْلَغُونَ ثَلَاثِينَ أَلْفَ مَقَاتِلٍ . وَمِنْهُمْ الْمُحْمَدِيَّةُ ، وَكَانُوا لَهُمْ أَمِيرٌ لَا يَزِيدُ جَمْعُهُ عَلَى سِتْمَائَةِ رَجُلٍ . وَمِنْهُمْ الرَّاسِنِيَّةُ ، كَانُوا أَوْفَى عِدَدٍ وَعُدَدٌ ، وَجَمْعٌ وَمَدَدٌ ، ثُمَّ تَشَتَّتْ شَمْلُهُمْ ، وَتَفَرَّقَ جَمْعُهُمْ ، وَعَادَتْ عِلَّتُهُمْ فِي بَلَدِ الْمُوَصَّلِ لَا تَزِيدُ عَلَى أَلْفِ رَجُلٍ ، وَكَانُوا لَهُمْ أَمِيرٌ يُقَالُ لَهُ عِلَاءُ الدِّينِ كُورُكُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ فِي بَلَدِ الْعَقْرِ ، وَلَا يَنْقُصُ عَنْ خَمْسَمِائَةٍ ، وَمِنْهُمْ الدَّنِيكِيَّةُ ، وَهُمْ مَتَفَرِّقُونَ فِي الْبِلَادِ لَا يَزِيدُ عِدْدُهُمْ عَلَى أَلْفِ رَجُلٍ .

قلت : وقد ذكر في "التتيف" عدة أماكن من بلاد وقلاع يكاتب أصحابها من الأكراد سوى من تقدم ذكره، وهي خمسة وعشرون موضعا .

إحداها - برجو . الثانية - البلهينة . الثالثة - كرم ليس . الرابعة - اندشت .
الخامسة - حردقيل . السادسة - سكراك . السابعة - قبلنس . الثامنة - جرموك .
التاسعة - شنكوس . العاشرة - بهرمان . الحادية عشرة - حصن أزان وهو
حصن الملك . الثانية عشرة - الثالثة عشرة - سونج . الرابعة عشرة - الكريسا .
الخامسة عشرة - يزاركد . السادسة عشرة - الزاب . السابعة عشرة - الزيثية .
الثامنة عشرة - الدربندات العرابلية . التاسعة عشرة - قلعة الجليلين .
العشرون - سيدكان . الحادية والعشرون - صاحب زبادان .
الثانية والعشرون - الشعبانية . الثالثة والعشرون - نمرية . الرابعة والعشرون -
المحمدية . الخامسة والعشرون - كرليك .

الإقليم الخامس

(بلاد الديلم)

بفتح الدال المهملة وسكون الياء المثناة تحت وفتح اللام وميم في الآخر . وهم
جيل من الأعاجم سكنوا هذه البلاد فعرفت بهم ، وبعض الناس يزعم أنهم من
العرب من بنى ضبة ، ومنهم كان بنو بويه القائمون على خلفاء بني العباس ببغداد .
قال ابن حوقل : وهي جبال متسعة إلى الغاية ، وبها غياض ومياه مشبكة في الوجه
الذي يقابل طبرستان والبحر ، وبين ذيل الجبل وبين البحر مسيرة يوم ، وربما
نقص عن ذلك ، وربما زاد حتى بلغ يومين .

وقاعدتها (رُودَبَار) . قال في "المشترك" : بضم الراء المهملة وسكون الواو وفتح الذال المعجمة والباء الموحدة ثم ألف وراء مهملة في الآخر - وموقعها في الإقليم الرابع . قال في "الأطوال" حيث الطول خمس وسبعون درجة وسبع وثلاثون دقيقة ، والعرض ست وثلاثون درجة وإحدى وعشرون دقيقة . قال ابن حوقل : وبه مقام ملوكهم .

ومن بلادها (كَلَار) . قال في "تقويم البلدان" : بكاف ولام وألف وفي الآخر راء - وموقعها في الإقليم الرابع . قال في "القانون" حيث الطول سبع وسبعون درجة ، والعرض ست وثلاثون درجة . قال المهلبى : وهى مدينة الديلم ، وهى فى جهة الشرق والجنوب عن لَاهْجَان من بلاد كِلَان .

الإقليم السادس (الجيل)

قال في "المشترك" : بكسر الجيم وسكون المثناة من تحت ثم لام - وهو اسم لصُفْعٍ واسع مجاور لبلاد الديلم ، ليس فيه قرى كثيرة ، وليس فيه مدينة عظيمة . وقال في "اللباب" : الجيل اسم لبلاد متفرقة وراء طَبْرِسْتَانَ . قال : ويقال لها أيضا كِلَان وكِل ، فلما عُرِّبَت قيل جِلَان وجِل ، ومنها كُوشِيَار الحكيم الجيلى فيما ذكره ياقوت ، وإليها ينسب الشيخ عبد القادر الكيلانى ، وبالجملة فهما صُفْعَان متلاصقان يعسر تمييز أحدهما عن الآخر . قال في "مسالك الأبصار" عن الشريف محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الواحد الجيلى : إن بلاد كِلَان فى وطاة من الأرض ، وإنه يحيط بها أربعة حدود ، من الشرق إقليم مَازَنْدَرَان ، ومن الغرب مُوقَان ، ومن الجنوب عراق العجم ، يفصل بينهما جبل يعرف بأشناده ، ومن الشمال بحر

الْقَلْزِيمُ يعني بَحْرَ طَبْرِسْتَانَ . قال : وطول مجموع كيلان مما بأيدي ملوكها ، وهو شرق
 بغرب نحو عشرة أيام ، وعرضها وهو جنوب بشمال نحو ثلاثة أيام تزيد وتنقص ،
 وهي شديدة الأمطار ، كثيرة الأنهار ، كثيرة الفواكه خلا النخل والموز وقصب السكر
 والمشمش ، ويحلب إليها الحمضات من مازندران . قال : ومُذْنُ كيلان غير مسورة ،
 ولملوكهم قصور عالية ، وجميع مبانيها بالأجر مفروشة به أيضا كما في بغداد ، مسقفة
 بالخشب ، وبعضها معقودة أقباء وعليها قش مضافور ، وفي غالب ديارها آبار قريبة
 المستقى نحو ذراعين أو ثلاثة أو أقل ، والأنهار حاكمة على مُدْنِها ، وبها حَمَامَاتٌ
 يجرى إليها الماء من الأنهار ، وبها المساجد والمدارس وتسمى بها الخوانق ، وغالب
 أقواتهم الأرز يعمل منه الخبز والرقاق مع تيسر القمح والشعير عندهم ، والبقر والغنم
 عندهم بكثرة ، وأسعارهم متوسطة إلى الرخص ، وبها الحرير الكثير ، ولها حصون
 في نواحي مازندران وجزائري بَحْرِ طَبْرِسْتَانَ ، بها الرمان والبلوط والفواكه ، وفيها
 تَحَصُّنُهُمْ عند مغالبة العدو لهم ، ولباسهم الألفية الإسلامية الضيقة الأحكام وتخافف
 صغار على رؤوسهم ، ويشدون المناطق والبُنُود ، وخيلهم برازين ، وفي سروجهم المحلى
 بالقضة وغيره ، ولملوكهم زى جميل على ضيق بلادهم وقلة متحصلها ، ويركب
 الملك بالرقبة السلطانية والمجّاب والسلاح دارية والجمدارية والجنائب المجرورة ،
 ويَتَّخِذُ بظواهر قصور ملوكهم ميادين خضر ، في أوساطها قصور صغار من الخشب
 فيها جلوسهم للخدم والمظالم . ولا يزال بين ملوكهم الخلف ، فإذا قصدهم عدو خارجي
 عنهم تآلفوا واجتمعوا عليه ، حتى إن هؤلاء كوهنهم جيشا عدته سبعون ألفا
 صحبة نائبه قطلوشاه فلم ينل منهم قصدا ، وكان آخر الأمر أن قتل قطلوشاه وهلك
 جُلٌّ مِنْ مَعَهُ . وقد ذكر في "مسالك الأبصار" أن بها ثمان قواعد بكل قاعدة
 منها مَلِكٌ ، بعضهم أكبر من بعض ، وموقع جميعها في الإقليم الرابع .

فأما الكبار فأربع^(١) قواعد .

القاعدة الأولى

(بُومِن)

قال في "تقويم البلدان" : بضم الباء الموحدة التي بين الفاء والباء الموحدة وسكون الواو وكسر الميم ثم نون في الآخر . قال : وهي قرية من البحر، وبها فيما يحاذيها معدن حديد، وبها من معمولات القماش . قال في "مسالك الأبصار" : وصاحبها شافعي المذهب دون غيره من ملوك الجليل، مذهب نشأ عليه ملوكها . قال : وعسكره يزيد على ألف فارس، وبلاده قليلة ولكن غالب دخله من التجار، والحرير بها كثير . قال : وصاحبها يدعى النسبة إلى بيت الشرف، وله اعتناء بأهل العلم والفضل، ولباس الملك والجند بها نوع من لباس التتر، ولباس غلمانها قريب من زى التجار، ولهم عذبات كالصوفية قدامهم، وعامة أهلها كغيرهم ممن جاورهم .

القاعدة الثانية

(تُولُم)

قال في "تقويم البلدان" : بضم المثناة الفوقية وواو ولام وميم، وصاحب "مسالك الأبصار" يثبت فيها ياء مثناة تحتيّة بين اللام والميم - وهي قرية من البحر أيضا . قال في "مسالك الأبصار" : وأمر صاحبها قريب من صاحب بُومِن ولكن لا حريّ في بلاده، وهو حنبلي المذهب، وعدة عسكره نحو ألف فارس وهم أفرس إخوانهم، ولهم على ملوك الجليل استظهار لما ظهر من نكايتهم في عسكر التتر . قال : وزيّها كرى بُومِن .

(١) لم يذكر إلا ثلاثا . ولعل الرابعة دولاب .

القاعدة الثالثة

(كسكُ)

قال في "تقويم البلدان": بفتح الكافين وسكون السين المهملة بينهما وراء مهملة في الآخر. وقد ذكر أنها دُولَابُ - بضم الدال المهملة وسكون الواو ولام ألف وباء موحدة في الآخر. قال: وعن السمعاني فتح الدال وأنه أفصح وأنها من حدود الديلم. وذكر في "اللباب" أنها قرية من أعمال الرّي. قال في "مسالك الأبصار": وصاحبها له صَوْلَةٌ في ملوك تُولَم، وجيشه أكثر عددا من غيره من ملوك الحيل، وبلاده أوسع، وأرضه أخصب وأكثر حَبًّا وفاكهةً وأغناما وأبقارا مما حولها، وهي كثيرة السمك والطير. ومنها الشيخ العارف السيد عبد القادر الكيلاني قدس الله رُوحَه.

وأما الصَّغار فأربع أيضا.

القاعدة الأولى

(لَاهَجَاتُ)

قال في "تقويم البلدان": بفتح اللام وبعدها ألف وهاء وجيم مفتوحتان ثم ألف بعدها نون، ثم قال: وهي من الديلم أو كيلان. قال في "الأطوال" حيث الطول أربع وسبعون درجة، والعرض ست وثلاثون درجة وخمس عشرة دقيقة قال في "تقويم البلدان": ومنها يجلب الحرير المشهور إلى البلاد. قال في "مسالك الأبصار": وهي في حال الحرير كما في يومن بخلاف غيرهما من سائر بلاد الحيل.

القاعدة الثانية - (سخام).

القاعدة الثالثة - (مرست).

القاعدة الرابعة - (تنفس).

ولها عدة مُدُن غير القواعد .

(١) (منها) كُوتُمْ . قال في "تقويم البلدان" : بضم الكاف وواو ساكنة ثم تاء مثناة فوقية مضمومة ثم ميم في الآخر - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" حيث الطول ست وسبعون درجة ، والعرض ست وثلاثون درجة . قال في "تقويم البلدان" : قال من رآها إنها مدينة لها بساتين ، وهى ناقلة عن البحر مسيرة يوم . قال المهلبى : وهى مدينة كبيرة للجبل .

(ومنها) سألُوس . قال في "تقويم البلدان" : المشهور بالسين المهملة وألف ولام مضمومة وواو ساكنة ثم سين ثانية - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" حيث الطول ست وسبعون درجة ، والعرض سبع وثلاثون درجة . قال ابن حوقل : وهى على البحر ولها مَنَعَةٌ وهى صعبة المسلك . قال المهلبى : وهى آخر حدّ طَبَرِستَانَ من جهة الغرب .

الإقليم السابع

(طَبَرِستَانُ)

(٢) بفتح الطاء المهملة والباء الموحدة والراء المهملة وسكون السين المهملة وفتح التاء المثناة فوق وألف ثم نون . قال في "تقويم البلدان" : وهى فى جهة الشرق عن بلاد الديلم وكيلان . قال : وإنما سميت طَبَرِستَان لأن طَبَر بالفارسية القَاسُ ، وهى من كثرة اشتباك أشجارها لا يسلك فيها الجيُش إلا بعد أن تقطع الأشجار بالطَبَر من بين أيديهم ، وآستان بالفارسية الناحية ، فسميت طَبَرِستَان أى ناحية

(١) ضبطها ياقوت بفتح الكاف والتاء .

(٢) ضبطه ياقوت بكسر الراء ، وقد تابعناه فى ضبط ما تقدم .

الطَّابِر . قال في "العزيزي" : وهي في غاية المنعة والحصانة بالجبال المنيرة المحيطة بها من كل جانب، وفي وسط الجبال الأراضى السهلة، وفيها من كثرة المياه والفياض ما لا يساويها فيه بلد آخر، وهي عن قزوین في الشرق بانحراف إلى الشمال . قال ابن حوقل : وهي بلاد كثيرة المياه والأشجار والغالب عليها الفياض، وأبنيتها بالخشب والقصب، وهي بلاد كثيرة الأمطار . ويرتفع منها حرير يُعم الآفاق، وغالب حُبْرهم الأرز . قال : وليس بجميع طَبْرِسْتان نهر تجرى فيه السفن ، إلا أن البحر قريب منهم على أقل من يوم . قال ابن خلكان : والنسبة إليها طَبْرِي .

وقاعدتها (أمل) . قال في "المشترك" : بهمزة مفتوحة بعدها ألف ثم ميم مضمومة ولام في الآخر - وهي مدينة من طَبْرِسْتان واقعة في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" : حيث الطول سبع وسبعون درجة وعشرون دقيقة ، والعرض ست وثلاثون درجة وخمس وثلاثون دقيقة . قال في "القانون" : وهي قَصْبة طَبْرِسْتان ، وهي أكبر من قزوین ، مشتبكة بالعمارة لا يعلم على قدرها أعمارها في تلك النواحي . قال أحمد الكاتب : وهي على بحر الديلم . وقال في "المشترك" : هي أكبر مدينة بطَبْرِسْتان . ومنها أبو جعفر محمد بن جرير الطَّابِرِي الإمام الكبير المشهور . ولها عدة مدن .

(منها) رُوْيَان . قال في "المشترك" : بضم الراء المهملة وسكون الواو ثم ياء مشاة من تحت وألف ونون - وهي مدينة من طَبْرِسْتان واقعة في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "رسم المعمور" : حيث الطول ست وسبعون درجة وخمس وثلاثون دقيقة ، والعرض ست وثلاثون درجة وخمس عشرة دقيقة . قال في "المشترك" : وهي مدينة كبيرة في جبال طَبْرِسْتان ، ولها كورة عظيمة وعمل . قال في "اللباب" : وخرج منها جماعة كثيرة من العلماء .

(ومنها) مَاطِيرُ . قال في "اللباب" : بفتح الميمين وكسر الطاء المهملة وسكون المثناة من تحت وراء مهملة في الآخر . قال في "اللباب" : وهي بلدة من عمل أَمَلْ ، خرج منها جماعة من العلماء .

(ومنها) دِهِسْتَانُ . قال في "اللباب" : بكسر الدال المهملة والهاء وسكون السين المهملة وفتح المثناة من فوق ثم ألف ونون . قال ابن حوقل : وهي مدينة من طَبَرَسْتَان ، وقيل هي من خُرَاسَانَ - وموقعها في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" : حيث الطول إحدى وثمانون درجة وعشر دقائق ، والعرض ثمان وثلاثون درجة وعشرون دقيقة . قال في "تقويم البلدان" : وهي مدينة مشهورة عند مَازَنْدَرَانَ ، بناها عبد الله بن طاهر ، ومعناها بالفارسية موضع القرى ، وهي آخر حد طَبَرَسْتَان بين جُرْجَانَ وَخَوَارَزْمَ .

الإقليم الثامن

(مَازَنْدَرَانَ)

بفتح الميم وبعدها ألف وفتح الزاي المعجمة وسكون النون وفتح الدال والراء المهملتين وألف ثم نون ، وهو إقليم على القرب من طَبَرَسْتَانَ وقاعدتها (جُرْجَانُ) . قال في "اللباب" : بضم الجيم وسكون الراء المهملة وجيم ثانية وألف وفي آخرها نون . قال في "المشترك" : والعجم تسميها كُرْكَانَ بضم الكاف وسكون الراء المهملة . وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" : حيث الطول ثمانون درجة ، والعرض ست وثلاثون درجة ونحسون دقيقة . قال "المهلب" : وهي

مدينة جليلة بين خُراسَانَ وبين طَبْرَسْتَانَ . فَخُورَزْمُ منها في جهة الشرق وطَبْرَسْتَانُ منها في جهة الغرب . قال : وهي بلدة كثيرة الأمطار، متصلة الشتاء، وفي وسطها نهر يجري ، وهي قريبة من بحر الخزر، والجبال مُحْتَفَّةٌ بها فهي سُهْلَةٌ جَبَلِيَّةٌ، يجتمع فيها فواكه العُور والنَّجد . قال : وبها من خشب الخَلَنْج ما ليس في بلد آخر مثله . ولها مُدُنٌ أخرى .

(منها) سَارِيَّةٌ . قال في "اللباب" : بفتح السين المهملة وألف وراء مهملة ومثناة من تحتها وهاء . قال في "اللباب" : وهي مدينة من مَازَنْدَرَانَ . وقال ابن سعيد : من طَبْرَسْتَانَ - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . وفي شرقها خُور الرِّيّ وبينهما نحو ثمانين ميلاً .

(ومنها) أَسْتَرَابَادُ . قال في "المشترك" : بفتح الهمزة . وقال في "اللباب" : بفتح الهمزة وسكون السين المهملة وكسر المثناة من فوق وفتح الراء المهملة وباءة الموحدة بين ألفين وفي آخرها ذال معجمة . قال في "اللباب" : وقد يُلْحَقُونَ فيها ألفاً أخرى بين التاء والراء . قال في "المشترك" : أَسْتَرَأْسَمَ رجل وَاَبَاذَ أَسَمَ عمارة ، فكأنه قال عمارة أَسْتَر . وهي مدينة من مَازَنْدَرَانَ . وقيل من خُراسَانَ . وموقعها في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" : حيث الطول تسع وسبعون درجة وعشرون دقيقة، والعرض سبع وثلاثون درجة وخمس دقائق . قال في "العزيزي" : وهي على حَدِّ طَبْرَسْتَانَ ، وبينها وبين أَمَلٍ : قَصْبَةُ طَبْرَسْتَانَ تسعة وثلاثون فرسخاً .

(١) الذي في تقويم البلدان عن اللباب بكسر الألف .

(٢) ضبطها ياقوت بالفتح .

(١) (ومنها) أَبْسُكُونُ . قال في "اللباب" : بفتح الألف الممدودة وضم الباء الموحدة وسكون السين المهملة وضم الكاف وفي آخرها نون - وهي بلدة على ساحل بحر الخزر واقعة في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" حيث الطول تسع وسبعون درجة وخمس وأربعون دقيقة ، والعرض سبع وثلاثون درجة وعشر دقائق . قال في "القانون" : وهي فُرْضة جُرْجَان . قال ابن حوقل : وإليها ينسب بحر أَبْسُكُون ، ومنها يركب إلى الخزر وإلى باب الأبواب والجيل والديلم وغير ذلك .

الإقليم التاسع (قُومُسُ)

(٢) قال في "اللباب" : بضم القاف وسكون الواو وفتح الميم وفي آخرها سين مهملة . قال : ويقال لها بالفارسية قُومَسْ بإبدال القاف كافا . قال : وهي من بَسْطَامَ إلى سَمْنَانَ ، وهما من قُومَسْ بين خُرَاسَانَ وبين الجبال ، أولها من ناحية الغرب سَمْنَانَ . قال أحمد الكاتب : وقُومَسُ بلدٌ واسع جليل القدر . وقال في "المشترك" : قُومَسُ موضع كبير فيه بلاد كثيرة وقُرَى - وقاعدتها (سَمْنَانُ) . قال في "المشترك" : بكسر السين المهملة وسكون الميم ونونين بينهما ألف . قال في "القانون" حيث الطول تسع وسبعون درجة وخمس عشرة دقيقة ، والعرض ست وثلاثون درجة . قال في "المشترك" : وهو بلد مشهور بين الرُّمِّ والدَّامَغَانَ .
وبها مُدُنٌ أيضا .

(منها) الدَّامَغَانُ . قال في "اللباب" : بفتح الدال المهملة وألف وفتح الميم والغين المعجمة وألف ثانية ثم نون - وموقعها في الإقليم الرابع . قال في "القانون"

(١) ضبطها ياقوت بفتح الباء . (٢) ضبطها ياقوت بكسر الميم .

حيث الطولُ تسع وسبعون درجة وثلاثون دقيقة، والعرض ست وثلاثون درجة وعشرون دقيقة .

(ومنها) بَسْطَامُ . قال في "اللباب" : بفتح الباء الموحدة وسكون السين وفتح الطاء المهملتين وفي الآخر ميم - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "اللباب" : وهي بلدة مشهورة . قال ابن حوقل : ولها البساتين الكثيرة ، وهي كثيرة الفواكه ، وإليها ينسب أَبُو يَزِيدَ الْبَسْطَامِيُّ الزاهد .

الإقليم العاشر (خُرَّاسَانُ)

قال في "اللباب" : بضم الخاء المعجمة وفتح الراء المهملة وألف ثم سين مهملة وألف ونون - وهي بلاد كثيرة . قال : وأهل العراق يقولون إنها من الرى إلى مَطْلَعِ الشمس ، وبعضهم يقول من حُلُوَانٍ إلى مَطْلَعِ الشمس ، ومعنى خُرَّاسَمُ للشمس ، واسان موضعُ الشيء ومكانه ، وقيل معنى خُرَّاسَانُ كُلُّ بِالرَّافِيَةِ . قال في "تقويم البلدان" : ويحيط بها من جهة الغرب المَفَازَةُ التي بينها وبين بلاد الحِمْيَلِ وَجُرْجَانَ ، ومن جهة الجنوب مَفَازَةُ فاصلة بينها وبين فَارِسَ وَقُومَسَ ، ومن الشرق نواحي سِجِسْتَانَ وبلاد الهند ، ومن جهة الشَّمال بلاد ماوراء النهر وشيء من تُرْكِسْتَانَ . قال : وَخُرَّاسَانُ تشتمل على عِدَّةٍ كُورٍ كلُّ كُورَةٍ منها نحو إقليم .

ومن كورها المشهورة (جَوِينُ) بضم الجيم وفتح الواو وسكون المثناة من تحت ونون في الآخر . (وَقُوهُسْتَانُ) بضم القاف وسكون الواو وفتح الهاء وسكون السين المهملة وفتح المثناة فوق وألف ثم نون . (بَغْسُورُ) بفتح الباء الموحدة والغين المعجمة

الساكنة ثم شين معجمة وواو وراء مهملة في الآخر. و(مَرَوْ) بفتح الميم وسكون الراء المهملة وواو في الآخر. و(طُوسٌ) بضم الطاء المهملة وسكون الواو وسين مهملة في الآخر. و(يَبْهَقُ) بفتح الباء الموحدة وسكون الياء المثناة التحتية وفتح الهاء وقاف في الآخر. و(بَاخَرْزُ) بفتح الباء الموحدة ثم ألف وخاء معجمة وراء مهملة ساكنة وزاى معجمة؛ وإليها ينسب الباخَرْزِيُّ الذى أسلم على يديه بركة .

وقاعدتها فيما ذكره المؤيد صاحب حماة في تاريخه (نَيْسَابُورُ) . قال في "اللباب" :
 بفتح النون وسكون المثناة من تحتها وفتح السين المهملة وسكون الألف وضم الباء الموحدة وبعدها واو وراء مهملة . قال في "اللباب" : وسميت نَيْسَابُورَ لِأَنَّ سَابُورَ الملك لما رآها ، قال : يصلح أن يكون ها هنا مدينةً ، وكانت قَصَبًا فأمر بقطع الْقَصَبِ وَأَنْ تَبْنَى مدينة ، ف قيل نيسابور والنبي هو الْقَصَبُ . قال ابن سعيد :
 والعجم تسميها نَسَاوَر . قال في "تقويم البلدان" : وأسمها الآن نَسَاوَرُ ؛ يعنى بفتح النون والشين المعجمة وألف وفتح الواو وراء مهملة في الآخر . وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" حيث الطول ثمانون درجة ، والعرض ست وثلاثون درجة وعشرون دقيقة . قال ابن حوقل : وهى مدينة مشهورة فى أرض سهلة ، وهى مفترشة البناء مقدار فرسخ فى فرسخ ، وبها قنّى ماء ، وهى صحيحة الهواء . قال فى "اللباب" : وهى أحسن مُدُنِ خُرَاسَانَ وأجمعها للخير . قال أحمد بن يعقوب الكاتب : وبينها وبين كلٍّ من مَرَوْ ومن هَرَاةَ ومن بُرْجَانَ ومن الدَّامَغَانَ عشر مراحل .
 وبها مدن عديدة .

(منها) الطَّابَرَانُ . قال فى "اللباب" : يفتح الطاء المهملة والباء الموحدة والراء المهملة وبعد الألف نون . قال فى "القانون" : وهى قصبة طُوسَ من كُورِ

نُحْرَاسَان - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" حيث الطول ثمانون درجة وثلاثون دقيقة، والعرض خمس وثلاثون درجة وعشرون دقيقة . قال في "العزيزي" : وهي من أجلّ مدن نُحْرَاسَان .

(ومنها) نَوْقَان . قال في "اللباب" : بفتح النون وسكون الواو وفتح القاف (١) وبعد الألف نون - وهي مدينة من أعمال طُوس من نُحْرَاسَان، موقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" حيث الطول اثنتان وثمانون درجة وخمس وأربعون دقيقة ، والعرض ثمان وثلاثون درجة . قال المهلبّي : وهي من أجلّ مدن نُحْرَاسَان وأعرها ، وبظاهرها قبر الإمام عليّ بن موسى بن جعفر الصادق، وقبر هارون الرشيد الخليفة العباسي ؛ وبها معدن الفَيروزَج والدّهَج .

(ومنها) إِسْفَرَايُن . قال في "اللباب" : بكسر الألف وسكون السين المهملة وفتح الفاء والراء المهملة وكسر المشناة التحتيّة ونون في الآخر - وهي بلدة بناوحي نَيْسَابُور من نُحْرَاسَان - موقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" حيث الطول إحدى وسبعون درجة ، والعرض ثلاث وثلاثون درجة . قال في "تقويم البلدان" : وتسمى المِهْرَجَان أيضا بكسر الميم وسكون الهاء وفتح الراء المهملة والجيم وألف ونون في الآخر . يقال إن كسرى سماها بذلك تشبيها بالمِهْرَجَان أحد أعياد الفُرس : لأن المِهْرَجَان أطيب أوقات الفصول، شبهها بذلك لخُصرتها ونَصارتها، وإليها ينسب الأستاذ أبو إسحاق الإسفَرَايُنِيّ الإمام الكبير المشهور .

(ومنها) خُسْرُو حُرْد . قال في "اللباب" : بضم الخاء المعجمة وسكون السين وفتح الراء المهملتين وسكون الواو وكسر الجيم ثم راء ودال مهملتان - وموقعها

(١) ضبطها ياقوت بالضم .

(٢) ضبطها ياقوت بالفتح ، ثم قال وياء مكسورة وياء أخرى ساكنة .

في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في ”الأطوال“ حيث الطول إحدى وثمانون درجة وخمس دقائق، والعرض ست وثلاثون درجة . قال في ”المشترك“ : وهي قَصَبَة ناحية بَيْهَقَ من خُرَّاسَانَ . وقال في ”اللباب“ : كانت قَصَبَتَهَا ثم صارت القصبة سبروار .

(ومنها) نَسَا . قال في ”المشترك“ : بفتح النون والسين المهملَة وألف مقصورة - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال ابن سعيد حيث الطول اثنتان وثمانون درجة، والعرض تسع وثلاثون درجة . قال في ”المشترك“ : وهي مدينة من خُرَّاسَانَ بين أَسِيرَدَ وسَرَخُسَ . قال ابن حوقل : وهي مدينة خَصْبَة، ومنها الإمام أحمد النسائي صاحب السُّنَنِ .

(ومنها) أَرَاذَوَار . قال في ”تقويم البلدان“ : بالهمزة والزاي المعجمة ثم ألف وذال معجمة وواو مفتوحتين وألف وراء مهملَة في الآخر . وهي قَصَبَة جَوَيْنَ من خُرَّاسَانَ . وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في ”الأطوال“ حيث الطول ثمانون درجة وخمس وأربعون دقيقة ، والعرض ست وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة ؛ ومنها إمام الحرمين الإمام الشافعي المشهور .

(ومنها) قَايْنُ . قال في ”اللباب“ : بفتح القاف وبعد الألف ياء مثناة تحتية مكسورة ثم نون . وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في ”القانون“ حيث الطول أربع وثمانون درجة وخمس وثلاثون دقيقة [والعرض ثلاث وثلاثون درجة وخمس وثلاثون دقيقة^(١)] . قال ابن حوقل : وهي قَصَبَة قُوَهْسْتَانَ، من خُرَّاسَانَ على مفازة . قال : وهي مثل سَرَخُسَ في الكِبَرِ، وماؤها من القَيْنِ، وبساتينها قليلة، وقراها متفرقة . قال في ”اللباب“ : وإليها ينسب جماعة من العلماء .

(١) الزيادة عن تقويم البلدان نقلا عن القانون .

(ومنها) سَرَحْسُ . قال في "تقويم البلدان" : بفتح السين والراء المهملتين ثم خاء معجمة ساكنة وسين مهملة ساكنة - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" حيث الطول خمس وثمانون درجة ، والعرض ست وثلاثون درجة وأربعون دقيقة . قال ابن حوقل : وهي مدينة بين نَيْسَابُورَ وبين مَرَوَ في أرض سهلة ، وليس لها ماء جارٍ إلا نهر يجري في بعض السنة ، وهو فضلة مياه هَرَّاءَ ، والغالب على نواحيها المراعى ، ومعظم مال أهلها الحمال ، وماؤهم من الآبار ، وأرجيتهم على الدواب . قال المهلبى : والرمال مُحْتَفَةٌ بها .

(ومنها) بُوشَنَجُ . قال في "اللباب" : بضم الباء الموحدة وسكون الواو وفتح الشين المعجمة وسكون النون وجيم في الآخر . قال في "اللباب" : ويقال لها أيضا فُوشَنَجُ بالفاء بدل الباء . قال في "تقويم البلدان" : ويقال لها أيضا بُوشَنُكُ بالكاف بدل الجيم . قال ابن حوقل : وهي مدينة على نحو النصف من هَرَّاءَ في مستوٍ من الأرض ، ولها مياه وأشجار كثيرة ، وماؤها من نهر هَرَّاءَ ، وهو يجري من هَرَّاءَ إلى بُوشَنَجَ إلى سَرَحْسَ .

(ومنها) هَرَّاءُ . قال في "اللباب" : بفتح الهاء والراء المهملة ثم ألف وهاء في الآخر . قال في "التعريف" : ولا يسمع عجمي يقول إلهري - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" حيث الطول خمس وثمانون درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض خمس وثلاثون درجة . قال ابن حوقل : وهي من خُرَّاسَانَ ، ولها أعمال ، وداخلها مياه جارية ، والجبل منها على نحو فرسخين ، ومنه تعمل حجارة الأرحية وغيرها ، وليس به محتطب ولا مَرَعَى ، وعلى رأسه بيت ناركان للفرس ، وخارج هَرَّاءَ المياه والبساتين . قال في "المشترك" : وكانت مدينة عظيمة فخر بها التتر . قال في "اللباب" : وكان فتحها في خلافة أمير المؤمنين

عثمان رضى الله عنه . قال : والنسبة إليها هَرَوِيٌّ . قال فى "مسالك الأبصار" :
ومن الناس من يَعدُّ هَرَاءَ مفردة بذاتها عن خُرَاسَانَ ؛ وصاحبها يكتأبُ عن الأبواب
السلطانية بالديار المصرية .

(ومنها) مَرَوُ الرُّوذِ . قال فى "المشترك" : بفتح الميم وسكون الراء المهمله
وفى آخرها واو . وقال فى "اللباب" بفتح الواو وألف ولام وضم الراء الثانية
وسكون الواو وذال معجمة ، والرُّوذُ بالعجمية النهر ، ومعناه مَرَوُ النهر . وموقعها
فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال فى "القانون" حيث الطول سبع وثمانون
درجة وأربعون دقيقة ، والعرض أربع وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . قال
أبن حوقل : وهى أكبر من بوشَنجَ ، ولها نهر كبير وعليه البساتين ، وهى طيبة التربة
والهواء ، والجبل عنها فى جهة الغرب على ثلاثة فراسخ . قال فى "اللباب" : وهى
من أشهر مُدُن خُرَاسَانَ ، والنسبة إليها مَرَوَرُوذِيٌّ ومَرَوِذِيٌّ أيضا .

(ومنها) مَرَوُ الشَّاهِجَانِ . قال فى "المشترك" : بفتح الميم وسكون الراء المهمله
وواو فى الآخر ، وهو مضاف إلى الشَّاهِجَانِ بفتح الشين وألف بعدها هاء ثم جيم
وألف ونون - وموقعها فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة قال فى "المشترك" :
وَمَرَوُ الشَّاهِجَانِ معناه رُوح الملك . قال فى "الأطوال" حيث الطول سبع
وثمانون درجة ، والعرض سبع وثلاثون درجة وأربعون دقيقة . قال أبن حوقل :
وهى مدينة قديمة يقال إنها من بناء طهمورث : أحد ملوك الفُرس . قال فى "مسالك
الأبصار" : ويقال إنها من بناء ذى القرنين . قال : وهى فى أرض مستوية بعيدة
عن الجبال لا يرى منها الجبل ، وأرضها كثيرة الرمل وفيها سُبُوخة ، ويجرى على بابها
نهرٌ يدخل منه الماء إلى حياض المدينة ، ومنه شرب أهلها ؛ ولها ثلاثة أنهار آخرها
وبها الفواكه الحسنة تقدد وتحمل إلى البلاد ؛ وبها الزبيب الذى لا نظير له ؛ ولها من

النظافة وحسن الترتيب وتقسيم الأبنية والغُرُوس على الأنهار، وتميز كل سُوقٍ عن غيره ما ليس لغيرها من البلاد . قال في "المشترك" : والنسبة إليها مَرَوِزِيٌّ . قال في "تقويم البلدان" : وبها كان مُقام المأمون لما كان بِحُرَّاسَانَ ؛ وبها قُتِلَ يَزْدَجَرْدُ آخرُ ملوك الفُرس ؛ ومنها ظهرت دولة بني العباس ، وبها صُبِغَ أوَّل سواد لبسته المسوَّدة ؛ ومنها يرتفع الحرير الكثير والقطن . قال في "المشترك" : وبينها وبين كُلِّ من نَيْسَابُورَ وَهَرَّاءَ وَبَلَّخَ وَبُخَّارَا مسيرة اثْنِي عَشْرَ يَوْمًا .

(ومنها) الطَّالِقَانُ . قال في "المشترك" : بفتح الطاء المهملة واللام والقاف ثم ألف ونون . وقال في "اللباب" : بتسكين اللام - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" حيث الطول ثمان وثمانون درجة ، والعرض ست وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . قال ابن حوقل : وهى مدينة نحو مَرَوِزِيٍّ والرُّوذ في الكُبر ؛ ولها مياه جارِية وبساتين قليلة ؛ وهى في جبل ، ولها رُستاق في الجبل ، وهى غير الطَّالِقَانِ المقدم ذكرها في عراق العجم .

(ومنها) بَلَّخُ . قال في "اللباب" : بفتح الباء الموحدة وسكون اللام وفى آخرها خاء معجمة - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" و"القانون" حيث الطول إحدى وتسعون درجة ، والعرض ست وثلاثون درجة وإحدى وأربعون دقيقة . قال ابن حوقل : وهى مدينة فى مستوٍ من الأرض ، بينها وبين أقرب جبل إليها أربعة فراسخ ؛ والمدينة نصف فرسخ فى مثله ؛ ولها نهر يسمى ^(١) الدهاش يجرى فى ربضها ، وهو نهر يدعى عَشْرَ أَرْحِيَّةٍ ؛ والبساتين تحتف بها من جميع جهاتها ؛ وبها الأَثْرُجُ وقَصَبُ السُّكَّرِ ، وتقع فى نواحيها الثلوج . قال فى "اللباب" :

(١) وقع فى التقويم بإهمال السين ، ولم نعر عليه فى المعجم ولا فى القاموس .

فتحها الأحنف بن قيس التيمي في خلافة عثمان رضي الله عنه؛ وخرج منها مالا يحصى من الأئمة والعلماء والصلحاء .

(ومنها) شَهْرَسْتَانُ . قال في "اللباب" : بفتح الشين المعجمة وسكون الهاء وفتح الراء وسكون السين المهملين وفتح التاء المثناة من فوق وبعد الألف نون - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة قال في "الأطوال" و"القانون" حيث الطول إحدى وتسعون درجة ، والعرض ست وثلاثون درجة وإحدى وأربعون دقيقة . قال في "المشترك" : شهر بلغة الفرس المدينة ، واستان الناحية ، فعني أسمها مدينة الناحية . قال : وهي مدينة مشهورة بين نيسابور وخوارزم في آخر حدود خراسان وأول حدود رمال خوارزم .

الإقليم الحادي عشر (زَابُلْسْتَانُ)

بفتح الزاي المعجمة ثم ألف بعدها باء موحدة ولام مضمومتان وسين مهملة ساكنة وتاء مثناة فوق مفتوحة ثم ألف ونون - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" حيث الطول اثنتان وتسعون درجة وخمسون دقيقة ، والعرض أربع وثلاثون درجة وخمس عشرة دقيقة . قال ابن حوقل : وهي مدينة لها بلاد وأعمال ، وهي عن بلخ على عشر مراحل ، وعندها نهر كبير يجري ؛ وليس لها بساتين بل هي مدينة على جبل ، والقواكه تأتيها مجلوبة . قال في "اللباب" : وبها قلعة حصينة .

ولها مدن غيرها .

(منها) غَزْنَةُ . قال في "اللباب" : بفتح الغين وسكون الزاي المعجمتين وفتح

النون - وموقعها في آخر الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال في " الأطوال " و " القانون " حيث الطول أربع وتسعون درجة وعشرون دقيقة، والعرض ثلاثون درجة وخمس وثلاثون دقيقة . قال ابن حوقل : هي من عمل الباميان؛ وقد تقدم أن الباميان من رَابُلُسْتَانَ . وقال في " اللباب " : هي من أول بلاد الهند . وقال في " مزيل الأرتياب " : هي في طرف خُرَّاسَانَ وأول بلاد الهند، وهي كالحد بينهما . قال ابن حوقل : وهي قُرْصَةُ الهند وموطن التجار، ولها دَرَبَنْد مشهور .

(ومنها) بَجْهِيْرُ . قال في " اللباب " : بفتح الباء الموحدة وسكون النون وفتح الجيم وكسر الهاء وسكون المثناة تحت وراء مهملة في الآخر - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في " القانون " حيث الطول أربع وتسعون درجة وعشرون دقيقة، والعرض خمس وثلاثون درجة . قال ابن حوقل : وهي مدينة من أعمال الباميان على جبل، والغالب على أهلها العيثُ والفساد . قال في " اللباب " : وبها جبل الفضة، والدراهم بها كثيرة، لا يشترون ولو باقَّةً بَقْلٍ بأقل من درهم، وقد جعلوا السوق كهيئة الغربال لكثرة الحفر . قال : وإنما يتبعون عروقا يجدونها تُفْضِي إلى الفِضَّة، فإذا وجدوا عِرْقًا حفروا أبدا إلى أن يصيروا إلى الفضة، والرجل منهم يُنْفِقُ الأموال الكثيرة في الحفر، وربما خرج له من الفضة ما يستغني به هو وعقبه، وربما خاب عمله لقلة المال وغير ذلك، وربما وقف رجل على العرق ووقف آخر عليه في موضع آخر فأخذان جميعا في الحفر، والعادة عندهم أن من سبق فاعترض على صاحبه فقد أستحق .

الإقليم الثاني عشر (الغور)

قال في "اللباب" : يضم الغين المعجمة وسكون الواو وراء مهملة في الآخر .
قال : وهي بلاد في الجبال بخراسان قريبة من هرة ، وهي مملكة كبيرة ، وغالبها جبال
عامرة ذات عيون وبساتين وأنهار ، وهي بلاد حصينة منيعة ، وتحيط بها خراسان
من ثلاث جهات ولذلك حُصيت من خراسان ، والحد الرابع لها قبلي سيجستان .

وقاعدتها فيما قاله في "تقويم البلدان" (بيروزكوه) . قال في "المشترك" :
بكسر الباء الموحدة وسكون المثناة التحتية وضم الراء المهملة وواو ثم زاي معجمة
وضم الكاف وواو وهاء - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال
في "المشترك" : معنى بيروزكوه الجبل الأزرق ؛ وهي قلعة حصينة دار مملكة
جبال الغور . قال : وبها كان مستقرًا بنو ساجان ملوك الغور^(١) .

قلت : وبلاد الغور وغزنة وما والاها وإن عدها في "مسالك الأبصار" من
مملكة التورانيين ، فإنها ليست من أصل مملكة توران ، وإنما تغلب ملوكها عليها
من مملكة إيران ، فلذلك أثبتتها في مملكة إيران ؛ وما غلب عليه بنو هولاكو من مملكة
الروم ، وهو قونية وما معها ليس من مملكة إيران بل هو مملكة مستقلة بذاتها كما
سيأتي ، ولذلك لم أثبتها في مملكة إيران والله أعلم .

(١) كذا في الأصل على هذه الصورة ، والذي في التقويم "بها كان مستقر آل سام الخ" وفي معجم البلدان

"بناها بنو سام ملوك الغورية" .

الجملة الثالثة

(في الأنهار المشهورة)

واعلم أن هذه المملكة عدّة أنهار، والمشهور منها ثلاثة عشر نهرًا :

الأول - الفُرات وما يصب فيها ويخرج منها ^(١) . فأما نهر الفرات فأوله من شماليّ مدينة أرزن الروم وشرقيها ، وأرزن هذه آخر حدّ بلاد الروم من جهة الشرق ؛ ثم يأخذ إلى قرب ملطية ثم إلى شمشاط ؛ ثم يأخذ مشرقًا ويتجاوز قلعة الروم ويمرّ مع جانبها من شماليها وشرقيها ؛ ثم يسير إلى البيرة ، ويمرّ من جنوبيها ؛ ثم يمرّ مشرقًا حتى يتجاوز بالسّ وقلعة جعبر ويتجاوزها إلى الرّقة ؛ ثم يمرّ مشرقًا ويتجاوز الرّحبة من شماليها ويسير إلى عانة ثم إلى هيت ؛ ثم يسير إلى الكوفة . فإذا جاوز نهر كوثي بستة فراسخ أنقسم نصفين ، وممرّ الجنوبيّ منهما إلى الكوفة ويجاوزها ويصبّ في البطائح . ويمرّ القسم الآخر وهو أعظمهما ويعرف بنهر سورا ، ويمرّ بإزاء قصر ابن هبيرة ، ويتجاوزها إلى مدينة بابل القديمة ، ويتفرّع منه عدّة أنهر ويمرّ عمودُه إلى النيل ويسمّى من بعد النيل نهر الصّراة ؛ ثم يتجاوز النيل ويصبّ في دجلة .

وأما الأنهار التي تصب فيه ، فمنها نهر شمشاط ، ونهر البليخ ، ونهر الخابور ، ونهر الهرماس ، وغيرها .

وأما الأنهار التي تخرج من الفرات ، فمنها نهر عيسى ، ونهر صرصر ، ونهر الملك ، ونهر كوثي وغير ذلك .

الثاني - دجلة وما يصب إليها ويخرج منها . فأما دجلة فقال في "المشترك" :

بكسر الدال المهملة وسكون الجيم . قال : وهي نهر عظيم مشهور مخّرجه من بلاد

(١) كذا في التّقديم أيضًا بالتّأنيث والأولى التذكير .

الرُّومَ ؛ ثم يَمُرُّ عَلَى أَمَدَ ، وَحِصْنِ كَيْفَا ، وَجَزِيرَةِ ابْنِ عُمَرَ ، وَالْمَوْصِلَ ، وَتِكْرِيتَ ، وَبَغْدَادَ ، وَوَاسِطَ ، وَالْبَصْرَةَ ؛ ثُمَّ يَصُبُّ فِي بَحْرِ قَارَسَ . وَذَكَرَ فِي "الْعَزِيزِي" :
 أَنَّ رَأْسَ دِجْلَةَ شِمَالِي مِيقَاتَيْنِ مِنْ تَحْتِ حِصْنٍ يَعْرِفُ بِحِصْنِ ذِي الْقَرْنَيْنِ .
 وَيَجْرِي مِنَ الشَّمَالِ وَالْغَرْبِ إِلَى جِهَةِ الْجَنُوبِ وَالشَّرْقِ ؛ ثُمَّ يَشْرِقُ وَيَرْجِعُ إِلَى جِهَةِ
 الشَّمَالِ ؛ ثُمَّ يَغْرُبُ بِمِيلَةٍ إِلَى الْجَنُوبِ إِلَى مَدِينَةِ أَمَدَ ؛ ثُمَّ يَأْخُذُ جَنُوبًا إِلَى جَزِيرَةِ
 ابْنِ عُمَرَ ؛ ثُمَّ يَأْخُذُ شَرْقًا وَجَنُوبًا إِلَى مَدِينَةِ بَلَدَ ؛ ثُمَّ يَشْرِقُ إِلَى الْمَوْصِلِ ، ثُمَّ يَسِيرُ
 مَشْرِقًا إِلَى تِكْرِيتَ ؛ ثُمَّ يَأْخُذُ مَشْرِقًا نَصَبًا إِلَى سُرْمَنْ رَأَى ؛ ثُمَّ يَأْخُذُ جَنُوبًا عَلَى
 عُنْكَبَرَى ؛ ثُمَّ يَأْخُذُ مَشْرِقًا إِلَى الْبَرْدَانِ ، ثُمَّ يَأْخُذُ جَنُوبًا بِمِيلَةٍ إِلَى الشَّرْقِ إِلَى بَغْدَادَ ؛
 ثُمَّ يَسِيرُ جَنُوبًا إِلَى كَلَوَاذَا ، وَيَأْخُذُ إِلَى الْمَدَائِنِ وَيَتَجَاوَزُ إِلَى دِيرِ الْعَاقُولِ ؛ ثُمَّ يَسِيرُ
 مَشْرِقًا إِلَى النُّعْمَانِيَّةِ ؛ ثُمَّ يَسِيرُ جَنُوبًا وَمَشْرِقًا إِلَى فَمِ الصَّلْحِ ؛ ثُمَّ يَسِيرُ مَغْرِبًا إِلَى
 وَاسِطَ ؛ ثُمَّ يَشْرِقُ إِلَى بَطَائِحِ وَاسِطَ ؛ ثُمَّ يَخْرُجُ مِنَ الْبَطَائِحِ وَيَسِيرُ بَيْنَ الشَّرْقِ
 وَالْجَنُوبِ حَتَّى يَتَجَاوَزَ الْبَصْرَةَ ، وَيَمُرُّ عَلَى فُوهَةِ الْأُبُلَّةِ ، ثُمَّ يَسِيرُ إِلَى عِبَادَانَ وَيَصُبُّ
 فِي بَحْرِ قَارَسَ .

وَأَمَّا الْأَنْهَارُ الَّتِي تَصُبُّ فِي دِجْلَةَ : فَهِيَ نَهْرُ أَرْزَنَ ، وَنَهْرُ النَّزَارِ ، وَنَهْرُ الْفُرَاتِ
 الْأَعْلَى وَهُوَ الْأَكْبَرُ ، وَنَهْرُ الزَّابِ الْأَصْغَرُ ، وَغَيْرُهَا .

وَأَمَّا الْأَنْهَارُ الَّتِي تَخْرُجُ مِنْ دِجْلَةَ فَعِدَّةٌ أَنْهَارٌ ؛ مِنْ أَشْهَرِهَا نَهْرُ الْأُبُلَّةِ ، وَنَهْرُ مَعْقِلِ
 الْمُقَدَّمِ ذَكَرَهُمَا فِي الْكَلَامِ عَلَى مَتَرَهَاتِ هَذِهِ الْمَمْلَكَةِ .

الثَّالِثُ - دِجْلَةُ الْأَهْوَازِ . وَهُوَ نَهْرٌ يَنْبُعُ مِنَ الْأَهْوَازِ ، وَيَمُرُّ فِي جِهَةِ الْغَرْبِ
 إِلَى عَسْكَرٍ مُكْرَمٍ ، وَهُوَ قَرِبَ دِجْلَةَ بَغْدَادَ فِي الْمَقْدَارِ ؛ وَعَلَيْهِ مَزَارِعٌ عَظِيمَةٌ مِنْ قَصَبِ
 السُّكَّرِ وَغَيْرِهِ .

(١) الرابع - نهر شيرين . وهو نهر يخرج من جبل دينار من ناحية بازرع ويخترق بلاد فارس ويقع في بحر فارس عند جنابة ، من بلاد فارس .

الخامس - نهر المسرقان . وهو نهر عظيم في بلاد خوزستان ، يجري من ناحية شستر ، ويمر على عسكر مكرم ، ويسقي بجميع مائه النخل والزرع وقصب السكر ، ولا يضيع شيء من مائه .

السادس - نهر شستر . وهو نهر يخرج من وراء عسكر مكرم ، ويمر على الأهواز ؛ ثم ينتهي إلى نهر السدرة إلى حصن مهدى ، ويصب في بحر فارس .

السابع - نهر طاب . وتجرجه من جبال أصفهان من قرب المرج ، وينضم إليه نهر آخر ويسير حتى يمر على باب أرجان ، ويقع في بحر فارس عند شير .

(٢) الثامن - نهر سگان . وهو نهر يخرج من رستاق الرونجان من قرية تدعى ساركى ، ويسقى شيئاً كثيراً من كور فارس ؛ ثم يصب في بحر فارس ؛ وعليه من العمارة ما ليس على غيره .

التاسع - نهر زندورذ ، بفتح الزاى المعجمة وسكون النون وفتح الدال المهملة والواو ثم راء مهملة ساكنة وذال معجمة فى الآخر . وهو نهر كبير على باب أصفهان .

العاشر - نهر الهندمند . قال ابن حوقل : وهو أعظم أنهار سجستان ، ويخرج من ظهر القور ، ويمر على حدود الرخج ؛ ثم يعطف ويمر على بشت ، حتى يصير على مرحلة من سجستان ؛ ثم يصب في بحيرة زره ؛ وإذا تجاوز بشت يتشعب منه أنهار كثيرة ؛ وعلى باب مدينة بشت على هذا النهر جسر من السفن كما في دجلة .

(١) فى التقويم "نارنج" ولم نعرف فى المعجم على كلا اللفظين .

(٢) فى التقويم "الرويان ساذفرى" .

الحادى عشر - نهر الرّس . وهو نهر يخرج من جبال قَالِقَلَا ، ويمتد إلى وَرْثَانَ ؛ ثم يلتقى مع نهر الكُرَّ الآتى ذكره بالقرب من بحر الخَزَرِ فيصيران نهرا واحدا ويصبّان في بحر الخَزَرِ المذكور . قال في "تقويم البلدان" : وخلف نهر الرّس فيما يقال ثلثمائة وستون مدينة خراب ، يقال إنها المراد في القرآن بقوله تعالى ﴿ وَأَحْصَابُ الرّسِّ ﴾ .

الثانى عشر - نهر الكُرَّ . وهو نهر فاصل بين أَزَانَ وَأَذَرَيجَانَ كالحُدَّ بينهما ، وأوله عند جبل باب الأبواب ، ويخترق بلاد أَرَّانَ ويصب في بحر الخَزَرِ . وذكر ابن حوقل أن نهر الكُرَّ يمر على ثلاثة فرائخ من بَرْدَعَةَ . وبقَارِسَ أيضا نهر يقال له نهر الكُرَّ إلا أنه دون هذا في القدر والشهرة .

الثالث عشر - نهر جُرْجَانَ . ومخرجه من جبل جرجان ، ويسير غربا نحو الجنوب إلى أَبْسُكُونَ ثم يفترق من أَبْسُكُونَ نهرين ويصب في بحر الدَّيْلَمِ .

الجملة الرابعة

(في الطرق الموصلة إلى قواعد هذه المملكة ، وذكر شئ)

من المسافات بين بلادها)

وَأَعْلَمُ أَنَّ آخر المملكة المضافة إلى الديار المصرية من جهة الشرق مملكة حَلَبَ ، فتعين الابتداء منها . ونحن نورد ذلك على ما يقتضيه كلام عبيد الله بن عبد الله ابن خرداذبة في كتابه "المسالك والممالك" مقتصرًا على ذكر مشاهير البلاد .

(الطريق من حَلَبَ إلى المَوْصِلِ) - من حَلَبَ إلى مَنبِجَ ، ومن مَنبِجَ إلى الرّسْتَنِ ، ومن الرّسْتَنِ إلى الرّقَّةِ إلى رأس عين سبعة عشر فرسخًا ، ومن رأس عين إلى كَفَرْتُونَا سبعة فراسخ ، ومن كَفَرْتُونَا إلى دارا خمسة فراسخ ، ومن دارا إلى نَصِيبِينَ أربعة فراسخ ، ثم إلى بَلَدَ ثَلَاثُونَ فرسخًا ، ثم إلى المَوْصِلِ سبعة فراسخ .

(الطريق من المَوْصِلِ إِلَى بَغْدَادَ) - من الموصل إلى الحديثة أحد وعشرون فرسخًا ،
ثم إلى السَّنِّ خمسة فراسخ ، ثم إلى سُرَّ مَنْ رَأَى ثلاثة فراسخ ، ثم إلى القَادِسِيَّة تسعة
فراسخ ، ثم إلى عُكْبَرَى ثمانية فراسخ ، ثم إلى الْبَرْدَانِ أربعة فراسخ ، ثم إلى بَغْدَادِ خمسة
فراسخ] . وأخبرني بعض أهل تلك البلاد أن الطريق من حَلَبَ إلى الْبِيرَةِ يومان ،
ومن الْبِيرَةِ إلى الرَّهَّا يومان ، ومن الرَّهَّا إلى مَارِدِينَ أربعة أيام ، ثم من مَارِدِينَ إلى
جزيرة آبن عُمرَ ثلاثة أيام ، ثم من جزيرة آبن عُمرَ إلى المَوْصِلِ يومان ، ومن الموصل
إلى تِكْرِيتَ يومان ، ومن تِكْرِيتَ إلى خُوَيَّ يومان ، ومن خُوَيَّ إلى بَغْدَادَ يومان .
(الطريق إلى نَيْسَابُورَ : قَاعِدَةُ خُرَاسَانَ) - من بغداد إلى النَّهْرَوَانِ أربعة فراسخ ،
ثم إلى الدَّسْكِرَةِ اثنا عشر فرسخًا ، ثم إلى جَلُولَاءَ سبعة فراسخ ، ثم إلى خَافِقِينَ سبعة
فراسخ ، ثم إلى قَصْرِ شِيرِينَ ستة فراسخ ، ثم إلى حُلَوَانَ خمسة فراسخ ، ثم إلى مَرَجِ
القلعة عشرة فراسخ ، ثم إلى قَصْرِ يَزِيدَ أربعة فراسخ ، ثم إلى قَصْرِ عُمَرُو ثَلَاثَةَ عَشَرَ
فرسخًا ، ثم إلى قَصْرِ اللُّصُوصِ سبعة عشر فرسخًا ، ثم إلى قرية الْعَسَلِ ثَلَاثَةَ فَرَاسِخَ ،
ثم إلى هَمْدَانَ خمسة فراسخ ، ثم إلى الْأَسَاوِرَةِ اثْنَانِ وَعِشْرُونَ فرسخًا ، ثم إلى سَاوَةَ
خمسة عشر فرسخًا ، ثم إلى الرِّىِّ أربعة وعشرون فرسخًا ، ثم إلى قَصْرِ الْمَلْحِ أَحَدَ
وِثْلَاثُونَ فرسخًا ، ثم إلى رَأْسِ الْكَلْبِ سبعة فراسخ ، ثم إلى سِمْنَانَ ثمانية فراسخ ،
ثم إلى بُومَنَ سبعة عشر فرسخًا ، ثم إلى أَسَدَابَادَ أَرْبَعُونَ فرسخًا ، ثم إلى خُسْرَوِجَرْدَ
اثنا عشر فرسخًا ، ثم إلى نَيْسَابُورَ خمسة عشر فرسخًا .

(الطريق من نَيْسَابُورَ إِلَى بَلْخَ ثم إِلَى نَهْرِ جَيْحُونَ) - من نَيْسَابُورَ إِلَى طُوسِ ثَلَاثَةَ
عَشَرَ فرسخًا ، ثم إِلَى مَرَوِ الرُّودِ أَحَدَ عَشَرَ فرسخًا ، ثم إِلَى سَرْخَسَ ، ثم إِلَى قَصْرِ النِّجَارِ
ثَلَاثَةَ فَرَاسِخَ ، ثم إِلَى مَرَوِ الشَّاهْجَانَ سبعة وعشرون فرسخًا ، ثم إِلَى الْقَرَيَتَيْنِ خَمْسَةَ

وعشرون فرسخًا، ثم إلى أَسَدَابَادَ على النهر سبعة فراسخ، ثم إلى قَصْر الْأَحْنَفِ على النهر عشرة فراسخ، ثم إلى مَرَوِ الرُّوذِ خمسة فراسخ، ثم إلى الطَّالْقَانِ ثلاثة وعشرون فرسخًا، ثم إلى أربعين تسعة فراسخ، ثم إلى العاديّات عشرة فراسخ، ثم إلى السِّدْرَةِ من عمل بَلْخِ أربعة وعشرون فرسخًا، ثم إلى الغُورِ تسعة فراسخ، ثم إلى بَلْخِ ثلاثة فراسخ، ثم إلى شَطِّ جَيْحُونِ اثْنَا عشر فرسخًا. فذات اليمين كورة خُتَلِ ونهر الضَّرْغَامِ؛ وذات اليسار خَوَارِزْمُ، وسيأتي ذكرهما في الكلام على مملكة تُورَانِ فيما بعدُ إن شاء الله تعالى .

(الطريق إلى شيرازَ قاعدة فارس) - قد تقدّم الطريق من حَلَبَ من مضافات الديار المصرية إلى بغداد، ومن بغداد إلى واسطَ خمسة وعشرون سَكَّةً، ومن واسطَ إلى الأهوازِ عشرون سَكَّةً، ثم إلى التُّوبَنْدَجَانِ تسع عشرة سَكَّةً، ثم إلى شيرازَ اثْنَتَا عشرة سَكَّةً .

(الطريق من شيراز إلى السَّيرجَانِ: قاعدة كَرْمَانَ) - من شيراز إلى إِصْطَخَرَ خَمْسُ سَكَّاتٍ، ثم من إِصْطَخَرَ إلى البحيرةِ ثلاثة عشر فرسخًا، ثم إلى شَاهَكَ الكَبْرَى سبعة عشر فرسخًا، ثم إلى قرية المِلْحِ تسعة فراسخ، ثم إلى مَرْزَبَانِه ثمانية فراسخ، ثم إلى اروان ثلاثة فراسخ، ثم إلى المَرْمَانِ وهو آخر عمل فارس إلى السَّيرجَانِ سِتَّةَ عشر فرسخًا .

(الطريق إلى أَصْبَهَانَ) - من بُوْمَنَ المَقْدَمِ ذكرها إلى الرِّبَاطِ ثلاثة عشر فرسخًا، ثم إلى أَصْبَهَانَ أربعة عشر فرسخًا .

(الطريق إلى البصرة) - قد تقدّم الطريق من حَلَبَ إلى بَغْدَادَ، ثم إلى واسطَ، ثم إلى الفاروث، ثم إلى دير العمال، ثم إلى الحوانيت، ثم يسير في البطائح، ثم إلى نهر أبي الأسد، ثم في دِجْلَةِ العُوراء، ثم في نهر مَعْقِلٍ، ثم يمضي إلى البصرة .

(الطريق إلى تبريز)^(١) - قد تقدم الطريق من حلب إلى ماردین، ثم من ماردین إلى حصن كیفًا يومان، ومن الحصن إلى سِعرَت يومان، ومن سِعرَت إلى وان يومان، ومن وان إلى وسطآن ثلاثة أيام، ومن وسطآن إلى سلماس يومان، ومن سلماس إلى تبريز أربعة أيام؛ فيكون بين حلب وتبريز ثلاثة وعشرون يوما .

(الطريق إلى السلطانية) - من تبريز إليها سبعة أيام؛ فيكون من حلب إلى السلطانية ثلاثون يوما .

الجملة الخامسة

(في بعض مسافات بين بلاد هذه المملكة)

(بعض مسافات بلاد الجزيرة) - من الأنبار إلى تكريت مرحلتان، ومن تكريت إلى الموصل ستة أيام، ومن الموصل إلى آمد أربعة أيام، ومن آمد إلى سُميساط ثلاثة أيام؛ ومن الموصل إلى نصيبين أربع مراحل، ومن نصيبين إلى رأس عين ثلاث مراحل، ومن رأس عين إلى الرقة أربعة أيام، ومن رأس عين إلى حران ثلاثة أيام، ومن حران إلى الرها يوم واحد .

(بعض مسافات خوزستان) - من عسكر مكرم إلى الأهواز مرحلة، ومن الأهواز إلى الدورق أربع مراحل، وكذلك من عسكر مكرم إلى الدورق^(٢) ومن عسكر مكرم إلى سوق الأرباء مرحلة، ومن سوق الأرباء إلى حصن مهدى مرحلة، ومن السوس إلى بصني مرحلة خفيفة، ومن السوس إلى متوث مرحلة .

(بعض مسافات فارس) - قال ابن حوقل : من شيراز إلى سيراف نحو ستين فرسخا، ومن شيراز إلى إصطخر نحو اثني عشر فرسخا، ومن شيراز إلى كازرون

(١) في القاموس "تبريز وقد تكسر" .

(٢) الزيادة عن "تهويم البلدان" ليم البيان .

نحو عشرين فرسخا ، ومن كازرون إلى جنابة أربعة وأربعون فرسخا ، ومن شيراز إلى أصفهان أثنان وسبعون فرسخا ، ومن شيراز مغربا إلى أول حدود خوزستان ستون فرسخا ، ومن شيراز إلى بسا سبعة وعشرون فرسخا ، ومن شيراز إلى البيضاء ثمانية فراسخ ، ومن شيراز إلى دارابجرد خمسون فرسخا ، ومن مهرובان إلى حصن ابن عمارة نحو مائة وستين فرسخا .

(بعض مسافات كerman) - من السيرجان إلى المفازة مرحلتان ، ومن السيرجان إلى جيرفت مرحلتان ، ومن السيرجان إلى مدينة الزرنند تسعة وعشرون فرسخا .

(بعض مسافات إرمينية وأران وأذربيجان) - قال ابن حوقل : من بردعة إلى شمشكور أربعة عشر فرسخا ، ومن بردعة إلى تفليس ثلاثة وأربعون فرسخا ، ومن أردبيل إلى المراغة أربعون فرسخا ، ومن المراغة إلى أرمية أربع مراحل ، ومن أرمية إلى سلماس مرحلتان ، ومن سلماس إلى خوى سبعة فراسخ ، ومن خوى إلى بركري ثلاثون فرسخا ، ومن بركري إلى أرجيش يومان ، ومن أرجيش إلى خلاط ثلاثة أيام ، ومن خلاط إلى بدليس ثلاثة أيام ، ومن بدليس إلى ميافارقين أربعة أيام .

[ذكر الطريق من المراغة إلى أردبيل ؛ من مراغة إلى أرمية ثلاثون فرسخا ^(١) ، ومن أرمية إلى سلماس أربعة عشر فرسخا ، ومن خوى إلى نشوى [ثلاثة أيام ، ومن نشوى] إلى دبيل أربع مراحل ؛ ومن المراغة إلى الدينور ستون فرسخا ، ومن خونج إلى مراغة [ثلاثة عشر فرسخا ^(١) ، ومن بردعة إلى ورنان سبعة فراسخ ، ومن ورنان إلى بيلقان سبعة فراسخ ، ومن شروان إلى باب الأبواب نحو سبعة أيام ، ومن بردعة إلى تفليس نحو اثنين وستين فرسخا .

(١) الزائد من تقويم البلدان عن ابن حوقل ليستقيم الكلام .

(بعض مسافات عراق العجم) - من همدان إلى الدينور ما ينيف على عشرين فرسخا ، ومن همدان إلى ساوة ثلاثون فرسخا ، ومن ساوة إلى الرى ثلاثون فرسخا أيضا ، ومن همدان إلى زنجان على شهرزور ثلاثون فرسخا ، ومن همدان إلى أصبهان ثمانون فرسخا ، ومن همدان إلى أول خراسان نحو سبعين فرسخا ، ومن ساوة إلى قم نحو اثني عشر فرسخا ، ومن قم إلى قاشان نحو اثني عشر فرسخا أيضا ، ومن الرى إلى قزوین ثلاثون فرسخا ، ومن الدينور إلى شهرزور أربع مراحل ، ومن أصبهان إلى قاشان ثلاث مراحل .

(بعض مسافات طبرستان ومازندران وقومس) - قال ابن حوقل : بين أمل وسارية مرحلتان ، ومن سارية إلى استراباذ نحو أربع مراحل ، ومن استراباذ إلى جرجان نحو مرحلتين ، ومن أمل إلى ما مطير مرحلة ، ومن ما مطير إلى سارية مرحلة ، ومن جرجان إلى بسطام مرحلتان .

(بعض مسافات خراسان) - قال في "تقويم البلدان" : من أول أعمال نيسابور إلى وادی جیحون ثلاث وعشرون مرحلة ، ومن سرخس إلى نسا سبعة وعشرون فرسخا ، ومن هرة إلى نيسابور أحد عشر يوما ، ومن هرة إلى مرو كذلك ، ومن هرة إلى سجستان كذلك ، ومن مرو الروذ إلى مرو الشاهجان أربعة أيام ، ومن بلخ إلى فرغانة ثلاثون مرحلة مشرقا ، ومن بلخ إلى الرى ثلاثون مرحلة مغربا ، ومن بلخ إلى سجستان ثلاثون مرحلة جنوبا ، ومن بلخ إلى كرمان ثلاثون مرحلة ، ومن بلخ إلى خوارزم ثلاثون مرحلة .

الجملة السادسة

(فيما بهذه المملكة من النفائس العلية القدر، والعجائب الغريبة الذكر،
والمنتزهات المرتفعة الصيت)

وقد ذكر في "مسالك الأبصار" : بها عدة نفائس وعجائب .

أما النفائس فإن بها مفاص اللؤلؤ ببحر فارس بجزيرة كيش وعمان، وهما من
أحسن المفاصات وأشرفها وأعلاها قدرا في حسن اللؤلؤ على ما تقدم ذكره في الكلام
على الأحجار النفيسة فيما يحتاج الكاتب إلى معرفته في المقالة الأولى .

وبالدَّامَّانَ في جبلها معدن ذهب . قال الشيخ شمس الدين الأصفهاني : وهو .
قليل المتحصّل لكثرة ما يحتاج إليه من الكلف حتى يُستخرج ويذخشان شرقاً^(١)
عراق العجم البازهر الحيواني الذي لا يباريه شيء في دفع السموم يوجد
في الأيايل التي هناك ، وقد مرّ ذكره في الكلام على ما يحتاج الكاتب إلى معرفته
في المقالة الأولى .

وبها الإثمند الأصفهاني الذي لا يساوى رتبة، وقد مرّ ذكره في الكلام على ما يحتاج
الكاتب إلى معرفته في المقالة الأولى، ولكنه قد عرّ الآن حتى لا يكاد يوجد . قال
المقر الشهابي بن فضل الله : سألت الشيخ شمس الدين الأصفهاني عن سبب قلته ،
فقال : لأنقطاع عرقه فما بقي يوجد منه إلا مالا يرى . قال في "مسالك الأبصار" :
وبهذه المملكة مستعملات القماش الفاخر من النخ ، والمخمل ، والكمخا ، والعتابي ،
والنصافي ، والصوف الأبيض المارديني ، وتعمل بها البسط الفاخرة في عدة مواضع
مثل شیراز وأقصرا وتوزر إلى غير ذلك من الأشياء النفيسة التي لا يضاهيها غيرها فيها .

(١) هذه الكلمة غير واضحة في الأصل .



وأما العجائب ، فقد ذكر الشيخ شمس الدين الأصفهاني أن بمدينة قشِيرَ على ثلاثة أيام عن أَصْفَهَانَ عَيْنَ ماء سارحة يسمى ماؤها بماء الجراد ، إذا حمل ماؤها في إناء وعلق في تلك الأرض على عال ، أتاها طير يقال له سار فأكل ما فيها من الجراد حتى لا يدع منه شيئاً بشرط أن لا يوضع على الأرض حتى يؤتى به إلى مكان الجراد فيعلق . وحكى محمد بن حيدر الشيرازي في مصنف له : أن بين الدَّمَاعَانِ وَأُسْتِرَابَادَ مِنْ نَحْاسَانَ عَيْنَا ظَاهِرَةً إِذَا أَلْقَيْتَ فِيهَا نَجَاسَةً فَارِ مَاؤُهَا وَأَزِيدَتْ شَيْئاً تَبَعْتَهُ دَوْدَةُ طَوَّلَ أُنْمَلَةَ الْإِنْسَانِ حَتَّى لَوْ حَمَلَ الْمَاءَ تِسْعَةَ وَكَانَ مَعَهُمْ عَاشِرُ لَمْ يَحْمِلِ الْمَاءَ ، تَبَعَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ حَمْلِ الْمَاءِ دَوْدَةً ، وَلَمْ يَتَّبِعِ الْآخَرُ مِنْهَا شَيْئاً ، فَلَوْ قُتِلَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ تِلْكَ الدَّوْدَةُ اسْتَحَالَ الْمَاءُ مَرَّةً لَوْ قَتَنَ ، وَكَذَلِكَ مَاءُ كُلِّ مَنْ هُوَ وَرَاءَهُ ، وَلَا يَسْتَحِيلُ مَاءُ مَنْ هُوَ إِلَى جَانِبِهِ مُرّاً . قَالَ ابْنُ حَوْقَلٍ : وَبُكُورَةُ سَابُورَ مِنْ بِلَادِ فَارَسَ جَبَلٌ فِيهِ صُورَةٌ كُلِّ مَلِكٍ وَكُلِّ مَرْزُبَانَ مَعْرُوفٍ لِلْعَجَمِ وَكُلِّ مَذْكُورٍ مِنْ سَدَنَةِ النَّيرَانَ . وَفِي كُورَةِ أَرْجَانِ فِي قَرْيَةٍ يُقَالُ لَهَا طَبْرِيَانُ [بَثْرٌ]^(٢) يَذْكُرُ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ أَمْتَحَنُوا قَعْرَهَا بِالْمِثْقَالِ فَلَمْ يَلْحَقُوا لَهَا قَعْرًا ، وَيَقُورُ مِنْهَا مَاءٌ بِقَدَرِ مَا يُدِيرُ رَحَى تَسْقِي أَرْضَ تِلْكَ الْقَرْيَةِ . قَالَ : وَفِي كُورَةِ رُسْتَاقَ [بَثْرٌ] تَعْرِفُ بِالْهِنْدِيحَانِ بَيْنَ جَبَلَيْنِ يَخْرُجُ مِنْهَا دَخَانٌ لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَقْرِبَهَا ، وَإِذَا طَارَ عَلَيْهَا طَائِرٌ سَقَطَ فِيهَا وَاحْتَرَقَ . وَبِنَاحِيَةِ دَاذِينَ نَهْرُ مَاءٍ عَذْبٍ يَعْرِفُ بِنَهْرِ أَخْشِينَ ، يَشْرَبُ مِنْهُ النَّاسُ وَتَسْقَى بِهِ الْأَرْضُ ، وَإِذَا غَسَلَتْ بِهِ الثِّيَابَ نَرَجَتْ خَضْرَاءً .

(١) لعله ولو حمل واحد من مائها شيئاً الخ .

(٢) الزيادة عن تقويم البلدان ليستقيم الكلام .



وأما المنتزهات فيها نهر الأبلّة وشعب بَوَّانَ - وهما نصف منتزهات الدنيا الأربعة : وهى نهر الأبلّة وشعب بَوَّانَ المذكوران وصُغد سَمَرْقَنْدَ وغُوطَة دِمَشْقَ . وقد تقدّم أن نهر الأبلّة نهر شقّه زيادٌ مقابلةً نهر مَعْقِلَ ، وبينهما البساتين والقصور العالية والمباني البديعة ، يتسلسل مجراه ، وتهلّل بكَرّه وعشاياه ، ويُظله الشجر وتغنى به زمر الطير . وفيه يقول القاضى التنوخى من أبيات :

وإذا نظرت إلى الأبلّة خلّتها * من جنة الفردوس حين تحيل !
كم منزّل في نهرها إلى السُرو * ربّانّه في غيرها لا يَنزِل !
وكأَنَّما تلك القصور عرائس * والروض حلى وهى فيه ترفّل !

وشعب بَوَّانَ - وهو عدّة قُرى مجتمعة ومياه متصلة ، والأشجار قد غطّت تلك القُرى فلا يراها الإنسان حتّى يدخلها ، وهو بظاهر هَمْدَان يشرف عليها من جبل ، وهو فى سفح الجبل والأنهار تحطّ عليه من أعلى الجبل ، وهو من أبداع بقاع الأرض منظرًا . قال المبرد : أشرفت على شعب بَوَّانَ فنظرت فإذا بماء ينحدر كأنه سلاسل فضة ، وتربة كالكاפור ، وثريّة كالثوب الموشى ، وأشجار متهادلة ، وأطيّار متجاوبة . وفيه يقول أبو الطيّب المتنبي حين مرّ به :

مغانيّ الشعب طيباً فى المغاني * بمثلة الربيع من الزمان !
ولكنّ الفتى العريّ فيها * غريب الوجه واليد واللسان !

الجملة السابعة

(في ذكر من ملك مملكة إيران جاهلية وإسلاما)

وهم على ضربين :

الضرب الأول

(ملوكها قبل الإسلام)

وَأَعْلَمُ أَنَّ هَذِهِ الْمَمْلَكَةَ لَمْ تَزَلْ بِيَدِ مَلُوكِ الْفُرسِ لِبَتْدَاءِ الْأَمْرِ وَإِلَى حِينَ أَنْقَرَضَ دَوْلَتُهُمْ بِالْإِسْلَامِ عَلَى مَا سَيَأْتِي ذِكْرُهُ . قَالَ الْمُؤَيَّدُ صَاحِبُ حِمَاةٍ : وَهُمْ أَعْظَمُ مَلُوكِ الْأَرْضِ مِنْ قَدِيمِ الزَّمَانِ ، وَدَوْلَتُهُمْ وَتَرْتِيبُهُمْ لَا يَمَانِلُهُمْ فِي ذَلِكَ أَحَدٌ . وَهُمْ عَلَى أَرْبَعِ طَبَقَاتٍ :

الطبقة الأولى

(الفيشدازية)

سُمُّوا بِذَلِكَ لِأَنَّهُ كَانَ يُقَالُ لِكُلِّ مَنْ مَلَكَ مِنْهُمْ فَيْشْدَاذٌ وَمَعْنَاهُ سِيرَةُ الْعَدْلِ . وَأَوَّلُ مَنْ مَلَكَ مِنْهُمْ (أَوْشَهْنَج) وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ عُقِدَ عَلَى رَأْسِهِ التَّاجُ وَجَلَسَ عَلَى السَّرِيرِ وَرَتَّبَ الْمُلُوكَ وَنَظَّمَ الْأَعْمَالَ وَوَضَعَ الْخَرَاجَ . وَكَانَ مَلِكُهُ بَعْدَ الطُّوفَانِ بِمِائَةِ سَنَةٍ ، وَهُوَ الَّذِي بَنَى مَدِينَتَيْ بَابِلَ وَالسُّوسِ ، وَكَانَ مَجْمُودَ السَّيْرِ ، حَسَنَ السِّيَاسَةِ . ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ (طَهْمُورْث) وَهُوَ مِنْ عَقَبِ أَوْشَهْنَجِ الْمَقْدَمِ ذِكْرُهُ ، وَبَيْنَهُمَا عِدَّةُ آبَاءَ ، وَسَلَكَ سِيرَةَ جَدِّهِ ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ كَتَبَ بِالْفَارْسِيَةِ .

ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ أَخُوهُ (بَحْمَشِيد) وَمَعْنَاهُ شُعَاعُ الْقَمَرِ ، وَسَارَ سَيْرُهُ مِنْ تَقَدُّمِهِ وَزَادَ عَلَيْهَا ، وَمَلَكَ الْأَقَالِيمَ السَّبْعَةَ ، وَرَتَّبَ طَبَقَاتِ الْمُجَابِّ وَالْكُتَّابِ وَنَحْوَهُمْ ، وَهُوَ الَّذِي أَحْدَثَ التَّيْرُوزَ وَجَعَلَهُ عِيدًا ، ثُمَّ حَادَ عَنْ سِيرَةِ الْعَدْلِ فَقَتَلَهُ الْفُرسُ .

(١) في تاريخ أبي الفدا (بماتق) بالثنية .

وملك بعده (بيوراسب) ويعرف بالدهَّاك^(١)، ومعناه عشر آفات، والعامة تسميه الضحاك، وملك جميع الأرض فسار بالبحر والعسف، وبسط يده بالقتل، وأحدث المكوس والعشور، واتخذ المغنّين والملاهي. وسيأتي خبر هلاكه مع كابي الخارج عليه في الكلام على النحل والملل، ويقال إنه هو ومن قبله كانوا قبل الطوفان. ثم ملك بعده (إفريدون) ويقال إنه التاسع من ولد "جمشيد" المقدم ذكره، وفي أول ملكه كان إبراهيم الخليل عليه السلام، وهو ذو القرنين المذكور في القرآن على أحد الأقوال، وملك جميع الأرض أيضا وقسمها بين بنيّه ومات.

فملك بعده ابنه (إيراج) بعهد من أبيه، ثم ملك بعده أخوه (شرم) و(طوج) ثم غلبهما على الملك (منو جهر بن إيراج) وفي أيامه ظهر موسى عليه السلام. ويقال إن فرعون موسى كان عاملا له على مصر داخلا تحت أمره.

ثم تغلب على المملكة (فراسياب بن طوج) فأفسد وخرب؛ ثم غلبه عليها (زوبن طهماسب) من أولاد منو جهر، فأحسن السيرة وعمر البلاد، وشق نهر الزاب وبني مدينة على جانبه.

ثم ملك بعده (كرشاسف) من أولاد طوج بن إفريدون، وهو آخر ملوك هذه الطبقة.

الطبقة الثانية

(الكيانية)

سمّوا بذلك لأن في أول أسم كل واحد منهم لفظة كي، ومعناه الروحاني وقيل الجبار. وأول من ملك منهم بعد كرشاسف المقدم ذكره (كيقباز) بن زو، فسار سيرة أبيه في العدل ومات؛ فملك بعده (كيكاؤوس) بن كينيه بن كيقباز ومات؛ فملك

(١) كذا في المختصر أيضا وفي السير "الازدهاك بصاد بين السين والزاي وحاء قرية من الهاء وكاف قرية من القاف" وفي المسعودي "الده آك".

بعده أبنة (كيخسرو بن سياووس بن كيكائوس) بولاية من جدّه ، ثم أعرض عن الملك .

وملك بعده (كيهراسف بن أنخي كيكائوس) وأتخذ سيرا من ذهب مرصعا بالجوهر ، كان يجلس عليه ، وبني مدينة بلخ بأرض خراسان وسكنها لقتال الترك ، وفي زمنه كان يُختنصر بجعله نائبا له ثم مات .

وملك بعده (كيهشتاسف) وبني مدينة نسا ، وفي أيامه ظهر زرادشت صاحب " كتاب المجوس " الآتي ذكره في الكلام على النحل والملل ، وتبعه كيهشتاسف على دينه ثم قُتِل .

وملك بعده (أردشير بهمن) ومعنى بهمن الحسن النية ابن إسفنديار بن كيهشتاسف ، وأسمه بالعبرانية كورش ، وملك الأقاليم السبعة ، وهو الذي أمر بعمارة البيت المقدس بعد أن خربه بُختنصر .

ثم ملك بعده أبنة (دارا بن أردشير) وفي زمنه ملك (الإسكندر بن فيلبس) وغلب دارا على ملك فارس ، وأستتاب به عشرين رجلا ، وهم المسمون بملوك الطوائف ، فأقاموا على ذلك خمسمائة وأثنتي عشرة سنة ، ثم بطل حكم ذلك .

الطبقة الثالثة

(الإشغانية ، ^(١) يقال لكل منهم اشغا)

وأول من ملك منهم بعد ملوك الطوائف (اشغا بن اشغان) . ثم ملك بعده أبنة ^(٢) (سابور بن اشغان) عشر سنين . ثم ملك بعده (بسين بن اشغا) ستين سنة . ثم ملك بعده (جور بن اشغان) عشر سنين . ثم ملك بعده (بيرن الاشغاني) إحدى وعشرين

(١) في العبر "الاشكانية وكافها أقرب إلى الفين" فتنبه .

(٢) هنا مخالفة لما في كتابي مختصر أبي الفداء والعبر فراجعهما .

سنة ومات . فملك بعده (جودرز الاشغاني) تسع عشرة سنة ومات . فملك بعده
 (نرسي الاشغاني) أربعين سنة ومات . فملك بعده (هرمز الاشغاني) تسع عشرة
 سنة ومات . فملك بعده (اردوان الاشغاني) اثنتي عشرة سنة ومات . فملك بعده
 (خسرو الاشغاني) أربعين سنة ومات . فملك بعده (بلاش الاشغاني) أربعاً وعشرين
 سنة ومات . فملك بعده (اردوان الأصغر) وهو آخر ملوكهم من هذه الطبقة .

الطبقة الرابعة

(الأكاسرة)

وأول من ملك منهم (أردشير بن بابك) من عقب ساسان بن "أردشير بهمن"
 قتل "اردوان" وأستولى على ملكه ، فأقام أربع عشرة سنة وعشرة أشهر وكتب
 عهداً بالملك في عقبه ومات . فملك بعده آبنه (سابور) إحدى وثلاثين سنة وستة
 أشهر ، وفي أيامه ظهر "ماني الزنديق" وأدعى النبوة ، وأعتنى بنقل كتب الفلسفة من
 اللغة اليونانية إلى اللغة الفارسية ، ويقال إن العود الذي يُتغنّى به حدث في أيامه
 ومات . فملك بعده آبنه (هرمز) سنة واحدة وستة أشهر ومات . فملك بعده آبنه
 (بهرام) ثلاث سنين وثلاثة أشهر ومات ؛ فملك بعده آبنه (بهرام بن بهرام) سبع عشرة
 سنة ومات . فملك بعده آبنه (بهرام بن بهرام بن بهرام) أربع سنين ثم مات . فملك
 بعده أخوه (نرسي بن بهرام) تسع سنين ثم مات . وملك بعده آبنه (هرمز) تسع سنين
 أيضاً ومات . فملك بعده آبنه (سابور) وهو الذي عمل الجسر الثاني لدجلة ليكون
 أحد الجسرين للذاهبين ، والآخراً للآتين^(١) . وفي زمنه كان قُسطنطين ملك الروم^(٢)
 ومات . فملك بعده أخوه (أردشير) بوصية منه ، ثم مات . فملك بعده آبنه (سابور)

(١) قال في العبر "ضبطه الدارقطني بالراء المهملة" .

(٢) صوابه آبن أخيه .

أبن سابور) ثم ملك بعده أخوه (بهرام بن سابور) ثم ملك بعده أبنه (يزدجرد) المعروف بالأئيم؛ ثم ملك بعده (كسرى) من ولد "أردشير" [ثم ملك بعده (بهرام جور بن يزدجرد الأئيم) وكانت مدة ملكه^(١) ثلاثا وعشرين سنة ومات . فملك بعده أبنه (يزدجرد) ثمانيا وعشرين سنة ومات . فملك بعده أبنه (هرمز) ثم مات . فملك بعده أخوه (فيروز) سبعا وعشرين سنة ، وظهر في أيامه غلاء شديد . ثم ملك بعده أبنه (بلاش) أربع سنين ومات . فملك بعده أخوه (قباد) ثلاثا وأربعين سنة "وفي أيامه ظهر مردك الزنديق وادعى النبوة" ثم خلع . وملك بعده أخوه (جاماسف) [ثم تغلب عليه قباد واستمر في الملك^(٢)] ثم مات . وملك بعده (أنوشروان) ثمانيا وأربعين سنة ، وقتل مردك الزنديق وأتباعه وجماعة من المانوية ، وغلب على اليمن وأترعها من الحبشة . وفي زمانه ولد عبدالله أبو النبي صلى الله عليه وسلم ! ثم ولد النبي صلى الله عليه وسلم ! في آخر أيامه ؛ ثم مات . وملك بعده أبنه (هرمز) نحو ثلاث عشرة سنة ونصف . ثم ملك (أبرويز بن هرمز) ؛ ثم غلبه على الملك (بهرام جوين) من غير أهل بيت الملك ؛ ثم عاد أبرويز إلى الملك وملك ثمانيا وثلاثين سنة ، وتزوج شيرين المغنية وبنى لها القصر المعروف بقصر شيرين . ثم ملك بعده أبنه (شيوه) تغلبا على أبيه ثمانية أشهر . ثم ملك بعده أبنه (أردشير) سنة وستة أشهر . ثم ملك بعده (شهريران) من غير بيت الملك ثم قتل . وملك بعده (بوران) بنت أبرويز سنة وأربعة أشهر . ثم ملك بعدها (خشنشده) من بنى عم أبرويز أقل من شهر . ثم ملك بعده (أزميدخت) بنت أبرويز أخت بوران . ثم قتلت ؛ وملك بعدها (كسرى بن مهر خشنش) ؛ ثم قتلوه بعد أيام ؛ ثم ملك بعده

(١) الزيادة من تاريخ أبي الفداء ليم الكلام ويستقيم .

(٢) » » » بالمعنى لتتم الكلام .

فرخ زاد خسرو [من أولاد أنوشروان وملك ستة أشهر وقتلوه؛ ثم ملك] (١١) (يزدجرد) وهو آخرهم .

الضرب الثاني

(ملوكها بعد الإسلام، وهم على ثلاث طبقات)

الطبقة الأولى

(عُمال الخلفاء)

قد تقدم أن فتحها كان في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فتوالت عليها عُمال الخلفاء في بقية خلافة عمر، ثم في خلافة أمير المؤمنين عثمان ابن عفان رضي الله عنه، ومُقامهما يومئذ بالمدينة النبوية؛ ثم لما بويع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالخلافة بعد قتل عثمان، جعل إقامته بالعراق؛ ثم كان بعده ابنه الحسن السبط رضي الله عنه، فأقام بالعراق إلى أن سَلَّم الأمر إلى (مُعاوية بن أبي سُفيان) وصارت الخلافة إلى بني أُمَيَّة، وجعلوا دار إقامتهم بالشَّام وتوالت على هذه المملكة نوابهم في خلافة معاوية؛ ثم (ابنه يزيد)؛ ثم (ابنه معاوية بن يزيد)؛ ثم (مروان بن الحكم)؛ ثم (عبد الملك بن مروان)؛ ثم (الوليد ابن عبد الملك)؛ ثم (سليمان بن عبد الملك)؛ ثم (عُمَر بن عبد العزيز)؛ ثم (يزيد ابن عبد الملك)؛ ثم (هشام بن عبد الملك)؛ ثم (الوليد بن يزيد بن عبد الملك)؛ ثم (يزيد بن الوليد بن عبد الملك)؛ ثم (إبراهيم بن الوليد)؛ ثم (مروان بن محمد ابن مروان بن الحكم) وهو آخرهم .

(١) أي ابن شهر يار . وبقية نسبه في تاريخ أبي الفداء والزيادة منه ليم الكلام .

الطبقة الثانية

(خلفاء بنى العباس)

وقد تقدم في أول هذه [المقالة] أن دار مقامهم كانت بالعراق، وأن أول من ولي منهم الخلافة (أبو العباس السفاح)، فبنى المدينة الهاشمية ونزلها، ثم انتقل منها إلى الأنبار فكانت دار مقامه إلى أن مات؛ ثم كان بعده أخوه (أبو جعفر المنصور) فبنى بغداد وسكنها، ثم سكنها بعده أبوه (المهدي) بن المنصور؛ [ثم أبوه (الهادي) ^(١)]؛ ثم أخوه (هارون الرشيد) بن المهدي؛ ثم أبوه (الأمين)؛ ثم أخوه (المأمون)؛ ثم أخوه (المعتصم) بن الرشيد؛ ثم (الواثق) بن المعتصم؛ ثم أخوه (المستعصم)؛ ثم أخوه (المتنصر)؛ ثم (المستعين بن المعتصم)؛ ثم (المعتز بن المتوكل)؛ ثم (المهتدي) ابن الواثق؛ ثم (المعتمد بن المتوكل)؛ ثم (المعتضد بن الموفق طاحه) بن المتوكل؛ ثم أبوه (المكتفي) بن المعتضد؛ ثم أخوه (المقتدر)؛ ثم (المرتضى) بن المعتز؛ ثم أخوه (القاهر)؛ ثم (المقتدر) المقدم ذكره؛ ثم أخوه (القاهر) المقدم ذكره؛ ثم ابن أخيه (الرازي)؛ ثم أخوه (المتقي)؛ ثم ابن عمه (المستكفي)؛ ثم ابن عمه (المطيع)؛ ثم أبوه (الطائع)؛ ثم (القادر)؛ ثم أبوه (القائم)؛ ثم ابن أبوه (المقتدى)؛ ثم أبوه (المستظهر) ثم أبوه (المسترشد)؛ ثم أبوه (الراشد)؛ ثم (المقتفي) بن المستظهر؛ ثم أبوه (المستنجد)؛ ثم أبوه (المستضيء)؛ ثم أبوه (الناصر)؛ ثم أبوه (الظاهر)؛ ثم أبوه (المستنصر)؛ ثم أبوه (المستعصم) وقتله هولاكو ملك التتار الآتي ذكره، في العشرين من المحرم سنة ست وخمسين وستمائة، وهو آخرهم ببغداد.

وَأَعْلَمُ أَنَّ أَمْرَ الْخِلَافَةِ كَانَ قَدْ وَهِيَ وَضَعُفٌ، وَتَنَاهَتْ فِي الضَّعْفِ أَيَّامُ الرَّاضِي، وَتَغْلِبَ عُمَالُ الْأَطْرَافِ عَلَيْهَا، فَاسْتَوْلَى مُحَمَّدُ بْنُ رَاقٍ مِنَ الْفَرَاتِ عَلَى الْبَصْرَةِ،

(١) سقط من قلم الناسخ فأثبتناه ليم الكلام وينظم.

والبريدى على خوزستان، وعماد الدولة بن بويه على فارس، ومحمد بن الياص على كرمان، وركن الدولة بن بويه على الري وأصفهان، وبنو حمدان على الموصل وديار بكر وديار مضر وديار ربيعة، وغير أقطار هذه المملكة مع ملوك آخر. ولم يبق للخليفة غير بغداد وأعمالها، وأستولى ابن رائق على جميع الأمور وخطب باسمه على المنابر، وأقام سنة وعشرة أشهر، ثم صار الأمر بعده إلى (يحكم) مملوك وزير (ماكان) بن كاكى الديلمى وأستمر أيام الراضى ققتل؛ وأستقر (البريدى) بمده فى أيام المتقى وأيام المستكنى، وضربت ألقابه على الدنانير والدرهم، وخطب باسمه على المنابر، وأستمر ذلك لذويه من بعده؛ ثم ملك بعده (بختيار)؛ ثم ابن عمه (عضد الدولة) بن ركن الدولة حسن بن بويه؛ ثم ابنه (صمصام الدولة) بن عضد الدولة، ثم أخوه (شرف الدولة) شيرزبك بن عضد الدولة؛ ثم أخوه (بهاء الدولة أبو نصر) بن عضد الدولة؛ ثم ابنه (سلطان الدولة أبو شجاع)؛ ثم ابنه (بهاء الدولة)؛ ثم أخوه (مشرف الدولة) ابن بهاء الدولة؛ ثم أخوه (جلال الدولة) أبو الطاهر بن بهاء الدولة؛ ثم ابن أخيه (أبو كاليبجار) بن سلطان الدولة بن بهاء الدولة؛ ثم ابنه الملك الرحيم (خسرو فيروز) ابن كاليبجار بن سلطان الدولة بن بهاء الدولة بن عضد الدولة بن ركن الدولة ابن بويه. وبنو بويه هؤلاء ينسبون إلى يزدرج ملك الفرس.

ثم كانت دولة السلجوقية. وهى من أعظم الدول الإسلامية، ونسبتهم إلى سلجوق بن دقاق أحد مقدّمى الأتراك، وبهم زالت دولة بنى بويه عن بغداد وأعمال الخلافة.

وأول من ملك منهم (طغرل بك) بن ميكائيل بن سلجوق فى سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة؛ ثم ملك بعده ابن أخيه (ألب أرسلان) بن داود بن ميكائيل؛ ثم ابنه

(١) فى الأصل "ثم ابنه" وهو خلاف الواقع.

(٢) أجمعت التواريخ على إسقاط هذا من البين، وهو ما تقتضيه عبارة المؤلف.

(ملكشاه) بن ألب أرسلان ، ثم أبنه (محمود بن ملكشاه) ، ثم أخوه (برتيارق) ابن ملكشاه ، ثم أخوه (محمد بن ملكشاه) ، ثم أبنه (محمود بن محمد) ، ثم أبنه (داود بن محمود) ، ثم عمه (طغرليك) بن محمد ، ثم أخوه (مسعود) بن محمد ، ثم ابن أخيه (ملكشاه) بن محمود ، ثم أخوه (محمد بن محمود) . ثم قام منهم ثلاثة : وهم (ملكشاه بن محمود) أخو محمد المذكور ، و (سليمان شاه) بن محمد بن ملكشاه ، وهو عم محمد المذكور ، و (أرسلان شاه) بن طغرليك بن محمد بن ملكشاه . ثم قبض على سليمان شاه ، ومات ملكشاه ، وأنفرد أرسلان شاه بن طغرليك بالسلطنة . ثم ملك بعده أبنه (طغرليك) بن أرسلان شاه وبقى حتى قتله علاء الدين تكتش صاحب خوارزم وبعض نحرأسان والرئي وغيرها ، في خلافة الناصر لدين الله في سنة تسعين وخمسة ، واشتغل (خوارزم شاه) عن فصل العراق فبقى بيد الخلفاء من لدن الناصر لدين الله ، ومن بعده إلى أن انقرضوا بفعله هولاكو ملك التتر الآتي ذكره .

الطبقة الثالثة

(ملوكها من بني جنكروخان)

وأول من ملكها منهم (هولاكو) بن طولی بن جنكروخان المقدم ذكره ، قصدها بأمر أخيه منكوقان بن طولی صاحب التخت في سنة خمسين وستمائة ، وقتل المستعصم آخر الخلفاء ببغداد ، وأستولى على جميع المملكة . قال في "مسالك الأبصار" : قال شيخنا العلامة شمس الدين الأصفهاني : إلا أن هولاكو لم يملك ملكا مستقلا بل كان نائبا عن أخيه منكوقان ، ولم يضرب بأسمه سكة درهم ولا دينار ، وإنما كانت تضرب باسم أخيه منكوقان . قال : وكان يكون لصاحب التخت أمير لا يزال مقيما في مملكة إيران مع هولاكو ، ومات في تاسع عشر ربيع الآخر سنة ثلاث وستين

وستمئة؛ وملك بعده (أبنة أبغا) . قال الشيخ شمس الدين الأصفهاني: ولما ملك أضاف اسمه في السكة إلى اسم صاحب التخت ، وكان قد وجه أخاه منكوتمر إلى الشام وألتقى مع الجيوش الإسلامية على حِصص ، وأنكسر عليها ؛ ومات سنة إحدى وثمانين وستمئة ؛ وملك بعده أخوه (بوكدار بن هولاءكو) وأسلم وحسن إسلامه وتلقب أحمد سلطان ، وحمل العسكر على الإسلام فقتلوه ؛ وملك بعده ابن أخيه (أرغون) بن أبغا بن هولاءكو في جمادى الأولى سنة ثلاث وثمانين وستمئة ، وتوفي في ربيع الأول سنة تسعين رستمائة ؛ وملك بعده أخوه (كيختو) فخرج عن الياسة وأخسر في الفسق بنساء المغل وأبنائهم ، فوشب عليه بنو عمه فقتلوه في ربيع الآخر سنة أربع وتسعين رستمائة ؛ وملك بعده (بيدو بن طرغاي) ابن هولاءكو ، وبقي حتى قتل في ذى الحجة من السنة المذكورة ؛ وملك بعده (محمود غازان) بن أرغون بن أبغا بن هولاءكو ، ودخل إلى الشام ، وكان بينه وبين الملك الناصر محمد بن قلاوون وقعات بحمص وغيرها آخرها على شقحب ، كسر فيها كسرة فاحشة ، هلك فيها معظم عسكره في سنة اثنتين وسبعمئة ، وبقي حتى توفي في ثالث عشر شوال سنة ثلاث وسبعمئة ؛ وملك بعده أخوه (خدابندا) والعامية تقول خربندا بن أرغون بن أبغا بن هولاءكو في الثالث والعشرين من ذى الحجة سنة ثلاث وسبعمئة ؛ ثم ملك بعده (أبو سعيد بن خدابندا) وهو آخر من ملك من بني هولاءكو ، وكان بينه وبين الناصر محمد بن قلاوون مكاتبات ومراسلات وتودد بعد وخشة ، وبموته تفرقت المملكة بأيدي أقوام ، وصارت شبيهة بملوك الطوائف من الفُرس .

قال في "مسالك الأبصار" بعد ذكر أبي سعيد : ثم هم بعده في دهماء مظلمه ، وعمياء مُقْتَمِه ؛ لا يُقْضَى ليلهم إلى صَبَاح ، ولا فرقتهم إلى أَجْتِمَاع ، ولا فسادهم إلى

صَلَّاحُ ؛ فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ هَاتِفٌ ، يَدْعِي بِاسْمِهِ ، وَخَائِفٌ ، أَخَذَ جَانِبًا إِلَى قَسَمِهِ ؛ وَكُلُّ طَائِفَةٍ تَتَغَلَّبُ وَتَقِيمُ قَائِمًا تَقُولُ هُوَ مِنْ أَبْنَاءِ الْقَانِ ، وَتَنْسِبُهُ إِلَى فَلَانٍ ؛ ثُمَّ يَضْمَحَلُّ أَمْرَهُ عَنْ قَرِيبٍ ، وَلَا تَلْحَقُ دَعْوَتُهُ حَتَّى يَدْعِيَ فَلَا يَجِيبُ ، وَمَا ذَلِكَ مِنَ الدَّهْرِ بِعَجِيبٍ . وَذَكَرَ نَحْوَهُ فِي "التَّعْرِيفِ" وَزَادَ عَلَيْهِ فَقَالَ : "وَكَانَ الْعَهْدُ بِهِذِهِ الْمَمْلَكَةِ لِرَجُلٍ وَاحِدٍ وَسُلْطَانٍ فَرْدٍ مَطَاعٍ ، وَعَلَى هَذَا مَضَتْ الْأَيَّامُ إِلَى حِينِ وَفَاةِ أَبِي سَعِيدٍ ، فَصَاحَ فِي جَنَبَاتِهَا كُلِّ نَاعِقٍ وَقَطَعَ رِءَايَهَا كُلَّ جَاذِبٍ ، وَتَفَرَّدَ كُلُّ مَتَغَلَّبٍ مِنْهَا بِجَانِبٍ ؛ فَهِيَ الْآنَ تُنْهَى بِأَيْدِيهِمْ .

فَأَمَّا عِرَاقُ الْعَرَبِ وَهُوَ بَغْدَادُ وَبِلَادُهَا وَمَا يَلِيهَا مِنْ دِيَارِ بَكْرٍ ، وَرَبِيعَةٌ وَمُضَرٌّ ، فَبِيدُ الشَّيْخِ حَسَنِ الْكَبِيرِ ، وَهُوَ الْحَسَنُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ أَقْبَعَا مِنْ طَائِفَةِ التُّورَانِيِّينَ ، كَانَ جَدُّهُ نَوَكْرًا لِهَوَلَاكُو بْنِ طُولِي بْنِ جَنْكِرْخَانَ ، وَالنَّوَكْرُ هُوَ الرِّفِيقُ .

وَأَمَّا بَقِيَّةُ دِيَارِ بَكْرٍ ، فَبِيدُ إِبْرَاهِيمَ شَاهِ بْنِ بَارَنْبَايَ بْنِ سُونَايَ .

وَأَمَّا مَمْلَكَةُ أَذَرْبَيْجَانِ وَهِيَ قُطْبُ مَمْلَكَةِ إِيرَانَ ، وَمَقَرُّ كُرْسِيِّ مُلُوكِهَا مِنْ بَنِي جَنْكِرْخَانَ ؛ فَهِيَ الْآنَ بِيْدُ أَوْلَادِ جَوَابَانَ ، وَبِهَا الْقَانُ الْقَائِمُ بِهَا (سَلْمَانُ شَاهٍ) . قَالَ : وَلَا أَعْرِفُ صَحَّةَ نَسَبِهِ وَلَا سِيَاقَتَهُ بِالْدَّعْوَى .

وَأَمَّا خِرَاسَانُ ، فَبِيدُ الْقَانِ طَغَيْمَرِيَارٍ . وَهُوَ صَحِيحُ النِّسَبِ ، غَيْرَ أَنِّي لَمْ أَعْرِفْ أَسْمَ آبَائِهِ .

وَأَمَّا بِلَادُ لُرُومٍ ، فَقَدْ أُضْيفَتْ إِلَى إِيرَانَ مِنْهَا قِطْعَةٌ صَالِحَةٌ ، وَبِلَادُ نَازَحَةٍ ؛ ثُمَّ قَالَ : وَهِيَ الْآنَ بِيْدُ أَرْتَا ، وَقَدْ نَبِهَ عَلَى ذَلِكَ لِيَعْرِفَ .

قُلْتُ : ثُمَّ تَغَيَّرَتِ الْأَحْوَالُ عَنْ ذَلِكَ .

الجملة الثامنة

(في معاملاتها وأسعارها)

أما معاملاتها فالمعتبر فيها معاملة ثلاث قواعد .

الأولى - (بَغْدَاد) . قد ذكر في "مسالك الأبصار" : أن ببغداد دينارين . أحدهما يسمى العوال ، عنه أثنا عشر درهما ، الدرهم بقيراط وحبتين . وذلك أن الدينار عشرون قيراطا ، كل قيراط ثلاث حبات ، كل حبة أربعة فلوس من الدرهم النقرة ، عن كل فليس فلسان أحران . والثاني الدينار المرسل ، عنه عشرة دراهم ، وبه أكثر مبيعاتهم ومعاملات تجّارهم . وقد اختلف أصحاب الشافعية في رطل بَغْدَاد ، فذهب الرافعي^١ إلى أنه مائة وثلاثون درهما وهو الموجود فيها الآن ، وعليه أقصر في "مسالك الأبصار" . وذهب الشيخ محي الدين النووي^٢ إلى أنه مائة وسبعة وعشرون درهما وأربعة أسباع درهم ، والمن بها رطلان بالتوراني . ومكاييلها أكبرها الكُرْ ، وهو ثلاثون كارة ، كل كارة قفيزان ، فيكون الكُر [ستين] قفيزا ، والقفيز مكوكات كل مكوك خمس عشرا^(١) . وتختلف الكارة في الغلال ، فالقمح كارته مائتان وأربعون رطلا ، وكارة الأرز ثلثمائة رطل ، وكارة كل من الشعير والجمّص والعدس والمُرطمان مائة رطل ، وكارة الحبة السوداء ، وهي الشونيز مائة رطل .

الثانية - (تَوْرِيْز) قاعدة أذربيجان وسائر المملكة غير بغداد وخراسان . فمعاملاتها بدينار يسمى عندهم بالرابح ، عنه ستة دراهم .

الثالثة - (نَيْسَابُور) قاعدة خُرَاسَانَ . فدينارها أربعة دراهم ، وفي بعضها الدينار الرابع المقدم ذكره . قال في "مسالك الأبصار" : ولا يساع بتوريز وبلادها

(١) كذا في الأصل ، وقد تكلم على المكوك صاحب القاموس وصاحب اللسان بأوضح مما هنا .

في الغالب قمح ولا شعير ونحوهما إلا بالميزان، وليس لهم إلا المن، وهو بتوريز رطلان بالبغدادى، فتكون زنته مائتين وستين درهما، وبالسلطانية المن ستمائة درهم .

وأما أسعارها فنقل في "مسالك الأبصار" عن يحيى بن الحكيم الطيارى في السعر ببغداد : أن كُرَّ القمح بتسعة وثلاثين دينارا ونصف دينار، والشعير بخمسة عشر دينارا، كلاهما من العوال . ثم قال : ولعل هذا هو السعر المتوسط، لا يكاد يميل فيه القانون عن معدله . وذكر أن الأسعار بتبريز والسلطانية إذا لم ينزل عليها السلطان، فأسعارها رخيصة لا إلى غاية، وكل بلد نزل عليه السلطان غلت أسعاره، ولعل هذا قد تغير كل في زماننا كما تغير غيره من الأحوال .

الجملة التاسعة

(في ترتيب هذه المملكة على ما كانت عليه في زمن نبي هولاكو، آخر أيام
أبى سعيد : من الأمراء والوزراء وأرباب الوظائف)

أما الأمراء . فقد ذكر في "مسالك الأبصار" أنهم عندهم على أربع طبقات أعلاها النوين ، وهو أمير عشرة آلاف، ويعبر عنه بأمير تومان، إذ التومان عندهم عبارة عن عشرة آلاف ، ثم أمير ألف ، ثم أمير مائة ، ثم أمير عشرة . قال في "التعريف" : (وحكام دولة هذا السلطان أمراء الألوس، وهم أربعة، أكبرهم بكلارى بك : وهو أمير الأمراء، كما كان قطلوشاه عند غازان، وجوبان عند خدابندا، ثم عند أبى سعيد). قال : وهؤلاء الأمراء الأربعة لا يُفصل جليل أمر إلا بهم، فن غاب منهم كتب في اليرالغ : وهى المراسيم كما يكتب لو كان حاضرا، ونائبه يقوم عنه، وهم لا يُمضون أمرا إلا بالوزير، والوزير يمضى الأمور دونهم ويأمر توابعهم فتكتب أسماءهم، والوزير هو حقيقة السلطان، وهو المنفرد بالحديث في المال ،

والولاية، والعزل، حتى في جلائل الأمور كما كانت بكلارى بك يتحدث في أمر
العسكر بمفرده. فأما الاشتراك في أمور الناس فبهم أجمعين، وليس للأمرء في غالب
ذلك من العلم إلا ما علم نوابهم .

قال في "مسالك الأبصار" نقلا عن نظام الدين بن الحكيم الطيارى : وأمر
الجيوش والعساكر إلى كبير أمرء الألوس المسمى بكلارى بك، كما كان قتلوشاه مع
السلطانين محمود غازان وأخيه محمد خدابندا، وجوبان مع خدابندا، ثم بعده مع ولده
السلطان أبى سعيد بهادرخان، والشيخ حسن بن حسين بن أقبغا مع خانة السلطان
محمد بن طشتمر بن اشتمر بن غبرجى، وإليه يقطع أمر كل ذى سيف. قال : وأمر
متحصلات البلاد ودخلها ونخرجها إلى الوزير، وإليه يرجع أمر كل ذى قلم ومنصب
شرعى، وله التصرف المطلق في الولاية والعزل والعطاء والمنع، لا يُشاور السلطان
إلا فيما جَلَّ من المهمات وما قَلَّ من الأمور، وهو السلطان حقيقةً وصاحب البلاد
معنى، وإليه ترجع الأمور كلها، وإليه عقدها وحلّها. أما السلاطين بها فلا آلتفات
لهم لأمر ولا نهى ولا نظر في متحصّل ولا دخل ولا خرج. قال : وعدة جيشهم
المتزلة في دواوينهم لا تبلغ عشرين تومانا. أما إذا أرادوا فإنهم يركبون ثلاثين تومانا
وما يزيد عليها، وعامة العسكر لا تزال أسماؤهم في دواوينهم على الأفراد، وكل طائفة
منهم عليهم في الديوان فارس معين، إذا رسم لهم بالركوب ركب العدة المطلوبة. قال :
وقد ذكر أنه كان في هذه المملكة عدّة ملوك كصاحب هراة، وحلول الجبل هم كالعبيد
لقائنا الأكبر متقادون إليه وداخلون تحت طاعته .

وأما القضاة فعادة هذه المملكة أن يكون بها في صحبة السلطان قاضى قضاة الممالك،
وهو الذى يوتى القضاة في جميع المملكة على تناسل أقطارها إلا العراق، فإن لبغداد
قاضى قضاة مستقل بها يوتى فيها وفي بلادها من جميع عراق العرب .

وأما الحُكَّابُ وأصحاب الدَّواوين : من ديوان الإنشاء ودواوين الأموال ، فعلى
أتمَّ نظام وأعدلِ قاعدة .

الجملة العاشرة

(فيما لأرباب المناصب والجُند من الرزق على السلطان)

قد نقل في "مسالك الأبصار" عن نظام الدين الطيارى : أن المقرَّر للأمرء
في القديم من زمن هولاكو لكل نوين (أمير) تومان : وهو عشرة آلاف دينار راجح ،
عنها ستون ألف درهم ، ثم تزايد الحال بهم حتى لا يقنع النوين فيهم إلا بخمسين
ألف^(١) تومان ، وهي خمسمائة ألف دينار راجح ، عنها ثلاثة آلاف ألف درهم ، ومن
خمسين توماناً إلى أربعين توماناً . وكان قد استقر لجوبان ، وهو يومئذ بكلارى بك
ثم لمن بعده ثلثمائة تومان ، وهي ثلاثة آلاف ألف دينار راجح ، عنها ثمانية عشر
ألف ألف درهم مع ما يحصل لكل من أمرء الألوُس الأربعة من الخدم الكثيرة
في البلاد جميعها عند تقريرات الضمان بها على صُمتها . قال : وأما أمير ألف ومن
دونه ، فلا يتجاوز أحد منهم تقريره القديم في الديوان : وهو لأمير الألف ألف دينار
راجح ، عنها ستة آلاف درهم . وأما أمير المائة وأمير العشرة وكل واحد من العسكرية
إلى الجند فمائة دينار راجح ، عنها ستمائة درهم لا تفاوت بينهم ، وإنما تبقى منزلة أمير
المائة أو العشرة أنه يأخذ لنفسه شيئاً مما هو للعسكرية ، ولكل طائفة أرض لتزولم ،
توارثها الخلف عن السلف منذ ملك هولاكو البلاد ، فيها منازلهم ، ولهم بها من درع
لأقواتهم ، لكنهم لا يعيشون بالحِث والزرع .

وأما الخواتين فإنه يبلغ ما للخاتون الواحدة في السنة مائتي تومان ، وهو ألف ألف^(٢)

(١) لعل لفظ ألف من زيادة النسخ كما يستفاد من الفذلكة بعد فتأمل .

(٢) كذا في الأصل ، ولعل الصواب ألفاً ألف بالثنية ليستقيم الحساب .

دينار راجح، عنها اثنا عشر ألف ألف درهم، وما دون ذلك إلى عشرين تومانا، وهو مائتا ألف دينار، عنها ألف ألف ومائتا ألف درهم .

وأما الوزير فله مائة وخمسون تومانا، وهو ألف ألف وخمسمائة ألف دينار راجح، عنها تسعة آلاف ألف درهم، ولا يقنع بعشرة أضعاف هذا في تقادير البلاد .

وأما الخواجكية من أرباب الأقلام، فمنهم من يبلغ في السنة ثلاثين تومانا، وهي ثلثمائة ألف دينار، عنها ألف ألف وثمانمائة ألف درهم . ثم قال : والذي للأمرء والعسكرية لا يكتب به مرسوم، لأن كل طائفة ورثت مالها من ذلك عن آبائها، وهم على الجهات التي قررها لهم هولا كولو لم تتغير بزيادة ولا نقص، إلا أكابر الأمرء الذين حصلت لهم الزيادات فإنه في ذلك الوقت كتب لهم بها بأمر القان أصدرها الوزراء عنه، ومن الخواتين من أخذ بماله أو ببعضه بلادا فهي له . قال : وفي هذه المملكة ما لا يحصى من الإيرادات والرسومات حتى إن بعض الرواتب يبلغ ألف دينار .

وأما الإيرادات من المبلغ أو القرى، فإنها تبقى لصاحبها كالمملك يتصرف فيه كيف شاء من بيع وهبية ووقف لمن أراد .

الجملة الحادية عشرة

(في ترتيب أمور السلطان بهذه المملكة على ما كان الأمر عليه)

حكى في "مسالك الأبصار" عن نظام الدين بن الحكيم الطيارى أن أهل هذه المملكة من التتر كانوا قد داخلوا العجم وزوجوهم وترجوا منهم، وخطبهم بالنفوس في الأمور، فتفخمت قواعدهم، وجرت على عوائد الخلفاء والملوك في غالب الأمور قوانينهم .

ثم للسلطان بهذه المملكة مَشَقَّى ومَصِيف :

فأما مَشَتاه فبأوجان بظاهر تبريز، وهو مكان متسع ذو مَرُوج ومياه على ما تقدم ذكره، وبه قُصُور لأكابر الأمراء والخَوَاتين . أما عامة الأمراء والخواتين، فإنهم يتخذون زُرُوبا من القصب كالحظائر يترذبون بها، وينصبون معها الخركاوات والخيام، فصير مدينة متسعة الجوانب، فسيحة الأرجاء، حتى إذا خرجوا لمصيفهم راحلين عنها، أحرقوا تلك الحظائر لكثرة ما يتولد فيما بقي منها من الأفاعى والحيات، ولا يبالون بما يُغرم عليها من كثير الأموال .

وأما مَصِيفه فكان يعرف بقراباغ، ومعناه البستان الأسود، وفيه قرى ممتدة، وهو صحيح الهواء، طيب الماء، كثير المَرعى . وإذا نزل به الأردوا، وهو وطاق السلطان وأخذت الأمراء والخواتين منازلهم، نُصب هناك مساجد جامعة، وأسواق متنوعة، يوجد بها من كل ما في أمهات المدن الكبار حتى يكون بها أسواق لا ينكر أحد على أحد، بل كل أحد وما آستحسن، إلا أن الأسعار تغلو حتى يصير الشيء بقيمة مثليه أو أكثر لكلفة الحمل ومشقة السفر . وذكر أنه كان من عادة سلطانهم أنه لا يعمل موكبا، ولا يجلس لخدمة ولا لقراءة قصص حكيمة وإبلاغ مظالم إليه، بل له من أبناء الأمراء خاصة له يقال لهم الإينافية، يكونون حوله لا يكاد منهم من يفارقه .

فأما الأمراء فإنهم يركبون في غالب الأيام على نحو عشرين غلوة سهم منها إلى باب الكرباس، وتتصب لهم هناك كراسى صندلية، يجلس كل أمير منهم على كرسى منها بحسب مراتبهم : الأعلى ثم الأدنى، ويدخل الوزير في بكرة كل يوم على القان، ويبقى الأمراء على باب الكرباس، فإذا خرج لهم القان، وإما أن يأذن لهم في الدخول، أولا هذا ولا هذا . فإذا حضر طعام القان بعث إلى كل أمير منهم شيئا للأكل بمفرده يأكله هو ومن أنضم معه، فيأكلون ثم يتفرقون ويذهبون إلى حالهم، ومن تأخر منهم عن الحضور لم يطلب بحضور إلا أن تدعو الحاجة .

أما الظَّلَامَات فإن كانت متعلّقة بالعسكرية، فإلى أمير الألوس. وإن كانت متعلقة بالبلاد والأموال أو الرعايا، فإلى الوزير. بل أكثر الظَّلَامَات لا يفصلها إلا الوزير لملازمته باب القان، بخلاف أمير الألوس لقلة ملازمته. ثم قال: وليس في هذه البلاد قاعدة محفوظة، بل كل من أنصوى إلى خاتون من الخواتين أو أمير من الأمراء أو كبير من الخواجكية، قام بأمره إما في قضاء حاجة يطلبها، أو إزالة ظُلّامة يشكوها، حتّى إن من الخواتين والأمراء من يقتل ويُسَطّ بيده بغير أمر القان ولا أمير الألوس.

الجملة الثانية عشرة

(فيما يتعلق بترتيب ديوان الإنشاء بهذه المملكة)

أما اليرالغ: وهى المراسيم، فالتعلق بالأموال تسمى الطن طمغا ويكون صدورها عن رأى الوزير، وكذلك المتعلق بالبريد. والمتعلق بالعسكرية صادر عن أمير الألوس، وليس لأحد على الجميع خطّ إلا الوزير، وإنما العادة أن يأمر الوزير بكتابة ما يرى، ثم تؤخذ خطوط المتحدثين فيما يكتب، ثم تحرّر مسودة وتعرض على الوزير فيأمر بتبديضها، فإذا بيّضت كتب عليها اسم السلطان، ثم تحته اسم الأمراء الأربعة، ويخلّى تحته مكان لخط الوزير، ثم يكمل اليرلغ ويختتمه بالتاريخ شخص معدّ لذلك غير من يكتب، ثم يكتب الوزير في المكان الخالى "فلان سورى" أى هذا كلام فلان يسمى نفسه.

ثم إن كان متعلقا بالمال أثبت بالديوان المتعلق به، وإلا فلا. وأما المتعلق بالعسكر، فنشأ الأمر فيه عن أمير الألوس يأمرهم على بقية الترتيب، ولا خطّ لأمر الألوس بيده. وعادة أصحاب الدواوين عندهم كما هو بمصر والشام لا يعلم صاحب علامة حتّى يرى خط نائبه عليه أولا ليَعْلَم أنه قد ثبت عنده.

قلت: وقد اختلفت الأحوال بعد ذلك وتغيرت عما كانت عليه في جُلّ الأمور.

المملكة الثانية

(مما بيد بني جنكرخان مملكة تُورَان)

قال في "المشترك" : يضم المنشاة من فوق وسكون الواو ثم راء مهملة وألف ونون . قال في "التعريف" : وهى من نهر يُلخ إلى مطلع الشمس على سمت الوسط ، فما أخذ عنها جنوبا كان بلاد السُّند ثم الهند ، وما أخذ عنها شمالا كان بلاد الخفجاء ، وهى طائفة القَبجاق ، وبلاد الصَّقَب ، والجهار كس ، والروس ، والماجار ، وما جاورهم من طوائف الأمم المختلفة سُكَّان الشَّمال . قال : ويدخل فى تُورَان ممالك كثيرة ، وبلاد واسعة ، وأعمال شاسعة ، وأمم مختلفة لاتكاد تحصى ، تشمل على بلاد غَزَنَة ، والبَلَمِيَان ، والغُور ، وما وراء النهر الذى هو نهر جِيحُون ، نحو بُخَارَا ، وسمَرْقَنْدَ والصَّفَدِ وَتَجَنْدَ وغير ذلك ، وبلاد تَرْكُستَانِ وأَشْرُوسَنَة وَفَرغانَة ، وبلاد سَاغُونِ وَأَطْرَارَ وصر يوم ، وبلاد الخِطَا نحو بشالق والمالِق إلى قَرَاقُومَ ، وهى قرية جنكرخان التى أخرجته ، وعِرْيَسْتَه التى أدرجته . إلى ما وراء ذلك من بلاد الصِّينِ وَصِينِ الصِّينِ . ثم قال : وكل هذه ممالك جليله ، وأعمال حفيله . أما فى "المشترك" : فإنه قد جعل تُورَانَ اسما لمجموع ما وراء النهر من مملكة الهياطلة ، وهى جزء مما تقدّم ذكره .

وقد قسم فى "التعريف" ^(١) : مملكة تُورَانَ إلى ثلاثة أقسام .

القسم الأول - منها غزنة وبُخَارَا وسمَرْقَنْدَ وعامة ما وراء النهر وتَرْكُستَانِ .

قال فى "مسالك الأبصار" : وما بعده ومامعه . قال : وهى من أجلّ الممالك وأشهرها . ثم قال : وهى ممالك طائفة السَّمْعَة ، طائفة البُقْعَة ، أَسِرَّةُ ملوك ، وَأُفُقُ عُلَمَاءَ ، ودائرة أكابر ، ومَعْقِدُ أَلَوِيَّةِ وَبُنُودِ ، ومجرى سوابق وجُودٍ ، كانت

(١) عبارة "التعريف" وأما مملكة توران فهى منقسمة ثلاثة أقسام وبها سلطانان مسلمان و سلطان كافر . ثم تكلم على المكاتبه إلى الجميع .

بها سلطنة الخانية وآل سامان وبني سُبُكْتِكِين والغورية؛ ومن أُنْفَقَهَا بَزَغَتْ شمسُ
آل سَلْجُوق، وامتدت في الإشراف والشرق؛ وغير هذه الدول مما طمَّ سهول هذه
الممالك على قربها. كانت قبل آنتقالها إلى الإسلام، في ملوك الترك لا تراعى ولا
تُرام، ولا يشق لها سهام؛ حتى [إذا] خيم بها الإسلام وحاز ملكها هذه الأمة، برقت
بالإيمان أَسْرَتُهَا، وتطُرزت بالجموع والمساجد قراها؛ ثم بنيت بها المدارس والخوانق
والرُبط والزوايا، وأجريت الأوقاف عليها، وكثر من العلماء أهلها، وسارت لها
التصانيف المشهورة في الفقه والحديث والأصول والخلاف، وكان فيهم الرؤساء
والأعلام، والكبراء أهل البحث والنظر. ثم قال: وهي في أواسط المعمور وأوسع
الأرض إذا قيل إنها أخصب بلاد الله تعالى وأكثرها ماء ومرعى، لم يُغَيِّرِ القائلُ
الحقَّ في أوصافها؛ ذات الأنهار السارحة، والمروج الممتدة؛ كأنما نشرت الحُلُلَ على
آفاقها، وثرت الحُلَى على حصبائها.

ويرجع المقصود منها إلى سبع جمل.

الجملة الأولى

(في ذكر حدودها، وطولها وعرضها، وموقعها من الأقاليم السبعة)

أما حدودها وطولها وعرضها، فقال في "مسالك الأبصار": وهي واقعة بشرق
محيط آخذة إلى الجنوب؛ يحدها السند من جنوبيها، والصين من شرقيها، وخوارزم
وإيران من جنوبيها، وطولها من ماء السند إلى ماء ايلان المسمى قراخوجا، وهي
تلي بر الخطأ، وعرضها من وِجْج وهو منبع نهر جِيحُون إلى حدود كُرْكَانَج قاعدة
خوارزم؛ وحدها من الجنوب جبال البْتَم وماء السند الفاصل بينها وبين السند؛
ومن الشرق أوائل بلاد الخطأ؛ ومن الشمال مراعي باران وكند وبعض خراسان

إلى بحيرة خُوارزَمَ، ومن الغرب بعض خُراسانَ إلى خُوارزَمَ إلى مجرى النهر أخذنا على الختل . ثم حكى عن نظام الدين بن الحكيم الطيارى أن بلاد هذه المملكة متصلة بخُراسانَ متداخلة بعضها ببعض، لا يفصل بينهما بحر ولا نهر ولا جبل ولا مفازة، بل بينها وبين خُراسانَ أنهار جارية ومزارع متصلة .

الجملة الثانية

(فما يدخل في هذه المملكة من الأقاليم العرفية، وهى سبعة أقاليم)

الإقليم الأول منها

(ما وراء النهر)

قال فى "تقويم البلدان" : والذى ظهر لنا فى تحديد ما وراء النهر أنه يحيط به من جهة الغرب حدود خُوارزَمَ، ومن الجنوب نهر جِيحُونَ من لَدُنْ بَذَخْشَانَ إلى أن يتصل بحدود خُوارزَمَ، فإن جِيحُونَ فى الجملة يجرى من الشرق إلى الغرب، وإن كان يعرض فيه عَطَفَاتٌ تجرى جنوباً مرة وشمالاً أخرى . ثم قال : أما حدوده من الشرق والشمال فلم تتضح لى . قال صاحب "كتاب أشكال الأرض" : وما وراء النهر من أخصب الأقاليم منزلة، وأزهرها وأكثرها خيراً، وأهلها يرجعون إلى رغبة فى الخير، واستجابة لمن دعاهم، مع قلة غائلة، وسلامة ناحية، وسماحة بما ملكت أيديهم، مع شدة شوكة ومنعة وبأس وتجدد وعدة وعدة، وآلة وكراع وبسالة وعلم وصلاح، وليس من إقليم إلا ويُحَظُّ أهلُه مراراً قبل أن يُحَظَّ ما وراء النهر مرة واحدة، ثم إن أحسوا يبرد أو يجراد أو بافة تأتى على زروعهم وغلاتهم، ففى فضل ما يسلم فى عروض بلادهم ما يقوم بأوْدِهِمْ حتى يستغنوا به عن شئ ينقل إليهم من غير بلدهم . قال : وليس بما وراء النهر مكان يخلو من مُدُنْ

أَوْ قَرَى أَوْ مَرَّاجَ لِسَوَائِهِمْ؛ وَلَيْسَ مِنْ شَيْءٍ لَا بَدَّ لِلنَّاسِ مِنْهُ إِلَّا وَعِنْدَهُمْ مِنْهُ مَا يَقِيمُ
أَوَدَّهُمْ وَيَفْضُلُ عَنْهُمْ لَغَيْرِهِمْ؛ وَمِيَاهُهُمْ أَعَذَّبَ الْمِيَاهَ وَأَبْرَدَهَا وَأَخَفَّهَا، وَقَدْ عَمَّتْ
جَبَالُهَا وَضَوَاحِيهَا وَمُدَّنَهَا إِلَى التَّمَكُّنِ ^(١) مِنَ الْجَدِّ فِي جَمِيعِ أَقْطَارِهَا، وَالتَّلَوُّجِ مِنْ جَمِيعِ
نَوَاحِيهَا؛ وَالْغَالِبُ عَلَى أَهْلِ الْمَالِ وَالثَّرَةِ بِهَا صَرْفُ الْمَالِ فِي عَمَلِ الْمَدَارِسِ وَبِنَاءِ
الرُّبُطِ وَعِمَارَةِ الطَّرِيقِ، وَالْأَوْقَافِ عَلَى سُبُلِ الْجِهَادِ وَوُجُوهِ الْخَيْرِ، وَعَقْدُ الْقَنَاطِرِ،
إِلَّا الْقَلِيلُ مِنْ ذَوِي الْبَطَالَةِ .

وَفِيهَا مِنَ الدَّوَابِّ الْخَيْلُ وَالْبِغَالُ وَالْحَمِيرُ وَالْإِبِلُ الْبُخْتُ وَالْبَقَرُ، وَالْغَنَمُ أَكْثَرُهَا
فَإِنَّهَا كَمَا يُقَالُ أَعُوْزَهَا لِلزَّرَائِبِ، وَفِيهَا مِنَ الْمَبَاحِ مَا فِيهِ كِفَايَتُهُمْ، وَلَهُمْ مِنْ نَتَاجِ الْغَنَمِ
الْكَثِيرُ وَالسَّائِمَةُ الْمَفْرُطَةُ . وَذَكَرَ أَنَّهُ يَوْجَدُ عِنْدَ أَحَادِ الْعَامَةِ مِنْ عَشْرِينَ دَابَّةً إِلَى
نَحْسِينَ دَابَّةً لَا كُفَّةَ عَلَيْهِ فِي أَقْتِنَائِهَا لِكثَرَةِ الْمَاءِ وَالْمَرْعَى .

وَفِيهَا مِنَ الْحَبُوبِ الْقَمْحُ وَالشَّعِيرُ وَالْجَحْصُ وَالْأَرْزُ وَالذُّخْنُ وَسَائِرُ الْحَبُوبِ خِلَا
الْبَاقِلَاءِ؛ وَبِهَا مِنَ الْفَوَاكِهِ الْمُنَوَّعَةِ الْأَجْنَاسِ الْعِنَبُ، وَالتَّيْنُ، وَالرَّمَّانُ، وَالتَّفَّاحُ،
وَالْكُمُثْرَى، وَالسَّفْرَجَلُ، وَالْخَوْخُ، وَالْمِشْمِشُ، وَالتُّوتُ، وَالْبِطِّيخُ الْأَصْفَرُ، وَالْبِطِّيخُ
الْأَخْضَرُ، وَالْخِيَارُ، وَالْقَنَاءُ .

وَفِيهَا مِنَ الْبَقُولِ اللَّفْتُ وَالْجَزْرُ وَالْكُرْبُ وَالْبَازِنْجَانُ وَالْقَرَعُ وَسَائِرُ أَنْوَاعِ الْبَقُولِ .
وَفِيهَا مِنَ الرِّيحَيْنِ الْوَرْدُ وَالْبَنْفَسَجُ وَالْآسُ وَاللَّيْنُوفُ وَالْحَبَقُ؛ وَلَا يَوْجَدُ بِهَا الْأُتْرُجُ
وَالنَّارَنْجُ وَاللَّيْمُونُ وَاللِّيمُ، وَلَا الْمَوْزُ وَلَا قَصَبُ السُّكَّرِ، وَلَا الْقُلُقَاسُ، وَلَا الْمُلُوخِيَا،
فَإِنَّهَا مِنْ ذَلِكَ عَارِيَةُ الْحَدَائِقِ، خَالِيَةُ الْمَرْوَجِ؛ إِلَّا مَا أَتَى بِهِ إِلَيْهَا مِنَ الْحَمَضَاتِ مَجْلُوبَا .
وَفِيهَا أَصْنَافُ الْمَلْبُوسِ : مِنَ الْقَزِّ وَالصُّوفِ، وَطَرَائِفُ الْبَزِّ .

وَفِيهَا مِنَ الْمَعَادِنِ مَعْدَنُ زَبَقٍ لَا يَعَادِلُهُ مَعْدَنٌ فِي الْغَزَارَةِ .

(١) لَعَلَّهُ فَكَانَ ذَلِكَ دَاعِيَةً إِلَى التَّمَكُّنِ الْخ .

وقد أشتمل ما وراء النهر على عدة كور .

(منها) السُّغْد . قال في "اللباب" : بضم السين المهملة وسكون الغين المعجمة ودال مهمل في الآخر، ويقال الصُّغْد بالصاد بدل السين، ويضاف إلى سَمَرْقَنْدَ، فيقال سُغْد سَمَرْقَنْدَ، وهو أحد منتهات الدنيا الأربعة التي هي غوطة دِمَشقَ ، ونهر الأَبْلَهَ، وشعب بَوَّانَ، وسُغْد سَمَرْقَنْدَ . قال ابن حوقل : وهو أنزه الأربعة لأنه ممتد نحو ثمانية أيام، مشتبك الخُضرة والبساتين، لا ينقطع ذلك في موضع منه، وقد حُفَّت تلك البساتين بالأنهار الدائم جريها، ومن وراء الخُضرة من الجانبين مزارعُ، ومن وراء المزارع مَرَّاعَى السوائم . ثم قال : وهي أركى بلاد الله وأحسنها أشجارا .

ومنها أُسْرُوشَنَةُ . قال في "اللباب" : بضم الألف وسكون السين وضم الراء المهملتين وسكون الواو وفتح الشين المعجمة ثم نون . قال ابن حوقل : والغالب عليها الجبال ، ويحيط بها من الشرق بعض فَرَّغَانَةَ ، ومن الغرب حدود سَمَرْقَنْدَ ، ومن الشمال بعض فَرَّغَانَةَ أيضا، ومن الجنوب بعض حدود كَشَّ والصَّغَايَانَ . قال أحمد الكاتب : ولها عدة مُدُن، ويقال إن بها أربعائة حصن .

(ومنها) فَرَّغَانَةُ . قال في "المشترك" : بفتح الفاء وسكون الراء المهملة وفتح الغين المعجمة وألف ونون . قال ابن حوقل : وفيها مُدُن وكُور، وإليها ينسب جماعة من العلماء ، منهم أبو سعيد الفَرَّغَانِيُّ شارح "تائية ابن الفارض" قال ابن حوقل : ويجبال فَرَّغَانَةَ معادن الذهب والفضة والفيروزج والحديد .

وقاعدتها بُجَارًا . قال في "اللباب" : بضم الباء الموحدة وفتح الخاء المعجمة ثم ألف وراء مهمل مفتوحة - وموقعها في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" حيث الطول سبع وثمانون درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض

تسع وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . قال ابن حوقل : وهى مدينة خارجها نزه كثير البساتين . قال : وليس بتلك البلدان بلد أهلها أحسن قياما على عمارة قراهم منهم ، ويحيط بها وبقرأها ومزارعها سور واحد اثنا عشر فرسخا ، ولها كورة عظيمة تصاقب جيحون على معبر خراسان ، وبها يتصل سعد سمرقند . قال فى "مسالك الأبصار" : وهى أم الأقاليم ويم التقاسيم ، وقد كانت [مستقرًا] للدولة السامانية ومركز أفلا كهـم الدائرة ، وكانت تلك الممالك كلها تبعاً لها . قال صاحب "أشكال الأرض" : ثم لم أر ولم أسمع بظاهر بلد أحسن من بخارا ، لأنك إذا علوت لم يقع نظرك من جميع النواحي إلا على خضرة تتصل خضرتها بلون السماء ، مكبة زرقاء على بساط أخضر ، تلوح القصور فيما بين ذلك كالأتراس التبنية ، أو المحجف اللطيفة ، أو الكواكب العلوية ، بين أراض وضياح مقسومة بالاستواء ، ممهدة كوجه المرأة فى غاية الهندسة ، ولها سبعة أبواب حديد : وهى باب المدينة ، وباب يون ، وباب خضرة ، وباب الحديد ، وباب قهندر ، وباب بنى أسد ، وباب بنى سعد . وليس فيها ماء جار لأرتفاعها ، ومياههم من النهر الأعظم الجارى من سمرقند ، وإليها ينسب الإمام الحافظ (أبو عبد الله البخارى) صاحب الجامع الصحيح فى الحديث .

ولها عدة مدن :

(منها) الطواويس . قال فى "اللباب" : بفتح الطاء المهملة والواو وبعد الألف واو ثانية مكسورة ومثناة تحت ساكنة وسين مهملة فى الآخر . وموقعها فى الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال فى "الأطوال" : حيث الطول سبع وثمانون درجة وأربعون دقيقة ، والعرض سبع وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . قال ابن حوقل : وهى مدينة من مضافات بخارا داخل الحائط الدائر على أعمال بخارا ، كثيرة البساتين والماء الجارى . قال : وقد تحربت الآن . وقال فى "اللباب" :

هى قرية من قرى بخارا خرج منها جماعة من العلماء، وبينها وبين بخارا سبعة فراسخ، وإليها ينسب الطاووسى صاحب "المصباح على الحاوى الصغير" فى فقه الشافعية، ردّا لها فى النسب إلى المفرد وهو الطاوس .

(ومنها) نَحْشَبُ . قال فى "اللباب" : بفتح النون وسكون الخاء وفتح الشين المعجمتين ثم باء موحدة . قال فى "تقويم البلدان" : فلما عربت قيل نَسَفَ - يعنى بفتح النون والسين المهملة وفاء فى الآخر . قال ابن حوقل : وهى فى مستوٍ من الأرض، والجبال منها على نحو مرحلتين مما يلى كَشَّ، وبينها وبين جَيِّخُون مفازة، ولها نهر يجرى فى المدينة وينقطع فى بعض السنة، والغالب عليها الحِصْبُ . قال المهلبى : وهى وَبِيَّةُ .

(ومنها) كَشَّ . قال فى "المشترك" : بفتح الكاف ثم شين معجمة مشددة - وموقعها فى الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال فى "الأطوال" : حيث الطول تسع وثمانون درجة وثلاثون دقيقة، والعرض تسع وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . قال ابن حوقل : وهى مدينة قدرها ثلث فرسخ فى مثله ، وهى خَصْبَةٌ وفواكهها تُدْرِك قبل فواكه غيرها من بلاد ما وراء النهر؛ وطول عملها أربعة أيام فى نحوها . قال المهلبى : ولها رستاق جليل، ولها نهران، وإليها ينسب جماعة من العلماء .

(ومنها) سَمَرَقَنْدُ . قال فى "تقويم البلدان" : بفتح السين المهملة والميم وسكون الراء المهملة وفتح القاف وسكون النون ثم دال مهملة - وموقعها فى الإقليم الخامس . قال فى "القانون" : حيث الطول ثمان وثمانون درجة وعشرون دقيقة، والعرض أربعون درجة . قال ابن حوقل : وهى قَصَبَةُ السُّغْدِ، وهى مبنية على صَفَّة واديه، وهى مرتفعة عن الوادى؛ وحول سُورِها رُسمُ خندق عظيم، ولها نهر يدخل إليها على حمالات فى الخندق معمول بالرصاص، وهو نهر جاهلى يُشَقُّ السوق

بموضع يعرف برأس الطاق . قال ابن حوقل : ورأيت على باب من أبوابها يسمى باب كَشَّ صفحة من حديد وعليها كُتِبَتْ يزعم أهلها أنها بالحِميرية ، وأن الباب من بناء تُبَّع ملك اليمن ، وأن من صَنَعَاء إلى سَمَرْقَنْد ألف فرسخ ، وأن ذلك مكتوب من أيام تُبَّع . قال : ثم وقعت فتنة بها في أيام مُقَامَى بها وأُحرق البابُ وذهبت الكتابة ، ثم أعاد عمارة الباب محمد بن لُقْمَان بن نصر الساماني ولم يُعِد الكتابة . قلت : والمراد تبع المسمى بأسعد أبا كَرِب ، وقد أشرت إلى قضية تُبَّع في بناء سَمَرْقَنْد في الكتاب الذي أنشأته لأن يكتب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية إلى تمرلنك عند إرساله بالمفاوضة في الصلح بعد واقعة دِمَشْق والقبيض على ابن عثمان صاحب برسا من بلاد الروم بقولى بعد الدعاء : ” ولا زال بالنصر تَقْضَى قواضيه ، وبالظفر وحسن الأثر تَمْضَى مَقَانِيهِ وتَشَاع مناقبه ، وبلسان دولته القاهرة يُصَاح بِتُبَّع سَمَرْقَنْد لن تبلغ هذه الرتبة حتى نَظُم الحَزْغ نَاقِبُهُ “ . على ما سيأتى ذكره في الكلام على مكتبة القان صاحب ما وراء النهر ، في الكلام على المكاتبات في المقالة الرابعة إن شاء الله تعالى .

قال في ” مسالك الأبصار “ : وسَمَرْقَنْدُ مدينة مرتفعة يُشْرِفُ الناظر بها على شجر أخضر ، وقُصُور تُزْهِر ، وأنهار تَطْرُد ، وعمارة نَتَقْد ، لا يقع الطَّرْفُ بها على مكان إلا ملأه ، ولا بستان إلا آستحسنه . قال صاحب ” أشكال الأرض “ : وقد نصبت أسحار السير ، وتشبهت بطوائف الحيوان : من الفيلة والإبل والبقر والوحوش المقبل بعضها على بعض . قال : وبها حصن ولها أربعة أبواب : باب مما يلي المَشْرِق يعرف بباب الصَّين ، مرتفع عن وجه الأرض يتزل إليه (؟) بدرج كثيرة ، مطل على وادى السُّغْد ، وباب مما يلي المغرب يعرف بباب الثُّوبَار على نَشْر من

(١) كذا في الأصل والمراد وصف المدينة بالتقدم والارتقاء .

الأرض؛ وباب مما إلى الشمال يعرف بباب بُحَارَا، وباب مما إلى الجنوب يعرف بباب كَشَّ . قال: وفيها مافي المدن العِظَام من الأسواق الحسان والحمامات والخانات والمساكن؛ وبنائها من طين وخشب؛ والبلد كله: طُرُقُه وسِكْكُه وأسواقه وأزِقُّه مفروشة بالحجارة .

(ومنها) بِنَكْتُ . قال في "اللباب" : بكسر الباء الموحدة وسكون النون وفتح الكاف وفي آخرها ثاء مثلثة - وموقعها في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" حيث الطول تسعون درجة، والعرض إحدى وأربعون درجة وعشرون دقيقة . ولها سُورٌ وَرَبَضٌ وبساتين كثيرة .

(ومنها) نوبكت - بنون وواو وباء موحدة ثم كاف ومثناة من فوق . قال ابن حوقل : وهي قصبة ناحية إيلاق، وعليها سُورٌ ولها عدة أبواب، وفيها مياه وبساتين كثيرة .

(ومنها) مُجَنَّدَةٌ . قال في "اللباب" : بضم الخاء المعجمة وفتح الجيم وسكون النون ثم دال مهملة - وهي مدينة على طرف سِيحُون مضمومة إلى فَرَاغَانَة، واقعة في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" حيث الطول تسعون درجة، والعرض أربعون درجة وخمسون دقيقة . قال في "اللباب" : وهي مدينة كبيرة، وهي في مستوي من الأرض، ولها بساتين كثيرة . قال أحمد الكاتب : ومنها إلى سَمَرْقَنْد سبع مراحل، ومنها إلى الشاش كذلك .

(ومنها) تُسَكْتُ . قال في "اللباب" : بضم المثناة من فوق وسكون النون وفتح الكاف وفي آخرها تاء ثانية - وهي مدينة من مدن الساحل، وقيل هي قصبة إيلاق؛

(١) الذي في "تقويم البلدان" عن ابن حوقل أن عاصمة إيلاق تسمى تونكت، وكذا في "معجم البلدان" لياقوت، إلا أنه نص على أن آخرها ثاء مثلثة، وهي تنكت الآتية بعد فليتنه .

وموقعها في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" حيث الطول إحدى وتسعون درجة، والعرض ثلاث وأربعون درجة . قال في "اللباب" : ولها نهر ودار إمارة، ونخرج منها جماعة من العلماء .

(ومنها) أَخْسِيَكْتُ . قال في "اللباب" : بفتح الألف وسكون الخاء المعجمة وكسر السين المهملة وسكون المثناة من تحتها وفتح الكاف وفي آخرها ثاء مثلثة . وهي مدينة من بلاد فَرَغَانَةَ ، واقعة في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" حيث الطول إحدى وتسعون درجة وعشرون دقيقة ، والعرض اثنتان وأربعون درجة وخمس وعشرون دقيقة . قال ابن حوقل : وهي على شَطِّ نهر الشاش في أرض مستوية بينها وبين الجبال نحو فرسخ .

(ومنها) تَرِمِذ . قال في "اللباب" : قيل بفتح التاء ثالثة الحروف وقيل بضمها وقيل بكسرها . قال : والمتداول على لسان أهلها فتح التاء وكسر الميم ، والمشهور في القديم كسر التاء والميم جميعاً ؛ وقيل بضم التاء والميم وبينهما راء ساكنة وفي آخرها ذال معجمة - وهي مدينة على شَطِّ جَيْحُونَ ، واقعة في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" حيث الطول إحدى وتسعون درجة وخمس وخمسون دقيقة ، والعرض ست وثلاثون درجة وخمس وثلاثون دقيقة . قال ابن حوقل : ومعظم مساكنها وأسواقها مفروشة بالآجر ، وهي قَصَبَة تلك النواحي ، وأقرب الجبال إليها على مرحلة ، وليس لُقْراها شُرْب من جَيْحُونَ بل من نهر الصَّغَانِيَّان . قال : ولها مُدُن كثيرة وكُور مضافة إليها . قال في "اللباب" : وهي مدينة قديمة .

(ومنها) الصَّغَانِيَّان . قال في "اللباب" : بفتح الصاد المهملة والغين المعجمة وألف ونون ومثناة تحتية ونون في الآخر، جميع ذلك بالتخفيف . قال : ويقال لها بالعجمية جَغَانِيَّان - وهي مدينة موقعها في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة .

قال في "الأطوال" حيث الطول تسعون درجة وثلاثون دقيقة، والعرض ثلاث وأربعون درجة وثلاث عشرة دقيقة . قال ابن حوقل : وهى أكبر من ترمذ إلا أن ترمذ أكثر أهلا . ثم قال : وهى كورة كبيرة كثيرة الماء والشجر، والنسبة إليها صغاني وصاغاني .

الإقليم الثانى (تُرْكُستَانُ)

بضم التاء المثناة من فوق وسكون الراء المهملة وضم الكاف وسكون السين المهملة وألف بعدها نون، ومعناه ناحية الترك . قال في "مسالك الأبصار" : وهى مملكة لو انفردت لكانت ملكا كبيرا وسلطنة جليلة (زهرة الدنيا، وطرار الأرض بلاد الترك) وحقيقةً من كَنَاسِها رتعت غِزْلَانُها، ومن غالِها أَصْحَرَتْ لُيُوثُهم . وهى إقليم فسيح المدنى، قديم الذكر، منشأ حماه، ومَنَسَبُ كُجَاه . قال : وهو المراد بقولهم بلاد الأتراك؛ ولم تزل الملوك تلحظُها لانتقاء بوادرها، والانتقاء ذواخرها؛ فأشد ما نكَّرت الأيام معالمها، وغيرت الغير أحوالها . قال : ولقد صادفت حدة التتار، فى أول التتار، بغتات قدامهم فى سورة غضبهم ، ونفحة نارهم؛ فأمالت السيوف حصادَ أحبالهم ، ولم يبق إلا من قلَّ عديده . ثم قال : حكى لى من جال فى رساتيقها ، وجاز فى قُرَاها، أنه لم يبق من معالمها إلا رسومٌ دائرة، وأطلال ناتئة، يرى على البعد القرية مُشَيَّدة البناء، مُحْضَرَّة الأكاف، فيأنس لعله يجد بها أنيسا ساكنا، فإذا جاءها وجدها عالية البنيان، خالية من الأهل والسكان؛ إلا أهل العمل وأصحاب السائمة . ليست بذات حرث ولا زرع، وإنما خضرتها مُرُوج أطلعها باريها بها من النباتات البرية، لا بذرها بأذر، ولا زرعها زارع. ويوجد بها خلف من بقايا العلماء، ويجزئ التيمم فيها بالتراب بعد الماء .

ومن نواحيها (فَارَابُ) . قال في "المشترك" : بفتح الفاء والراء المهملة بين ألفين وفي آخرها باء موحدة . وقال في "مسالك الأبصار" : الضواب إبدال الفاء باء موحدة لأنه ليس في اللغة التركية فاء . قال ابن حوقل : وهي ناحية لها غياض ، ولهم مزارع ، ومقدارها في الطول والعرض أقل من يوم . قال في "تقويم البلدان" : وتسمى أطرار .

وقاعدتها (قَاشَغَر) . قال في "اللباب" : بفتح القاف وسكون الألف ثم سكون الشين المعجمة أيضا وفتح الغين المعجمة وفي آخرها راء مهملة . قال في "تقويم البلدان" : ويقال لها كَاشَغَر بإبدال القاف كافا - وموقعها في الإقليم السادس من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" : حيث الطول ست وتسعون درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض أربع وأربعون درجة . قال المهلب : وهي مدينة عظيمة أهلة عليها سُورٌ وأهلها مسلمون . قال في "القانون" : وتسمى أزدو كند .

قال في "مسالك الأبصار" : أما الآن فقاعدتها (قرشي) بقاف وراء مهملة وشين معجمة ثم ياء مثناة من تحت في الآخر . قال في "مسالك الأبصار" : وهي على نهر قراخوجا في نهاية الحد . قال : وهي وإن لم تكن شيئا مذكورا ، ولا لها على اختلاف حالات الزمان شهرة تُذكر ، لكن قد شملها في دولة ملوكها الآن من نظر السعادة لنسبتها إلى أنها سكن لهم ، وإن كانوا ليسوا بِسُكَّانِ جِدَارٍ ، ولا متديرين في ديار ، ولكن لاسم وسمت به . وبها عدة مدن أيضا :

(منها) كدر . قال في "الأطوال" : وهي قَصَبَة فَارَاب . قال في "مسالك الأبصار" : وإليها ينسب فيلسوف الإسلام أبو نصر الفَارَابِي .

(ومنها) حُتَن . قال في "اللباب" : بضم الخاء المعجمة وفتح المشنة من فوق ونون في الآخر - وموقعها في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" : حيث الطول ست وثمانون درجة ، والعرض ثنتان وأربعون درجة . قال في "تقويم البلدان" : وهي أقصى تُرْكُستَان . قال في "العزيزي" : وهي مدينة خُصْبَةُ أهلة عامرة ، بها أنهار كثيرة .

(ومنها) جَنْدُ . قال في "اللباب" : بفتح الجيم وسكون النون وفي آخرها دال مهملة - وهي بلدة واقعة في الإقليم السادس من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" : حيث الطول سبع وثمانون درجة وخمس وأربعون دقيقة ، والعرض سبع وأربعون درجة . قال في "اللباب" : وهي في حدود التُّرك على طَرَف سَيْحُون ، خرج منها جماعة من الفضلاء .

(ومنها) إِسْفِيَجَابُ . قال في "اللباب" : بكسر الألف وسكون السين المهملة وكسر الفاء وسكون المشنة من تحت وفتح الجيم وفي آخرها باء موحدة بعد الألف - ووقع في "مسالك الأبصار" إبدال الفاء بَاءً موحدة - وموقعها في الإقليم السادس من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" : حيث الطول تسع وثمانون درجة وخمسون دقيقة ، والعرض ثلاث وأربعون درجة . قال في "اللباب" : وهي بَلَدَةٌ كبيرة . قال في "تقويم البلدان" : وهي من ثغور الترك .

(ومنها) طَرَّازُ . قال في "اللباب" : بفتح الطاء والراء المهملتين وألف وزاي معجمة - وهي مدينة على حَدِّ بلاد التُّرك واقعة في الإقليم السادس من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" : حيث الطول تسع وثمانون درجة وخمسون دقيقة ، والعرض ثلاث وأربعون درجة وخمس وثلاثون دقيقة . قال ابن حوقل : وحولها حصون منسوبة إليها .

(ومنها) نيلي . قال في "مسالك الأبصار" : وهي أربعة مُدُن بين كل مدينة والأخرى فرسخ واحد ، ولكل واحدة منها اسم يخصها : فالأولى نيلي ، والثانية نيلي مالح ، والثالثة بكك ، والرابعة تلان . قال : وبينها وبين سمرقند عشرون يوما .

(ومنها) المَلَيْقُ - بفتح الهمزة وسكون اللام وفتح الميم وألف بعدها ثم لام مكسورة وقاف في الآخر . قال في "مسالك الأبصار" : وبينها وبين نيلي عشرون يوما . ونقل عن الشيخ محمد المُجَنَّدِي الصوفي وغيره أن بها من الخيل والأغنام مالولاً موتان يقع فيها في بعض السنوات ، لما بيعت ولا وجد من يشتريها لكثرتها وبركات نتائجها .

الإقليم الثالث (طُخَارِسْتَانُ)

قال في "اللباب" : بضم الطاء المهملة وفتح الحاء المعجمة وألف وضم الراء وسكون السين المهملتين وفتح المثناة من فوق وألف ونون . قال : وهي ناحية مشتملة على بلدان في أعلى نهر جِيحُون . وقال ابن حوقل : هو إقليم له مُدُن كثيرة من مضافات بلخ . وقاعدتها فيما ذكره في "القانون" - ولَوَاج . قال في "تقويم البلدان" : بواوين بينهما لام ساكنة ثم ألف ولام وجيم - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" : حيث الطول اثنتان وتسعون درجة وعشرون دقيقة ، والعرض ست وثلاثون درجة وخمس وخمسون دقيقة . قال في "القانون" : وهي مقر مملكة الهَيَاطِلَّة في القديم . قال المهلب : وهي في مستو من الأرض . ولها مُدُن .

(منها) إِسْكَلَكَنْدُ . قال في "اللباب" : بكسر الألف وسكون السين المهملة وفتح الكافين ، بينهما لام ساكنة ثم نون كذلك ودال مهملة في الآخر . قال : وقد تحذف الألف من أولها . وهي مدينة صغيرة موقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" حيث الطول اثنتان وتسعون درجة وخمسون دقيقة ، والعرض ست وثلاثون درجة وخمسون دقيقة . قال في "اللباب" : وهي مدينة صغيرة كثيرة الخير .

(ومنها) رَاوُن . قال في "اللباب" : بفتح الراء المهملة والواو ونون في الآخر - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" حيث الطول اثنتان وتسعون درجة وأربعون دقيقة ، والعرض سبع وثلاثون درجة وخمس وثلاثون دقيقة . قال في "اللباب" : وهي مدينة من طُخَارُسْتَانَ ولم يزد .

الإقليم الرابع (بَذَخْشَانُ)

قال في "اللباب" : بفتح الباء الموحدة والذال وسكون الخاء وفتح الشين المعجمات ونون في الآخر . قال ابن حوقل : وهو أسم للمدينة والإقليم معاً . قال في "اللباب" : وهي في أعلى طُخَارُسْتَانَ متاخمةً لبلاد الترك . وقال في "مسالك الأبصار" : هي مع مملكة ما وراء النهر وليست حقيقة منها ولا من تُرْكُسْتَانَ ، بل هو إقليم قائم بذاته ، معدود المجاورة مع أخواته ، قد حوى كل بديع من حيوانه ومعدنه ونباته .

ثم حكى عن محمد الجُندى الصوفى وغيره أن بها معدنَ البَلْخَشِ ، ومعدنَ اللَّازُورِدِ ، وهما في جبل بها ، يُحْفَرُ عليهما في معادنهما ، فيوجد اللَّازُورِدُ بسهولة ، ولا يوجد البَلْخَشُ إلا بتعب كثير وإنفاق زائد ، وقد لا يوجد بعد التعب الشديد

والإنفاق الكثير . ولذلك عَزَّ وجوده، وعلت قيمته، وكثر طالبه ، وآلتفت الأعناق إلى التحلِّي به . وقد تقدَّم ذكره في المقالة الأولى في الكلام على ما يحتاج الكاتب إلى معرفته ليَصِفَه عند ذكر الأبحار النفيسة . وقد تقدَّم هناك أن أنفس قطعة وصلت إلى بلاد الشام منه قطعة زَتَمَا خمسون درهما . وقد ذكر في ”اللباب“ أن بها معدنَ البُلُورِ أيضا، وقد تقدَّم ذكره هناك في الكلام على الأبحار النفيسة .

الجملة الثالثة

(في الطرق الموصلة إليها، وبعض المسافات الواقعة بين بلادها)

قد تقدَّم في الكلام على مملكة إيران الطريقُ إلى أَمَل الشطِّ بشطِّ جِيحُون . قال ابن خرداذبه : ومن أَمَل إلى بُخَّارَا تسعة عشر فرسخا، ومن بُخَّارَا إلى سَمَرْقَنْدَ سبعة وثلاثون فرسخا، ومن سَمَرْقَنْدَ إلى الشَّاش آثنان وأربعون فرسخا، ثم إلى باب الحديد مِيلَان، ثم إلى كَار فرسخان، ثم إلى إِسْفِيْجَاب عشرة فراسخ، ومن إِسْفِيْجَاب إلى أَطْرَار وهي فَارَاب ستة وعشرون فرسخا. قال في ”تقويم البلدان“ : ومن سَمَرْقَنْدَ إلى مُجَنْدَةَ سبع مراحل، ومن مُجَنْدَةَ إلى الشَّاش أربع مراحل .

الجملة الرابعة

(في عِظَام الأنهار الواقعة في هذا القسم من مملكة تُوْرَان، وهي نهران)

الأول - نهر جِيحُون - بفتح الجيم وسكون الياء المنشأة تحت وضم الحاء المهملة وسكون الواو ثم نون؛ ويسمى نهر بَلَخ أيضا، إضافة إلى مدينة بَلَخ من بلاد فَارَس المقدم ذكرها . قال في ”تقويم البلدان“ : وقد اختلف النقل فيه، وأقربُه ما نقله ابن حَوْقَل أن عمود نهر جِيحُون يخرج من حدود بَدَخْشَان، ثم تجتمع إليه أنهار

كثيرة، ويسير غربا وشمالا حتى يصل إلى حدود بلخ، ثم يسير إلى ترمذ، ثم غربا وجنوبا إلى زم وأسمها أمويه، ويجرى كذلك غربا وشمالا إلى خوارزم. قال في "رسم المعمور": ويخرج جنوبا ويمتد قرب مُجَنَّدَة ويتجاوزها ويصب في البحر الأخضر. الثاني - نهر سِيحُون. قال في "تقويم البلدان": وقد اختلف النقل فيه أيضا. قال: والمختار ما ذكره ابن حوقل، لأنه يحكي ذلك عن مشاهدة. فقال: إن نهر الشاش بقدر الثلثين من نهر جِيحُون، وهو يجري من حدود بلاد الترك ويمر على أخسيك، ثم يسير مغربا بميلة إلى الجنوب إلى مُجَنَّدَة، ثم يجري إلى فاراب إلى يَنْغِي كَنْت ثم يقع في بحيرة خوارزم على مرحلتين من يَنْغِي كَنْت.

الجملة الخامسة

(في معاملاتها وأسعارها)

أما معاملاتها بالدينار الرابع، وهو ستة دراهم كما في معظم مملكة إيران، وفي بعضها بالدينار الخراساني وهو أربعة دراهم. قال في "مسالك الأبصار": ودراهمهم نوعان، درهم بثمانية فلوس، ودرهم بأربعة فلوس. قال: ودراهمها فضة خالصة غير مغشوشة، وهي وإن قل وزنها عن معاملة مصر والشام فإنها تجوز مثل جوازها. وأما أسعارها فأسعارها جميعها رخيصة حتى إذا غلت الأسعار فيها أعلى الغلو، كانت مثل أرخص الأسعار بمصر والشام.

الجملة السادسة

(في من ملك هذا القسم من مملكة توران)

قد تقدم في الكلام على أصل مملكة توران أنها كانت مملكة الترك في القديم،

وأنه كان بها افراسياب بن شيبك بن رستم بن ترك بن كوبر بن يافث بن نوح عليه السلام على الخلاف السابق فيه ، وكانت تعرف بمملكة الخانية .
أما في الإسلام فملوكها على طبقتين :

الطبقة الأولى

(ماهو عقيب الفتح ، وهم على ضرين)

الضرب الأول

(ملوك ماوراء النهر)

وكانت بيد نواب الخلفاء برهةً من الزمان في صدر الإسلام ، ثم تغلب عليها الملوك بعد ذلك وحازوها ، وتوالت عليها أيديهم إلى الان . وأول من تغلب عليها من الملوك السامانية ، وهم بنو سامان بن جثمان بن طمغان بن بوشرد بن بهرام چوین المذكور في أخبار كسرى أبرويز أحد ملوك القُرس .

وأول من ملكها منهم أولاد أسد بن سامان في خلافة المأمون في سنة أربع ومائتين . فتولى (أحمد بن أسد) فرغانة ، و (يحيى بن أسد) الشاش وأسرُوشنة و (نوح ابن أسد) سمرقند ، ثم مات نوح بن أسد بسمرقند ، ثم مات أحمد بفرغانة وأستخلف ابنه نصر على أعماله ، وكان إسماعيل بن أحمد يُخدم أخاه نصرا فولاه نصر ببحارا في السنة المذكورة . وكان إسماعيل رجلا خيرا يحب أهل العلم ويكرمهم ، فاستقرت قدمه ببخارا وملك جميع ماوراء النهر . وملك إسماعيل المذكور خراسان مع ماوراء النهر في سنة سبع وثمانين ومائتين .

(١) في ”الأخبار الطوال“ للدينوري ابن تودل بن الترك بن يافث ، وفي أبي الفداء ”ابن طوج“ وفي غيرها غير ذلك . نهنا على ذلك ليعلم أن بين المؤرخين اختلافا ، ولم يتقدم المؤلف في توران شيء من هذا النسب . فتنبه .

ثم ملك بعده ماوراء النهر وخراسان (أبنة أحمد بن إسماعيل) حتى قتل في سنة إحدى وثلاثمائة؛ وولى بعده ماوراء النهر وخراسان أبنة (أبو الحسن نصر بن أحمد) وتوفي سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة .

وولى بعده ماوراء النهر وخراسان أبنة (نوح بن نصر) وتوفي في سنة اثنتين وأربعين وثلاثمائة .

وولى بعده ماوراء النهر وخراسان أبنة (عبد الملك بن نوح) وبقى حتى قبض عليه إيلك خان ملك الترك، وحبس هو وجميع أقاربه، ومات في الحبس في سنة تسع وثمانين وثلاثمائة، وأنقضت بموته دولة بني سامان، وكانت دولتهم من أحسن الدُول وأعدلها، وكانت ولايتهم إمارة لأملاك .

وملك بعدهم ماوراء النهر (إيلك خان) المقدم ذكره، وتوالت بأيديهم حتى ملكها منهم رجل اسمه (أحمد خان) فبقيت بيده حتى ملكها منه (ملكشاه السلاجوقي) في سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة، وأطاعه صاحب تركستان فخطب له وضرب السكة باسمه، ثم خرج عنها وعاد أحمد خان إليها، فبقى حتى ثبتت زندقته وضرب عنقه في سنة ثمان وثمانين وأربعمائة .

وملك بعده ابن عمه (مسعود)، ثم أقيمت الخطبة بما وراء النهر (لبريكارقي)، ثم خطب بريكارقي فيما بيده مما وراء النهر وغيره لأخيه محمد بن ملكشاه. ثم غلب عليها الخطا الكفار في سنة ست وثلاثين وخمسمائة وأنزعوها من يد سنجر بن ملكشاه. ثم صارت بيد الغز: وهم طائفة من الترك مسلمون .

ثم استولى عليها بنو أنوشكين ملوك خوارزم الآتي ذكرهم، إلى أن غلب عليها جنكروخان في سنة ست عشرة وستمائة .

وأما غَزَنَةُ وما معها فكانت بيد بنى سامانَ ، ثم غلب عليها سُبُكْتُكَيْنِ : وهو أحد مماليك أبي إسحاق بن ألبتكين صاحب جيش غزنة للسامانية المقدم ذكره في سنة ست وستين وثلاثمائة بعد موت أبي إسحاق المذكور ، ثم مات وقام بالأمر بها بعده أبنة إسماعيل ، ثم غلبه عليها أخوه محمود بن سُبُكْتُكَيْنِ ، وأستضاف إليها بعض نُرَاسَانَ في سنة تسع وثمانين وثلاثمائة ، وقطع الخطبة السامانية ، وبقي حتى توفى سنة إحدى وعشرين وأربعمائة .

وملك بعده أبنة (محمد بن محمود) بعهد من أبيه ، ثم قدم أهل المملكة عليه أخاه (مسعود بن محمود) ومملكوه عليهم ، وبقي حتى قتل في سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة . ثم ملك بعده أخوه محمد المقدم ذكره وقتل من عامه ، وملك بعده ابن أخيه (مودود بن مسعود) وتوفى سنة إحدى وأربعين وأربعمائة .

وملك بعده عمه (عبد الرشيد بن محمود) وقتل في سنة أربع وأربعين وأربعمائة . وملك بعده أخوه ^(١) (فرخزاد بن مسعود بن محمود) ، وتوفى سنة إحدى وخمسين وأربعمائة . وملك بعده أخوه الملك المؤيد (إبراهيم بن مسعود) ، وتوفى سنة إحدى وثمانين وأربعمائة . وملك بعده أبنة (مسعود بن إبراهيم) ، وتوفى سنة ثمان وخمسمائة .

وملك بعده (أرسلان شاه بن مسعود) .

ثم ملك بعده (بهرام شاه بن مسعود) ثم توفى .

وملك بعده أبنة (خسرو شاه بن بهرام) ، وتوفى سنة خمس وخمسين وخمسمائة .

وملك بعده أبنة (ملكشاه بن خسرو شاه) بن بهرام بن مسعود بن محمد بن

سُبُكْتُكَيْنِ ، وهو آخرهم .

ثم أنتقل الملك إلى الغورية .

(١) الضمير راجع إلى مودود والأولى أن يقال " ابن أخيه " ليعود الضمير إلى عبد الرشيد .

فأول من ملك منهم علاء الدين (الحسين بن الحسين)، ملك عند انقراض الدولة السبكتكيّة، وأستضافها إلى الغور في سنة خمس وخمسين وخمسمائة، وتلقّب بالملك المعظم، وتوفى سنة ست وخمسين وخمسمائة .

وملك بعده غياث الدين (محمد بن سام بن الحسين) ، ثم آستولى عليها الغزنوي خمس عشرة سنة ، ثم ملكها (شهاب الدين) أخو غياث الدين المقدم ذكره سنة تسع وسبعين وخمسمائة، وقتل سنة اثنتين وستمائة، وفي أيامه كان الإمام نضر الدين الرازي وكان يغشاه ويعظه .

ثم ملك بعده علاء الدين (محمد بن سام بن محمد بن مسعود بن الحسين) ، ثم غلبه عليها (يلدز) مملوك غياث الدين أنحى شهاب الدين ، ثم غلبه عليها علاء الدين المذكور ، ثم غلب عليها يلدز أيضا ، ثم غلب عليها علاء الدين (محمد بن تكش) بن خوارزم شاه في سنة اثنتي عشرة وستمائة، وبقي حتى غلبه عليها جنكركان الآتي ذكره في سنة سبع عشرة وستمائة .

الطبقة الثانية

(ملوكها من بني جنكركان)

قال في "مسالك الأبصار" : كان جنكركان قد أوصى بمملكة ماوراء النهر لولده جدای، ويقال له جفطای فلم يتمكن من ذلك .

ثم ملك بعده آبنه قراهلولاو، ثم ولده مبارك شاه ، ثم غلب عليه قيدو بن قاشي آبن يكبوك بن أوكداي بن جنكركان ، ثم غلب عليه براق بن بسنطو بن منكوقان ابن جفطای بن جنكركان .

ثم ملك بعده آبنه دوا بن براق، ثم أخوه كنجك، ثم أخوه اسبنغا، ثم أخوه كيوك، ثم أخوه الجكدای، ثم أخوه دراتمر، ثم أخوه ترما شيرين .

ثم ملك بعده رجل ليس من أولاد دوا آسمه توزون بن أويّا كان . قال : وتخل في خلال ذلك مَنْ وثب على الملك ، ولم ينتظم له حال ولا ضلت له أعلام دولة ، وبقي الملك بعد ترماشيرين غير منتظم حتى قام جنفصوبن دراتمر بن حلوبن براق بن بسنطو آين منكوقان بن جفطاي بن جنكرخان . إلى هنا آتقضى كلامه في "مسالك الأبصار" .

وأول من أسلم من ملوك هذه المملكة "ترماشيرين" المقدم ذكره سنة خمس وعشرين وسبعمائة ، فأسلم وحسن إسلامه وأخلص في إسلامه وأيد الإسلام ، وقام به حق القيام ، وأمر به أمراءه وعساكره ، ففهم من كان سبق إسلامه ومنهم من أجاب دأعيه فأسلم ، وفشأ فيهم الإسلام ، وعلا لواؤه حتى لم تمض عشرة أعوام ، حتى أشتمل فيها بلاءته الخاص والعام ، وأعان على ذلك من في تلك البلاد من الأئمة العلماء والمشايخ الصالحاء . وصارت التجار من مصر والشام مترددة إلى تلك الممالك ، وهو يكرمهم أتم الإكرام ، على أن رعايا هذه المملكة من قدماء الإسلام ، السابقين إليه كانوا مع كفر ملوكهم في جانب الإعزاز والإكرام ، لا يتطرق إليهم منهم أذية في دين ولا حال ولا مال .

الجملة السابعة

(في ترتيب هذه المملكة وحال عساكرها)

أما ترتيبها فقد أشار في "مسالك الأبصار" إلى أنها على نحو ما تقدم في مملكة إيران لاتفاق ملوك بني جنكرخان في الترتيب على طريقة واحدة .

وأما عساكرهم فذكر أن عساكرهم من أهل النجدة والبأس ، لا يحدد ذلك من طوائف الترك جاحد ، ولا يخالف فيه مخالف ، حتى حكى في "مسالك الأبصار" عن مجد الدين إسماعيل السلامي أنه كان إذا قيل في بيت هو لا كُو : العساكر ،

تَحَرَّكَتْ مِنْ خُوَارَزْمَ وَالْقَبْجَاقِ، لَا يَجْعَلُ لَذَلِكَ أَحَدٌ مِنْهُمْ هَمًّا . وَإِذَا قِيلَ : إِنْ الْعَسَاكِرُ تَحَرَّكَتْ مِمَّا وَرَاءَ النِّهَرِ، تَأَثَّرُوا لَذَلِكَ غَايَةَ التَّأَثُّرِ، لِأَنَّ هَؤُلَاءِ أَقْوَى نَاصِرًا وَإِنْ كَانَ أُولَئِكَ أَكْثَرَ عِدْدًا ، لِأَنَّهُ يُقَالُ : إِنْ وَاحِدًا مِنْ هَؤُلَاءِ بَمَائَةِ مِنْ أُولَئِكَ، وَلَذَلِكَ كَانَتْ نُحْرَاسَانُ عِنْدَهُمْ تَفَرًّا لَا يُهْمَلُ سِدَادُهُ، وَلَا يَزَالُ فِيهِ مَنْ يَسْتَحِقُّ مِيرَاثَ التَّخْتِ أَوْ مَنْ يَقُومُ مَقَامَهُ، لَمَّا وَقَرَفِي صُدُورَهُمْ لِهَؤُلَاءِ مِنْ مَهَابَةِ لَا يُقَلِّقُ طَوْدُهَا، لِأَنَّهُمْ طَالَمَا بَلَّوْهُمْ فِي الْحَرْبِ وَأَبْتَلَوْهُمْ فِيهَا .

القسم الثاني

(من مملكة توران خوارزم والقَبْجَاقِ)

قَالَ فِي "مَسَالِكِ الْأَبْصَارِ" : حَدَّثَنِي الشَّيْخُ نَجْمُ الدِّينِ بْنِ الشُّعَامِ الْمَوْصِلِيُّ : أَنَّ هَذِهِ الْمَمْلَكَةَ مَتَسَعَةٌ الْجَوَانِبِ طَوْلًا وَعَرْضًا، كَبِيرَةُ الصَّحَرَاءِ، قَلِيلَةُ الْمُدُنِ، وَبِهَا عَالَمٌ كَثِيرٌ لَا يَدْخُلُ تَحْتَ حَدٍّ، إِلَّا أَنَّهُمْ لَيْسَ لَهُمْ كَثِيرٌ نَفْعُ لِقَلَةِ السِّلَاحِ وَرَدَاءَةِ الْخَيْلِ، وَأَرْضُهُمْ سَهْلَةٌ قَلِيلَةُ الْحَجَرِ، لَا تُطَبِّقُ خَيْلٌ رُبِّيَتْ فِيهَا الْأَوْعَارَ، فَلَذَلِكَ يَقِلُّ غَنَاؤُهَا فِي الْحُرُوبِ . قَالَ فِي "التَّعْرِيفِ" : وَكَانَتْ هَذِهِ الْمَمْلَكَةُ فِي قَدِيمِ الزَّمَانِ زَمَانِ الْخُلَفَاءِ وَمَا قَبْلَهُ تَعْرِفُ بِصَاحِبِ السَّرِيرِ . قَالَ فِي "الرُّوضِ الْمَعْطَارِ" : وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ بِهَا سَرِيرٌ مِنْ ذَهَبٍ يَجْلِسُ عَلَيْهِ مُلُوكُهَا نَقْلُهُ إِلَيْهَا مُلُوكُ الْفُرْسِ . قَالَ فِي "التَّعْرِيفِ" : وَكَانَ صَاحِبُهَا فِي الْأَيَّامِ النَّاصِرِيَّةِ (يَعْنِي ابْنَ قَلَاوُونَ) السُّلْطَانُ أَرْبُكُ خَانٍ . قَالَ : وَقَدْ خُطِبَ إِلَيْهِ السُّلْطَانُ فَرَزُوجُهُ بِنْتًا تَقَرَّبَ إِلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ : وَمَا زَالُ بَيْنَ مُلُوكِ هَذِهِ الْمَمْلَكَةِ، وَبَيْنَ مُلُوكِ قَدِيمِ اتِّحَادٍ، وَصِدْقٍ وَدَادٍ، مِنْ أَوَّلِ الدَّوْلَةِ الظَّاهِرِيَّةِ بِبَيْرُوسَ وَإِلَى آخِرِ وَقْتٍ .

وَيَحْصُلُ الْغَرَضُ مِنْ ذَلِكَ فِي ثَمَانِ جُمَلٍ :

الجملة الاولى

(في ذكر حدود هذه المملكة ومساقفها)

قد ذكر في "مسالك الأبصار" نقلا عن الشيخ علاء الدين بن النعمان الخوارزمي أن طول هذه المملكة من بحر أصطنبول إلى نهر أريس ستة أشهر، وعرضها من بلقار إلى باب الحديد أربعة أشهر تقريبا . ثم ذكر عنه في موضع آخر : أن مجموع هذه المملكة من ورعات خوارزم من الشرق إلى باسقرد، وعرضا من خوارزم إلى أقصى بلاد سير، وهي منتهى العارة في الشمال . و ذكر في موضع آخر عن ابن النعمان أن مبدأ عرض هذه المملكة من ديرو، وهي مدينة من بناء الإسكندر، كان عليها باب من حديد قديما، إلى بلاد بوعره (٩)، وطولها من ماء أريس، وهو أعظم من نيل مصر بكثير من ناحية بلاد الخطأ، إلى أصطنبول يعني القسطنطينية . قال : ويتجاوز هذا الطول قليلا إلى بلاد تسمى كنخ مشتركة بين الروس والفرنج . و ذكر في موضع آخر أن خوارزم إقليم منقطع عن خراسان وعن ما وراء النهر، والمقاوُر مُحِيطةٌ به من كل جانب ، وحدّه متصل بفزنة مما يلي الشمال والغرب وجنوبيه وشرقيه، وهو على جانبي جيحون . قال ابن حوقل : وبلاد خوارزم من أبرد البلاد، ومنها يتبدى الجمود في نهر جيحون . قال في "العزى" : وبلاد خوارزم في جهة الجنوب والشرق عن بحيرة خوارزم، وبينهما نحو ست مراحل . قال في "مسالك الأبصار" : وأول حدّ خوارزم بلدة تسمى الظاهرية مما يلي أمل، وتمتد العارة في جانبي جيحون معا . وحكى عن حسن الرومي التاجر السفّار أن طولها من مدينة بائكو المعروفة بالباب الحديد إلى حدود بلاد الخطأ، فيكون بسير القوافل خمسة أشهر، وعرضها من نهر

(١) كذا في الأصل، ولعلها درعان الآتية قريبا .

جَيْحُونَ إلى نهر طُونا . وقال في "مسالك الأبصار" : وهذه المملكة واقعة في الشمال
أخذة إلى الشرق ، تحدها أطراف الصين من شرقها ، وبلاد الصَّقَاب وما يليها من
شمالها ، وخراسان وما سامتها من جنوبها ، والخليج القاطع من بحر الروم من غربها .

الجملة الثانية

(فيما أشتملت عليه من الأقاليم العُرفية)

إِعلم أن هذه المملكة قد أشتملت على عدّة أقاليم :

الإقليم الأوّل (خُوارزَمُ)

بضم الخاء المعجمة وفتح الواو وألف بعدها راء مهملة ثم زاي معجمة ساكنة
وميم في الآخر . قال في "تقويم البلدان" : وهو إقليم منقطع عن خُراسان وعن
ماوراء النهر، والمفاوِزُ محيطة به من كل جانب . قال : ويحيط به من الغرب بعض
بلاد الترك؛ ومن جهة الجنوب خُراسانُ؛ ومن الشرق بلاد ماوراء النهر؛ ومن الشمال
بلاد الترك أيضا . قال : وإقليم خُوارزَمُ في آخر جَيْحُونَ ، وليس بعده على النهر
عمارة إلى أن يقع جَيْحُونُ في بحيرة خُوارزَمَ ، وهو على جانبي جَيْحُونَ . قال
ابن حوقل : (وبلاد خُوارزَمَ من أبرد البلاد ، ويتبدى الجمود في نهر جَيْحُونَ من
جهة خُوارزَمَ) . وقال المهلب : بلاد خُوارزَمَ في جهة الجنوب والشرق عن بحيرة
خُوارزَمَ إلى أمل نحو اثنتي عشرة مرحلة ، ومن خُوارزَمَ إلى بحيرة خُوارزَمَ نحو ست
مراحل . قال في "مسالك الأبصار" : وبخُوارزَمَ جبلٌ يقال له جبل الخير به عين
تعرف به ، يقصدها دَوُو الأمراض المزمنة ، ويقيمون عندها سبعة أيام ، في كل يوم

(١) تقدّمت هذه الجملة بتمامها في الصفحة التي قبل هذه ، فإعادتها غير مفيدة .

يغتسلون بها بكرة وعشية، ويشربون منها عقب كل آغْتَسَالٍ حتى يتضلعوا، فيحصل البرء . قال : وَخَوَارِزْمٌ عَلَى جَيْحُونَ بَيْنَ شُعْبَتَيْنِ مِنْهُ مِثْلُ السَّرَاوِيلِ . قال : ويلي خَوَارِزْمَ أَرْضٌ مَدَوْرَةٌ تَسْمَى قِسْلَاعَ ، طُولُهَا خَمْسَةُ أَشْهُرَ ، وَعَرْضُهَا كَذَلِكَ كُلُّهَا صَحْرَاءُ ، يَسْكُنُهَا أُمٌّ كَثِيرَةٌ مِنَ الْبَرْجَانِ ، وَيَفْصِلُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ نَهْرِ جَيْحُونَ جَبَلٌ اسْمُهُ أَوِيلْغَانُ شِمَالِيٌّ خُرَاسَانَ . وَلَهَا قَاعِدَتَانِ .

القاعدة الأولى

(القديمة مدينة كاث)

بكاف وألف وئاء مثلثة . قال ابن حوقل : وهو اسمها بالخوارزمية ، وهي مدينة واقعة في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" حيث الطول خمس وثمانون درجة ، والعرض إحدى وأربعون درجة وست عشرة دقيقة . قال في "القانون" : وهي في شرقي جَيْحُونَ . قال المهلب : وبينها وبين القرية الحديثة من بلاد الترك خمسون فرسخا . قال : وهي من أجل مدُن خَوَارِزْمَ . قال ابن حوقل : وقد خربها التترو بنحو الناس لهم مدينة وراءها . قال : وكانت هذه المدينة في الجانب الشمالي عن جيحون . قال في "مسالك الأبصار" : وبها مائة بيت من اليهود ، ومائة بيت من النصارى ، لا يسمح لهم بأكثر من ذلك .

القاعدة الثانية

(كُرْكَنْج)

قال في "المشترك" : بضم الكاف وسكون الراء المهملة ثم كاف ثانية وألف ونون ساكنة وفي آخرها جيم . قال : ويلتقي فيها ساكنان (يعني الألف والنون) ولذلك يكتبونها كُرْكَنْج بغير ألف ، وتعرف بِكُرْكَنْجِ الْكُبْرَى ، والعرب تسميها

الجرجانية - وموقعها في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" و"القانون" حيث الطول أربع وثمانون درجة ودقيقة واحدة ، والعرض اثنتان وأربعون درجة وسبع وخمسون دقيقة . قال في "المشترك" : وهى على صَفَّة جَيْحُونَ . قال في "القانون" من غربيه . وبها عدة مدن أيضا :

(منها) كُرْكَنْج الصغرى . وتعرف بالجرجانية أيضا - وموقعها في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة أيضا . قال في "الأطوال" حيث الطول أربع وثمانون درجة وخمس دقائق ، والعرض اثنتان وأربعون درجة وخمس وأربعون دقيقة . قال في "المشترك" : وهى مدينة قريبة من كُرْكَنْج الكبرى ، بينهما عشرة أميال ، وهى في غربى جَيْحُونَ .

(ومنها) زَمَحْشُر . قال في "اللباب" : بفتح الزاى المعجمة والميم وسكون الهاء وفتح الشين المعجمتين وراء مهملة فى الآخر - وموقعها فى الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال فى "الأطوال" حيث الطول أربع وثمانون درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض إحدى وأربعون درجة وخمس وأربعون دقيقة . وإليها ينسب الإمام أبو القاسم محمود الزمخشري صاحب "الكشاف" فى التفسير وغيره من المصنفات الفائقة النافعة .

(ومنها) هَزَارَاسَبُ . قال فى "اللباب" : بفتح الهاء والزاى المعجمة وسكون الألف وفتح الراء وسكون السين المهملتين وباء موحدة فى الآخر - وهى قلعة بجوارزَمَ موقعها فى الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال فى "الأطوال" حيث الطول خمس وثمانون درجة وعشرون دقيقة ، والعرض إحدى وأربعون درجة وعشرون دقيقة . قال السمعاني : ويقال لها بالفارسية هَزَارَاسُف . قال : وهى قلعة حصينة . قال المهابي غربى جَيْحُونَ ، وبينها وبين مدينة كَاتَستة فراسخ .

(١) (ومنها) دَرَعَان ، بدال وراء وعين مهملات وألف ثم نون - وموقعها في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال في ”الأطوال“ حيث الطول ست وثمانون درجة وأربع وعشرون دقيقة ، والعرض أربعون درجة وثلاثون دقيقة . قال في ”تقويم البلدان“ : وهي آخر حدود خُوارزَم إلى جهة مَرَو . قال المهلب : وبينها وبين هَرَارَاسَب أربعة وعشرون فرسخا .

(ومنها) فَرَبْرُ . قال في ”اللباب“ : بفتح الفاء والراء المهملة وسكون الباء الموحدة . وقال في ”مزيل الأرتياب“ : بفتح الفاء وكسرها ، كل منهما مسموع - وهي مدينة على طرف جَيَّحُون مما يلي بُخَّارَا - موقعها في آخر الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في ”الأطوال“ حيث الطول سبع وثمانون درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض ثمان وثلاثون درجة وخمس وأربعون دقيقة . قال في ”القانون“ : وهي المغبر من بلاد ما وراء النهر إلى خُرَاسَانَ . وجعلها ابن حوقَل من أعمال بُخَّارَا . فتكون مما وراء النهر ، وهي خِصْبَةٌ ولها قرى عامرة .

الإقليم الثاني (الدَّشْتُ)

بفتح الدال المهملة وسكون الشين المعجمة وتاء مشاة فوق في الآخر - وهي صحارى في جهة الشمال ، وتضاف إلى القَبْجَاقِ بفتح القاف وسكون الباء الموحدة وفتح الجيم وألف بعدها ثم قاف - وهم جنس من التُّرك يسكنون هذه الصحارى ، اهل حَلٍّ وَتَرَحًا على عادة البدو .

وقاعدة المملكة بها (صراى) . قال فى "تقويم البلدان" : بفتح الصاد والراء المهملتين وألف وياء مثناة تحمية . ووقع فى "مسالك الأبصار" بالسين المهملة بدل الصاد - وموقعها فى الإقليم السابع من الأقاليم السبعة . قال فى "تقويم البلدان" : وهى مدينة عظيمة فى مستو من الأرض على شَطِّ نهر [الأئِل] ^(١) من الجانب الشمالى [الشرقى] ^(١) غربى بجر الخَزَر وشماله على مسيرة نحو يومين ، وجر الخَزَر شرقها بجنوبيها ، ونهر الأئِل عندها يجرى من الشمال والغرب إلى الشرق والجنوب حتى يصب فى بحر الخَزَر . وهى فُرْضة عظيمة للتجار ورقيق التُّرك . وذكر فى "مسالك الأبصار" عن عبد الرحمن الخوارزمى الترحمان : أنها بناء بركة بن طوحى بن جنكرخان ، وأنها فى أرض سبخة بغير سور ، ودار الملك بها قصرٌ عظيم على عليائه هلالٌ من ذهب زنته قنطاران بالمصرى ، ويحيط بالقصر سورٌ وأبراج فيها الأمراء ، وبهذا القصر يكون مَسْتَاهم ، والسراى مدينة كبيرة ذات أسواق وحمامات ووجوه برّ ، مقصودة بالإجلاب ، وفى وسطها بركةٌ ماؤها من نهر الحل ماؤها للاستعمال . أما شرهم فن ^(٢) النهر يسقى لهم فى حرّار فَخَّار ، وتُصَنَّف على العَجَلات وتجرّ إلى المدينة وتباع بها . قال : وبعدها عن خوارزم نحو شهر ونصف . قال فى "تقويم البلدان" : وقد بنى بها السلطان أربك مدرسةً للعلم . قال فى "مسالك الأبصار" : وهم فى جَهْد من قَشَف العيش لأنهم ليسوا أهل حاضرة ، وشدة البرد تُهْلِك مواشيهم . قال : وهم لشدة ما بهم من سوء الحال إذا وجد أحدهم لحماً صلّقه ولم يَنْضِجْه وشرب مرّقه ، وترك اللحم ليا كله مرة أخرى ، ثم يجمع العظام ويعاود صلّقها مرة أخرى ويشرب مرّقها ، وقس على هذا بقية عيشهم . ونقل عن جمال الدين عبد الله الحصنى التاجر : أن لبس كثير منهم الجلود : مَدَكَاة كانت أو مَيْتة ، مدبوعة أو غير مدبوعة ، من حيوان

(١) الزيادة عن تقويم البلدان . (٢) لعل هذا اللفظ زائد من النسخ .

طاهر أو غيره، ولا يعرفون في المآكل ما يُعاف مما لا يُعاف، ولا التحريم من التحليل؛ وأنهم يبيعون أولادهم في بعض السنين لضيق العيش . قال : ومع ذلك فليس لهم تمسك بدين ولا رزانه في عقل؛ ثم عقب ذلك بأن قال : ومع ذلك فهم من خيار الترك أجناسا لوفائهم وشجاعتهم وتجنبهم القدر، مع تمام قاداتهم وحسن صُورهم وظرفاة شمائلهم . ثم قال : ومنهم معظم جيش الديار المصرية من ملوكها وأمرائها وجُندها؛ إذ لما رغب الملك الصالح (نجم الدين أيوب) في مشترى الممالك منهم، ثم صار من ممالكه من انتهى إلى الملك والسلطنة، فالت الجنسية إلى الجنسية، ووقعت الرغبة في الاستكثار منهم حتى أصبحت مصرُهم أهلة العالم، حَمِيَّة الجوانب؛ منهم أقارُ مواكبها، وصدور مجالسها، وزعماء جيوشها، وعظاء أرضها . وحمد الإسلام موافقهم في حماية الدين، حتى إنهم جاهدوا في الله أهليهم . قال : وكفى بالنصرة الأولى يوم عَيْنِ جَالُوتَ في كسر الملك المظفر قطز صاحب مصر إذ ذاك في سنة ثمان وخمسين وستمائة عساكر هولاكو ملك التتر بعد أن عجز عنهم عساكر الأقطار، وأستأصلوا شأفة السلطان (جلال الدين محمد بن خوارزم شاه) وقتلوا عساكره؛ مع أن الجيش المصري بالنسبة إلى العساكر الجلالية كالنقطة من الدائرة، والنُغْبَة من البحر، والله يؤيد بنصره من يشاء .

أما في زماننا هذا فإنه منذ قام السلطان الملك الظاهر برقوق من جنس الجركس، رغب في الممالك من جنسه وأكثر من الممالك الجراكسة حتى صار منهم أكثر الأمراء والجند، وقَّلت الممالك الترك من الديار المصرية حتى لم يبقَ منهم إلا القليل من بقاياهم وأولادهم .

الإقليم الثالث

(بلاد أنخزر)

بفتح الخاء والزاي المعجمتين وراء هملة في الآخر .

وقاعدته مدينة (بَلَنْجَر) . قال في "اللباب" : بفتح الباء الموحدة واللام ونون ساكنة وجيم مفتوحة ثم راء مهملة - وهى مدينةٌ بَدْرَبَنْدُ خِزْرَان، واقعة في الإقليم السادس من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" حيث الطول خمس وسبعون درجة وعشرون دقيقة، والعرض خمسون درجة وثلاثون دقيقة . قال في "كتاب الأطوال" : وهى إتِل . قال في "اللباب" : وهى داخل الباب والأبواب، قيل إنها نسبت إلى بَلَنْجَر بن يافث .

الإقليم الرابع

(الْقِرْمُ)

قال في "تقويم البلدان" : بكسر القاف والراء المهملة وميم في الآخر . قال : وهو آسم لإقليم يشتمل على نحو أربعين بلدا .

وقاعدتها (صُلُغَاتُ) . قال في "تقويم البلدان" : بضم الصاد المهملة وسكون اللام وفتح الغين المعجمة وألف وتاء مثناة فوقية في الآخر - وقد أطلق الناس آسم الْقِرْمِ عليها حتى إذا قالوا الْقِرْم لا يريدون إلا صُلُغَات - وموقعها في الإقليم السابع من الأقاليم السبعة . قال : والقياس أنها حيث الطول سبع وخمسون درجة وعشر دقائق والعرض خمسون درجة . قال : وهى عن البحر على نصف يوم؛ وهى عن الأزق في الغرب والشمال .

وَبَصْرَاى بلادٌ مضافة إليها .

(منها) الأَكْكُ . قال في "تقويم البلدان" : بضم المهمزة وفتح الكاف الأولى ثم كاف ثانية - وهي بلدة من بلاد الصَّرَاى ، موقعها في الإقليم السابع من الأقاليم السبعة . قال في "تقويم البلدان" : القياس حيث الطول ثمان وسبعون درجة ، والعرض تسع وأربعون درجة وخمس وخمسون دقيقة ، وهي على جانب نهر إبتل من الجانب الغربي بين صَرَاى وبَلَّار ، على قرب منتصف الطريق بينهما ؛ وهي عن كل واحدة منهما على نحو خمس عشرة مرحلة . وإلى الأَكْكِ هذه ينتهى أردو القان صاحب هذه المملكة ؛ ولها مَدُنٌ أخر كما تقدم . وهي عن الكَفَا شَمَالٌ بغرب ، وعن صُودَاقِ شَمالٌ بشرق ، وبين كل منهما مسيرة يوم ؛ وبها حاكم يكاتب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

(ومنها) صُودَاقِ . قال في "تقويم البلدان" : بضم الصاد المهملة وواو، وفتح الدال المهملة وألف وقاف في الآخر، والعامة يقولون : سُرداق، فيبدلون الصَّادَ سيناً مهملة والواو راءً مهملة - وموقعها في آخر الإقليم السابع من الأقاليم السبعة أو في الشمال عنه . قال ابن سعيد حيث الطول ست وخمسون درجة ، والعرض إحدى وخمسون درجة . قال في "تقويم البلدان" : وهي في ذيل جبل على شَطِّ بحر القِرمِ ، وأرضها محجر وهي مسورة ، وهي فُرْضة للتجار ؛ ويقابلها من البرِّ الآخر مدينة سَامُوسَ ، من سواحل بلاد الروم الآتى ذكرها . قال : وأهلها مسلمون . وقال ابن سعيد : أهلها أخلاط من الأمم والأديان ، والأمر فيها راجع إلى النصرانية . وإليها يُنسب الجلد السُّردَاقِ المعروف .

(ومنها) كَفَا . قال في "تقويم البلدان" : بفتح الكاف والفاء وألف مقصورة . وهي فُرْضة القِرمِ - وموقعها في الإقليم السابع من الأقاليم السبعة . قال : والقياس أنها حيث الطول سبع وخمسون درجة ، والعرض خمسون درجة ، وهي في وطاة

من الأرض؛ وهى على ساحل بحر القِرم، ويقابلها من البر الآخر مدينة طَرَابُزُون من سواحل بلاد الروم، وهى شرقى صُودَاق، وعليها سُورٌ من لَين، ومن شمالها وشرقيها صحراء القَبْجَاق؛ وهى عن صُودَاق فى سمت الشرق، والكُفَا وصُودَاق وصلَفَات كالأَثافي .

الإقليم الخامس (بلاد الأَزَق)

قال فى "تقويم البلدان" : بفتح الهمزة والزاي المعجمة وقاف فى الآخر .

وقاعدته مدينة الأَزَق بالضبط المعروف - موقعها فى الإقليم السابع من الأقاليم السبعة . قال فى "تقويم البلدان" : والقياس أنها حيث الطولُ خمس وستون درجة، والعرض ثمان وأربعون درجة . قال : وإليها ينسب بحر الأَزَق المعروف فى الكتب القديمة ببحر مانيطش، وهى فُرْضة على بحر الأَزَق فى مستوٍ من الأرض عند مَصَبِّ نهر "تان" فى بحر الأَزَق، وبنائها بالخشب، وبينها وبين القِرم نحو خمس عشرة مرحلة، وهى فى الشرق والجنوب عن القِرم . ولها مدن أخر .

(منها) الكَرُش . قال فى "تقويم البلدان" : بفتح الكاف وسكون الراء المهملة وشين معجمة فى الآخر - وهى بلدة صغيرة على ساحل بحر الأَزَق ، واقعة فى الإقليم السابع من الأقاليم السبعة . قال فى "تقويم البلدان" : القياس حيث الطول ستون درجة ، والعرض سبع وأربعون درجة وثلاثون دقيقة . وهى بلدة صغيرة بين الكُفَا والأَزَق على فَمِ بحر الأَزَق ، ويقابلها من البر الآخر الطامان من سواحل أرمينية وبلاد الروم، وأهلها قَبْجَاق كُفَّار .

الإقليم السادس

(بلاد الجركيس)

بفتح الجيم وسكون الراء وفتح الكاف وسين مهملة في الآخر. قال المؤيد صاحب حماة في "تاريخه": وهو على بحر نيطش من شرقه، وهم في شَطَف من العيش . . قال : وقد غلب عليهم دين النصرانية ، وقد صار في زماننا منهم أكثرُ عسكر الديار المصرية من لدن ملك الظاهر برقوق فإنه أكثر الإجلاب منهم .

الإقليم السابع

(بلاد البلغار)

بضم الباء الموحدة وسكون اللام وفتح الغين المعجمة وألف ثم راء مهملة في الآخر . وهم جنس معروف أيضا . قال صاحب حماة في "تاريخه" : وهم منسوبون إلى بلدان يسكنونها .

وقاعدتها مدينة (بَلَّار) بضم الباء الموحدة وفتح اللام وألف وراء مهملة في الآخر. قال في "تقويم البلدان" : ويقال لها بالعربيُّ بُلْغَار - وموقعها في الإقليم السابع من الأقاليم السبعة ، أو في الشمال عنه . قال في "الأطوال" وطولها ثمانون درجة ، والعرض خمسون درجة وثلاثون دقيقة ، وهي بلدة في نهاية العمارة قريبة من شَطِّ نهر إميل من البر الشمالي الشرقي ، وهي وصراى في بر واحد ، وبينهما فوق عشرين مرحلة ، وهي في وطاة والجبال عنها أقل من يوم ؛ وأهلها مسلمون حنيفة ، وليس بها شيء من الفواكه ولا أشجار الفواكه لشدة بردها ، والفجل الأسود في غاية الكبر . قال السلطان عماد الدين صاحب حماة : وقد حكى لى بعض أهلها أن في أول الصيف لا يغيب الشفق عنها ويكون ليلا في غاية القصر . ثم قال .

وهذا الذى حكاه صحيح موافق لما يظهر بالأعمال الفلكية ، لأن من عرض ثمانية وأربعين ونصف يتبدى عدم غيوبة الشفق في أول فصل الصيف ، وعرضها أكثر من ذلك ، فصح ما تقدم على كل تقدير . قال في "مسالك الأبصار" : وحكى على الحسن الإربلى أن أقصر ليلا أربع ساعات ونصف ، وهو غاية نقصان الليل . قال حسن الرومى : وسألت مسعودا المؤقت بها عن هذا فقال : جربناه بالآلات الرصدية فوجدناه كذلك تحريرا . قال في "مسالك الأبصار" : وقد ذكر المسعودى في "مروج الذهب" أنه كان في السرب والبغاير من قديم دار إسلام ومستقر إيمان . فأما الآن فقد تبدلت بإيمانها كُفراً ، وتداولها طائفة من عبّاد الصليب ، ووصلت منهم رُسلٌ إلى حضرة مصر سنة إحدى وثلاثين وسبعائة من صاحب السرب والبغاير ، يعرض نفسه على مودته ، ويسأله سيفاً يتقلده وسنجقاً يقهر أعداءه به ، فأكرم رُسله ، وأحسن نُزله ، وجهازه معه خلعة كاملة : طرد وحش بقصب سينجاب مقدس على مقرح سكندرى وكلوته زركش بطرفين ، ومنطقة ذهب ، وكلايب ذهب وسيف محلى ، وسنجق سلطاني أصفر مُذهب . قال : وهم يدارون سلطان القبحاق لعظيم سلطانه عليهم ، وأخذة بخناقهم لقربهم منه . وذكر في "التعريف" قريباً منه ؛ ولصاحب السرب مكتبة عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية ، يأتي ذكرها في المكتبات إن شاء الله تعالى .

وبين السرب والبغاير وبلاد الترك بلاد :

(منها) أقباج كَرَمَانَ - بفتح الهمزة وسكون القاف وفتح الجيم وألف وفتح الكاف والراء المهملة والميم وألف والنون في الآخر - وهى بليدة على بحر نيطش المعروف ببحر القريم ، واقعة في الإقليم السابع من الأقاليم السبعة . قال في "تقويم البلدان" : والقياس أنها حيث الطول خمس وأربعون درجة ، والعرض خمسون درجة ، وهى

في مستوٍ من الأرض، وأهلها أخلاط من مسلمين وكُفَّار، وعلى القرب منها يصب نهر طُرْلُو .

(ومنها) صَارِي كَرْمَانَ . قال في "تقويم البلدان" : بفتح الصاد المهملة وألف وكسر الراء المهملة وياء مشناة تحتية - وَكَرْمَانُ عَلَى مَا تَقَدَّمَ، منخرطة في أَقْجَا كَرْمَانَ، وهي بلدة أصغر من أَقْجَا كَرْمَانَ - وموقعها في الإقليم السابع من الأقاليم السبعة . قال في "تقويم البلدان" حيث الطول خمس وخمسون درجة، والعرض خمسون درجة قياساً، ويقابلها من البر الآخر مدينة سَنْوَبَ من سواحل بلاد الروم، وهي شرقي أَقْجَا كَرْمَانَ المتقدم ذكرها، وبينهما نحو خمسة عشر يوماً، وبينها وبين صَلَغَاتٍ نحو خمسة أيام .

الإقليم الثامن (بلاد الأولاق)

بضم الهمزة وسكون الواو ولام أَلَف بعدها قاف، ويقال لهم الْبُرْغَالُ بضم الباء الموحدة وسكون الراء المهملة وفتح الغين المعجمة وألف ثم لام، وهم جنس معروف . وقاعدتها مدينة (طَرْنُو) . قال في "تقويم البلدان" : بالطاء المكسورة والراء الساكنة المهملتين والنون المفتوحة وواو في الآخر - وموقعها في الإقليم السابع من الأقاليم السبعة . قال في "تقويم البلدان" : والقياس أنها حيث الطول سبع وأربعون درجة وثلاثون دقيقة، والعرض خمسون درجة . قال : وهي غربي صَقْجِي عَلَى ثلاثة أيام منها، وأهلها كُفَّار من الجنس المذكور . ولهم بلاد أخرى :

(منها) صَقْجِي . قال في "تقويم البلدان" : قال بعض الفقهاء : بفتح الصاد المهملة وسكون القاف وكسر الجيم المشربة بالشين المعجمة وفي الآخرياء مشناة تحتية -

وهي من أولاق وبلاد القُسطنطينية . قال في "الأطوال" حيث الطول ثمان وأربعون درجة وسبع وثلاثون دقيقة، والعرض خمسون درجة، وهي متوسطة بين الصَّغَرِ والكِبَرِ في مستوي من الأرض، عند مصب نهر طناً في بحر نيطش المعروف ببحر القرم في الجانب الجنوبي الغربي منه . وهي عن أقبا كَرْمَانَ على مسيرة خمسة أيام، وبينها وبين القُسطنطينية في البحر عشرون يوماً، وغالب أهلها مسلمون .

الإقليم التاسع (بلاد الآص)

يفتح الهمزة الممدودة وضاد مهملة - وهم جنس معروف . وقاعدته (قِرْقِرْ) . قال في "تقويم البلدان": بكسر القاف وسكون الراء المهملة وسكون القاف الثانية (?) وكسر الراء المهملة في الآخر. ومعنى اسمها بالتركية أربعون رجلاً، وموقعها في آخر الإقليم السابع . قال في "تقويم البلدان": القياس أنها حيث الطول خمس وخمسون درجة وثلاثون دقيقة، والعرض خمسون درجة . قال : وهي قلعة عاصية على جبل لا يقدر أحد على الطلوع إليه، ووسط ذلك الجبل وطاء تسع أهل البلاد، وهي بعيدة عن البحر في شمالي صَارِي كَرْمَانَ على نحو يوم، وعندها جبل عظيم شاهق في الهواء يقال له (جَاطُوطَاغ) بفتح الجيم وألف وطاء مكسورة وواو ساكنة وطاء مهملة وألف وغين معجمة، يظهر للراكب من بحر القرم .

الإقليم العاشر (بلاد الروس)

بضم الراء المهملة وسكون الواو وسين مهملة في الآخر . وهم جنس معروف . قال في "تقويم البلدان": في شمالي مدينة بَلَار المذكورة . قال صاحب حماة

في "تاريخه" : ولهم جزائر أيضا في بحر نيطش وبلار في شماليه . قال : وقد غلب عليهم دين النصرانية . قال في "مسالك الأبصار" : وإذا سافر المسافر على غربي جولمان وصل إلى بلاد الروس ، ثم إلى بلاد الفرج وسكان البحر الغربي . قال في "تقويم البلدان" : وفي شمالي الروس الذين يبيعون مغاية . ونقل عن بعض من سافر إلى تلك البلاد أنهم يتصلون بساحل البحر الشمالي ، فإذا وصلوا إلى تخومهم ، أقاموا حتى يعلموا بهم ، ثم يتقدمون إلى المكان المعروف بالبيع والشراء ، ويحيط كل تاجر بضاعته معلمة ويرجعون إلى منازلهم ، فيحضر أولئك القوم ويضعون قبالة تلك البضاعة السمور والثعلب والوشق وما شا كل ذلك ، ويدعونه ويمضون ، ثم يحضر التجار فن أعجبه ذلك أخذه ، وإلا تركه حتى يتفصلوا على الرضا .

وقد ذكر في "مسالك الأبصار" عن الشيخ علاء الدين بن النعمان : أن البلاد التي يجلب منها السمور والسنجاب هي بلار المقدمة الذكر . قال ابن النعمان : وتجار بلادنا لا يتعدون بلاد البلغار ، وتجار البلغار يسافرون إلى بلاى جقطاي ، وتجار جولمان يسافرون إلى بلاد بوغزه ، وهي في أقصى الشمال ليس بعدها عمارة سوى برنج عظيم من بناء الإسكندر على هيئة المنارة العالية ، ليس وراءه مذهب لأحد إلا الظلمات ، فسئل عن الظلمات فقال : صحار وجبال لا يفارقها الثلج والبرد ، ولا تطلع عليها الشمس ، ولا ينبت فيها نبات ، ولا يعيش فيها حيوان ، متصلة ببحر أسود لا يزال يطر الغيم منعقد عليه .

وأعلم أن صاحب "تقويم البلدان" : قد ذكر عدة أماكن من هذه المملكة سوى ما تقدم ولم ينسبها إلى إقليم .

(منها) كوماجر - بضم الكاف وسكون الواو والميم المشددة وألف وجيم وراء مهملة - وهي مدينة قريبة من الوسط ما بين باب الحديد والأزق ، شرق الأزق وغربي باب الحديد .

(ومنها) مدينة لَكُرْ - بفتح اللام وسكون الكاف وفي آخرها زاي معجمة -
وهي مدينة يسكنها جنس من الترك يقال لهم اللكرى ، وهم في الجبل الفاصل بين
تتمملكة بَرَكَّة ، وتتمملكة هُولَا كُو .

(ومنها) بلاد القَيْتَق - بفتح القاف وسكون المشاة تحت وفتح المشاة من فوق وفي
آخرها قاف ثانية ، وهم جنس من الترك يسكنون الجبل المتصل باللكر من شماليه .
قال في "تقويم البلدان" وهم قُطَاع طريق ، وجبلهم متحكم على باب الحديد .
قلت : وهذه المملكة أوسع من أن يحاط ببلادها ، وفيما ذكرناه مَقْنَع لمن تأمله .

الجملة الثالثة

(في ذكر الأنهار العظام والبحيرات الواقعة في هذه المملكة)

أما الأنهار فقد ذكر في "مسالك الأبصار" أن بهذه المملكة سَيْحُونٌ وَجِيْحُونٌ
المقْدَم ذكرهما في مملكة ماوراء النهر ، وذلك أنهما يمتدان من هذه المملكة إلى تلك ،
فيصدق وجودهما في الملكتين جميعا . وقد تقدّم ذكرهما هناك فأغنى عن إعادته هنا .
ثم المشهور مما يختص بهذه المملكة خمسة أنهار .

أحدها - نهر أَيْل - بفتح الهمزة وكسر المثلثة ولام في الآخر - فعرف بأئل ،
وهي مدينة بَدَجَر المقْدَم ذكرها ، ويقال فيه نهر الأئل بالألف واللام أيضا ، وهو
من أعظم الأنهار بتلك البلاد وأشهرها . ذكر في "مسالك الأبصار" عن الفاضل
شجاع الدين عبد الرحمن الخوارزمي الترجمان أنه يكون قدر النيل ثلاث مرات
أو أكثر . قال : وأصله من بلاد الصَّقَلَب . قال في "تقويم البلدان" : وهو يأتي
من أقصى الشمال والشرق من حيث لا عماراة ، ويمر بالقرب من مدينة بَلَار ، وهي

(١) كذا في "التقويم" ونص ياقوت على أنه بالمشاة الفوقية وأنه بوزن إيل .

بُلْغَارُ، ويستدير عليها من شمالها وغربها، ويجرى منها إلى بُلَيْدَةٍ عَلَى شَطِّهِ يَقَالُ [لَهَا أَوْكُكُ ثُمَّ يَتَجَاوَزُهَا إِلَى قَرْيَةٍ يُقَالُ ^(١) لَهَا بُلْجَمَنُ، وَيَجْرِي جَنُوبًا ثُمَّ يَعْطِفُ، وَيَجْرِي إِلَى الشَّرْقِ وَالْجَنُوبِ، وَيَمُرُّ عَلَى مَدِينَةِ صَرَايَ مِنْ جَنُوبِهَا وَغَرْبِهَا؛ فَإِذَا تَجَاوَزَ مَدِينَةَ صَرَايَ أَفْتَرَقَ، وَيَصِيرُ عَلَى مَاقِيلِ أَلْفِ نَهْرٍ وَنَهْرٍ، وَيَصُبُّ الْجَمِيعُ فِي بَحْرِ الْخَزَرِ. قَالَ فِي "مَسَالِكِ الْأَبْصَارِ": وَتَجْرِي فِيهِ السَّفَنُ الْكِبَارُ، وَيَسَافِرُ فِيهِ الْمَسَافِرُونَ إِلَى الرُّوسِ وَالصَّقَلَبِ .

الثاني - نهر طُنَا . قَالَ فِي "تَقْوِيمِ الْبُلْدَانِ" : بَضْمُ الطَّاءِ الْمَهْمَلَةِ وَفَتْحُ النُّونِ وَأَلْفُ . قَالَ فِي "تَقْوِيمِ الْبُلْدَانِ" : وَهُوَ نَهْرٌ عَظِيمٌ يَكُونُ أَكْبَرَ مِنْ دِجْلَةِ وَالْفَرَاتِ إِذَا اجْتَمَعَا بِكَثِيرٍ . قَالَ : وَيَجْرِي مِنْ أَقْصَى الشَّمَالِ إِلَى جِهَةِ الْجَنُوبِ، وَيَمُرُّ فِي شَرْقِ جَبَلٍ يُسَمَّى (قَشْغَا طَاغَ) . وَمَعْنَاهُ الْجَبَلُ الصَّعْبُ ، وَهُوَ جَبَلٌ فِيهِ أَجْنَاسٌ مُخْتَلِفَةٌ مِنْ أُمِّ الْكُفْرِ مِثْلُ الْأَوَّلَاقِ وَالْمَاجَارِ وَالسَّرْبِ وَغَيْرِهِمْ، فَيَمُرُّ فِي شَرْقِيهِ، وَكُلَّمَا جَرَى جَنُوبًا قَرُبَ مِنْ بَحْرِ نِيَطِشِ الْمَعْرُوفِ الْآنَ بِبَحْرِ الْقِرْمِ، وَلَا يَزَالُ يَتَقَارَبُ مِنْهُ وَيَقْرُبُ مَا بَيْنَ الْجَبَلِ وَالْبَحْرِ الْمَذْكُورِ حَتَّى يَصُبَّ فِيهِ فِي شِمَالِيٍّ مَدِينَةً صَفَجِي فِي شِمَالِيٍّ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ بِمِيلَةٍ إِلَى الْغَرْبِ .

(٢)
الثالث - نهر أَرُو . قَالَ فِي "تَقْوِيمِ الْبُلْدَانِ" : بِالزَّيِّ الْمَعْجَمَةِ [الْمَفْخَمَةِ] بَعْدَ الْأَلْفِ وَوَاوٍ فِي الْآخِرِ . قَالَ : وَهُوَ نَهْرٌ عَظِيمٌ يَأْتِي مِنَ الشَّمَالِ شَرْقِيَّ نَهْرِ طُنَا الْمَقْدَمِ ذَكَرَهُ، وَيَمُرُّ مَقْرَبًا، ثُمَّ يَعْطِفُ وَيَمُرُّ مَشْرِقًا حَتَّى يَصُبَّ فِي خَوْرٍ مِنْ بَحْرِ الْقِرْمِ بَيْنَ صَارِي كَرْمَانَ وَأَقْبَا كَرْمَانَ الْمَقْدَمِ ذَكَرَهُمَا .

الرابع - نهر تَان . قَالَ فِي "تَقْوِيمِ الْبُلْدَانِ" : بَتَاءُ مَثْنَاءَ مِنْ فَوْقِ الْأَلْفِ (٢)
[مِمَّا] نُونٌ فِي الْآخِرِ . قَالَ : وَهُوَ نَهْرٌ عَظِيمٌ شَرْقِيَّ أَرُو الْمَقْدَمِ ذَكَرَهُ وَغَرْبِيَّ نَهْرِ

الأثل يجرى من الشمال إلى الجنوب، ويصب في بحيرة مانيتشش المعروفة في زماننا
ببحر الأزق عند مدينة الأزق من غربيها .

الخامس - نهر طرلو . قال في "تقويم البلدان" بضم الطاء وسكون الراء
المهملتين ولام وواو . قال : وهو نحو عاصى حمأة ، ويصب على القرب من
أقجآ كرمآن في بحر نيطنش المعروف ببحر القريم .



وأما البحيرات فلمشهوره بها بحيرة خوارزم : وهى بحيرة كبيرة ماؤها ملح . قال
ابن حوقل : دورها مائة فرسخ ، وفيها يصب نهر جيحون في جانبها الجنوبي ، وفيها
يصب نهر الشاش أيضا ، وبينها وبين البحر عشرون مرحلة ، وبينها وبين خوارزم
ست مراحل .

الجملة الرابعة

(في الطرق الموصلة إلى هذه المملكة)

ولها طريقان : طريق في البر ، وطريق في البحر .

فأما طريق البر فقد تقدم في الكلام على مملكة إيران الطريق إلى شط جيحون .
وقد ذكر في "تقويم البلدان" أن بين أمل الشط وبين خوارزم نحو أمتي عشرة
مرحلة . وذكر في "مسالك الأبصار" أن بين خوارزم ومدينة صراى نحو شهر
ونصف ، وأن بين خوارزم ومدينة صراى مدينة وجق ومدينة قطلود .

وأما طريق البحر فهو أن يركب المسافر إليها في بحر الروم من مدينة الإسكندرية
أو مدينة دمياط من شمالي الديار المصرية ، ويسير إلى خليج القسطنطينية المتصل
بحر الروم من جهة الشمال ، ويركب فيه ويجاوزه إلى بحر نيطنش المعروف ببحر القريم ،
ثم إلى بحر مانيتشش المعروف ببحر الأزق وينتهى إلى آخره .

الجملة الخامسة

(في الموجود بها)

قد ذكر في "مسالك الأبصار" أن فيها من الحبوب القمح، والشعير، والدخن، ويسمى عندهم الأرزن، والماش، والجاورس، وهو شبيه بحب البرسيم، على أهلة في القمح والشعير. أما القول فلا يكاد يوجد عندهم، وأكثر حبوبهم الدخن ومنه أكلهم، وبها من الفواكه جميع أنواع الفواكه إلا النخل، والزيتون، وقصب السكر، والموز، والأترج، والليمون، والتارنج. وذكر عن بلاد القباقي أنها كانت قبل استيلاء التتار عليها معمورة الجوانب، وأنها في بقايا تلك العمارات والغراس، وأن فيها من الفواكه العنب، والرمان، والسفرجل، والتفاح، والكمثرى، والمشمش، والخوخ، والجوز، وفاكهة تسمى بلغة القباقي بانيك شبيهة بالتين، وأن الفواكه كثيرة الوجود في جبالهم مع كثرة ما بآد منها. قال: وأما البطيخ فينجب عندهم نجابة خاصة الأصفر، وهو في غاية صدق الحلاوة يقدونه ويحفظونه فيبقى عندهم من السنة إلى السنة، وربما استخرجوا ماءه وصنعوا منه الحلوى، وعندهم من الخضراوات اللفت، والجزر، والكرنب، وغير ذلك. ثم قال: وكذلك مدن الجركيس والرؤس والآص، وبها العسل الكثير الأبيض اللون اللذيذ الطعم الخالي من الحدة.

الجملة السادسة

(في المعاملات والأسعار بها)

أما المعاملات فقد ذكر في "مسالك الأبصار" عن عبدالرحمن الخوارزمي التبرجماني أن دينارهم رايح سكا في غالب مملكة إيران، وهو الذي عنه ستة دراهم، وأن الحبوب تباع كلها عندهم بالرطل، وذكر أن رطل خوارزم زنته ثلثمائة وثلثون درهما.

وأما الأسعار فقد ذكر في "مسالك الأبصار" عن الصدر زين الدين عمر بن مسافر أن الأسعار في جميع هذه المملكة رَخِيَّةٌ إلى الغاية إلا كُرْكُنَجَ أُمَ إقليم خُوَارَزْمَ فإنها متماسكة في أسعار الغلات قَلَّ أن تَرُخَّصَ، بل إما أن تكون غَلِيَّةً أو متوسطة لا يعرف [بها] الرُّخْصُ أبداً. ثم ذكر عن شجاع الدين عبد الرحمن الخُوَارَزْمِي التَّرْجَمَانُ: أن الأسعار في خُوَارَزْمَ والسَّرَّايَ لا يكاد يتباين ما بينهما . قال : والسعر المتوسط عندهم القَمْحُ بدينارين ونصف، وكذلك الماش والشعير بدينارين، وكذلك الدخن والجاوَرُسُ، وربما زاد، والغالب أن يكون سعره مماثل سعر القمح؛ والقمح الضأن على السعر المتوسط كل ثلاثة أرطال بدرهم. وذكر ابن مسافر أن اللحوم بها رخيصة، وأكثر ما يذبح بها الخيل .

وأما سُكَّانُ البر فإن اللحم لا يباع لديهم ولا يُشْتَرَى لكثرتِه، وغالب أكلهم لحوم الطير واللبن والسمن، وإن تَلَفَ لأحد منهم دابةً من فَرَسٍ أو بقرة أو شاة أو غير ذلك، ذبحها وأكل هو وأهلُه منها، وأهدى لجيرانه. فإذا تلف عند مَنْ أهدى إليه شيءٌ من ذلك، ذبحه أيضاً وأهدى لجيرانه، فلهذا لا تكاد بيوتهم تخلو من اللحم .

الجملة السابعة

(في ذكر ملوك هذه المملكة)

قد تقدم أنها قسم من مملكة تُورَانَ، ومملكة تُورَانَ كانت في القديم بيد افراسياب ملك التُّرْكِ، وتداولها ملوك الترك بعده إلى الفتوح الإسلامية، وأسلم مَنْ أسلم من ملوكهم .

أما خُوَارَزْمُ فتوالت عليها الأيدي حتى صارت إلى (محمود بن سُبُكْتِكِين) المتقدم ذكره في ملوك غَزَنَةِ من القسم الأول من هذه المملكة؛ ثم صارت (لمسعود) آبنه،

واستتاب فيها خوارزم شاه هارون بن الطيطاش؛ ثم قتله غلمانه عند خروجه إلى الصيد؛ وأستولى عليها رجل يقال له (عبد الجبار)؛ ثم وثب غلمان هارون بعد الجبار فقتلوه، وولوا مكانه (إسماعيل بن الطيطاش) أخا هارون؛ ثم غلبه عليها (شاه ملك) ابن علي؛ ثم غلبه عليها (طغريك) بن ميكائيل بن سلجوق، وبقيت بيد السلجوقية المقدم ذكرهم في مملكة إيران، إلى أن صارت منهم إلى (بريكارق) بن ملكشاه بن أرسلان ابن داود بن ميكائيل بن سلجوق، فأستتاب فيها علاء الدين محمد أنوشتكين في أيام بريكارق بن ملكشاه بن ميكائيل بن سلجوق السلجوقي، ولقب خوارزم شاه في سنة تسعين وأربعمائة .

ثم ولي بعده ابنه (أطسز) بن محمد؛ ثم غلبه على ذلك (سنجر) بن ملكشاه أخو علاء الدين محمد، وأقام بها من يحفظها في سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة، [ثم غلبه عليها أطسز بن محمد المقدم ذكره^(١)]، وبقى بها حتى توفي سنة إحدى وخمسين وخمسمائة .
وملك بعده ابنه (أرسلان بن أطسز) وتوفي سنة ثمان وستين وخمسمائة .

وملك بعده ابنه (سلطان شاه محمود) صغيرا، وقامت أمه بتدبير دولته؛ ثم غلب على الملك أخوه (علاء الدين تكش) ثم غلبه أخوه (سلطان شاه) وطرده، ثم مات سلطان شاه وأنفرد (تكش بالملك) ثم مات في سنة ست وتسعين وخمسمائة .

وولي بعده ابنه (محمد بن تكش) وكان لقبه قُطْبُ الدين فتلقب علاء الدين، وبقى حتى غلبه جنكروخان وهزمه في سنة تسع عشرة وستمائة، ثم مات بعد ذلك .
ولما ملك جنكروخان أوصى بدشت القبجاق، وما معه لابنه طوجي، ويقال له دوجي أيضا، فمات طوجي في حياة أبيه جنكروخان . فلما مات جنكروخان آستقر في مملكة ماوراء النهر، وما معه باتو بن طوجي بن جنكروخان، ثم مات باتو .

(١) الزيادة عن تاريخ أبي الفدا ليوثق الواقع .

وملك بعده أخوه (بركة بن طوجي) وهو الذي تنسب هذه المملكة إليه، فيقال فيها بيت بركة، بمعنى هذه مملكة بيت بركة، كما يقال في مملكة إيران هي مملكة بيت هولانكو. قال صاحب "الذيل على الكامل" وكانت المكتبة بينه وبين الظاهر بيبرس لا تنقطع، وبقي حتى توفي سنة خمس وستين وستمائة عن غير ولد.

وملك بعده ابن أخيه (منكوتر بن طغان) بن باطون بن دوجي خان، ابن جنكرخان، وتوفي سنة إحدى وثمانين وستمائة.

وملك بعده أخوه (تدان منكوتر) بن طغان بن باطون بن دوجي خان، ابن جنكرخان وقيل سنة اثنتين وثمانين وستمائة، وكان صاحب مصر قد جهز إلى منكوتر هدية^(١) فلم تصل إليه حتى مات، واستقر (تدان منكو) فقدمت إليه فابتهج بها، وعادت الرسل بجوابه بذلك، وبقي إلى سنة ست وثمانين وستمائة فأظهر الولة وتخلّى عن المملكة وأتمى إلى المشايخ والفقراء.

وملك بعده (تلابغا) بأشارته [ابن منكوتر بن طغان بن باطون] بن دوجي خان ابن جنكرخان، وبقي حتى قتل في سنة تسعين وستمائة.

وملك بعده (طقطغا) بن منكوتر بن طغان بن باطوخان ابن جنكرخان.

والذي ذكره قاضي القضاة ولي الدين بن خلدون في "تاريخه" أنه ملك بعد باطوخان أخوه طرطو، ثم أخوه بركة، ثم منكوتر بن طغان خان ابن باطوخان ابن دوشي خان، ثم ابنه تدان منكو، ثم أخوه تلابغا، ثم أخوه جفطاي، ثم ابن أخيه أربك، وهو الذي كان في الدولة الناصرية محمد بن قلاوون صاحب الديار المصرية. قال في "التعريف": وخطب إليه السلطان فزوجه بنتا تقرب إليه، ثم ابنه جاني بك، ثم ابنه بردي بك، ثم ابنه طقتمش، ثم نائبه ماماي، ثم عبد الله بن أربك،

(١) في تاريخ أبي الفدا "سنة ثمانين". (٢) الزيادة عن تاريخ أبي الفدا.

ثم قطلقتم، ثم ماماي ثانيا، ثم حاجي جركس، ثم أيك خان، ثم أبنه قاني بك خان، ثم أرس خان، ثم طقتمش خان ابن بردي بك خان. قال: ومنه آتتبعها تمرلنك وقتله. قلت: المعروف أن تمرلنك لم يملك هذه المملكة أصلا ولا قتل طقتمش، وما ذكره وهم فيه.

وأول من أسلم من ملوك هذه المملكة من بني جنكرخان بركة بن طوحي ابن جنكرخان، وكان إسلامه قبل تملكه حين أرسله أخوه باطوخان لإجلاس منكوخان على كرسى جدّه جنكرخان، فأجلسه، وعاد فتر في طريقه على الباخرزى شيخ الطريقة، فأسلم على يديه وحسن إسلامه، ولم يملك بعد أخيه باطوخان إلا وهو مسلم، وتلاه من تلاه من ملوكهم بهذه المملكة في الإسلام حتى كان أزبك خان منهم، فأخلص في الإسلام غاية الإخلاص، وتظاهر بالديانة والتمسك بالشرعية، وحافظ على الصلاة وداوم على الصيام.

وقد حكى في "مسالك الأبصار" عن زين الدين عمر بن مسافر أن ملوك هذه الطائفة مع ظهور الإسلام فيهم وإقرارهم بالشهادتين مخالفون لأحكامها في كثير من الأمور، واقفون مع ياسة جنكرخان التي قترها لهم وقوف غيرهم من أتباعه، مع مؤاخذه بعضهم بعضا أشد المؤاخذه في الكذب والزنا ونبيذ الموائيق والعهود. وقد جرت عادة ملوكهم أنهم إذا غضبوا على أحد من أتباعهم، أخذوا ماله وباعوا أولاده، وأن في سلطان هذه المملكة طوائف الجركيس والروس والآص، وهم أهل مدن عامرة أهلة، وجمال مشجرة مثمرة؛ ينبت عندهم الزرع، ويدّر لهم الصرع؛ وتجري الأنهار، وتجنّي الثمار؛ وهم وإن كان لهم ملوك فهم كالرعايا، فإن داروه بالطاعة والتحف كف عنهم، وإلا شق عليهم الغارات، وضايقهم، وحاصرهم،

(١) لعله فهم ملك مصر أو نحو ذلك كالرعايا لينتظم الكلام.

وقتل رجالهم ، وسبى نساءهم ، وذراريهم ، وجلب رقيقهم إلى أقطار الأرض .
ثم قال : والقسطنطينية مجاورة لأطراف ملك القبجاق ، وملك الروم معه في كلب دائم ،
وأقترحات متعددة في كل وقت ، وملك الروم على توقد جمرته ، وكثرة حمايته وأنصاره ،
يخاف غارته وشره ، ويتقرب إليه ، ويداريه ، ويدافع معه الأيام من وقت إلى وقت
منذ تدير ملوك بني جنكخان هذه المملكة . وما تخلو بينهم مدة عن تجديد عهود
ومسألة إلى مدة تؤجل بينهم ، وأشياء تحمل من جهة ملك الروم إلى ملكهم .

الجملة الثامنة

(في مقدار عسكر هذه المملكة ، وترتيبها ، ومقادير الأرزاق)

الجارية عليهم ، وزيتهم في اللبس)

أما مقدار عسكرها ، فقد ذكر في "مسالك الأبصار" عن الشيخ علاء الدين
ابن النعمان أن عساكرها كثيرة تفوت الحصر ، لا يعلم لها مقدار إلا أنه خرج مرة
عليه وعلى القان الكبير اسنبغا سلطان ما وراء النهر خارجاً ، فجوز إليه من كل عشرة
واحداً فبلغ عدة المجزدين مائتين وخمسين ألفاً ممن دخل تحت الإحصاء سوى من
أنضم إليهم ، وألزم كل فارس منهم بعلامين وثلاثين رأساً من الغنم وخمسة رؤوس
من الخيل وقدرين نحاس وعجلة .

وأما ترتيب مملكتهم فحكى عن الشيخ نجم الدين بن الشحام الموصلي أن ترتيب
هذه المملكة في أمر جيوشها وسلطانها كما في ترتيب مملكة العراق والعجم في عدة
الأمراء والأحكام والخدم ، ولكن ليس لأمر الألووس والوزير بها تصرف أمير
الألووس والوزير بتلك المملكة ، ولا لسلطان هذه المملكة نظير ما لذلك السلطان من
الدخل والمجاني وعدد المدين والقرى ، ولا مشي أهل هذه المملكة على قواعد الخلقاء
مثل أولئك ، ولخواتين هؤلاء مشاركة في الحكم معهم وإصدار الأمور عنهم مثل

أولئك وأكثر ، إلا ما كانت عليه بغداد بنت جويان امرأة أبي سعيد بهادر بن خدابندا ، فإنه لم ير من يحكم حكمها . قال المقر الشهابي بن فضل الله : وقد وقفتُ على كثير من الكتب الصادرة عن ملوك هذه البلاد من عهد بركة وما بعده ، وفيها ” وأنفقت آراء الخواتين والأمراء على كذا “ أو ما يجري هذا المجرى .

وحكى عن الصدر زين الدين عمر بن مسافر عن أربك خان سلطان هذه المملكة في الأيام الناصرية محمد بن قلاوون أنه لا ألتفات له من أمور مملكته إلا إلى جُمليّات الأمور دون تفصيل الأحوال ، يَقَعُّ بما حَمَلَ إليه ، ولا يبحث عن وجوه القبض والصرف ؛ وأن لكل امرأة من خواتينه جانباً من الحمل ، وأنه يركب كل يوم إلى امرأة منهم ، يقيم ذلك اليوم عندها ، يأكل من بيتها ويشرب ، وتلبسه بدلة قماش كاملة ، ويخلع التي كانت عليه من اللبس على من يتفق ممن حوله . ثم قال : وقماشه ليس بفاق الجنس ولا غالى الثمن ، مع قربه من الرعايا القاصدين له ، إلا أن يده ليست مبسوطه بالعطاء ، ولو أراد هذا لما وفى به دخل بلاده ، فإن غالب رعاياه أصحابُ عَمَلٍ في الصحراء ، أقواتهم من مواشيهم . ونقل عن نظام الدين بن الحكيم الطيارى أن لسلطان هذه المملكة على جميعهم خراجاً يستأديه منهم ، وأنهم ربما طُوبوا بالخراج في سنة مُحملة لوقوع المُوتان بدوابهم ، أو سقوط الثلج ونحوه ، فباعوا أولادهم لأداء ما عليهم من الخراج .

وأما مقادير أرزاق جُنْدِهِمْ ، فقد حكى عن شجاع الدين عبد الرحمن أن كل من كان بيد آبائه شيء من الإقطاع فهو بيد أبنائه . ثم قال : والأمراء لهم بلاد ، منهم من تُعَلُّ بلاده في السنة مائتي ألف دينار راجح وما دون ذلك إلى مائة ألف دينار راجح . أما الجند فليس لأحد منهم إلا تقود تؤخذ ، كلهم فيها على السواء ، لكل واحد منهم في السنة مائتا دينار راجح .

وأما زَيْهَمُ في اللبس ، فحكى عن شجاع الدين الترحمان أيضا أنه كان زيهم زِيَّ
عسكر مصر والشام في الدولة الإسلامية وما يناسب ذلك ، ثم غلب على زيهم زِيَّ التتر
إلا أنهم بعائم صغار مَدَوَّرَة .

القسم الثالث

(من مملكة تُورَانَ مملكةُ القان الكبير)

قال في "التعريف" : وهو أكبر الثلاثة ، (يعني ملوك الأقسام الثلاثة المتقدمة
الذكر) . وهو صاحب الصَّينِ والحِطَّا ووارث تحت جنكرخان . قال : وقد تواترت
الأخبار بأنه أسلم ودان بدين الإسلام ، ورقم كلمة التوحيد على ذوائب الأعلام .
قال : وإن صحَّ وهو المؤمل ، فقد ملأت الأمة الحمديَّةُ الخافقين ، وعمرت المشرقَ
والمغربَ ، وأمتدت بين ضَفَّتَي البحر المحيط . قال في "مسالك الأبصار" : وهو
القائم مقام جنكرخان والجالسُ على تخته . قال : وهو كالخليفة على بنى عمه من بقية
ملوك تُوران : من مملكة إيران ، وصاحب القَبْجَاقِ ، وصاحب ما وراء النهر .
فإذا تجدد في مملكة أحد منهم مُهمٌّ كبير ، مثل لقاء عسكر ، أو قتل أمير كبير بذنب ،
أو ما يناسب ذلك ، أرسل إليه وأعلمه به ، وإن كان لا أفتقار إلى استئذانه ،
ولكنها عادة مَرَعِيَّةٌ بينهم .

وقد ذكر في "مسالك الأبصار" عن نظام الدين بن الحكيم الطيارى أنه لم
يزل يكتبُ إلى كلِّ من القانات الثلاثة ، يأمرهم بالاتحاد والألفة ، وإذا كتب إليهم
بدأ باسمه قبلهم ، وإذا كتبوا إليه بدؤوا باسمه قبلهم . قال : وكلهم مُدْعِنون له بالتقدم
عليهم . قال في "مسالك الأبصار" : وأهل هذه المملكة هم أهل الأعمال اللطيفة ،
والصنائع البديعة ، التي سامت إليهم فيها الأمم . وقد تكتبُ الكتبُ ^(١) من أحوالهم
بما أغنى عن ذكره . قال : ومن عادة المجيدين في الصنائع أنهم إذا عملوا عملا

(١) لعله "وقد تكفلت الكتب الخ" .

يديعا، حملوه إلى باب الملك، وعُلّق عليه ليراه الناس، ويبقى سَنَةً، فإن سلم من عائب
أُسْدِي إلى صاحبه الإحسان، وإن عيب عليه وتوجّه العيب، وضع قدر الصانع
ولم يوجه العيب [على] من عابه .

وقد حكى المسعودي في "مروج الذهب" أن صانعا منهم صور عُصْفُورا على
سُنْبُلَةٍ في نقش ثوب كمخا وعلقه، فأستحسنه كل من رآه، حتى مرّ به رجل فعابه
بإستقامة السنبلة، لأن العُصْفُورَ من شأنه أنه إذا وضع على السنبلة أمالها .^(١)

وحكى في "مسالك الأبصار" عن بدر الدين حسن الإسعدي أن بعض
صُنّاعهم عمِل ثيابا من الورق وباعها على أنها من الكمخاوات الخطائية، لا يشك فيها
شاك، ثم أظهرهم على ذلك فعجبوا منه .

وحكى عن الشريف حسن السمرقندي أنه كان بهذه البلاد، فشكا ضرسه،
فأراه لرجل من الخطا، فوضع يده عليه، فأخرج منه قطعة متأكلة، ووضع مكانها قطعة
من ضرس أجنبي، ودهنه بدهن وأمره أن لا يشرب ماء يومه، فالتصق حتى صار
كأنه من أصل الحلقة، إلا أن لون الأول يبين من اللون الثاني. وذكر المقر الشهابي أنه
أراه له بحضرة الشيخ شمس الدين الأصفهاني وجماعة من أهل العلم. قال بدر الدين
حسن الإسعدي: ولقد رأيت منهم من هذه الأعمال ما يتحار فيه العقل .
ويحصل الغرض منه في خمس جمل :

الجملة الأولى

(فيا أشتملت عليه هذه المملكة من الأقاليم)

وأعلم أن هذه المملكة هي أوسع ممالك بني جنكركخان وأفسحها جوانب، وأكثرها
أقاليم، وأوفرها مدنا، غير أنها بعيدة المسافة، متقطعة الأخبار، فجُهلت لذلك أسماء

(١) كذا بالأصل، ولعل الصواب "وقع" .

أقاليمها، وتعذرت الإحاطة بأقطارها؛ ونحن نورد منها ماشاع ذكره في سائر الآفاق وأنشُر، ونَقَعَ من التفصيل بالجملة، ونكتفى من البحر بالنُبة .

والقول الجملى في ذلك أنه يشتمل على إقليمين عظيمين :

الإقليم الأول (الصين)

بكسر الصاد المهملة وسكون الياء المثناة تحت ونون في الآخر. قال في "تقويم البلدان" : ويحيط به من جهة الغرب المفاوِزُ التي بينه وبين الهند، ويحيط به من جهة الجنوب البحر (يعنى بحر الهند) ، ويحيط به من جهة الشرق البحر المحيط، ويحيط به من جهة الشمال أرض يأجوج ومأجوج وغيرها من الأراضي المنقطعة الأخبار عنا . ثم قال : وقد ذكر أصحاب المسالك والممالك في كتبهم بلادا كثيرة، ومواقع وأنها را وغيرها في إقليم الصين؛ ولم يقع لنا ضبط أسمائها، ولا تحقيق أحوالها، فصارت كالمجهولة لنا لعدم من يصل من تلك النواحي من المسافرين إلينا لنستعلم منه أخبارها فأضربنا عن ذكرها .

وقد ذكر في "مسالك الأبصار" عن الشريف تاج الدين حسن بن الجلال السمرقندى، وهو من السفّار، ومن جال الآفاق، ودخل الصين وجال بلاده، وجاب آفاقه، وجاس خلاله، وجال في أقطاره : أن بالصين ألف مدينة، وأنه دار الكثير منها . قال : وبلاد الصين كلها عمارة متصلة من بلد إلى بلد، ومن قرية إلى قرية .

وقاعدة هذه المملكة (خان بالتي) . قال في "تقويم البلدان" : بفتح الخاء المعجمة ثم ألف ونون ساكنة وباء موحدة مفتوحة ثم ألف ولام مكسورة وقاف في الآخر. قال : وهى مدينة من أقاصى الشرق عند بلاد الخطا، واقعة فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال ابن سعيد حيث الطول مائة وأربع عشرة درجة، والعرض

خمس وثلاثون درجة وخمس وعشرون دقيقة . وهى قاعدة مشهورة على ألسنة التجار وأهلها من جنس الخطا ، وعندهم معادن الفضة . قال ابن سعيد : ويذكر عن عظيم هذه المدينة ما يستبعده العقل . قال فى "مسالك الأبصار" نقلا عن الشريف حسن بن الجلال السمرقندى : إن مدينة خان بالى المذكورة مدينتان ، قديمة وجديدة ، والحديدة منهما أسمها ديدو ، بناها (ديدو) آخر ملوكها فسميت بأسمه ، والقان الكبير يزل بوسطها فى قصر عظيم يسمى كوك طاق ، ومعناه بلغة المغل القصر الأخضر ، لأن طاق معناه عندهم القصر ، وكوك معناه الأخضر ، ومنازل الأمراء حوله خارج القصر ، قال : وهى مدينة طيبة ، واسعة الأقوات ، رخيّة الأسعار ، ويجمد بها الماء فى زمن الشتاء فيصير كالثلج ، فيرفع إلى أيام الصيف حتى يبرد به الماء كما يبرد بالثلج . ويشق مدينة ديدو المذكورة نهر .

وبها أنواع الفواكه إلا العنب فإنه قليل بها ، وليس بها نارنج ولا ليمون ولا زيتون ، ثم يعمل بها السكر . وبها من الزرع والحب والخبث والبقرة والغنم ما لا يدخل تحت الإحصاء . وبالصين مدن مشهورة سواها .

(منها) قراقوم . قال فى "تقويم البلدان" : بفتح القاف والراء المهملة ثم ألف وقاف مضمومة وواو ساكنة وميم . قال : وهى مدينة فى أقصى بلاد الترك الشرقية ، ومعنى قراقوم باللغة التركية الرمل الأسود ، لأن قرا فى لغتهم بمعنى الأسود ، وقم بمعنى الرمل ، ويقع فى كثير من الكتب قراقوم بإبدال الواو وراء وهو خطأ ، وإنما كتبت الواو بها بعد القاف دليلا على الضمة على عادتهم فى ذلك - وموقعها فى الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال ابن سعيد حيث الطول مائة وست وخمسون درجة ، والعرض خمس وثلاثون درجة وخمس وعشرون دقيقة . قال : وهى كانت قاعدة التتر ، وفى جهاتها بلاد المغل : وهم خالصة التتر . ومنها خاناتهم . قال الشريف

حسن بن الجلال السمرقندى : وفيها غالب عساكر القان الكبير . وبها يعمل القماش الفاجر ، والصنائع الفاتقة ، وغالب ما يحتاج إليه القان يستدعى منها لأنها دار استعمال ، وأهلها أهل صنائع فائقة . قال في "مسالك الأبصار" : وهي قرية جنكرخان التي أخرجته ، وعمر يسته التي أدرجته .

(ومنها) الخنساء . قال في "تقويم البلدان" : بالخاء المعجمة والنون والسين المهملة وألف . وهي مدينة واقعة في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال في "تقويم البلدان" : حيث الطول مائة وخمسة وستون درجة وأربعون دقيقة ، والعرض ثمان وعشرون درجة وثلاثون دقيقة . قال : وعن بعض المسافرين من بلادنا أن الخنساء في هذا الزمان أعظم فرض الصين ، وإليها ينتهى وصول التجار المسافرين من بلادنا . قال الشريف السمرقندى : وطول الخنساء يوم كامل ، وعرضها نصف يوم ، وفي وسطها سوق واحد تمتد من أولها إلى آخرها ، وأسواقها مبلطة بالبلاط ، وبنائها خمس طبقات بعضها فوق بعض ، وكلها مبنية بالأخشاب والمسبائر ، وشرب أهلها من الآبار ، وأهلها في قشيف عظيم ، وغالب أكلهم لحم الجاموس والإوز والدجاج . وفيها الأرز ، والموز ، وقصب السكر ، والليمون ، وقليل الرمان ، وأسعارها متوسطة ، وتجلب إليها الغنم والقمح على قلة ، ولا يوجد فيها من الخيل إلا ما قل عند أعيانها . وأما الجمال فلا توجد فيها البتة ، فإن دخلها حمل تعجبوا منه . ونقل في "مسالك الأبصار" أن بينها وبين جالق بالى أربعين يوما . وحكى عن الصدر صدر الدين عبد الوهاب بن الحداد البغدادى أنه وصل إلى الخنساء ووصف عظمة بنائها ومنعة رفعة مدينتها مع تسخط الأقوات بها ووفور المكاسب فيها ورخص التدقيق الجيد فيها وفي جميع تلك البلاد . قال : وأهلها يتفاحرون بكثرة الجوارى السرارى ، حتى إنه ليوجد لأحد التجار وآحاد الناس أربعون سرية فما زاد على ذلك .

(١) لعله الرقيق بالراء فتأمل .

(ومنها) الزَّيْتُونُ . قال في "تقويم البلدان" عن بعض المسافرين الثقات : هي بلفظ الزيتون الذي يُعَصَّر منه الزيت ، وهي فُرْصَةٌ من فُرُصِ الصِّين - موقعها في الإقليم الأول من الأقاليم السبعة . قال ابن سعيد حيث الطول مائة وأربع عشرة درجة ، والعرض سبع عشرة درجة . قال : وهي مدينة مشهورة على ألسنة التجار المسافرين إلى تلك البلاد ؛ وهي على خَوْر من البحر ، والمراكب تدخل إليها من بحر الصِّين في الخَوْر المذكور ، وقدره نحو خمسة عشر ميلاً ، ولها نهر عند رأس الخور المذكور . وذكر في "مسالك الأبصار" عن الشريف السمرقندي أن مدينة الزَّيْتُون على البحر المحيط وهي آخر العمار . قال : وبينها وبين جالق بالق شهر واحد .

(ومنها) السَّيْلِي . قال في "تقويم البلدان" : بالسَّيْن المهملة والياء المثناة التحتية ولام وياء ثانية . ثم قال : هكذا وجدناه في الكتب . قال : ويقال لها سَيْلاً يعني باللام ألف ، ورأيت في بعض الكتب سَيْلان بزيادة نون بعد اللام ألف . قال : وهي مدينة في أقصى الصِّين الشرقى ، خارجة عن الإقليم الأول إلى الجنوب . قال في "القانون" حيث الطول مائة وسبعون درجة ، والعرض خمس درج ، وهي في أعلى الصِّين من الشرق بجزائر الخالدات في بحر الغرب ، لكن هذه معمورة في خُصْب بخلاف تلك .

(ومنها) جمكوت . قال في "تقويم البلدان" : بالميم والميم والكاف ثم واو وتاء مثناة فوقية في الآخر . قال : كذا وجدناها مكتوبة ، وأسماها عند الفُرس جما كرد . قال : وهي مدينة في أقصى العمار الشرقية ، خارجة عن الإقليم الأول من الأقاليم السبعة إلى الجنوب . قال في "الأطوال" : وهي على خط الاستواء لاعرض لها . قال في "تقويم البلدان" : وهي على النهاية الشرقية مثل ما يحكى عن الجزائر الخالدات في النهاية الغربية . قال : وليس شرق جمكوت عمارة أصلاً .

(ومنها) مدن أخرى مذكورة في الكتب مجهولة الضبط .

إحداها مدينة (ينجو) - وموقعها في الإقليم الثانى من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" حيث الطول مائة ونحس وعشرون، والعرض اثنتان وعشرون . وقد ذكر في "القانون" أنها مستقر ملكهم الأكبر الملقب بطمغاج .

(ومنها) مدينة خانقو . بحاء معجمة وألف ونون وقاف ثم واو - وهى مدينة على النهر واقعة في الإقليم الأول من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" حيث الطول مائة وستون درجة، والعرض أربع عشرة درجة . قال في "تقويم البلدان" : وهى من أبواب الصين . قال ابن سعيد : وموقعها على شرق نهر خمدان . قال ابن خردادبه : وهى المرفأ الأكبر، وفيها القواكه الكثيرة، والبقول، والحنطة، والشعير، والأرز، والعنب، والسكر .

(ومنها) مدينة خانجو - بإبدال القاف من المدينة السابقة جيا - وهى مدينة على النهر، واقعة في الإقليم الأول من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" حيث الطول مائة واثنتان وستون درجة، والعرض أربع عشرة درجة . قال في "القانون" : وهى من أبواب الصين .

(ومنها) مدينة سوسة - بسينين مهملتين بينهما واو ساكنة وفي الآخرهاء . قال في "تقويم البلدان" : وهى مدينة مشهورة كثيرة التجار متصلة العارة، وبها يُصنع الفخار الصينى الذى لا يفوقه ولا يعدله شئ من أعمال الصين . قال : وهى على شرق نهر خمدان .

الإقليم الثانى (بلاد الخطأ)

بكسر الخاء المعجمة وفتح الطاء المهملة وألف فى الآخر، وهم جنس من الترك بلادهم فى متاخمة بلاد الصين .

وقد ذكر في "مسالك الأبصار" مدينة (قمجوهي) بقاف وميم وجيم وواو ثم هاء وراء آخر الحروف . وقال : إنها أول بلاد الخطأ، وإن منها إلى جالق بالقي أربعين يوما، بل ذكر أن مدينة جالق بالقي التي هي قاعدة هذه المملكة من بلاد الخطأ .

الجملة الثانية

(في معاملة هذه المملكة وأسعارها)

أما معاملتها فقال في "مسالك الأبصار" : حدّثني الفاضل نظام الدين ابن الحكيم أن معاملتهم بقشور من لحاء شجر التوت مطبوعة باسم القان، فإذا عتق ذلك حمله صاحبه إلى ثواب هذا القان وأخذ عوضه مع خسارة لطيفة، كما يؤخذ في دار الضرب مما يُحمل إليها من الذهب والفضة ليُضرب بها . وذكر عن الشريف حسن السمرقندي أن فيها بكارا وفيها صغارا، فمنها ما يقوم في المعاملة مقام الدرهم الواحد، ومنها ما يقوم مقام درهمين، ومنها ما يقوم مقام خمسة دراهم وأكثر إلى ثلاثين وأربعين وخمسين ومائة . وقد تقدّم في الكلام على جالق بالقي والخنساء ذكر ما بهما من الحيوان والحبوب والبقول وغير ذلك .

الجملة الثالثة

(في الطريق الموصل إلى هذه المملكة)

قد حكى في "مسالك الأبصار" عن الشريف تاج الدين السمرقندي : أن من سمرقند من بلاد ما وراء النهر إلى سيلي عشرين يوما، ومن سيلي المذكورة إلى المالق عشرين يوما، ومن المالق إلى قرا خوجا إلى قمجوهي إلى خان بالقي أربعين يوما . ثم قال : ومن خان بالقي إلى الخنساء طريقان : طريق في البر، وطريق في البحر،

(١) كذا في الأصل، وسبق له مثله مرارا عن "المسالك" ولكن الذي ضبطه فيما تقدّم عن "التقويم" خان بالقي بالخاء المعجمة والنون .

وفى كل من الطريقين من خان بالق إلى الخنساء أربعون يوما . وذكر فى الكلام على مملكة بيت بركة عن حسن الإربلى أن المسافر إذا سافر من جولمان على شريقها وصل إلى مدينة قراقوم .

الجملة الرابعة

(فى ذكر ملوكها)

قد ذكر المسعودى فى "مروج الذهب" عدة ملوك من ملوك الصين قبل الإسلام وبعده، أسماؤهم أعجمية لاجابة ذكرها، والمقصود معرفة حالها فى أيام بنى جنكرخان القائمين بها إلى الآن .

قد تقدم فى الفصل الأول من هذا الباب الكلام على مبتدأ أمر جنكرخان وكيفية مصير الملك إليه فأغنى عن إعادته هنا .

ثم لما ملك جنكرخان أوصى بتخته المستولى فيه على هذا القسم من المملكة لولده الصغير أوكداى، ومات جنكرخان فاستقر ولده أوكداى، [ثم استقر] فى هذه المملكة مكانه أبنة كيوك ثم مات .

فلك بعده (منكوفان) بن طولى بن جنكرخان، ومات سنة ثمان وخمسين وستمائة . فلك بعده (أرى بكاء) ^(١)، ثم قبلى خان، ثم دمرياق، ثم قرماى، ثم ترفاى كيزى، ثم قيان قان، ثم سند مرقان بن طولى بن جنكرخان، وهو الذى كان فى الأيام الناصرية محمد ابن قلاوون صاحب الديار المصرية، ثم أقطع خبرهم فلم يعلم من ملك منهم . وملوك هذه المملكة من بنى جنكرخان كفار يدينون بتعظيم الشمس، واقفون فى الأحكام مع ياسة جدّهم جنكرخان المقدم ذكرها فى الفصل الأول . قال فى "مسالك الأبصار":

(١) وجدنا فى "العبر" ج ٥ ص ٣٠ اختلافًا فى الأسماء فاتبعنا الأصل وأجلنا فى التنبيه .

(٢) فى العبر "سند مرقان بن طرمالان بن جنكر بن قبلاى بن طولى" .

ذكر لى الفاضل نظام الدين بن الحكيم الطيارى الكاتب البوسعيدى أنهم على ما هم عليه من الجاهلية على السيرة الفاضلة الشاملة لأهل مملكتهم ومن يرد إليها . قال الشريف السمرقندى : ومن عجائب ما رأيت فى مملكة هذا القان أنه مع كُفْرِهِ فى رعاياه من المسلمين أُمٌّ كثيرة وهم عنده مكرمون محترمون ، ومتى قتل أحد من الكفار مسلماً ، قُتِلَ القاتل الكافر هو وأهل بيته ونُهبت أموالهم ، وإن قتل مسلمٌ كافراً لا يُقتل به ، بل يُطلب بديةً ، ودية الكافر عندهم حمار لا يطلب بغيره .

الجملة الخامسة

(فى عسكره)

قال بدر الدين حسن الإسعردى التاجر : وهذا القان ذو عسكر مديد . قال : والذي أعلم من حاله أن له اثنى عشر ألف بازدار يركبون الخيل ، وعساكره من المغل عشرون تومانا ، وهى مائتا ألف فارس ، أما من الخطأ فما لا يحصى .

الجملة السادسة

(فى ترتيب هذه المملكة)

قال الشريف تاج الدين السمرقندى : وترتيب هذه المملكة أن لهذا القان أميرين كبيرين هما الوزراء ، يسمّى كل من يكون فى هذه الرتبة جنكصان ، ودونهما أميران آخران يسمّى كل منهما بنجار ، ودونهما أميران آخران يسمّى كل منهما زوجين ، ودونهما أميران آخران يسمّى كل منهما بوجين . قال : وله كاتب هو رأس كُتّابه يسمّى لنجون ، وهو بمنزلة كاتب السر فى بلادنا ، والقان يجلس فى كل يوم فى صدر دار فسيحة تسمى شن ، بمثابة دار العدل عندنا ، ويقف الأمراء المذكورون حوله عن اليمين وعن الشمال على مقادير رُتبهم ، ورأس الكُتّاب المسمى لنجون ، فإذا

شكا أحد شكوى أو سأل حاجة ، أعطى قصته رأس الثَّكَّاب المذكور فيقف عليها ، ثم يوصلها إلى أحد الأميرين اللذين يليانه وهما أصغر الكل فيقف عليها هو ومن معه ، ثم يوصلانها إلى من يليهما في الرتبة ، وهكذا إلى أن تصير إلى القان ، فيأمر فيها بما يراه . وذكّر عن الشريف أبي الحسن الكربلاي وكان ممن اجتمع بالقان في هذه البلاد أن لهذا القان أربعة وزراء يُصدرون الأمر في مملكته كلها ، ولا يُراجع القان إلا في القليل النادر . قال : وإذا أراد القان أن يركب ركب في حَقَّة ولا يظهر للناس إلا في يوم واحد ، وهو مثل يوم مولده في كل سنة ، فإنه يركب فرسا ويخرج إلى الصحراء ويعمل بها من الأطعمة والسَّماطات ما يغمُرُ الناس ، ويكون مثل يوم العيد عندهم .

تم الجزء الرابع . يتلوه إن شاء الله تعالى الجزء الخامس .

وآله المقصد الثاني

في ممالك جزيرة العرب الخارجة عن مضافات الديار المصرية

والحمد لله رب العالمين . وصلاته على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين ،

وآله وصحبه والتابعين وسلامه .

وحسبنا الله ونعم الوكيل

فهرست

الجزء الرابع

من کتاب صبح الأعشى للقلقشندي

صفحة

- الحالة الثالثة — من أحوال المملكة ما عليه ترتيب المملكة من ابتداء
الدولة الأيوبية وإلى زماننا ٥
- ويتعلق القول من ذلك بعشرة مقاصد ٦
- المقصد الأول — في ذكر رسوم الملك وآلاته ؛ وهو أنواع كثيرة الخ ... ٦
- المقصد الثاني — في حواصل السلطان ٩
- المقصد الثالث — في ذكر أعيان المملكة وأرباب المناصب ، الذين بهم
انتظام المملكة وقيام الملك ؛ وهم على أربعة أضرب ١٤
- الضرب الأول — أرباب السيوف ؛ والنظر فيهم من وجهين ١٤
- الوجه الأول — مراتبهم على سبيل الاجمال ؛ وهي على نوعين ١٤
- النوع الأول — الأمراء ؛ وهم على أربع طبقات ١٤
- النوع الثاني — الأجناد ؛ وهم على طبقتين ١٥
- الوجه الثاني — في ذكر أرباب الوظائف من أرباب السيوف المتقدم
ذكرهم ؛ وهم على نوعين ١٦
- النوع الأول — من هو بحضرة السلطان ١٦
- النوع الثاني — ما هو خارج عن الحضرة السلطانية ؛ وهم
على ثلاث طبقات ٢٤
- الطبقة الأولى — نواب السلطنة ٢٤
- الطبقة الثانية — الكشاف ٢٥
- الطبقة الثالثة — الولاة بالوجهين : القبلى ، والبحرى ٢٦
- الضرب الثاني — من أعيان المملكة وأرباب المناصب حملة الأقاليم ؛
وهم على نوعين ٢٨

صفحة

- النوع الأول — أرباب الوظائف الديوانية ... ٢٨
- النوع الثاني — أرباب الوظائف الدينية؛ وهم صنفان ... ٣٤
- الصف الأول — من له مجلس بالحضرة السلطانية بدار العدل الشريف ٣٤
- الصف الثاني — من لا مجلس له بالحضرة السلطانية ... ٣٧
- المقصد الرابع — في زى أعيان المملكة؛ وهم أربع طوائف ... ٣٩
- الطائفة الأولى — أرباب السيوف ... ٣٩
- الطائفة الثانية — أرباب الوظائف الدينية: من القضاة وسائر العلماء ... ٤١
- الطائفة الثالثة — مشايخ الصوفية ... ٤٣
- الطائفة الرابعة — أرباب الوظائف الديوانية ... ٤٣
- المقصد الخامس — في هيئة السلطان في ترتيب الملك؛ وله ثلاث
- (سبع) هيئات ... ٤٤
- الهيئة الأولى — هيئته في جلوسه بدار العدل، لخلاص المظالم ... ٤٤
- الهيئة الثانية — هيئته في بقية الأيام ... ٤٥
- الهيئة الثالثة — هيئته في صلاة الجمعة والعيد ... ٤٦
- الهيئة الرابعة — هيئته للعب الكرة، بالميدان الأكبر ... ٤٧
- الهيئة الخامسة — هيئته في الركوب لكسر الخليج، عند وفاء النيل ... ٤٧
- الهيئة السادسة — هيئته في أسفاره ... ٤٨
- الهيئة السابعة — في النوم ... ٤٩
- المقصد السادس — في عاداته في إجراء الأرزاق؛ وهو على ضربين ... ٥٠
- الضرب الأول — الجارى المستمر، وهو على نوعين ... ٥٠
- النوع الأول — الإقطاعات ... ٥٠

صفحة

- النوع الثانى — رزق أرباب الأقلام ٥١
- الضرب الثانى — الإنعام وما يجرى مجراه، مما يقع فى وقت دون وقت؛ وهو على خمسة أنواع ٥٢
- النوع الأول — الخلع والتشريف ٥٢
- النوع الثانى — الخيول ٥٤
- النوع الثالث — الكسوة والحوائص ٥٥
- النوع الرابع — الإنعام والأوقاف ٥٥
- النوع الخامس — المأكول والمشروب ٥٦
- المقصد السابع — فى اختصاص صاحب هذه المملكة بأماكن داخلية فى نطاق مملكته يمتاز بها على ملوك الأرض من المسلمين، وغيرهم ٥٧
- المقصد الثامن — فى انتهاء الأخبار اليه؛ وهو على ثلاثة أنواع ٥٨
- النوع الأول — أخبار الملوك الواردة عليه مكاتبات منهم ٥٨
- النوع الثانى — الأخبار التى ترد عليه من جهة نوابه ٥٩
- النوع الثالث — أخبار حاضرتة ٦٠
- المقصد التاسع — فى هيئة الأمراء بالديار المصرية وترتيب إمرتهم ٦٠
- المقصد العاشر — فى ولاية الأمور من أرباب السيوف بأعمال الديار المصرية؛ وهم على أربع طبقات ٦٣
- الطبقة الأولى — النواب ٦٣
- الطبقة الثانية — الكشاف ٦٥
- الطبقة الثالثة — الولاة بالوجهين: القبلى والبحرى ٦٦
- الطبقة الرابعة — أمراء العربان بنواحي الديار المصرية ٦٧

صفحة

- الفصل الثانى — من المقالة الثانية فى المملكة الشامية ، وما يتصل بها من بلاد الأرمن والروم وبلاد الجزيرة بين الفرات والدجلة مما هو مضاف الى هذه المملكة ؛ وفيه أربعة أطراف ... ٧٢
- الطرف الأول — فى فضل الشام وخواصه وعجائبه ، وفيه مقصدان ... ٧٢
- المقصد الأول — فى فضل الشام ... ٧٢
- المقصد الثانى — فى خواصه وعجائبه ... ٧٣
- الطرف الثانى — فى حدوده ، وابتداء عمارته ، وتسميته شاما ؛ وفيه مقصدان ٧٥
- المقصد الأول — فى حدوده ... ٧٥
- المقصد الثانى — فى ابتداء عمارته ، وتسميته شاما ، وما يلحق بذلك ٧٨
- الطرف الثالث — فى أنهاره ، وبحيراته ، وجباله المشهورة ، وزروعه ، وفواكهه ، ورياحينه ، ومواشيه ، ووحوشه ، وطيوره ؛ وفيه ستة مقاصد ... ٧٩
- المقصد الأول — فى ذكر الأنهار العظام بالشام ... ٧٩
- المقصد الثانى — فى ذكر بحيراته ... ٨٣
- المقصد الثالث — فى ذكر جباله المشهورة ... ٨٥
- المقصد الرابع — فى ذكر زروعه وفواكهه ورياحينه ... ٨٦
- المقصد الخامس — فى ذكر مواشيه ووحوشه وطيوره ... ٨٨
- المقصد السادس — فى ذكر النفيس من مطعوماته ... ٨٨
- الطرف الرابع — فى ذكر جهاته وكوره القديمة وقواعده المستقرة وأعمالها ؛ وفيه مقصدان ... ٨٨

صفحة

- المقصد الأول — في ذكر جهاته وكوره القديمة ٨٨
- المقصد الثاني — في ذكر قواعده المستقرة وأعمالها ؛ وهي ست قواعد ٩١
- القاعدة الأولى — دمشق ؛ وفيها جملتان ٩١
- الجملة الأولى — في حاضرتها ٩١
- الجملة الثانية — في نواحيها وأعمالها وتشتمل على بر وأربع صفحات ٩٧
- الصفقة الأولى — الساحلية والجبليّة ؛ ولها جهتان ٩٨
- الجهة الأولى — الساحلية ؛ وهي التي بساحل بحر الروم ٩٨
- الجهة الثانية — الجبلية ١٠٠
- الصفقة الثانية — القبلية ١٠٣
- الصفقة الثالثة — الشمالية ١٠٨
- الصفقة الرابعة — الشرقية ؛ وهي على ضريين ١١٢
- الضرب الأول — ما هو داخل في حدود الشام ١١٢
- الضرب الثاني — ما هو من بلاد الجزيرة ١١٥
- القاعدة الثانية — حلب ؛ وفيها جملتان ١١٦
- الجملة الأولى — في حاضرتها ١١٦
- الجملة الثانية — في نواحيها وأعمالها ؛ وهي على ثلاثة أقسام ١١٨
- القسم الأول — ما هو داخل في حدود بلاد الممالك الشامية ١١٩
- القسم الثاني — البلاد المتصلة بذيل البلاد المتقدم ذكرها من الشمال ؛
وهي المعروفة ببلاد الأرمن ؛ وهو على ضريين ١٣٠
- الضرب الأول — الأعمال الكبار ؛ وهي ساحلية وجبليّة ... ١٣١
- الضرب الثاني — الأعمال الصغار ١٣٥

صفحة

- القسم الثالث — البلاد المجاورة للفرات من شرقيه ... ١٣٧
- القاعدة الثالثة — من قواعد المملكة الشامية حماة؛ وفيها جملتان ... ١٣٩
- الجملة الأولى — في حاضرتها... ١٣٩
- الجملة الثانية — في نواحيها وأعمالها... ١٤١
- القاعدة الرابعة — من قواعد المملكة الشامية أطرابلس؛ وفيها جملتان... ١٤٢
- الجملة الأولى — في حاضرتها... ١٤٢
- الجملة الثانية — في نواحيها وأعمالها؛ وهي على قسمين... ١٤٤
- القسم الأول — الأعمال الجارية؛ وهي على ضربين... ١٤٤
- الضرب الأول — مضافاتها نفسها... ١٤٤
- الضرب الثاني — قلاع الدعوة... ١٤٦
- القسم الثاني — الأعمال الصغار... ١٤٧
- القاعدة الخامسة — من قواعد المملكة الشامية صفد؛ وفيها جملتان... ١٤٩
- الجملة الأولى — في حاضرتها... ١٤٩
- الجملة الثانية — في نواحيها وأعمالها... ١٥٠
- القاعدة السادسة — من قواعد المملكة الشامية الكرك؛ وفيها جملتان... ١٥٥
- الجملة الأولى — في حاضرتها... ١٥٥
- الجملة الثانية — في نواحيها وأعمالها... ١٥٦
- الطرف الثاني — من الفصل الثاني من الباب الثالث من المقالة الثانية فيمن
- ملك البلاد الشامية؛ وملوكها على قسمين... ١٥٨
- القسم الأول — ملوكها قبل الإسلام؛ وهم على أربع (خمسة) طبقات... ١٥٨
- الطبقة الأولى — ملوكها من الكتانين... ١٥٨

صفحة	
الطبقة الثانية — ملوكها من بني إسرائيل	١٥٩
الطبقة الثالثة — ملوكها من الفرس	١٦١
الطبقة الرابعة — ملوكها من اليونان	١٦١
الطبقة الخامسة — ملوكها من الروم	١٦١
القسم الثاني — من ملوك الشام ملوكه في الإسلام، وهم على ضربين	١٦٢
الضرب الأول — عمال الصحابة فمن بعدهم من نواب الخلفاء الى حين	
استيلاء الملوك عليها	١٦٢
الضرب الثاني — من وليها ملكا	١٦٣
الطرف الثالث — من الفصل الثاني من الباب الثالث من المقالة الثانية	
في ذكر أحوال المملكة الشامية؛ وفيه مقصدان	١٨٠
المقصد الأول — في ترتيب نياباتها	١٨٠
النيابة الأولى — نيابة دمشق؛ وفيها جملتان (ثلاث جمل)	١٨٠
الجملة الأولى — في ذكر أحوالها	١٨٠
الجملة الثانية — في ترتيب مملكتها؛ وهو ضربان	١٨٣
الضرب الأول — في ترتيب حاضرتها	١٨٣
الضرب الثاني — في بيان أرباب الوظائف بدمشق على تباين	
مراتبهم؛ والوظائف على خمسة أصناف	١٨٤
الصف الأول — وظائف أرباب السيوف	١٨٤
الصف الثاني — الوظائف الديوانية	١٨٨
الصف الثالث — الوظائف الدينية	١٩٢
الصف الرابع — وظائف أرباب الصناعات	١٩٤

صفحة

الصف الخامس — وظائف زعماء أهل الذمة بها ... ١٩٤

الجملة الثالثة — في ترتيب النيابة بها ... ١٩٤

المقصد الثاني — في ترتيب ماهو خارج عن حاضرة دمشق ؛ وهو

على ضريين ... ١٩٧

الضرب الأول — ماهو خارج عن حاضرتها من الولايات والولايات ... ١٩٧

الضرب الثاني — من الخارج عن حاضرة دمشق العربان، والإمرة بها

في بطون من العرب ... ٢٠٣

البن الأول — آل ربيعة من طيء من كهلان من القحطانية ... ٢٠٣

البن الثانية — جرم ... ٢١١

البن الثالثة — ثعلبة ... ٢١٢

البن الرابعة — بنو دهمدي ... ٢١٢

البن الخامسة — زبيد ... ٢١٣

النيابة الثانية — من نيابات السلطنة بالممالك الشامية نيابة حاب ؛

وفيها جملتان ... ٢١٥

الجملة الأولى — في ذكر أحوالها في المعاملات ونحوها ... ٢١٥

الجملة الثانية — في ترتيب مملكتها، وهي على ضريين ... ٢١٦

الضرب الأول — في ترتيب حاضرتها ؛ ووظائفها على أربعة

(ثلاثة) أصناف ... ٢١٦

الصف الأول — وظائف أرباب السيوف ... ٢١٧

الصف الثاني — الوظائف الدينية ... ٢٢١

الصف الثالث — وظائف أرباب الصناعات ... ٢٢٢

صفحة

- الجملة الثانية — (الثالثة) في ترتيب ما هو خارج عن حاضرة حلب ؛
 وهو ثلاثة أنواع (نوعان) ٢٢٦
- النوع الأول — ولاية الأمور من أرباب السيوف ؛ وهم
 ثلاثة أصناف ٢٢٦
- الصف الأول — النواب ؛ وهم على ضرين ٢٢٦
- الضرب الأول — ما هو داخل في حدود البلاد الشامية ... ٢٢٦
- الضرب الثاني — النيابات الخارجة عن حدود البلاد الشامية ؛
 وهي على قسمين ٢٢٨
- القسم الأول — بلاد الثغور والعواصم وما والاها ... ٢٢٨
- القسم الثاني — ما هو في حدود بلاد الجزيرة شرق الفرات ... ٢٢٩
- الصف الثاني — من أرباب السيوف بخارج حلب الولاية ... ٢٣٠
- النوع الثاني — مما هو خارج عن حاضرة حلب العربان ... ٢٣١
- النيابة الثالثة — نيابة أطرابلس ، وفيها جملتان ٢٣٣
- الجملة الأولى — في ذكر أحوالها ومعاملاتها ٢٣٣
- الجملة الثانية — فيما هو خارج عن حاضرتها ؛ وهو على ضرين ... ٢٣٥
- الضرب الأول — النواب ؛ وهم على قسمين ٢٣٥
- القسم الأول — النيابات بمضافات نفس أطرابلس ... ٢٣٥
- القسم الثاني — نيابات قلاع الدعوة ٢٣٥
- الضرب الثاني — الولاية ٢٣٦
- النيابة الرابعة — نيابة حماه ؛ وفيها جملتان ٢٣٦
- الجملة الأولى — في ذكر أحوالها ومعاملاتها ٢٣٦
- الجملة الثانية — في ترتيب نياباتها ؛ وهي على ضرين ... ٢٣٧

صفحة

الضرب الأول — ما بحاضرتها ٢٣٧

الضرب الثاني — ما هو خارج عن حاضرتها ٢٣٩

النيابة الخامسة — نيابة صفد؛ وفيها جملتان ٢٤٠

الجملة الأولى — فيما هو بحاضرتها ٢٤٠

الجملة الثانية — فيما هو خارج عن حاضرتها ٢٤٠

النيابة السادسة — نيابة الكرك؛ وفيها جملتان ٢٤١

الجملة الأولى — فيما هو بحاضرتها ٢٤١

الجملة الثانية — فيما هو خارج عن حاضرتها؛ وهو على ضربين ٢٤٢

الضرب الأول — الولايات ٢٤٢

الضرب الثاني — العرب ٢٤٢

الفصل الثالث — من الباب الثالث من المقالة الثانية في المملكة الحجازية؛

وفيه سبعة أطراف ٢٤٣

الطرف الأول — في فضل الحجاز وخواصه وعجائبه ٢٤٣

الطرف الثاني — في ذكر حدوده، وأبتهاء عمارته، وتسميته حجازا ... ٢٤٤

الطرف الثالث — في أبتهاء عمارته وتسميته حجازا ٢٤٥

الطرف الرابع — في ذكر مياهه وعيونه وجباله المشهورة ٢٤٦

الطرف الخامس — في زروعه وفواكهه ورياحينه ومواشيه ووحوشه وطيوره ... ٢٤٧

الطرف السادس — في قواعده وأعماله؛ وفيه ثلاث قواعد ٢٤٨

القاعدة الأولى — مكة المشرفة؛ وفيها جملتان ٢٤٨

الجملة الأولى — في حاضرتها ٢٤٨

الجملة الثانية — في نواحيها وأعمالها؛ وهي على ضربين ٢٥٥

صفحة

- الضرب الأول — الحرم ومشاعر الحج الخارجة عن مكة ... ٢٥٥
- الضرب الثاني — قراها ومخالفها ... ٢٥٧
- الطرف السابع — في ذكر ملوك مكة ؛ وهم على ضربين ... ٢٦١
- الضرب الأول — ملوكها قبل الإسلام ... ٢٦١
- الضرب الثاني — ملوكها في الإسلام ؛ وهم على طبقات ... ٢٦٥
- الطبقة الثالثة — (هكذا) عمال النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين ... ٢٦٥
- الطبقة الرابعة — عمال بني أمية ... ٢٦٥
- الطبقة الخامسة — عمال بني العباس ... ٢٦٦
- الطبقة السادسة — السليمانيون من بني الحسن ... ٢٦٧
- الطبقة السابعة — الهواشم ... ٢٧٠
- الطبقة الثامنة — بنو قتادة ... ٢٧٥
- الطرف السابع — (الثامن) في ترتيب مكة المشرفة ؛ وفيه جملتان ... ٢٧٥
- الجملة الأولى — فيما هو بحاضرتها ... ٢٧٥
- الجملة الثانية — فيما هو خارج عن حاضرتها ... ٢٨٤
- القاعدة الثانية — المدينة الشريفة النبوية ؛ وفيها ثلاث جمل (أربع) ... ٢٨٥
- الجملة الأولى — في حاضرتها ... ٢٨٥
- الجملة الثانية — في نواحيها وأعمالها ؛ وهي على ضربين ... ٢٨٩
- الضرب الأول — حماها ومرافقها ... ٢٨٩
- الضرب الثاني — في مخالفها وقراها ... ٢٩٠
- الجملة الثالثة — في ذكر ملوك المدينة وأمرائها ؛ وهم على ضربين ... ٢٩٣

صفحة

الضرب الأول — من قبل الإسلام ؛ وهم ثلاث طبقات ... ٢٩٣

الطبقة الأولى — التبابعة ... ٢٩٣

الطبقة الثانية — العالقة من ملوك الشام ... ٢٩٣

الطبقة الثالثة — ملوكها من بني اسرائيل ، ومن انضم اليهم من

الأوس والخزرج ... ٢٩٤

الضرب الثاني — من في زمن الإسلام ؛ وهم أربع طبقات ... ٢٩٥

الطبقة الأولى — من كان بها في صدر الإسلام ... ٢٩٥

الطبقة الثانية — عمال الخلفاء من بني أمية ... ٢٩٥

الطبقة الثالثة — عمالها في زمن خلفاء بني العباس ... ٢٩٧

الطبقة الرابعة — أمراء الأشراف من بني حسين ... ٢٩٨

الجملة الثالثة — (الرابعة) في ترتيب المدينة المنورة ... ٣٠٢

الباب الرابع — من المقالة الثانية في الممالك والبلدان المحيطة بمملكة

الديار المصرية ؛ وفيه أربعة فصول ... ٣٠٥

الفصل الأول — في الممالك والبلدان الشرقية عنها ، وما يخروط في سلكها

من شمال أو جنوب ؛ وفيه أربعة مقاصد ... ٣٠٥

المقصد الأول — في الممالك الصائرة إلى بيت جنكرخان ؛ وفيه جملتان ... ٣٠٥

الجملة الأولى — في التعريف باسم جنكرخان ومصير الملك اليه ... ٣٠٥

الجملة الثانية — في عقيدة جنكرخان وأتباعه في الديانة إلى أن أسلم من

أسلم منهم ... ٣١٠

المهيع الثاني — (لعله المقصد الثاني) في ذكر ممالك بني جنكرخان على

التفصيل ؛ وهي مملكتان ... ٣١٣

صفحة

٣١٣	المملكة الأولى — مملكة إيران ولها جانبان : جنوبي وشمالى
٣١٤	الجانب الأول — الجنوبي، ويشتمل على ستة أقاليم
٣١٤	الإقليم الأول — الجزيرة الفراتية
٣٢٧	الإقليم الثانى — العراق، وله قواعد ومدن
٣٢٨	القاعدة الأولى — بابل
٣٢٩	للقاعدة الثانية — المدائن
٣٣٠	القاعدة الثالثة — بغداد
٣٣٢	القاعدة الرابعة — سرّ من رأى
٣٣٨	الإقليم الثالث — خوزستان والأهواز
٣٤٣	الإقليم الرابع — فارس
٣٤٨	الإقليم الخامس — كرمان
٣٥٠	الإقليم السادس — سجستان والرخج
٣٥٢	الجانب الثانى — من مملكة إيران — الشمالى، ويشتمل على عدة أقاليم
٣٥٣	الإقليم الأول — أرمينية
٣٥٦	الإقليم الثانى — أذربيجان، وبها ثلاث قواعد
٣٥٦	القاعدة الأولى — أردبيل
٣٥٧	القاعدة الثانية — تبريز
٣٥٨	القاعدة الثالثة — السلطانية، وأسمها قنغرلان
٣٦٠	الإقليم الثالث — أزان، ولها قاعدتان
٣٦١	القاعدة الأولى — بردعة

صفحة	
٣٦١	القاعدة الثانية — تفليس
٣٦٥	الإقليم الرابع — بلاد الجبل
٣٧٩	الإقليم الخامس — بلاد الديلم
٣٨٠	الإقليم السادس — الجبل ؛ وفيه قواعد
٣٨٢	القاعدة الأولى — پومن
٣٨٢	القاعدة الثانية — تۆلم
٣٨٣	القاعدة الثالثة — كسكر
٣٨٤	الإقليم السابع — طبرستان
٣٨٦	الإقليم الثامن — مازندران
٣٨٨	الإقليم التاسع — قومس
٣٨٩	الإقليم العاشر — خراسان
٣٩٦	الإقليم الحادى عشر — زابلستان
٣٩٨	الإقليم الثانى عشر — الغور
٣٩٩	الجملة الثالثة — فى الأنهار المشهورة
٤٠٢	الجملة الرابعة — فى الطرق الموصلة إلى قواعد هذه المملكة
٤٠٥	الجملة الخامسة — فى بعض مسافات بين بلاد هذه المملكة
	الجملة السادسة — فيما بهذه المملكة من النفائس العلية القدر، والعجائب الغريبة الذكر، والمتزهات المرتفعة
٤٠٨	الصيت
	الجملة السابعة — فى ذكر من ملك مملكة إيران جاهلية وإسلاماً
٤١١	وهم على ضربين

صفحة

- الضرب الأول — ملوكها قبل الإسلام، وهم على أربع طبقات ٤١١
- الطبقة الأولى — الفيشدازية ٤١١
- الطبقة الثانية — الكيانية ٤١٢
- الطبقة الثالثة — الاشغانية ٤١٣
- الطبقة الرابعة — الأكاسرة ٤١٤
- الضرب الثاني — ملوكها بعد الإسلام، وهم على ثلاث طبقات ٤١٦
- الطبقة الأولى — عمال الخلفاء ٤١٦
- الطبقة الثانية — خلفاء بني العباس ٤١٧
- الطبقة الثالثة — ملوكها من بني جنكركخان ٤١٩
- الجملة الثامنة — في معاملاتها وأسعارها ٤٢٢
- الجملة التاسعة — في ترتيب هذه المملكة، على ما كانت عليه، في زمن
بني هولاكو ٤٢٣
- الجملة العاشرة — فيما لأرباب المناصب والجند، من الرزق على
السلطان ٤٢٥
- الجملة الحادية عشرة — في ترتيب أمور السلطان، بهذه المملكة ... ٤٢٦
- الجملة الثانية عشرة — فيما يتعلق بترتيب ديوان الإنشاء بهذه المملكة ٤٢٨
- المملكة الثانية — مما بيد بني جنكركخان، مملكة توران، وفيها سبع جل ٤٢٩
- الجملة الأولى — في ذكر حدودها وطولها، وعرضها وموقعها من الأقاليم
السبعة ٤٣٠
- الجملة الثانية — فيما يدخل في هذه المملكة من الأقاليم العرفية، وهي
سبعة ٤٣١

صفحة	
٤٣١	الإقليم الأول — ماوراء النهر
٤٣٩	الإقليم الثاني — تركستان
٤٤٢	الإقليم الثالث — طخارستان
٤٤٣	الإقليم الرابع — بدخشان
	الجملة الثالثة — في الطرق الموصلة إليها ، وبعض المسافات
٤٤٤	الواقعة بين بلادها
	الجملة الرابعة — في عظام الأنهار الواقعة في هذا القسم من مملكة
٤٤٤	توران
٤٤٥	الجملة الخامسة — في معاملاتها وأسعارها
	الجملة السادسة — في من ملك هذا القسم من مملكة توران، وملوكها
٤٤٥	في الإسلام على طبقتين
٤٤٦	الطبقة الأولى — ما هو عقيب الفتح
٤٤٩	الطبقة الثانية — ملوكها من بني جنكرخان
٤٥٠	الجملة السابعة — في ترتيب هذه المملكة، وحال عساكرها
٤٥١	القسم الثاني — من مملكة توران خوارزم والقبجاق؛ وفيه ثمان جمل
٤٥٢	الجملة الأولى — في ذكر حدود هذه المملكة ومساقفها
٤٥٣	الجملة الثانية — فيما آشتات عليه من الأقاليم
٤٦٧	الجملة الثالثة — في ذكر الأنهار العظام والبحيرات الواقعة في هذه المملكة
٤٦٩	الجملة الرابعة — في الطرق الموصلة الى هذه المملكة
٤٧٠	الجملة الخامسة — في الموجود بها
٤٧٠	الجملة السادسة — في المعاملات والأسعار بها

صفحة

الجملة السابعة — في ذكر ملوك هذه المملكة... ٤٧١

الجملة الثامنة — في مقدار عسكر هذه المملكة... ٤٧٥

القسم الثالث — من مملكة توران مملكة القان الكبير؛ وفيها خمس

(ست) جمل... ٤٧٧

الجملة الأولى — فيما اشتملت عليه هذه المملكة من الأقاليم... ٤٧٨

الإقليم الأول — الصين... ٤٧٩

الإقليم الثاني — بلاد الخطا... ٤٨٣

الجملة الثانية — في معاملة هذه المملكة وأسعارها... ٤٨٤

الجملة الثالثة — في الطريق الموصل إلى هذه المملكة... ٤٨٤

الجملة الرابعة — في ذكر ملوكها... ٤٨٥

الجملة الخامسة — في عسكره... ٤٨٦

الجملة السادسة — في ترتيب هذه المملكة... ٤٨٦



(تم فهرست الجزء الرابع من كتاب صبح الأعشى)

ويليه الجزء الخامس

وأوله المقصد الثاني

في ممالك جزيرة العرب الخارجة عن مضافات الديار المصرية



